الجمهوريّة الجزائريّة الديمقراطيّة الشّعبيّة
وزارة التّعليم العالّي والبحث العلمّي
جامعة ابن خلدون- تيارت -
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة والأدب العربي

أطروحة مقدّمة لنيل درجة دكتوراه علوم في اللغات والآداب

إعداد الطّالبة: إشراف الأستاذ الدكتور:

تأصيل الدَّرس الصَّوتي في التُّراث العربي

ـ سرّ صنّاعة الاعراب أنموذجًا ـ

عون الله خديجة شاكر عبد القادر

أعضاء اللّجنــة المناقشــة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
أ.د بن جامعة الطيب	أ.التعليم العالي	جامعة تيارت	رئيسا
أ.د شاكر عبد القادر	أ.التعليم العالي	جامعة تيارت	مشرفا ومقررا
أ.د شارف عبد القادر	أ.التعليم العالي	جامعة شلف	مناقشا
أ.د سعاد بسناسي	أ.التعليم العالي	جامعة وهران	منــاقشة
د. بن عسلة عبد القادر	أستاذ محاضر-أ-	المركز الجامعي غليزان	منــاقشًا
د.حميداني عيسى	أستاذ محاضر –أ-	جامعة تيارت	منــاقشًا

السـنــة الجـامــعيــة
1437ه-1438ه/2016م-2017م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلـــى

النور التّي تنير لي درب النّجاح وعّلمتني الصمود مهما تبدلت الظروف

أمي أمي أمي أطال الله عمرها

إلى من شغلني البحث عنّه الليالي والأيام ولمّا أنهيته حال بيني وبينه هادم اللّذات ومفرق الجماعات أبي الغالي رحمه الله

إلى أستاذي الدكتور شاكر عبد القادر المحترم

إلى إخوتي وأخواتي

إلى كل من أضاء بعلّمه عقل غيره ،أو هدى بالجواب الصحيح حيرة سائليه فأظهر بسماحته تواضع العلماء، وبرحابته سماحة العارفين

أهدي لهم هذا البحث المتواضع

عرفانا بالحقّ وإقرارا بالنّعمة التّي أنعم بها علي أحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ؛الذّي أعانني على إتمام هذا البحث، وهداني إلى سبيل الفلاح فيه.

ففي هذا المقام أزجي وافر الشّكر، وجميل الثّناء لأستاذي المشرف الفاضل **الدكتور شاكر عبد القادر** الذّي وقف بجانبي ، فكان السنّد القوي في إخراج هذا البحث ، إلى أستاذي الذّي ساقني سوقا للاجتهاد أكثر في هذا العمل الجليّل ، وعلى ما بذله من جهد في قراءة البحث ، وإسداء النّصح المترفق، والتوجيه الدقيق ،فكان نعم الأستاذ والمشرف والموجه، فجزاه الله عني كل خير.

وشكري وامتنانّي إلى جميع أساتذتي بكلية اللّغة العربية وآدابها،وأخصُّ بالذكر أعضاء اللّجنة الموقرة ،وإلى كل من كان لي سندا في إخراج هذا الصنيع ،وإلى الذين كانوا عونا لي في بحثي هذا ونورا يضيء الظلمة التّي كانت تقف أحيانا في طريقي ، إلى من زرعوا التفـاؤل في دربي ،وقدَّموا لي المساعدات والتسهيلات والمعلومات ، فـلهم منّي كل الشكر.

♦ قال أحد البلغاء :

تعلَّمِ الْعِلْمَ فإنَّهُ يُقَوِّمُك ويسدِّدُك صغيرًا، ويقدِّمُك وَيُسَوِّدُك كبِيرًا، وَيُصلِح زيفَك وَفاسدك، وَيُرْغم عدوَّك وَحاسِدَك، وَيقوِّمُ عوَجك وميْلك، ويصَحِّحُ هِمَّتك، وَأملَك.

♦ و يَنبَغِي لِمَن كَتَب كتابا ألاَّ يكتبه إلا على أنّ النَّاس كلّهم له أعداء،وكلّهم عالم بالأمور وكلّهم متفرع له ثمّ لا يرضى بذلك حتَّى يَدع كتابا غفلا ،ولا يرضى بالرَّأي الفطير،فإنَّ لابْتِداء الكتاب فِتنة وعجبًا فإذا سكنت الطّبيعة وهدَأَت الحركة وتَراجَعت الأخلاط وعَادت النّفس وافرَة،أعاد النَّظر فيه ،فيتوقف عنْد فصُوله توقف من يكون وزن طَمعه في السلامة أنْقص من وزن خَوفه من العيْب.

♦يقول عماد الدين الأصفهاني:

إنّي رأيتُ أنَّه لا يكتب أحدا كتابًا في يومهِ إلا قال في غَدِهِ: لو غُيِّرَ هذا الكتاب لكان أحسن ،ولو زيد هذا لكان يستحسن ولو قُدَّم هذا لكان أفضل ولو ترك هذا لكان أجمل ،وهذا أعْظَم العبر وهو دليل على استيلاء النّقص على جملة البشر .

مـقدّمـة

الحمد لله الذّي جعل العربيّة مفتاح كتابه المبيّن، وسرّ إعجازه للعالمين والصّلاة والسّلام على أفصّح من نطق بالضّاد ،ومن أُوتى جوامع الكلم النّبي العربيّ المؤيّد بتلّك المعجزة الباهرة ،وحكمتها السائرة وعلى آله وصحبه أجمعين.

للعربية براعة خضعت بها ،وأودعت من مكنون سرّها ما جعلها تمتزج بالأفئدة ،والعقول بنورها وسرعة تأثيّرها حتّى فيمن بَعُدّ عنها وانتمى إلى غير أهلها، وقد دخلت التاريخ مع خيّر أمّة أخرجت للنّاس، فنبعت من أعماق نفوسهم، وجرت سحرا حلالا على ألسنتهم، فحظيت بجهود كبيرة من أجل المحافظة على نّطقها بريئا من شوائب اللحن، نقيا من مظاهر اللّكنة، وارتبطت تلك الجهود ببزوغ شمس الإسلام في بلاد العرب ، وكان ظهور القرآن الكريم سببا في نشأة علوم جديدة لم يكن للعرب عهد بها من قبل.

لقد اهتمّ العرب بالقرآن الكريم حفظًا وتلاوةً وتفسيرا منّذ نزوله، وأصبح المنهل الذّي لا ينضب لكلّ دارس للّغة العربيّة ، ووجدت اللّغة العربية عنّاية واضحة في دراسة مستوياتها المختلفة ،ابتداء بالأصوات ، ومرورا ببنية الكلمة (الصّرف) ،والتراكيب (النّحو) ،وانتهاء بالدراسة الدلالية (المعجم)، فحمل لواءها في البداية علماء العربّية، لأنّهم في ذلك الوقت يتميّزون بالجمع بين العلوم بنّظرة تكاملية، فهم أرباب البيان يفخرون به على غيّرهم.

وبما أنّ اللّغة أصوات، وأنّ الصّوت هو المستوى الأوّل للدّراسات اللّغوية قبل الدّراسات الصرفية والنّحوية والدلالية ،وله أثره الكبير و الواضح في إثّراء المكنوز المعرفي الدّراسي للّغة العربيّة ،فيستوجب الاهتمام بهذا المستوى والالتفاف حوله، للانطلاق منّه والعودة إليه، حتى يكون كلّ ما يبني عليّه متيناً واضحًا سليماً.

فعلم الأصوات علم جديد قديم، **جديد** لأنّه واحد من فروع علم اللسانيات الذّي لا يعدو تأسيسه مطلع هذا القرن على يد اللّغوي دي سوسير، و**قديم** لأنّه واحد من العلوم التّي تقوم عليها كل لغة ، فاللّغة أصوات تتألّف منّها كلمات تنظم في جمل فتؤدي معاني مختلفة ، أو على حدَّ تعبيّر ابن جنَّي أصوات يعبّر بها كلَّ قومٍ عن أغراضهم.

ولمّا كان الأمر كذلك برزت فكرة أو إشكالية (التّأثر والتّأثير بين القديم والحديث)، على أن مبدأ استلهام التراث يَتنزَّل لدى العرب في عصرنا منزِلَة مولد

التّأصيل الفردي الذّي بدونه يظل الفكر العربي سجين الأخذ، محظورا عليه العطاء، وهذا هو الذّي أنطق بعض رواد المعاصرين بالقول:

« لكنّنا ما نزال في دنّيا الفكر متخلفين إلى الدرجة التّي أستأذن القارئ في أن أقول عنّها ؛إنّها الدرجة الدنّيا التّي ليس لنّا فيها فكر عربّي معاصر ،مع أن تراثنا يمدّنا بالخامة الولود التيّ يمكن أن نتَّخذ منها محورا لموقف عربيّ أصّيل ، وإمّا ناشر لفكر عربيّ قديم، فلا النّقل في الحالة الأولى ،و لا النّشر في الحالة الثّانية يصنع مفكرا عربيًا معاصرًا ، والمطلوب هو كما قال عبد السّلام المسدي أن نستوحي لنخلق الجديد سواء غيّرنا المكان لننّقل عن الغرب ،أو عبرنا الزمان لننّشر عن العرب الأقدمين ».

فتراثنا العربيّ يزخر بالكنوز، والدُّرَر الثَّمينة التّي لا يتوصل إليها إلَّا منْ يصبرون أغوار العلوم، ويتلذَّذ بنفائس الأمور، وانشغل عددّ كبير من الباحثين بالتّراث العربي اللّغوي ،فمنّهم من اهتمّ بتحقيقه فجمع المخطوطات وقارن بينهما، وأثبت التّصحيح وشرح المادة وعلّق عليها، ومنّهم من عُنِيَّ ببحث النّصوص ،ودِّراستها وتّحليلها محاولا الكشف عن الجوانب المشَّرفة فيها.

فمن ذلك الكم الضخم في التّراث اللّغوي، جهود العرب واهتمامهم بالدّراسات الصّوتية ممّا جعلهم أسبق الأمم شرقا وغربا في هذا المضمار، فكانت لهم صور واضحة تنّم عن فهم مبكر دقيق لطبيعة الصّوت اللغوي، فعكفوا على دراسة أصوات لغتّهم ،وبرعوا في دقة تحديد مخارج الأصوات العربية والإلمام بذكر صفاتها، ويتضح ذلك عند الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت**175**ه) من خلال معجمه (العين)، سيبويه(ت 180ه) في (الكتاب)، وابن سينا (ت 428ه)في رسالته (أسباب حدوث الحروف).

وهكذا تتواصل جهود علماء العرب القدامى في دراسة الأصوات حتّى نصل إلى ابن جنَّي ،وهو أستاذ هذا العلم دون منّازع حيث أدرك طبيعة اللّغة ،و وظيفتها لأنّه من الدّراسات التي سبقته ،وخصص كتابا كاملا لدّراسة الأصوات سمّاه (**سرّ صنّاعة الإعراب**)،يعدّ من أكمل الكتب التّي وصلتنا وأشملها في العربيّة ومادته العلمية لم تتوفر في أي كتاب آخر، فهو كتاب فريد في نظمه وتبويبه، وموضوعه لم يسبقه إليه أحد اشتمل على مدخل في علم الأصوات، تحدث فيه بكلام بهر به الدارسين في القديم، وفاز بإعجاب علماء الصوتيات المحدثين.

كان من بين الأسئلة التّي أثَّلَت إشكالية هذا البحث: هل حديث ابن جنَّي عن الأصّوات في سرّ صنّاعة الإعراب يعدّ حقا أعظم حديث عربّي صوتي استفاد منّه المحدثون؟، وما هي أهم الأنّساق الفكريّة والمعرفية والمصادر التّي تولدت عنّها هذه الأصالة لدراسة الأصوات عنّد العرب ؟ مدى أصالة هذه النّظرية الصّوتية عند العرب ؟

فكلّ هذه الأسئلة ، وغيّرها كانت خاطر برق في ذهننا فاخترناها لتكون الإشكالية التّي تدور عليها رُحَّى هذا البحث، ولعلّ قراءتنا الموسومة ب : **تأصيل الدّرس الصّوتي في التّراث العربي - سرّ صنّاعة الإعراب أنموذجا-**.أضاءت بعض جوانبه

إنّ ما يبتغي الوصول إليه من خلال هذه الدّراسة تبيآن أهميّة التّفكير الصوتي ،ونضجه وأصالته عنّد العلماء العرب القدماء بعرض مختلف مصادر الدراسة الصوتية، وأسباب تعددّها بما يعنيه ذلك من كشف عن بعض المفاهيم التّي تبلورت داخل تلك الأنساق سعيًا منّا إلى أمرين اثنين، وأوّلها بسط موضوعي تاريخي للإنتاج المعرفي الصوتي العربي، وثّانيهما جعل هذا الإنتاج المعرفي القديم الصّوتي متناغما مع المعرفة الصوتية الحديثة.

وحين نتأمّل منجز سرّ صناعة الإعراب لابن جنَّي الصّوتي الكبير، فإننّا نستنبط منّه هندسة إتباعه ملامح المنهج الوصفي الإجرائي العلمي الدقيق الّذي جعل علماء العربية يتأملون كل أصوات العربية، ويلاحظونها هذه الملاحظة الذاتية الدقيقة ممَّا نتج عنها ثمار طيبة لم يُخْف إقرارّها الدّرس الصوتي الحديث ،والحقيقة أن جميع بحوث ابن جنَّي لها طابع أعجب المتقدّمين من اللّغويين ، وأعجز المتأخرين وفي مؤلفاته الثّمينة ألوان من هذا البحث الجاد تؤكد أنهّ عاش لها، وبذل حيّاته من أجلها، ومن هنّا كان الدافع للخوض في ثمار هذا البحث المتواضع محاولةً الإجابة عن إشكالية البحث والوصول إلى تحقيق الأهداف المرجوّة منّه، فبنيّت الدّراسة على **مقدّمة ومدخل وأربعة فصول وخاتمة.**

تحدثنا في **المدخل** عن المنّطلقات الأولى للدّراسة الصّوتية في الحضارات الإنسانية ،وما عرفته من جهود جبّارة، لا تُنّكر على أنّها امتداد للفترة الحديثة والمعاصرة في هذا المجال ،ومن ثمار ما أنجز في هذا الصدد لابن جنّي الذّي هو مدونة ختام بحثنا هذا المتواضع .

الفصل الأوَّل عنوناه بـ: **مفاهيم أساسية للدّرس الصّوتي عنّد العرب،** وقد صممت الدّراسة فيه على ثلاثة مباحث رئيسيّة بيّنا فيها مفهوم الصّوت اللّغوي، وأقسامه، ودواعي الاهتمام بالصّوتيات.

أمّا **الفصل الثّاني** المعنون ب**: النّظرة التّأصيليّة للدّراسات الصّوتيات العربية،** خصصنّاه

لأربعة مباحث تُنُوولَ في أوّلها البحث الصّوتي عند الخليل بن أحمد الفراهيدي (100هـ-175هـ)، ثمّ أُفْضينا الكلام في مسألة فضل سيبويه في رقيّ الدّرس الصّوتي العربيّ (148هـ-180هـ) ليتجاوز فيما يلي إلى الحديث عن تراث ابن سينا وأصّوات اللغة في رسالته ،ثمَّ أنهيَ هذا الفصل بالوقوف عند المباحث الّصوتية لابن سنان الخفاجي.

جاء **الفصل الثّالث** حاملا عنوان : **الفكر الصّوتي وأصّالته عند ابن جنّي من خلال سرّ صنّاعة الإعراب،** وقد جُزِئَّ هو الآخر إلى أربعة مباحث رئيسيّة، أُشِير في أوَّلها إلى إثبات مرحلة النّظرية والتّأصيل في جهود ابن جنَّي، ثمّ أُتيَّ الحديث في مبحثه الثّاني عن كيفية وصف ابن جنّي للحروف العربية وتذوّقها في سرّ الصنّاعة، وفي المبحث الثّالث أصالة الأصوات العربية في سرّ صنّاعة الإعراب ،ثم ختمنا بمحثٍ رابعٍ قارنّا بين دراساتّه الصّوتية والدراسات الّصوتية الحديثة.

أمّا **الفصل الرابع** تنّاولنا فيه **أصالة التّلوينات الصّوتية ودلالتها الوظيفية في القرآن الكريم من خلال سّر صنّاعة الإعراب،** واشتمل على ثلاثة مباحث ،خُصَّ المبحث الأوّل بالدّرس الصّوتي ودوره في خدمة القرّاء والمجودين العرب ،أما المبحث الثّاني وُسِم بأصَّالة التّلوينات الصّوتية عند ابن جنّي من خلال سرّ صنّاعة الإعراب ، ثم انتقلنا إلى المبحث الثّالث وفيه وسع الحديث عن جماليات وتلونّات الإيقاعات الّصوتية وأصالتها في الموروث العربي، مطبَّقة على آيات قرآنية تبرز أهمية التنغيم والفواصل في القرآن الكريم

وذُيِّلَ البحث **بخاتمة،** حصرت فيها معظم النّتائج المتوصّل إليها.

أمّا فيما يخصُّ المنهج المتّبع فقد زاوجنا بين منهجين هما : المنهج الوصفي التّاريخي والمنهج التحليلي، وقد تمَّ فيه إخضاع ما جيء به إلى آلية التّحليل قصد النّبش عن القضايا الدّفينة وتبريرها ،والوقوف على أصالتها العربية ،ولمّـا كانت حاجة البحث إلى التّحليل والمقارنة ،كان لزاما علينّا الاستعانة بالمنهج المقارن خاصّة فيما يتعلّق بما وصلت إليه الدّراسات الصّوتية الحديثة.

وقد شكل اتساع البحث وقضاياه ، وثقله المعرفي الذّي يجمع بين موضوعين مهمّين ؛ المعرفة
التراثية الصّعبة بمصطلحاتها ممثلة في سرّ صنّاعة الإعراب، والمعرفة الأصّيلة للدّرس الصّوتي في التراث العربي، أهمّ ما واجهتنا من صّعوبات.

ما كان لهذا البحث أن يتمَّ ،ويستوي عوده لولا فضل مكتبة البحث التّي ارتكزنا عليّها ،والمكونة من مصادر **تراثية** : ككتابي (سرّ صنّاعة الإعراب والخصائص) أبا الفتح ابن جنّي ،والكتاب (سيبويه)، رسالة (أسباب حدوث الحروف) لابن سينا، وكتاب (سر الفصاحة)لابن سنان الخفاجي،وكتاب البرهان (للزركشي)، وكتاب المزهر والإتقان (للسيوطي).

وأخرى **حديثة** ومعاصرة ككتابي (الصّوتيات اللغوية – دراسة تطبيقية على أصوات اللّغة العربية-) و(عبقري اللّغويين أبو الفتّح عثمان ابن جنَّي (321هـ-392هـ)) لصاحبه عبد الغفار حامد هلال، وكتاب (علم الأصوات) لكمال محمد بشر، وكتاب(المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية) لصاحبة مكي درار.

لا يسعنا بعد إكمال هذا البحث المتواضع إلاّ أن نتقدم بجزيل الشّكر إلى أستاذي المشرف الدّكتور **"شاكر عبد القادر"**، لمّا بذله من جهد واهتمام ورعاية طيلة إشرافه على هذا البحث حتّى استوى وآل إلى ما هو عليه الآن، فقد كانت نصائحه وإرشاداته سراجا أنار لنّا الدّرب وذّلل الصّعوبات فيه ، فضلا على مكتبته التّي أعانتنا على المضي قدما في فهم هذا الموضوع والتّوسّع فيه مع الغور في أعماقه، والشّكر كلّ الشّكر لأساتذتنا أعضاء لجنّة المناقشة على قبولهم مناقشة هذا البحث ، وإثرائه بأفكارهم القيّمة، وقد تجشموا عناء السّفر والقراءة، فلهم منّا كلّ الاحترام والتَّقدير

ويبقى من طبيعة الإنسان الخطأ والنّسيان، فإن وُفَّقنا فمن الله الذّي أمدّنا بالصّبر على تحمُّل عنّاء البحث لتقديم عمل يكون ذخرا لنا ونفعا لغيرنا، وإن أخطئنا فالأمر يعود لنا ،وينعكس علينا وحدنا ،والله من وراء القصد وهو مولانا ونعم النّصير.

وأن آخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين

الطّالبة : عون الله خديجة تيهرت/ال

الفـصــل الأوَّل

مفـاهيم أساسـية للــدّرس الصّوتـي عنّد العرب

المبحث الأوّل : تعريف الصّـوت اللّغوي.

المبحث الثّاني : أقـسام علـم الأصوات

المبحث الثّالث : أهميّة الدراسة الصّوتية وقيمتها

اللّغة نظام يتألّف من أصوات تجتمع لتعبّر عن أشياء حسيّة سمعيّة ،و بصرية وأفكار مجردة ، والأصل في اللّغة أن تكون كلاما أو مشافهة ، أما الكتابة ففي لغة أخرى تهدف إلى تمثيل الكلام المنّطوق بطريقة منظورة ، وتفقد قيمتها إذا لم تكن معروفة الأصوات وطرائق النطق ،وقد ماتت لغات كثيرة عندما جهلت طريقة نطق الأصوات فيها [1].

فالإنسان من حيث هو كائن مكلف في هذا الكون فهو مضطَّر باستعداده الخلقي، النّفسي إلى الخطاب ، مؤهل سلفا لإنتاج الصّوت بوصفه ظاهرة فيزيولوجية و فيزيائية ،واستخدامه لتحقيق عملية التواصل بين أفراد المجتمع البشري ،حيث يقول ابن سينا في هذا الشأن : « لما كانت الطبيعة الإنسانية محتاجة إلى المحاورة لاضطرارها إلى المشاركة و المجاورة ،انبعثّت إلى اختراع شيء يتوصل به إلى ذلك ...فمالت الطبيعة إلى استخدام الصّوت ، ووفَّقَت من عند الخالق بآلات تقطيع الحروف وتركيبها معا ، ليدل بها على ما في النفس من أثر» [2]، منذ كان الوجود كان الصوت كان الإنسان المصدر البشري لهذه الظاهرة، وما كان ذلك إلا لأنَّ الصوت هو الحامل المادي للحضارة الإنسانية نظرًا لطبيعته الحسية.

في ظل هذه الأهميّة للظاهرة الفعالة في حياة الإنسان انبعثت للدراسة الصوتية مجالات وموضوعات ونظريات ، تختلف باختلاف الهدف والموضوع والوسائل ، ومن هذه النظرة يحتاج الدّرس الصوتي قبل البدء فيه والتّعامل معه إلى تفريق وتقسيم وتحديد المستويات والمجالات والموضوعات ، باعتبار هذه العناصر منطلقات ومرجعيات يعتمدها كل من المرسل والمتلقي [3] ، فدراسة الأصوات اللغوية عند العرب ارتبطت ارتباطا وثيقا بمعطيات وظيفية مؤدية إلى غايات متنوعة ومختلفة باختلاف دارسيها وعلى وفق اختصاصهم.

المبحث الأوّل:

تعريف الصَّوت اللّغوي:

أصوات الكلام تحيط بنّا من كل جهة ، إنّنا نستعملها ونسمعها ، ونستمتع بها ، و أهمية أصوات الكلام تأتي من أنها تمثل الجانب العملي للغة ، وتقدَّم طريق الاتّصال المشترك بين الإنسان وأخيه الإنسان ، مهما قل حضه من التعليم [4] .

[1] ـ علم الأصوات اللغوية ، د/ أحمد عزوز ، ص 04 .
[2] ـ مباحث في اللسانيات د/ أحمد حساني ، ص 66 – 67 .
[3] ـ المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية – دراسة تحليلية تطبيقية- ،د/ مكي درار ، د/ سعاد بسناسي ، ص 18 .
[4] ـ دراسة الصوت اللغوي ،د/ أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ؛ 1997م، ص13 .

وقد أجمع العلماء على أن مرحلة الكلام عند الإنسان متأخرة إذا قيست بتطوره فهم يرجحون أن الإنسان الأول قد حاول النطق في عصوره الحجرية ، وكان الدافع الأول لهذا النطق مجرد المصادفة ، فقد نمت فيه قوة السمع قبل قوة النّطق ، فسمع الأصوات الطبيعية حوله ، ولكنه لم يقلدها في هذه المرحلة ، وليس يعنينا أن نقف هنا طويلا ، وإنما الذّي نحاول أن نتصوره هو إنسان يستغل أصوات نفسه وأصوات المظاهر الطبيعية في حاجاته الأولية [1].

وهكذا فمنذ كان الوجود كان الصّوت، وكان الإنسان المصدر البشري لهذه الظاهرة ، وما كان ذلك إلا لأنّ الصوت هو الحامل المادي للحضارة الإنسانية ونظرا لطبيعته الحسية ، ففي ظل هذه الأهمية سنحاول تقديم تعريف شامل لهذه الظاهرة الفعالة في حياة الإنسان وهو **الصّوت بمفهومه العام والصّوت اللّغوي.**

يقول **ابن فارس(ت 395ه)** في مادة (صَوْت) : « الصاد والواو والتاء أصل صحيح وهو الصوت، وهو حبس لكل ما وقر في أذن السامع ، يقال هذا صوت زيد ، ورجل صيّت إذا كان شديد الصوت ، وصائت إذا صاح [2] ».

وورد عنّد **ابن السكَّيت** (ت244 ه) : « الصوت صـوت الإنسان وغيره ، والصائت الصائح ، ورجل صيَّت: أي شديد الصوت ... ».[3]

ومن معانـــي الصّـــوت في معاجم اللغة : « اللحن الحسن، والذكر الحسن، ، ويقال: غنى صوتا ، والصوت : الرأي تبديه كتابة أو مشافهة في موضوع يقرر جمع : أصوات »[4].

وواضح من هذا أن المعنى اللّغوي **للصَّوت** هو ذلك الجرس، أو الزّمير الذّي يسمع من فهم الإنسان عندما ينادي شخصا بعيدا عنه ويعبَّر عنه إذا كان مرتفعا

[1] ـ الأصوات اللغوية ، د/ إبراهيم أنيس ، المكتبة الأنجلو مصرية :ط5 ؛ 1979 م،ص10 .
[2] ـ مقاييس اللغة ، ابن فارس ،تحقيق : عبد السلام محمد هارون ،؛1399ه/ 1979م ،3 /317-318 .
[3] ـ لسان العرب ،للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت ، 2003م ،302/8.(مادة : صوت) .
[4] ـ معجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط4 ؛ 2004م ، ص527 .

بالصياح [1]، والأصل في الصوت التذكير ، لأنه مصدر بمنزلة الضرب ، غير أنه جاء مؤنثا على معنى الصيحة ، قال رويشد بن كثير الطائي :

يا أَيُّهَا الرَّاكِبُ الْمُزْجِي مَطِيَّتَهُ * سَائِل بَنِــي أَسَدٍ، مَا هَذِهِ الصَّوْتَ ؟**

و قد عدَّ ذلك من قبيح الضرورة ، لأنّه خروج عن أصل إلى فرع ، وإنما المستجار من ذلك ردُّ التأنيث إلى التذكير ، لأن التّذكير هو الأصل [2]، بمعنى عرض يخرج مع النفس مستطيلا متّصلا ، حتى يعرض له في الحلق والفم والشّفتين مقاطع تثنيه عن امتداده [3]، فالصّوت إذن ؛ مفهوم عام يرتبط بكل أثر سمعي مهما كان مصدره : إنسانا ، حيوانا ، جمادا .

والصَّوت الإنساني هو المادة الأساسية لعلم الأصوات ، وهو العلم الذي يهتم بدراسة الأصوات دراسة نظرية وعلمية [4] ، **فالصّوت اللّغوي** حدث إنساني وحركة تنتجها أعضاء النطق ، فتخرج منها على شكل ذبذبات ، تنتقل عبر الهواء إلى أعضاء السمع ، وهو أصغر وحدة صوتية من أصوات الطبيعة يصل إليها التقطيع المزدوج **(la double articulation)** ، ويتطلب الصوت اللغوي وضع أعضاء النطق في أوضاع معينة محددة ، ومعنى ذلك أن المتكلم لابد أن يبذل مجهودا مَا كَيْ يحصل على الأصوات اللغوية [5] ، وعليه يمكن القول بأن الصّوت اللغوي يتم حدوثه وفقا للخطوات الآتية:

- مرحلة **إصدار الأصوات** من جهاز النطق ، وهي ذات مظهر فيسيولوجي أو عضوي يتعلّق بالعملية الحركية التي تقوم بها أعضاء النطق ، وهنا يكون علم الأصوات فيسيولوجيا .
- مرحلة **انتقال الصوت** من فم الناطق عبر الهواء الخارجي في شكل ذبذبات أو موجات ، وهو ما يعرف بالجانب الأكوستيكي ، أو الفيزيائي للصوت اللغوي .

---

[1] ـ المختصر في أصوات اللغة العربية – دراسة نظرية تطبيقية – د/ محمد حسن جبل ، البربرى للطباعة الحديثة ،ط3 ؛ 1426ه/2005م، ص50 ، ينظر سر صناعة الإعراب ، ابن حني ، 1/ 24 .

[2] ـ انظر سر صناعة الإعراب ، ابن حني ، 1/ 24 - 25.

[3] ـ سر صناعة الإعراب ،ابن جني، 1 /19 .

[4] ـ الأصوات اللغوية ، د/ زين كامل الخويسكي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 1429ه /2008م ،ص19.

[5] ـ علم الأصوات، د/ كمال بشر ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ؛ 2000 م، ص118-119. .

➢ - مرحلة **استقبال تلك الذبذبات والموجات** عبر أذن السّامع ،وتحويلها إلى معاني مدّركة وهنا يكون علم الأصوات سمعيا [1] .

فندلّل في هذَّا السياق إلى أنَّه علْمٌ يبحث فيه عن أحكام بنية الصّوت اللغوي من حيث المخارج ، والصفات الأصلية ، والصفات العارضة ، والسمات الثّانوية من نبر وتنغيم وغير ذلك والعلاقات والتفاعلات السياقية [2] .

المبحث الثّاني:

أقسام علم الأصوات: (Sections scientifiques phonologie)

تتنّوع دراسات علم الأصوات في ميادين تشكَّل فروعها ، وتتباين وظائف هذه الفروع طبقا لاختلاف الأحوال و الظّروف التي يمرُّ بها الصوت في انطلاقه من فم المتكلم إلى أذن السامع ، وينفرد كل فرع بدراسة الصوت في مرحلة من مراحله الثّلاث ، الحُّدوث ، الانتقال و الإدراك [3] .

فلعلم الأصوات تقسيمات وتفريعات متعدَّدة بحسب مسيرة إصدار الأصوات ومراحل أدائها ، وبحسب طبيعتها من النّاحيتين المادية والوظيفية ، وبحسب وجهات النّظر في الدرس والتّحليل ، ولا يمكن تصور أحدهما بدون الآخر وهذه الفروع هي :

1- علم الأصوات النّطقي : (la phonétique articulatoire)

يهتمُّ علم الأصوات النطقي بدراسة أعضاء النطق وحركتها وبيان وظائفها أثناء إحداث أصوات الكلام ، وفيه يتابع الدارس اندفاع الهواء من الرئتين ، أو

---

[1] - دروس في مقياس الصوتيات ، أ/ عبد الصمد لميش ، كلية الآداب واللغات ، قسم اللغة العربية ،جامعة المسيلة ، ص03.

[2] - دراسات في علم الأصوات ، د/ صبري المتولي ، أجازه د/ شوقي ضيف،قسم اللغة العربية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة ؛ 2002 م، ص15.

[3] - الأصوات اللغوية ووظائفها ، د/ مصطفى منصف القماطي ، دار الوليد طرابلس للجماهير العظمى ؛ 2003م ، ص21.

إليهما عبر ممراته من جهاز النطق ليتعرف على العمليات العضوية التي تؤثر في إصدار الصوت وطبيعته [1] ، فهذا الفرع يعالج بالوصف والتحليل وبيان البنية التركيبية لأعضاء النطق من أجل الوقوف على عملية إنتّاج الأصوات اللغوية ، ويعتبّر هذا العلم أقدّم أنواع العلوم الدراسات الصوتية وأكثرها شيوعا وانتشارا في بيئات التّصنيف والدرس اللغوي [2].

له فروع كثيرة متنوعة ، تبعاً لتنوع موضوعاته [3]، ميدان سهل المنال إذ يقوم على الملاحظة الذاتية والممارسة الشّخصية للباحث اللغوي حيث يذوق الأصوات اللغوية وينطقها مرة بعد أخرى، ثمّ يقوم بتحديد مخارجها وبيان صفاتها المختلفة [4]، ثم يقدّم نتائجه للصوتيات التشكيلية **(phonologie)** التي تعني بإتلاف الوحدات الصوتية **(phonèmes)** في مقاطع وصيّغ ، وما يلحق ذلك من ظواهر صوتية مساعدة كالنبر والتنغيم [5]، فوظيفته في الذبذبات الصوتية التي تستقبلها أذن السامع وفي ميكانيكية الجهاز السمعي ،وكذلك عند استقبال هذه الذبذبات ، فهو يدرس نشاط المتكلم في أعضاء النّطق ،وما يعرض لها من حركة ، فيعين هذه الأعضاء ويحدد وظائفها
ودور كل منّها في عملية النطق منتهيا إلى تحليل ميكانيكية إصدار الأصوات من جانب المتكلم [6].

فالجدير بالذكر هنّا أن علم الأصوات النطقي يستمد الكثير من أدواتّه الدراسية من علوم التشّريح والفيزياء والطب والتقنية الآلية ، ويستخدمها لتحليل الأصوات اللغوية تحليلا علميًّا ولسانيا متكاملا ، وبديهي أن ما يؤديه كل فرع أو (علم) من فروع علم الأصوات هو الذي سوّغ للدارسين جعلها علوما فرعية تلتقي

[1] ـ المصدر نفسه ،د/مصطفى منصف القماطي، ص21 .
[2] ـ الأصوات اللغوية ، د/ عبد القادر عبد الجليل ، ص22.
[3] ـ المقررات الصوتية في البرامج الوزارية الجامعية الجزائرية – دراسة تحليلة تطبيقية – د/دارر مكي ، د/سعاد بسناسي ،ص 31.
[4] ـ الأصوات اللغوية ، د/ زين كامل الخويسكي، ص22.
[5] ـ مبادئ اللسانيات ، د/ أحمد محمد قدور ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط1 ؛ 1416ه/1996 م، ص45.
[6] ـ علم الأصوات ، د/ كمال محمد بشر ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ؛ 2002 م، ص 46 -47.

مشتجرة لتحليل الظواهر الصوتية ، اللغوية من جميع وجوهها ، وليس اعتماد علم الأصوات النطقي على هذه العلوم المساندة جديدا كما يبدو للوهلة الأولى[1].

فدراسات القدماء للأصوات جاءت وفقا لأسس هذا العلم وقواعده ، حيث اعتمد اللغويون القدامى على ملاحظاتهم الذاتية وذوقهم الأصوات ذوقا شخصيا [2]، وكانت متسلحة بمعارف لغوية طبيعية واقية تقريبا بما يحتاجه درس الأصوات درسا صحيحا ، فمن المعروف أن هناك مجالا دلاليا خاصا ب(خلق الإنسان) إضافة إلى خلق الحيوان الذي عرفه العرب في جريدتهم ، ويعجب الدارس من التفاصيل الدقيقة والفروق الدلالية التي حفلت بها تأليف اللغويين العرب في خلق الإنسان [3] .

ولكن ينبغي التفريق بين **الجهاز الصّوتي والنّطقي** ؛ لأن الأوّل عام تشترك فيه المخلوقات التي تمتلك أعضاء حيّة – إنسان ، حيوان – وكذلك الآلات الاصطناعية ، فالنطق متميز بعمل الفكر فيه ، أما الصوت فلا ومن النطق كان المنطق ؛ والمنطق هو عمل فكري في أصله ، قبل أن يكون صوتيا ومنه فإن كل **نطق صوت** وليس كل **صوت نطقا**[4] ، وقد أولى هذا العلم اهتماما كبيرا عند العلماء العرب القدامى ؛ لأنه يقدم وصفا و تحليلا للأصوات العربية على أساسين اثنين هما :

- **الأساس الفوناتيكي: (phonétique)** وهو الذي يهتم بدراسة الأصوات اللغوية دراسة مادية محضة بقطع النظر عن وظائفها أو قيمها اللغوية ، في ظل السياق اللغوي
- **الأساس الفونولوجي : (phonologie)** وهو الذي يهتم بدراسة الأصوات ووظائفها في اللغة المعينة ، ويطلق عليه علم وظائف الأصوات ، أو علم الأصوات التشكيلي أو التنظيمي[5] ، وفي علم الأصوات النطقي يهتم الأصواتي

---

[1] ـ مبادئ اللسانيات ، د/ أحمد محمد قدور ، ص45

[2] ـ الأصوات اللغوية ، د/ زين كامل الخويسكي ، ص23 .

[3] ـ التأليف في خلق الإنسان من خلال معجم المعاني-دراسة تاريخية لغوية موضوعية- ، د/ وجيهة احمد السطل ،دار الحكمة ، دمشق ، (د ت) ، ص12

[4] ـالمجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية ،د/مكي درار ، دار الأديب للنشر ؛ وهران، ط2 ؛2006 م،ص36.

[5] ـعلم الأصوات ، د/حسام البهنساوي ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، ط1 ؛1425 ه/2004 م،ص11.

بثلاث عمليات تؤدي إلى تحقيق الأداء الصوتي وهذه العمليات -على الترتيب- وهي :

- **حركة التيار الهواء** :**(air Stream méchanisme)**

يقصد بها الطاقة (القوة) العضلية التي تحول الهواء إلى تيار له خصوصية الحركة ،وتعتبر الرئتان العضو الفعال في تحريك الهواء في جهاز النطق ، حيث تعملان بمثابة منفاخ يسحب الهواء في عملية الشهيق ويدفعه في عملية الزفير .

- **نشاط التّصويت** :

عملية تنظيمية لتدفق تيار الهواء في جهاز النطق ، وإكسابه خصوصية الصوت ، وذلك بإنتاج الموجات الصوتية الناجمة عن تذبذب الحبلين الصوتيين في الحنجرة ، وزيادة حجم الصوت بفعل الفراغات الرنانة في جهاز النطق ، وهي فراغ القصبة الهوائية ، وفراغ الحنجرة وفراغ الحلق ،والفم والأنف ، فيتحول تيار الهواء المتحرك إلى صوت وهو مادة النطق .

- **نشّاط النّطق :**

عملية تنظيمية أخرى لتسرب تيار الهواء ، وذلك بإعاقته في ممراته : الحنجرة والحلق والفم [1].

أ/ جهاز النّطق عند الإنسان :

يشكل الصوت الإنساني في مادة اللغة الأولى في الدراسة اللغوية ، لأن كل لغة أو كل جماعة لغوية تعتمد منهجا محددا مميزا في صوغ كلماتها من الأصوات، التي ينتجها الجهاز النطقي الإنساني ثم صوغ من الكلمات الجمل ، والتراكيب بغية التعبير بها عن حاجاتها المادية والمعنوية التي لا حصر لها [2]

بجانب ما لهذا الجهاز من وظائف بيولوجية له ، ووظائف صوتية مهمة وقد عرف العرب أكثر أعضاء النطق هذه وأطلقوا عليها أسماء ذات دقة كافية [3]، ومن النّصوص التي تدل على معرفة الدراسات العربية لهذا الجهاز ما نجده عند الإمام **جعفر الصادق** (ت 148ه) الذي يعتبر من أوائل العلماء العرب الذين وصفوا الأعضاء النطقية وصفا دقيقا يكاد يقرب من الوصف الحديث ، وذلك من خلال ما

---

[1] - الأصوات اللغوية ووظائفها ، د/ مصطفى منصف القماطي ، ص 23-24.

[2] -علم الأصوات اللغوية –الفنولوجيا – د/عصام نور الدين ، دار الفكر اللبناني ،ط1 ؛1992 م،ص05.

[3] -الصوتيات اللغوية –دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية د/عبد الغفار حامد هلال ،ص51.

نقله عن أبو عبد الله المفضل إذا وصف تلك الأعضاء بـ(آلات النطق الإنساني وتتكون من الحنجرة حتى الشفتين) [1].

وأول واجب على دارس الأصوات اللغوية هو معرفة أعضاء النطق تكوينا ووظيفةً وهذه المعرفة هي الحجر الأساسي لوصف الأصوات العربية ، كما يقول العرب القدماء ذوق الحروف [2]، وقبل الإشارة إلى الدور الذي يقوم به كل عضو في إصدار الأصوات اللغوية يجب أن نوضح أربع نقاط مهمة هي :

- -التسمية (**أعضاء النطق**) تسمية مجازية ، حيث أن أعضاء النطق ليست وظيفتها الوحيدة إصدار الأصوات الكلامية ، إذ أن لها وظائف أخرى مثل اللسان لذوق الطعام وتحريكه فجهاز النطق خلق للإنسان ليستخدمه فيما يشاء ، فتسميته بهذا الاسم ليست إلا ضربا من التوسع أو المجاز.
- -ينتظم (**جهاز النطق**) أعضاء عدة ولكنها متكاملة، إنها منظومة تفعلها ميكانيكية على درجة عالية من الدقة والانضباط .
- -ليست أعضاء النطق جميعها متحركة ،أي قابلة للحركة ،فمعظمها ثابت لا يتحرك وقليل منها قابل للحركة ، كاللسان والشفتين .
- -جهاز النطق بأعضائه وبنيتة الأساسية واحد عند الإنسان السوي ،لا يختلف من فرد إلى فرد ولا من قوم إلى قوم إلا في تفعيله وطرائق توظيفه وفقا للعادة ، والبيئة اللغوية المعينة[3] .

ب/أعضاء النطق:

يمتلك الإنسان مجموعة من الأعضاء تشترك بدور مباشر في إنتاج الأصوات اللغوية ،ويمكن تسمية هذه الأعضاء بأعضاء النطق (**organes de la parole)**، أو جوارح النطق كما يسميها فقهاء العربية إذ أن عملية الكلام لا تحدث اعتباطا ، وإنما تخضع لنشاط يقوم به عدد من الأعضاء [4]. فالمسؤول الرئيسيُّ عن إصدار الصوت اللغوي هو الجهاز النطقي ، ووصفه الآلة المنتجة للصوت البشري ، فإن

---

[1] -المدارس الصوتية عند العرب –النشأة والتطور- د/علاء جبر محمد ،ص166.

[2] -علم اللغة –مقدمة للقارئ العربي –د/محمود السعران ،ص132.

[3] - علم الأصوات، د/كمال محمد بشر ، ص132-133.

[4]-الكلام إنتاجه وتحليله ،د/عبد الرحمن أيوب ، مطبوعات جامعة الكويت ،ط1؛ 1984م،ص21.

هذا الجهاز يشبه آلة موسيقية من حيث المرونة ومن حيث الإمكانيات ، أي من حيث قدرته على إنتاج أنواع شتى من الأصوات لا حد لها

- يتكون جهاز النطق من ثلاثة أقسام رئيسية :

- **الجهاز التنفسي**: الذي يبعث تيار الهواء الضروري لإصدار هذه الأصوات اللغوية .
- **الحنجرة:** هي المصدر الأساسي للصوت الإنساني ، بل هي منبع الطاقة الصوتي .
- **تجاويف البلعوم والأنف والفم**: وفيها تتشكل أغلب الأصوات المستعملة في الكلام [1].

فالحديث عن الأصوات اللغوية يقتضي بالضرورة العلمية القيام بوصف لجهاز النطق بوصفه الآلة المنتجة للصوت البشري ، فإذا تأملنا ملياً المدرج الصوتي عند الإنسان من وجهة نظر فيزيولوجية ، فيتبين لنا أن هذا المدرج يتكون أساسا من العناصر التالية [2]:

1- **الحنجرة:** تقع في قمة القصبة الهوائية، وهي عبارة عن حجرة متسعة نوع ما ، ومكونة من ثلاثة غضاريف:

- ➢ - الأول أو العلوي منها ناقص الاستدارة من الخلف بارز من الأمام ويعرف الجزء البارز منه بتفاحة آدم .
- ➢ - غضروف كامل الاستدارة .
- ➢ - غضروف مكون من قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني من الخلف [3].

فهي المصدر الأساس لحدوث الصوت عند الإنسان ، حيث يتحول فيها النفس الصاعد من الرئتين عبر القصبة الهوائية إلى أثر صوتي مسموع[4] ، فالهواء الذي يتسبب في حدوث الأصوات يأتي خارجا من الرئتين ، وأحيانا يكون داخلا ولكن هذا نادر ، وأول حاجز يلتقي به الهواء هو الحنجرة وتكمن **أهمية هذا**

---

[1] -الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ،د/حسام سعيد النعيمي ، دار الرشيد للنشر والتوزيع ،العراق ؛ 1980م، ص295.

[2] - علم الأصوات ، د/كمال بشر، ص134.

[3] -المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د/رمضان عبد التواب ، ص27.

[4] - مباحث في اللسانيات ، د/أحمد حساني، ص72.

العضو في كونه يحتوي على الأوتار الصوتية التي بإمكانها أن تتقارب وتسد طريق الهواء عند التنفس ، وتكون الأوتار مفتوحة تماما وبإمكانها أن تهتز فتحدث صوتا مجهورا [1]، إما أنها تقوم بوظيفتين أساسيتين:

أولا : فهي تقوم بدور الصمام الذي يحمي ممر الهواء إلى الرئتين ، من تسلسل أي جسم غريب إليهما أثناء البلع .

ثانيا : تقوم بوصفها العضو الأساسي في عملية التصويت[2] ، على حد تعبير **حنفي بن عيسى:** «الحنجرة مصدر الطاقة الصوتية المستخدمة في إصدار الكلام [3].»، ويقع فوق الحنجرة شيء أشبه باللسان سمي لسان المزمار **(epiglottis)** ،أو (الغلصمة) ، ووظيفة هذا اللسان حماية الحنجرة ، وطريق التّنفس كله في أثناء عملية بلع الطعام[4] .

2- الأوتار الصوتية : (vocal cord) أو (vocal bands)

تعد الأوتار الصوتية أهم عضو في الجهاز النطقي ،وهما ليسا في الحقيقة وترين ،على هذا فكلمة وتر **(cord)** ، أو**(chord)** ليست دقيقة[5] ، إنّما في الحقيقة أشبه في شكلهما بشفتين يمتدان أفقيا بالحنجرة من الخلف إلى الأمام ، ويلتقيان عند ذلك البروز المسمى تفاحة آدم ، ويدعى الفراغ بين الوترين الصوتين بالمزمار **(glottis)** ،وقد ينفرج الوتران أو ينقبضان حتى يلمس أحدهما الآخر ، فيغلق ممر الهواء نهائيا ، وقد يقترب أحدهما من الآخر لدرجة تسمح بمرور الهواء ، ولكن بشدة وعسر ، ومن ثم يتذبذبان ويصدران نغمة موسيقية ، ومعنى ذلك أن للوترين الصوتين قدرة على الحركة وعلى اتخاذ أوضاع مختلفة تؤثر في الأصوات ،وأهم هذه الأوضاع أربعة وهي :

- -وضع الوترين عند إصدار نغمة موسيقية .
- - وضع الوترين في حالة الوشوشة
- -وضع الوترين كحالة التنفس.

---

[1] - الصوتيات والفونولوجيا، د/مصطفى حركات ، المكتبة العصرية ، سيدا، ط1 ؛1998م، ص46-47.

[2]- دراسة السمع والكلام –صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك –د/ سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1؛ 2000م، ص89 .

[3]- محاضرات في علم النفس اللغوي ، د/حنفي بن عيسى ،ص121.

[4] - علم الأصوات ، د/ كمال محمد بشر ، ص 135.

[5] - دراسة الصوت اللغوي ،د/ أحمد عمر مختار ،ص101.

➢ - وضع الوترين عند تكوين همزة القطع [1].

3- الحلق: (pharynx) وهو الجزء الذي بين الحنجرة والفم ، وفضلا على أنه مخرج الأصوات اللغوية خاصة، يستغل بصفة عامة كفراغ رنان يضخم بعض الأصوات بعد صدورها من الحنجرة[2]، ويسمى الجزء الواقع بين الحنجرة والفم بالفراغ الحلقي والتجويف الحلقي ، وهو الفراغ بين أقصى اللسان والجدار الخلفي للحلق .

وهذا الحائط الخلفي ليس إلا عظام العنق مغطاة بما يكسوها من لحم ، وفي مقدمة الحلق ، منطبقا على جذر اللسان ما يسمى بلسان المزمار وهو قطعة من اللحم لا تتحرك ذاتيا ، ولكن تتحرك بحركة اللسان ، وتؤدي وظيفة صمام القصبة الهوائية بسدها ، لئلا يؤذيها الطعام النازل إلى المرئ من خلفه ويبدو أنه لا دخل للسان المزمار في عملية النطق [3].

4- **اللسان:** هو عضو مهم في عملية النطق ، ولهذا كان قدماء العرب ينسبون النطق إليه بصفة خاصة ، ولا غرابة في ذلك فلولاه ما خرجت الأصوات ، ولذلك نسبت اللغة إليه ، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك في قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ اللَّـهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [4]،ويقوم اللسان بالمشاركة في إنتاج الأصوات بحركته الكثيرة في الفم وعند عدم الكلام يستقر في قاع الفم، وللسان أجزاء يشترك كل منها مع غيره في إصدار بعض الأصوات[5]:

➢ - أقصى اللسان.
➢ - وسط اللسان.
➢ - مقدم اللسان .
➢ - جانب اللسان .

وقد أحس بعض العلماء بأثر اللسان وحركاته وأشكاله في الفم [6]، حيث يقول **ابن سينا** : « وأما اللسان فتحركه بالتحقيق ثماني عضل، منها عضلتان تأتيان من الزوائد السهمية التّي عند الأذن يمنّة ويسرة ، وتتصلان بجانبّي اللسان ، فإذا

---

[1]- علم اللغة –مقدمة للقارئ العربي- د/محمود السعران، ص138.
[2]- الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، ص18.
[3] - المدخل إلى اللغة ومناهج البحث اللغوي، د/رمضان عبد التواب، ص26.
[4] - سورة إبراهيم ، الآية :04 .
[5] - علم الأصوات اللغوية، د/أحمد عزوز، ص46.
[6] - الصوتيات اللغوية ، د/عبد الغفار حامد هلال ، ص63.

تشنّجتا عرضتاه ، ومنها عضلتان تأتيان من أعالي العظم الشبيه باللام ، وتنفذان وسط اللسان فإذا تشنجتا جذبتا جملة اللسان إلى قدام، فتتبعها جزء من اللسان وامتد وطال» [1].

5- الحنك :(palate) وهو الجزء العلوي من تجويف الفم ينطلق من لثّة الأسنان العليا حتى اللهاة ، ثلثا الحنك يكونان من جزء عظمي ثابت يسمى الحنك الصلب[2] ، وهو الجانب العضوي الذي يتصل به اللسان أثناء حركته في الفم ، وينقسم إلى ثلاثة أقسام:

- -أول الحنك :فيه الأسنان وأصولها.
- -وسط الحنك : الجزء الصلب منه .
- - أقصى الحنك : الجزء الخلفي اللين منه ثم اللهاة[3] .

6- اللهـاة: وهي الزائدة اللحمية المتدلية في أقصى التجويف الفموي ، وهي عضلة مخروطية الشكل مرنة قابلة للتحرك ، عند البلع تغلق الحنجرة الأنفية تنفصلها عن الحنجرة الفموية ، وعندما نتكلم تصعد إلى الأعلى ، وعندما نأكل تنْــزل إلى الأسفل وينسب إليها صوت القاف والكاف ، مع أن وظيفتها الصوتية منعدمة ، وقطعها أو إصابتها لا يؤثر في الصوت لأن وظيفتها الأساسية طعامية تتمثل في تنظيف الطعام من الجراثيم[4].

7- التجويف الأنفي : (nasal lavity) يطلق عليه بعض الأصواتيين الجيوب الأنفية السبعة وهذه التجاويف الثابتة المنشأ غير المتحركة ، تعمل كحجرات رنين من حيث التأثير في تلونات الصوت اللغوي ، وفي هذا التجويف يتشكل صوتا الميم والنون العربية [5]، فالتجويف الأنفي مجموعة من الفراغات تأخذ شكل قنوات وجيوب أنفية ، ومع ثباتها تستعمل كفراغ رنان وبصفة أساسية يتجه الهواء للمرور منها فتخرج أصوات [6].

---

[1] -رسالة أسباب حدوث الحروف ، للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا (ت 428ه)، تحقيق: محمد حسان الطيان، ويحي يسر علم ، مراجعة تقديم : د/شاكر الفحام، أ/ أحمد راتب النفاخ ،مطبوعات مجمع اللغة العربية ،دمشق، (دت)، ص 70 .

[2] - الصوتيات والفونولوجيا ، د/ مصطفى حركات ، ص48.

[3] - مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ،د/ نور الهدى لوشن،ص97.

[4] - المقررات الصوتية في البرامج الوزارية الجامعية الجزائرية –دراسة تحليلية تطبيقية ، د/درار المكي ،د/ سعاد بسناسي ، ص51.

[5] - الأصوات اللغوية ،د/عبد القادر عبد الجليل ، ص40.

[6] - علم الأصوات اللغوية ، د/ أحمد عزوز ، ص46.

8- **الشفاة:** من أعضاء النطق المتحركة ،وهما تتخذان أوضاعا مختلفة عند نطق الأصوات المتنوعة، ومن الممكن ملاحظة هذه الأوضاع تنطبق الشفتان فلا تسمحان للهواء بالخروج مدة من الزمن ،ثم تنفرجان فيدفع الهواء محدثا صوتا انفجاريا كما في نطق الباء ، وتستدير الشّفتان كما يحدث عند نطق (الضّمة) ، وهما تتخذان وضعا مخالفا في نطق (الكسرة) ،وقد تنفتح الشفتان حتى يتباعد ما بينهما إلى أقصى درجة [1]، فالشفتان لهما ثلاث خصائص عضوية (الانطباق – الانفراج – الاستدارة)[2].

9- الأسنان : (teeth) للأسنان وظيفة مهمة من النّاحية الصوتية ،وتدرك أهميتها خاصة لدى إنسان فقدها ، إذ نسمعه يخرج أصواتا مشوشة ، لأن اللسان يتّصل بأصولها أو أطرافها أو جوانبها أو يرتكز عليها ، بصور شتى وكل موضع في هذه المواضع مخرج لأنّواع معينة من الأصوات [3].

10- الرئتان : لا تقلُّ أهميتها عن أهمية أي عضو من أعضاء النّطق بل إنهما أهم منها جميعا فبغير الرئتين لا تتم عملية التنفس ، ومن ثم لا تتم عملية النطق، فعلماء الدراسات العربية في القديم لهم معرفة غير منكورة بجهاز النطق وأعضائه وآلياته ، لكن لم يقفوا عند كل عضو وقفة خاصة لتعريفه أو تحديد علاقته بغيره من الأعضاء ، كما حدث عند المحدثين ، ومع ذلك لم ينفكوا في الإشارة إلى إلى هذه الأعضاء في جملتها مرة ومرات عند تناولهم لأصوات لغتهم ، ونعتها بنعوت منسوبة إلى هذا العضو أو ذاك [4]، ومن خلال هذه النّظرة إلى هذا الوصف التشريحي لأعضاء النطق ثابتة غير متحركة كما أن معظم الأصوات اللغوية تحدث في تجويف الفم ما عدا صوتي الميم والنون [5]، وليست وظيفة النطق هي الوظيفة الأساسية لهذا الجهاز الذي دعوناه بجهاز النطق؛ بل له وظائف حيوية أخرى على قدر كبير من الأهمية كالتنفس والتعامل مع الطعام تقطيعا ومضغا و

---

[1] ـ علم اللغة –مقدمة للقارئ العربي – د/ محمود السعران ، ص139.
[2] ـمباحث في اللسانيات ، د/ أحمد حساني ، ص73.
[3] ـ أصوات اللغة العربية ، د/عبد الغفار حامد هلال ، ص57.
[4] ـ علم الأصوات ، د/كمال محمد بشر ، ص143 .
[5] ـ مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د/ نور الهدى لوشن ، ص98.

بلعا ، غير أن حاجة الإنسان في مراحل لاحقة جعلته يستثمر هذا الجهاز لإصدار الأصوات[1] .

أعضاء النّطق كما جاء في الرسم [2]

[1] ـ مناهج البحث في اللغة ، د/ تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ؛ 1979م، ص73.
[2]ـمبادئ اللسانيات ،د/ أحمد محمد قدور، ص 51.

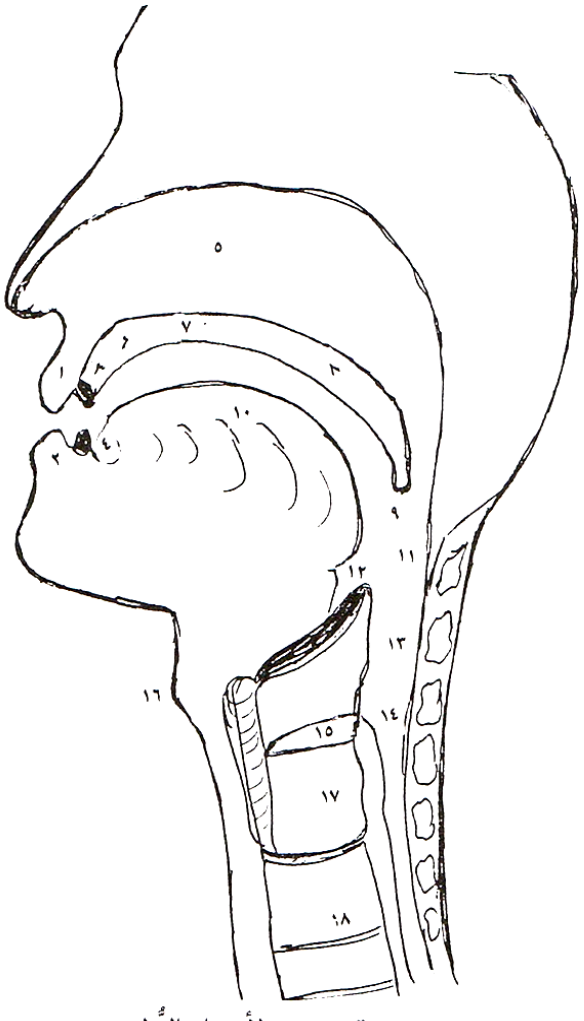

رسم توضيحي لأعضاء النُّطق

الشكل رقم (٣)

١ ـ الشفة العليا . ٢ ـ الشفة السفلى . ٣ ـ الأسنان العليا . ٤ ـ الأسنان السفلى . ٥ ـ التجويف الأنفي . ٦ ـ الحنك . ٧ ـ الغار . ٨ ـ الطبق . ٩ ـ اللهاة . ١٠ ـ اللسان . ١١ ـ الجدار الخلفي للحلق . ١٢ ـ لسان المزمار . ١٣ ـ البلعوم . ١٤ ـ المريء . ١٥ ـ الوتران الصوتيان . ١٦ ـ تفاحة آدم . ١٧ ـ مُراغ الحنجرة . ١٨ ـ القصبة الهوائية أو الرُّغامى .

ج/آلية النطق:

تحدث الأصوات في العالم الطبيعي نتيجة قرع بجسم ، أو نفخ بجسم أو احتكاك جسمين أما معظم الأصوات الكلامية فيحدثها عمود هوائي متحرك يجري

خلال فراغ ضيق في الفم ، أو الأنف ، أو الحلق ، وكون العمود الهوائي متحركا يستلزم وجود باعث على الحركة ، وهذا يستلزم كذلك أن تكون نقطة بدء ، ونقطة نهاية ، وأن يسير في اتجاه خاص ،ومن المستطاع التأثير في هذا العمود الهوائي من مواضع أخرى غير مبدئه وغير منتهاه، ولكي يتحرك عمود من الهواء في الفراغات الموجودة في جهاز النطق الإنساني فهو في حاجة إلى ما (**يدفعه**) أو إلى ما (**يجذبه**)[1].

فالعملية الكلامية تتم في شكلها الأساسي عن طريق التحكم في عمليتين هما **الشهيق والزفير** ؛ ففي **العملية الأولى** يتسع القفص الصدري ويسحب الهواء الخارجي إلى داخل الرئتين ؛ أما في **العملية الثانية** فيعود القفص الصدري إلى حجمه الأولى، ويندفع الهواء ببقايا عملية الاحتراق في الدم إلى الخارج[2] ، فعندما يستعد الإنسان للكلام العادي يستنشق الهواء فيمتلئ صدره به قليلا ، وإذا أخذ في التكلم فإن عضلات البطن تتقلص قبل النطق بأول مقطع صوتي ،ثم تتقلص عضلات القفص الصدري بحركات سريعة تدفع الهواء إلى الأعلى عبر الأعضاء المنتجة للأصوات .

وتواصل عضلات البطن تقلصاتها في حركة بطيئة مضبوطة إلى أن ينتهي الإنسان من الجملة الأولى ؛ فإذا فرغ منها فإن عملية الشهيق تملأ الصدر ثانية وبسرعة استعداد للنطق بالجملة التالية وهكذا[3] ، وتقتضي عملية الكلام إطالة الزمن الذي تتم فيه عملية الزفير ، بالنسبة لعملية الشهيق حتى تصبح الفترة التي يستغرقها الزفير من **ثلاثة إلى عشرة أمثال** الشهيق هذا في الكلام العادي،أما عندما يسترسل المتكلم في حديث سريع طويل ، فقد يصبح طول فترة الزفير **ثلاثين مثلا** لطول فترة الشهيق ، ويمكن تشبيه الرئتين عند الزفير ، في أثناء الكلام بالبالونة التي تنتهي بمزمار ينطلق الهواء منها بحكم ضغط جسمها المطاط ، فإذا ما فرض أن جعل الطفل الذي يلعب بها يضغط على جدارها ضغوطات موالية

---

[1] ـ علم اللغة _مقدمة للقارئ العربي _ ، د/ محمود السعران ،ص117.

[2] ـ دراسة السمع والكلام – صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك – ،د /سعد عبد العزيز مصلوح ، ص82.

[3] ـ دراسة الصوت اللغوي ، د/أحمد عمر مختار ، ص111.

لخروج الهواء منها على دفعات لا توقف بين إحداها والأخرى ، لسمعنا للمزمارة صوتا شبيها بالصوت المتقطع ، بالرغم من عدم توقفه[1] .

وهذه العملية شبيهة بعملية انبعاث الأنغام من آلة موسيقية ذات أوتار مهتزة ، فالصدر والرئتان يقومان مقام المنفاخ ، والقصبة الهوائية تقوم قناة الهواء والحنجرة منطقة يتحول فيها الهواء الخارج من الرئتين إلى صوتي يدعى الصوت المزماري ،فإذا وصل هذا الصوت إلى الأقسام العليا من أنبوب الهواء **(البلعوم والحفرتان الأنفيتان والفم)** ؛فإنه يتحول إلى نغمات تتخذ شكل الحروف وهذه الحروف التي كانت بالأصل مجرد أصوات فيزيائية تنتظم فيما بينها لتؤلف كلمات[2] .

إن تنظيم عملية التنفس أمر هام في عملية الدائرة الكلامية ، القائم على طرفيها المرسل والمستقبل ، وينبغي أن يمتلك المرسل طاقة تنفسية جيدة ، ويسيطر على الهواء المندفع من الرئتين ، لكي يكون كلامه بنفس واحد ، وأن لا يجزئ التراكيب قبل تمام معناها ، وعندما نتحدث عن عملية التنفس وتنظيمها أثناء الكلام يظهر أن نطق الأصوات المهموسة يتطلب مرور كمية كبرى من هواء التنفس ، تزيد بكثير عن تلك التي تمر عندما يكون الصوت نفسه مهجورا وبالتالي لا ينبغي أن تزيد كمية الهواء في إرسال الأصوات المهجورة في المهموسة لأن حدوث ذلك يؤدي إلى تغيير الصوت عن أصله ، مما ينجم عنه فساد المعنى واختلاطه في ذهن السامع [3].

وما يمكن قوله أن الحنجرة **(glotte larynx)** هي مصدر الطاقة الصّوتية أي: حينما يصل الهواء المنبعث من الرئتين المار بالقصبة الهوائية إلى الحنجرة يتحول إلى أثر صوتي مسموع ، فالحنجرة هي التي تولد الصوت ، ويتم ذلك بواسطة مجموعة من العضلات التي تقوم بمهمتين أساسيتين هما : تسد الأوتار الصوتية **بتضييق** المزمار أو **توسيعه،** فإن المزمار منطقة مثلثة الشكل تتقدم من الجانبين الأوتار الصوتية **(cordes vocalles) .**

[1]- علم الأصوات، د/ حسام البهنساوي ، ص41 .
[2] - محاضرات في علم النفس اللغوي ، د/ حنفي بن عيسى ، ص117.
[3] - الكلام إنتاجه وتحليله ، د/ عبد الرحمن أيوب ، ص65.

ويمكن تقريب هذه الأوتار من بعضهما البعض بواسطة الغضروفين الحنجرين ،والعضلات المتصلة بها حينما تتقارب يحدث التصويت ، فهنا إذن تناسب طردي بين تقارب الأوتار الصوتية وحدوث التلفظ

أوضاع فتحة المزمار الستة : على النّحو التّالي :

- **الوضع الأول :** تأخذ وضع الانفتاح ، وهو وضع التنفس العادي .
- **الوضع الثاني :** حين يتسم إنتاج الصوت ،وهي في حالة انفتاح يسمى الصوت مهموسا **(voiceless)** أو **(unvoiced)** .

-**الوضع الثالث :** تأخذ وضع التذبذب **(vibration)** ،وهو وضع الجهر حيث تجذب الحبال الصوتية في وضع التلامس ، ثم يـباعد بينهما بقوة من الأسفل إلى الأعلى التيار الرئوي الهوائي المتدفق خلال فتحة المزمار ، وهذا الغلق والفتح المتكرر أو ذبذبة الأوتار الصوتية يشكل العملية المسماة (**تصويت**) وينتج ما يسمى بالجهر

-**الوضع الرابع** : وضعها في حالة تضييق، ولكن ليس بدرجة متقاربة تسمح الذبذبة ، وهي الحالة التي تصاحب الوشوشة **(whisper)** ، والصوت الذي ينطق به الطريقة التي إذا كان مهموسا يظل مهموسا ، ولكن إذا كان مجهورا فإنه يبدل به آخر يسمى موشوشا **(whispered)**، وهذا الوضع للأوتار الصوتية لم يفهم جيدا حتى الآن ، كما يقول روبسن.

-**الوضع الخامس** : قد يوضع الوتران في حالة غلق تام محكم يمنع تيار الهواء من تفريقهما، وهو وضع ينتج أصواتا كثيرة غير لغوية ، كما أنه وضع إنتاج الهمزة **(the gottal stop)**[1] .

-**الوضع السادس** : وهي حالة نصف انفتاح (موقف وسطين الإغلاق والفتح) توجد مع الصوت

(h) في **(have** أو **heart)** ،ويطلق بعضهم على اسم هذا الاحتكاك احتكاك التجويف [2]، وقد أدرك علماء العرب القدامى قيمة أعضاء النطق ،وأثرها في الأصوات وكان لهم فضل كبير في بيان الهيئة التي يكون عليها جهاز النطق حال

[1] ـ دراسة الصوت اللغوي ، د/ أحمد عمر مختار ، ص127-128.
[2] ـ دراسة الصوت اللغوي ، د/ أحمد عمر مختار،ص130.

إصدار الأصوات وتحديد أماكنها فيه تحديدا دقيقا ، وإن لم تسعفهم الآلات أو التجارب العملية[1] ،

وبهذا يمكن أن يخرج من كل جزء من أجزاء هذا الجهاز عدد لا حصر له من الأصوات بمساعدة حركة أجزائه المتحركة غير أن الشعوب البشرية ، قد اختلفت فيما بينها في استخدام إمكانيات الجهاز النطقي المتعددة ، فالشعوب الهندوأوروبية مثلا ، لم تستخدم كل إمكانيات النطق في إخراج الأصوات من الحلق ، ولذلك تخلو بعض لغاتهم من صوتي الحاء والعين ، وذلك بعكس اللغة العربية ومعظم اللغات السامية[2] .

2- علم الأصوات الفيزيائي : .(la phonétique acoustique)

علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي يمثل المرحلة الوسطى بين علم الأصوات النطقي وعلم الأصوات السمعي ، وسمي علم الأصوات الأكوستيكي نسبة إلى **(acoustic)** وهو فرع من الفيزيائي **(phsics)** ،ومن هنا كانت الإشارة إليه أحيانا بالمصطلح الآخر : علم الأصوات الفيزيائي (**physiological phonetic)** من باب إطلاق العام وإدارة الخاص[3] .

فهو يهتم بإدارة الخصائص الفيزيائية لأصوات الكلام ، فالهواء الخارج من الرئتين ،وبفعل اعتراض أعضاء النطق له يتدافع في شكل موجات صوتية **(sound waves)** تأخذ في تحريك الهواء خارج الفم ، فهذه الطاقة الحركية هي ترجمة مادية للموجة من حيث هي اصطلاح فيزيائي ، ويعتمد هذا العلم اعتمادا كبيرا على نظريات علم الفيزياء واصطلاحاته ، فوظيفة علم الأصوات الأكوستيكي أو الفيزيائي في دراسة التركيب الطبيعي للأصوات ، فهو يحلل الذبذبات والموجات الصوتية المنتشرة في الهواء بوصفها ناتجة عن ذبذبات ذرات الهواء في الجهاز النطقي المصاحبة لحركة أعضاء هذا الجهاز ، ومعنى هذا أن وظيفته مقصورة على تلك المرحلة الواقعة بين فم المتكلم وأذن السامع [4].

---

[1] ـ الصوتيات اللغوية – دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية ، د/ عبد الغفار حامد هلال ، ص68.
[2] ـعلم الأصوات ، د/ حسام البهنساوي ،ص42.
[3] ـ الأصوات اللغوية ووظائفها ، د/ مصطفى منصف القماطي ، ص 24 25.
[4] ـ الأصوات اللغوية ، د/ عبد القادر عبد الجليل، ص49.

ويرجع استقبال الصوت إلى سلسلة إيقاعية من الضغوط التي تقع على طبلة الأذن ، وتتسبب هذه الضغوط في تذبذب الطبلة إلى الأمام وإلى الخلف ، وترتبط بالطبلة سلسلة من العضلات تقوم بوظيفة نقل تذبذب الطبلة إلى السائل في الأذن الداخلية ، ويرتبط بهذا السائل أعصاب تتصل بمركز السمع في المخ ، وتثير التحركات في سائل هذه الأعصاب ومن ثم تكتسب الشعور بالسماع[1] .

ومن المعروف أن العملية الصوتية تتضمن عناصر ثلاثة هي :

-**(أ)** وجود جسم في حالة تذبذب

-**(ب)** وجود وسط تنتقل فيه الذبذبة الصادرة عن الجسم المتذبذب .

-**(ج)** وجود جسم يستقبل هذه الذبذبات [2].

والعنصر الذي يهمنا هو اختيار الاضطرابات في الهواء أو في الوسط الناقل للذبذبات ، فالصوت **(voise)** مهما كان مصدره أو أصله يحتوي على اضطراب مادي في الهواء يتمثل في قوة أو ضعف سريعين للضغط المتحرك من المصدر في اتجاه الخارج ، ثم ضعف تدريجي ينتهي إلى نقطة الزوال النهائي، وتعقد عادة مقارنة هذا ما يحدث من تموجات نتيجة إلقاء حجر على سطح ماء أملس.[3]

وأهم الأفكار التي يعالجها **علم الأصوات الأكوستيكي** هي :

أ/ مصدر الصوت وتحركه في الهواء : إذا انتقلنا إلى دراسة مصدر الصوت فسنجد أن هذا المصدر يتمثل في وجود حركة ما ، وهكذا تحدث الضوضاء عندما يسقط كتاب ويرتطم بالأرض ،كما أن أصوات البيانو والكمان ترجع إلى تحرك **(تذبذب)** أوتارهما ، أما أصوات الكلام إلى تحرك الهواء المندفع من الرئتين ،فهذه التحركات هي التي تسبب الاضطرابات في الهواء[4] ،وتنقل الأصوات بسرعة من مصدرها إلى أذن السامع ، وإذا راقبنا شخصا يتكلم يخيَّل إلينا أننا نسمع في نفس لحظة نطقه ولكن في الحقيقة يوجد وقت قصير بين النطق والسمع ، في حالة وجود مصدر صوت بعيد المدى مثل بندقية أو مدفع فإننا نرى ضوء الانفجار قبل أن نسمع صوته.

---

[1] ـ المدخل في علم الأصوات المقارن ، د/ صلاح حسنين ، توزيع مكتبة الآداب، منتدى سور الأزبكية ، القاهرة ؛ 2006/2005 م، ص05.

[2] ـالكلام إنتاجه وتحليله، د/عبد الرحمان أيوب ، ص96.

[3] ـ دراسة الصوت اللغوي ، د/ أحمد عمر مختار، ص20-21.

[4] ـ المدخل إلى علم الأصوات المقارن ، د/ صلاح حسنين ، ص05.

ولنفهم هذه الظاهرة من المناسب أن نتصور الهواء بين آذاننا ومصدر الصوت كما لو كان مقسما إلى عدد من الأجزاء يسبب مصدر الصوت تحركات الأجزاء الهواء المجاورة له ، وهذه التحركات تسبب اضطرابات في الهواء لمسافة أبعد من المصدر ، وهذه الأجزاء بدورها تؤثر على ما جاورها ...وهكذا ، يمتد التأثير بعيدا عن مصدر الصوت وينتشر خارجا [1]، وتأتي حركة الصوت أو ذبذبة ، على صورتين هما :

- -حركة دورية (**periodic**) ،وغير دورية (**nonperiodic**).
- -حركة بسيطة (**simple**) ، وحركة مركبة (**complex**).

وكمثال الذبذبات البسيطة المنتظمة ، حركة البندول في الشكل الآتي[2]:

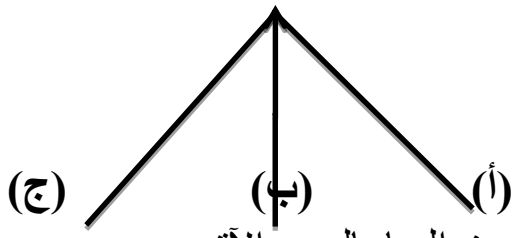

ولتوضح تلك الحركة نرمز إليها بالرسم الآتي :

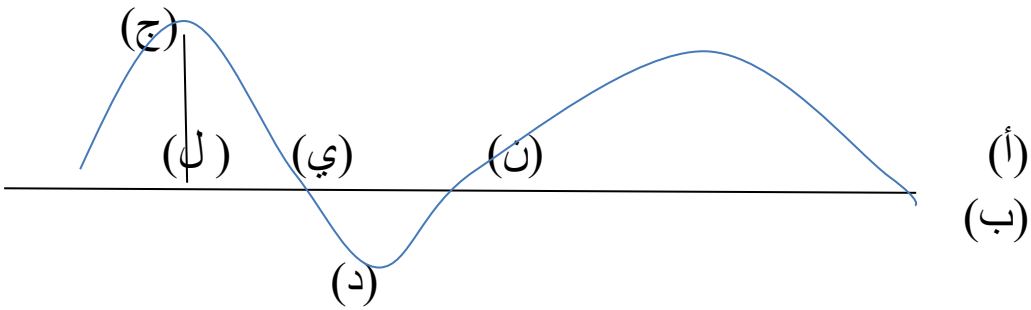

يمثل الخط (أ ب) الضغط الجوي العادي ،ويمثل المنحنى فوق الخط أ ج ي زيادة الضغط الهوائي، ويمثل المنحني أسفل الخط (ي د ن) تناقص الضغط إلى أقصى حد حيث يتحرك الجزء من وضع الراحة (أ) بأقصى سرعة إلى (ج) ،وهي تمثل أقصى مسافة يصل إليها الجزء ، وهي إذن أقصى إزاحة ، هذا يعني أن الضغط الجوي يتزايد تدريجيا إلى أن يصل إلى نهايته العظمى في (ج) ثم ينتقل الجزء من (ج) إلى (ي)؛ وهنا يلاحظ أن الضغط الجوي بدأ يتناقص تدريجيا إلى

[1] ـ دراسة الصوت اللغوي ، د/ أحمد عمر مختار ، ص 21 - 22.
[2] ـ علم الأصوات ، د/ حسام البهنساوي ، ص16-17.

أن يصل إلى (ي) والنقطة التي تقع على الخط (أ ب) ، وهو الذي يمثل الضغط الجوي العادي ، هذه هي نقطة وضع الراحة ، ثم يزداد تناقص الضغط الجوي لذلك نلاحظ أن منحنى بدأ ينخفض عن الضغط الجوي العادي ،ويزداد هذا التناقص حتى يصل إلى أقصى نقطة له وهي (د) وهي تمثل أقصى إزاحة له ، قبل أن يزداد مرة أخرى ليصل إلى (ن) [1].

ب/ الذبذبة الصوتية :

هي عبارة عن حركة الجسم في اتجاه ما حتى يبلغ نقطة ما ، ثم رجوعه في اتجاه عكسي بحيث يجاوز النقطة التي كان فيها عند سكونه إلى نقطة أخرى ،ولا يلبث أن يزيد عنها حتى يبلغ النقطة المتتالية ،وهذه الحركة عبارة عن ذرات الجسم الذي يحدث الصوت ، وحركات ذرات الهواء الذي ينتقل الصوت خلاله، وأخيرا ذرات الجسم الذي يستقبل الصوت ويمكن تصوير الذبذبة الصوتية من خلال الرسم الآتي :

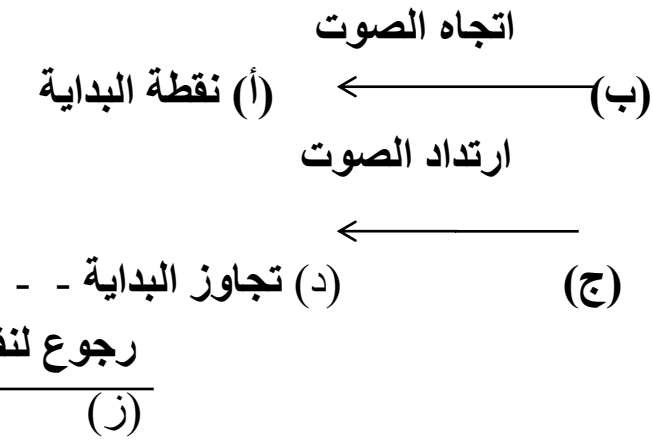

يبدأ الصوت بنقطة البداية (أ) ثم يصل إلى النقطة (ب) ثم يرتد الصوت بين النقطة (ج) متجاوزا النقطة (د) التي تعد نقطة (أعلى سبيل الاعتبار) ويصل إلى النقطة (و) ثم يرتد مرة ثانية عائدا إلى النقطة (ز) [2].

ج/ الموجة الصوتية :

تعرف هذه الظاهرة بالموجة ، وهي نموذج لحركة التنقل إلى مسافات معقولة خلال وسط مثل الهواء بواسطة طاقة في شكل مساحات من التكثيف

[1] ـ المدخل في علم الأصوات المقارن ،د/ صلاح حسنين ، ص 06-07.
[2] ـ المدخل في علم الأصوات اللغة المقارن ، د/ صلاح حسنين، ص 19.

والتخلخل ، وذلك بالرغم من الأجزاء الذاتية للوسط تتحرك لمسافات ضئيلة من أماكن راحتها [1]، بمعنى هي مجموعة من الذبذبات الصوتية المتعاقبة التي تنتج إحداها عن الأخرى ،ولو حدث أن أوقفنا تذبذب الجسم بعد أن أتم ذبذبة واحدة لكان ما حصلنا عليه هو ذبذبة الجسم ، وذبذبة الذرات المجاورة للأولى ثم ذبذبة الذرات المجاورة للثانية ...وهكذا، ومجموع هذه الذبذبات كلها هو الموجة الصوتية(**sound wave**) [2].

د/ التـــردد :

التردد ظاهرة من لغته أنه تحرك موضعه ، ونقول هذا الشخص متردد أي يتحرك كثيرا ولا يغير شيئا من حاله ،وفي الصوت اللغوي هو وتيرة اهتزاز الوترين الصوتيين مع كل صامت ، كما يسمى الدرجة والتذبذب و الاهتزاز [3]، وهي الخاصية أو الصفة التي تميّز بها الأذن الأصوات من حيث الحدّة والغلظة ،و تتوقف درجة الصوت بهذا المفهوم على عدد الاهتزازات أو الذبذبات التي يصدرها الجسم المصوت في الثانية [4]، وكل جسم متذبذب له تردده الخاص الذّي تتحكم فيه مجموعة من العوامل المتعلقة بالجسم المتذبذب مثل : **(الوزن و الطول)**، وبالنسبة للأوتار: (**نسبة الشد**)، وبالنسبة للتجاويف **:(الكتلة، الشكل، الامتداد)**، وقد أثبتت التّجارب أن أقل تردد يمكن أن تستبينه الأذن كصوت حوالي(**16 إلى 20 دورة /ثا**)وأعلى تردد يمكن أن تسمعه حوالي(**20.000دورة/ثا**).[5]

ه/ علوُّ الصّوت ودرجته ونوّعه:

---

[1] ـ **محاضرات في علم الأصوات ، د/ صلاح الدين صالح حسنين ، دار الثقافة العربية ،2003 م، ص12.**

[2] ـ **أصوات اللغة ،د/عبد الرحمان أيوب ،مطبعة الكلاني ، القاهرة ،ط2؛ 1968 م، ص98.**

[3] ـ**المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية ـ دراسة تحليلية تطبيقية- ،د/درار مكي ،د/سعاد بسناسي،ص84.**

[4] ـ **الدلالة الصوتية،د/ كريم زكي حسام الدين ،مط الأنجلو المصرية ،ط1؛ 1992م، ص31.**

[5] ـ **دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد عمر مختار، ص 23-24.**

➢ ـ **درجة الصوت:** يقصد بدرجة الصوت عدد مرات التذبذب في الثانية **(ذ/ثا)** كما تحس به الأذن ويتمثل في تمييز الأصوات من حيث الحدة، والغلظ وقوام درجة الصوت[1]، فالصوت العالي يحتاج إلى طاقة أكبر من تلك التي يحتاج إليها الصوت الخفي ،ويقابل هذه الطاقة تحرك جزئيات الهواء إلى مسافة أبعد وبسرعة أكبر، ولكن زيادة ضغط الهواء لا ينتج عنها زيادة في عدد قيم الضغوطات الهوائية التي تحدث في الثانية الواحدة.[2]

ونوضح ذلك على ما فسره **إبراهيم أنيس** بقوله: « تتوقف درجة صوت على سنه وجنسه» ، فالنساء والأطفال أخف أصواتا من الرجال، وذلك لأن الوتريين الصوتيين في الأطفال والنساء أقصر وأقل ضخامة ويؤدي هذا زيادة في سرعتها وعدد ذبذباتها في الثانية، والطفل عندما يصل إلى البلوغ، يتضخم وتراه الصوتيان فجأة، كم يطولان ويترتب على هذا أن الحركة الواسعة لمصدر الصوت تنتج صوتا عاليا **(lound)**، وأن الحركة الضيقة تنتج صوتا خفيا **(soft)**[3].

➢ ـ **نوعيّة الصوت:** يقصد بنوعية الصوت الجرس**(timbre)**، المميز للصوت اللغوي اعتمادا على أشكال حجيرات الرنين **(résonancesChambers)** في جهاز النطق **(vocaltract)** التّي تتكون طبقا لوضع الشفتيين ،واللسان ،وسقف الفم، وتتمثل نوعية الصوت فيما يعرف بالنغمة **(tone)** التي يختص بها[4]، وهو فرق يظهر بين نغمتيين موسيقيتين ربما اتفقنا في درجة الصوت**(pitch)**، وفي العلو **(loudness)**، ولكنهما انتجتا بآلتين مختلفتين مثل بيانو وكمان.

وتفسير ذلك أن كلتا الآلتيين تصدر مجموعة من النغمات واحدة منها؛ وهي الأساسية **(fundamental)** هي المسيطرة، والأخريات التوافقيات **(harmonies)** تكون في وضع انسجام معها ،وبما أن الجسم الرنان **(resomator)** يقوي بعضها من هذه التوافقيات أكثر من الأخريات، فإن النغمة

---

[1] ـ الأصوات اللغوية ووظائفها ،د/مصطفى منصف القماطي ،ص26.
[2] ـمحاضرات في علم الأصوات ،د/صلاح الدين صالح حسنين، ص18.
[3] ـ محاضرات في علم الأصوات ،د/صلاح الدين صالح حسنين، ص16.
[4] ـ الأصوات اللغوية ووظائفها ، د/ مصطفى منصف القماطي، ص27.

تتلقى خصائص تسمح للسامع أن يميز بين صوت وآخر ، وآلة وأخرى[1] فكثير من الناس يستطيعون تمييز صوت أصدقائهم من خلال الهاتف بمجرد نطقهم لبعض الكلمات[2]، وبهذا يظهر أن نوع الصوت هو الأثر السمعي الناتج عن عدد الموجات البسيطة التي تكون الموجة المركبة التي تحمل الصوت للأذن ، وتردد كل منها اتساعها[3].

- **علو الصوت:** يتوقف علو الصوت و ارتفاعه (الجهارة) على بعد الأذن من مصدر

الصوت ،بينما شدته تتوقف على سعة اهتزاز(الموجة) ،فالشدة هي المعدل الزمني للطاقة الصوتية التي تمر خلال وحدة المساحة ،وتنتشر الموجات الصوتية في جمييع الاتجاهات والعلاقة بين الشدة والعلو ليست علاقة خطية فمثلا إذا تضاعفت شدة الصوت - مائة مرة - ، تبدو للأذن وكأنها تضاعفت ثلاث مرات فقط[4]، فعل قدر قرب الأذن من ذلك المصدر يكون وضوح الصوت وشدته، ويساعد على شدة الصوت أو علوه اتصال مصدره بأجسام رنانة، ولهذا شدت الأوتار الموسيقية على ألواح، وصناديق رنانة ليقوى الصوت ويتضح[5].

فإذا قرعت شوكتين رنانتين متماثلتين، واحدة برفق والأخرى بقوة، فإن الفرق بين الصوتيين الناتجين سيكون أن أحدهما **خفيض** ومجرد مسموع، أما الآخر **فعال** ويمكن سماعه على مسافة وذلك لأن الحركة القوية تؤدي إلى اضطراب أكبر في الهواء وبالعكس ،وبالنسبة للسامع يسبب اضطراب الهواء القوي حركة أكبر في طبلة الأذن و يترجم ذلك بارتفاع الصوت، فالطاقة الأكبر تنتج سعة ذبذبة أكبر وصوتا أعلى[6].

لقد عرفنا أن الصوت يرجع إلى اضطرابات في ضغط الهواء، لذا فالحركة الواسعة لمصدر الصوت تنتج اضطرابات كثيرة في ضغط الهواء ، وهذه

---

[1] - دراسة الصوت اللغوي ، د/ أحمد عمر مختار، ص31.
[2] - الأصوات اللغوية ،د/زين كامل الخويسكي ،ص93.
[3] - أصوات اللغة ،د/عبد الرحمان أيوب ،ص107.
[4] - مباحث في اللسانيات، د/ أحمد حساني، ص04.
[5] - الأصوات اللغوية ، د/ زين كامل الخوسيكي، ص94.
[6] - دراسة الصوت اللغوي، د/أحمد عمر مختار ، ص30.

الاضطرابات تسبب حركة شديدة لطبلة الأذن توازيها وتفسر على أنها أصوات عالية ومن خلال إلا أشكال التّالية يتضح ذلك :

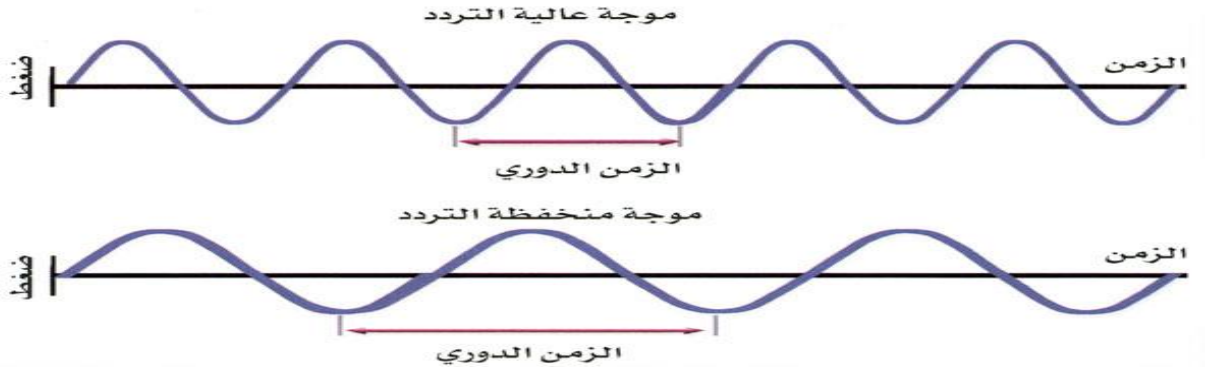

***موجة متوسطة التردد:**

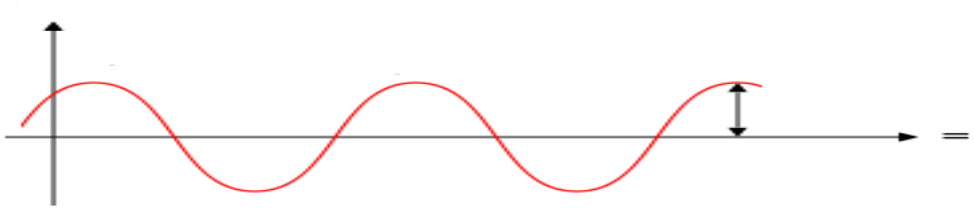

[1]

ونستنتج مما سبق أن هذا الفرع **(علم الأصوات الفيزيائي)** يتوجه إلى دراسة التركيب الطبيعي للأصوات، ويقوم على تحليل الذبذبات والموجات الصوتية المنتّشرة في الهواء بوصفها ناتجة عن ذبذبات ذرات الهواء في الجهاز النطقي المصاحب لحركات أعضاء هذا الجهاز، كما تمكن من تقدُّم وسائل جيّدة لدراسة الأصوات ووصفها.

وقد استطاعت هذه الوسائل أن تقدم العون للدارسيين في صور ثلاث هي:

1- الكشف عن حقائق صوتية لم تكن معروفة لهم من قبل[2]

2- تعديل منَّاهج الدرس وطرقه، وتغيير ملحوض في أرائهم وانطباعاتهم السَّابقة عن الأصوات.

---

[1] **ـ محاضرات في علم الأصوات، د/صلاح الدين صالح حسنين، ص17.**

[2] **ـ الأصوات اللغوية ، د/ زين كامل الخوسيكي، ص24.**

3- تأيــيد بعض الحقائق التي توصلوا إليها بالطرق التقليديَّة، وتأكييد الآراء المتعلقة بهذه الحقائق [1]

،وكان ذلك نتيجة تطبيق الوسائل الفنية ،والمبادئ العلمية المتبعة في (علم الفيزياء) إلى الصوت الإنساني.

3-علم الأصوات السمعي:la phonétique Auriculaire

هو العلم الذي يعنى بدراسة ميكانيكية الجهاز السمعي ،والطرق التي تُؤَثِّــر في سلوكيته وتَأَثُّره بالأصوات ،ونظرا لأهمية الدور الذي يقوم به السامع أو المستقبل، وكذلك المرسل فقد أولى علماء الدراسات الصوتية الفيزيائيين، واللغويين أهمية بالغة في دراسة جهاز السمع والعملية السمعية[2]، والحقيقة أن الصوت لا يدرك بمخرجه وإنما بصفته أنه مدرك سمعي وأن المسموع لا يدرك إلا بعد أن يفارق موضع إرساله المسمى مخرجا وإن بقي الصوت محصورا في الجهاز النطقي، لا يسمى لغويا حتى وإن ردده الناطق في داخله وعبر عنه بالكتابة، وإذ تحولت الكتابة إلى أصوات منطوقة سميت قراءة[3].

فهذا الفرع أحدث فروع علم الأصوات على الإطلاق وهو ذو جانبين جانب عضوي أو فيزيولوجي **(physiologycal)** وجانب نفسي **(psychological)** ؛ **فالأول** وظيفته النّظر في الذبذبات الصوتية التي تستقبلها أذن السامع ، وفي ميكانيكية الجهاز السمعي ووظائفه عند استقبال هذه الذبذبات ، وهي مرحلة تقع في مجال علم وظائف أعضاء السمع**(physiology of hearing)** ؛ **والثاني** يركز جهوده على البحث في تأثير هذه الذبذبات وتعمل على أعضاء السمع (الداخلية فيها بوجه خاص) ،وفي عملية إدراك السامع للأصوات وكيفية هذا الإدراك ،وهذه مرحلة نفسية خالصة وميدانها الحقيقي هو علم النفس وهذان الجانبان متصلان فهما موجهان لشيء واحد وهو استقبال الأصوات[4].

أ/ جهاز السمع:

---

[1] ـ علم الأصوات، د/ كامل محمد بشر، ص50.

[2] ـ الأصوات اللغوية ،د/ عبد القادر عبد الجليل، ص73.

[3] ـ المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية- دراسة تحليلية تطبيقية- ، د/ درار مكي، د/ سعاد بسناسي، ص81.

[4] ـ علم الأصوات ، د/ كامل محمد بشر ،ص43.

الأذن هي أداة السمع أو جهاز الالتقاط الذي يتلقى الإشارة الصوتية ،ويحولها إلى حركة تدبُّ على الأعصاب، وتنتقل إلى الجهاز العصبي المركزي وتنقسم الأذن إلى أجزاء ثلاثة هي:

الأذن الخارجية:**(the outer)**

الأذن الوسطى:**(the middle ear)**

الأذن الداخلية: **(the immer ear)**[1]

فالأذن من الأعضاء الهامة والحساسة عند الإنسان (**جهاز معقد ورقيق)** ،ولذلك حماه الله حين جعله بعيدا عن المؤثرات المباشرة داخل جمجمة الرأس[2]، وقد شبهها **الفارابي** بآلة خلقت للسمع [3]، وأشار **إخوان الصفا** إلى أن الأذن هي أداة استقبال الصوت سواء كانت في الإنسان أو الحيوان فعند تموج الهواء بحركته يدخل في الأذن ثم يصل إلى الصماخ في مؤخرة الدماغ[4]، ففي حديثهم عن العملية السمعية قالوا: « فبلغ ذلك التّموج الذّي جرى في الهواء إلى مسامعه ،ودخل صماخه وتحرك الهواء المستقر في عمق الأذنيّن بحسب القوة السامعة بذلك التّموج ،والحركة التي تنتهي إلى مؤخرة الدماغ، ثم يقف فلا يكون له مخرج، فيؤديّه إلى الدماغ ، ثم يؤدي الدماغ إلى القلب فيفهم القلب من هذه الحاسة ما أدته إليه من ذلك الحدث ؛فإن كان صوتا مفهوما يدل على معنى توجهت المعرفة بذلك ،وإن كان غير مفهوم فإنه لا بدل أن يستدل بصفاء جوهره على ذلك الصوت»[5].

- **_الأذن الخارجية :**

وتشتمل الصيوان، الصماخ، والطبلة .

- **الصيوان:** هو الجزء الظاهر من الأذن على جانبي الوجه، وهو لا يتحرك لدى الإنسان وبعض الحيوانات يحركه، ويظهر أن له أثر في تركيز الصوت حال

---

[1] - دراسة الصوت اللغوي ، د/أحمد مختار عمر، ص46.

[2] - علم الأصوات ، د/ حسام البهنساوي، ص26

[3] - الموسيقى الكبير،أبو نصر الفارابي (ت339ه)،تحقيق :غطاس عبد الملك خشبة ،دار الكتاب العربي للطباعة ، القاهرة ،(د/ت)،ص 1450.

[4] - المصدر نفسه ، ص1451

[5] - رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا، دار صادر بيروت ، (دت)، 103/3

استقباله ،ويبدو ذلك واضحا عندما ينصت الحيوان لسماع صوت معيَّن خلافا لما ذكره **أحمد عمر مختار** من أنّه لا أثر له في السمع[1].

- **الصماخ (الممر السمعي):** وهو ذو شكل أسطواني مفتوح من جهة الصوان ،ومغلق من جهة النّهاية، من جهة الطبلة طوله حوالي **(25مم)** يقوم بعملية تضخيم الموجات الصوتية التي تصل إليه من ضعفين إلى أربعة أضعاف، ويساعده شكله الأسطواني على أن يقوم بدور فراغ رنان، من بعد الممر تأتي طبلة الأذن.

- **طبلة الأذن:** تقوم باهتزازات، وتكون هذه الاهتزازات مطابقة للترددات الصادرة عن الجسم المهتز المرسل للصوت، كما تقوم بحماية التركيب الدقيق للأذن الوسطى[2].

- **الأذن الوسطى:**

وهي التي تلي الطبلة وفيها تقع **المطرقة، والسندان، والركاب** هي ثلاث عظيمات تتعاون في نقل الذبذبات الصوتية الصادرة من جهاز النطق، إلى مجال الأذن الداخلية[3]، وتتصل الأذن الوسطى بمؤخرة الأنف والحلق عن طريق قناة **(استافيو)** التي بفضلها يصل الهواء إلى الأذن، فيتعادل الضغط داخلها وخارجها[4].

- **الأذن الداخلية:**

هي عبارة عن تجويف عظمي مملوء بسائل وهو مقسم إلى علوي وسفلي، يفصل بينهما غشاء رقيق والجزء السفلي هو المهم في عملية السماع، يحتوي على جسم حلزوني قمعي الشكل يسمى القوقعة.

القوقعة عبارة عن فراغ من الداخل ينقسم إلى ثلاث قنوات[5]:

- **قناة القوقعية**
- **قناة الطبلة**
- **قناة الدهليز**[6]

---

[1] - الصوتيات اللغوية- دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية-، د/عبد الغفار حامد الهلال ، ص71

[2] - علم الأصوات اللغوية-الفونتيكا -،د/عصام نور الدين ، ص172.

[3] - الصوتيات اللغوية - دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية - ، د/عبد الغفار حامد الهلال ، ص71.

[4] - الأصوات اللغوية ووظائفها ، د/مصطفى منصف القماطي ،ص29.

[5] - علم الأصوات، د/ حسام البهنساوي، ص28.

[6] - أصوات اللغة،د/عبد الرحمان أيوب ،ص89

ب/ العملية السمعية:

تبدأ العملية السمعية حين تدخل موجة صوتية صماخ الأذن ،وتصل إلى طبلة الأذن فتحركها، وبعد انتقالها عن طريق سلسلة العظام تؤثر في السائل الموجود في الأذن الداخلية بطريقة تحرك أعصاب السمع ،وتنتقل هذه الأعصاب صورة هذا الاضطراب إلى المخ، وقد ثبت أن حاسة السمع قادرة على إدراك أصوات بمعدلات معينة للتردد والتوتر لها حد أدنى وحد أعلى، فمجال التردد للأصوات الممكن سماعها بوضوح قد يبدأ من حوالي(**20 دورة /ثا إلى 20 ألف دورة)** للشخص الشاب ذي السمع الجيد، وبمرور الزمن تضعف حساسية الأذن للترددات العليا[1]، كما نجد في التراث العربي **ابن سينا** حين تحدث عن عملية السمع بدقة كونه طبيبا، اعتبر السمع يحدث من تموج الهواء المنضغط بين قارع، ومقروع مقاوم له انضغاطا عنيفا يحدث منّه صوت يذهب إلى تموج الهواء الراكن في تجويف الدماغ ،فيحركه حتى تلامس تلك الأمواج الأعصاب السمعية في الصماخ فيحدث الإدراك السمعي[2].

فأساس السمع أساس فيزيائي ألا وهو حركة الهواء الخارجي ،كونه العامل الأساسي الذي ينقل الصوت، و يحرك الهواء الراكد في الأذن حيث يهتز غشاؤنا محركا الأذن الداخلية التي يتحرك غشاؤها الداخلي ،محدثا اهتزازات للعظيمات التي تنقل هذه الحركة إلى السائل التنبيهي الذي يحرك الأعصاب المحيطة به فينقل هذه الذبذبات إلى القوة الكامنة في الدماغ، ويبدأ بتفسيرها وبيان معلوماتها ومصدرها[3].

وتكون الأذن ذات مقدرة عالية على الاستقبال في وسط مجال السمع ،ولكنّها تحتاج إلى جهد مضاعف لتّؤدي وظيفتها بالنسبة للنغمات الواطئة جدا ،أو العالية جدا إلى أن تعجز عن أداء وظيفتها، وذلك لأن بعضا من أعضاء العملية السمعية لا تقدر على التذبذب عن هذه الترددات المتطرفة ارتفاعا أو انخفاضا، وقد وُجد أن الأذن تستطيع أن تمييز آلافا مؤلفة من الأصوات تقع ضمن مجال السمع[4] ، لأن

---

[1] -دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد عمر مختار، ص 48،49.
[2] - رسالة أسباب حدوث الحروف ، ابن سينا ، ص88.
[3] - المدارس الصوتية عند العرب -النشأة والتطور-، د/علاء جبر محمد ، ص170.
[4] - دراسة الصوت اللغوي ، د/أحمد عمر مختار ، ص50.

شعيرات القوقعة هي التي تقوم بنقل وتحويل كل كميات التموجات الصوتية المندفعة عليها بكل دقة ،وأمانة حيث يبدأ النشاط العصبي في عملية السمع بالخلايا الشعرية داخل عضو كورتي على حين تقع آخر حلقات إدراك الصوت في المخ، حيث تنقل الإشارات التي تستقبلها الخلايا الشعرية عبر ممرات عصبية معقدة إلى مراكز الاستقبال في لحاء المخ [1].

وهنا يأتي دور الدماغ في تحليل الذبذبات، وتحويلها إلى مدركات أي: يعيدها إلى ما كانت عليه عند إرسالها إليه[2] للجهاز السمعي النطقي أمام الدراسة العلمية التشريحية ،وهذا رسم تخطيطي للأذن وأجزائها السمعية:[3]

رسم تخطيطي للأذن وأجزائها السمعية:

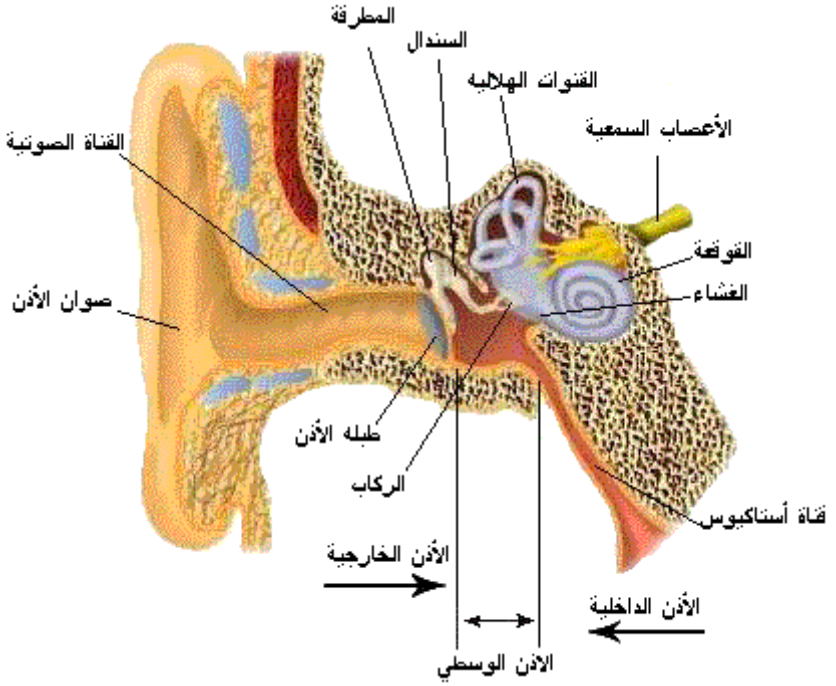

4- علم الأصوات التجريبي(المعلمي):(instrumental phonetic)

[1] ـ دراسة السمع والكلام- صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك ـ د/سعد عبد العزيز مصلوح،ص270.

[2] ـ المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، د/ مكي درار، ص150.

[3] ـ علم الأصوات ،د/حسام البهنساوي ،ص30

يعنى علم الأصوات التجريبي بالدراسات الصوتية معتمدا على الأجهزة ،والآلات التي تقدم مختلف التجارب على الصوت، بغية الوقوف على طبيعة مكوناته ودرجاته التباينية ،ويسمى أيضا بعلم الأصوات المعلمي (**laboratory phonetic**)، ويعالج هذا الفرع البنائية الآلية والأدوات والمختبرات والوسائل التي بواسطتها تتم معالجة وتحليل البنى الصوتية.

نما هذا العلم وتطور منذ القرن التّاسع عشر، وثبت بين أحضان أقسام الفيزياء، والهندسة الكهربائية و الإلكترونية وميدان الطب العام، وفسلجة الأعضاء ،وسواها من العلوم المساعدة الأخرى[1]، ويمكن الحديث عن الآلات المستخدمة في الدراسة الأصواتية تحت ثلاثة أنواع رئيسية هي:

1- الآلات الأكوستيكية: (**instrument acoustical**)

2- الآلات الفيسيولوجية :(**physiological instruments**)

3- آلات وإنتاج الأصوات الصناعية: (**artificial talking devices**)

وقد كان من أهم الدوافع إلى استخدام الآلات ،والأجهزة في الدرس الصوتي اعتقاد بعضهم أن الآلات الإنسانية ليست وسيلة كافية للكشف عن حقائق الصوت، وفي الوقت نفسه تعد وسيلة ذاتية (**subjective**) ، لا موضوعية (**objective**)، فعلم الأصوات التجريبي يقوم بأدوار حيوية خطيرة في مجال الأصوات بوحدها بل في ميادين كثيرة ذات صلة بالإنسان، وحاجاته المباشرة كما يظهر ذلك مثلا في تقديم العون للمشتغلين بالصوت الإنساني في أية صورة ، والمهتمين بعلاج عيوب النطق والصمم ...إلخ.

ويرجع الفضل في ذلك إلى التقدم الكبير في الأجهزة المستخدمة في هذا الفرع[2]، فالتقنية والآلات المستعملة في البحث المعلمي، وفي علم الأصوات يمكن تصنيفها بطرق مختلفة ومنها الطرق التالية الوظيفة بالنظر إلى إستراتيجية البحث وبالنظر إلى مظاهر عملية الكلام وبالنظر إلى المشاكل اللغوية ،ونذكر منها بعص المشاكل الأدوات والوسائل المستعملة في الدراسات الصوتية وهي:[3]

أ/ **الآلات الفيزيائية : (physical instruments)**

---

[1] ـ **الأصوات اللغوية، د/عبد القادر عبد الجليل، ص86**

[2] ـ **دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد عمر مختار، ص54**

[3] ـ **الأصوات اللغوية ووظائفها ، د/ محمد منصف القماطي، ص32**

بقي هذا النّوع من الآلات حتى بداية القرن العشرين لا يتعدى الاستخدام المتواضع لبعض الأجهزة البسيطة، وبعض المعدات الميكانيكية لدراسة حالات التجاويف وبعض التسجيلات البسيطة للذبذبات الصوتية وبفضل البحوث ،والدراسات العلمية التي قام بها الفيزيائيون فقد تقدم علم الأصوات التحريبي ،وخطى خطوات واسعة، وأصبحت له إمكانيات وقدرات محسوسة في بيان التحليل الكمي والكيفي للأصوات[1].

- **فراسم الذبذبات**:(**asciallograph)**

هو جهاز يماثل جهاز التلفاز ،ويتلقى الإشارات المرسلة من مكبر الصوت، أمام فم المتكلم حيث يقوم بتحويل الموجات الصوتية إلى موجات كهربائية تظهر على الشاشة.[2]

- **جهاز رسم الأطياف**: **(spaectograph)**

يعطي تسجيلات بصرية ثابتة لتتابع أصوات الحدث الكلامي في شكل خطوط منّعرجة مختلفة التركيز تبعا لقوة الذبذبات الصوتية الموجهة، وهناك جهاز آخر يعطي تسجيلات بصرية مؤقتة لتتابع أصوات الحدث الكلامي ،وقد كان اختراعه أول الأمر مساعدة الصّم عن طريق تقديم كلام مرئي **(visiblespech)** لهم [3].

ب/الآلات الفيزيولوجية: (physiological instruments)

ظهرت في أفق الدراسات التّجريبية الّصوتية وسائل آلية متعددة الأشكال ،ترصد في بنيتها الصناعية بيانات الأفق الدقيق للمكونات الكلامية منها:

- **الكيموجراف: (kymograph)**

جهاز يستخدم لرسم الذبذبات الصوتية على هيأة خطوط متموجة سوداء ،أو بيضاء على أرضيات متباينة، وظل لفترة طويلة أهم جهاز يستخدمه عالم الأصوات، وما يزال مفيدا حتّى الآن رغم اختراع وسائل جديدة أكثر ملائمة ،و للكيموجراف أشكال كثيرة، وما يزال العلماء يدخلون عليه تعديلات وتحسينات[4].

---

[1] ـ الأصوات اللغوية، د/ عبد القادر عبد الجليل، ص86
[2] ـ أصوات اللغة ، د/ عبد الرحمن أيوب ، ص34
[3] ـ دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد عمر مختار، ص56.
[4] ـ الأصوات اللغوية ، د/عبد القادر عبد الجليل، ص90.

➢ **- المجهر الحنجري: (larynagoscope).**

أو المرآة الحنجرية **(larynagealmiroi)**، ووظيفتها رصد حركة الأوتار الصوتية وهي عبارة عن مرآة صغيرة مستديرة ،قطرها حوالي **3/4 بوصة** مثبت بها يد طويلة، وكيفية استعمالها أن يوضع المجهر بصورة خاصة داخل الفم حتى يتمكن الناظر من رؤية الأوتار الصوتية ،أو أوتار غيره حين النطق بالصوت فيعرف إذا كان مهموسا أو مجهورا[1]،وبالإضافة إلى اكتشاف جهاز **الاسم الحنجري** و **الأحناك الصناعية البلاتوجرافيا** المباشرة والأشعة :

ج/الآلات المنتجة للأصوات الصناعية: (artificial talking devices)

لم يعد هناك أي عقبة أمام الفنيين أن يحولوا الصّور الطيفية الأكوستيكية إلى صوت مرة ثانية ، وبالتّالي لم يعد هناك أي عقبة أمامهم لإنتاج كلام صناعي فما دامت صورة الصوت معروفة لنا ، فإنه يمكننا أن نرسم صورة مماثلة أو مشابهة للصورة الطيفية ثم يعيد إنتاج الصوت، وقد تحقق هذا في السنوات القليلة الأخيرة في معاهد كثيرة للصوتيات، ونقل الكلام على أسس متعددة في جامعات لندن و إسكوتلاندا وغيرها. فقد طور قسم الأصوات في جامعة إدنبرة جهازا لإنتاج أصوات صناعية اسمه:(**the parametric artificaltalring devices)** وأجزاؤه الأساسية كما يلي:

- مولد ينتج نبضا يماثل نبض الحنجرة يؤدي دور المثير لجهاز النطق .
- أربعة مولدات لإنتاج الحزّم الصوتية تتجاوب مع الإثارة النبضية .
- مولد يحدث حلبة (**noise**)تماثل التهييج في الأصوات الاحتكاكية.

وقد أنتج هذا الجهاز كلاما صناعيا ،بدا طبيعيا لدرجة أن التسجيل بعض جمل منه كاد لا يتميز الكلام الطبيعي[2]، فعلم **الأصوات التجريبي** يسعى بواسطة المخبر لتحويل الصوت إلى صورة مسجلة مكتوبة تبين الطيف الصوتي وحالاته المختلفة[3]، وفي بيان أهميته و الحاجة إليه يقول **كمال بشر** : « ومن الجدير بالذكر أن هذين النّوعين كلاهما يقصد النطقي، والفيزيائي يعتمدان الآن أشد الاعتماد على فرع ثالث متمم لهما ،ولا يمكن السير في أحدهما، وبخاصة علم الأصوات

[1] **-دراسة الصوت اللغوي ، د/أحمد عمر مختار، ص58.**
[2] **-المصدر نفسه ، ص64.**
[3] **- مباحث في اللسانيات، د/ أحمد حساني ،ص71.**

الفيزيائي بدونه، إذا كان لنا أن نحصل على نتائج صحيحة يمكن الاعتماد عليها[1].»،فهو يعتمد أساسا على إجراء التّجارب المختلفة بواسطة الوسائل، والأدوات الفنيّة في مكان معد لذلك يسمى معمل الأصوات ،وهذه الأجهزة منّها ما يستخدم علم الأصوات النطقي ،ّومنها ما يستخدم في دراسة الجانب الفيزيائي للأصوات[2].

فلقد بات من الضروري ونحن في عصر سمته التّطور العلمي، والتكنولوجي أن لا نكتف في دراستنا اللغوية بما اكتفى به القدماء ،وإنما علينا أن نستعمل أقصى ما يتاح من هذه الإمكانيات الحديثة في خدمة الدرس اللغوي ، ومن هذا المنطق نشأت الصوتيات المعملية ،وبدأت تخطو خطوات واسعة في خدمة الدرس الصوتي ،وبقدر ما ندرك مكانة هذا الفرع، وأهمية النتائج القيّمة التي يمدّنا بها ،والأفاق المستقبليّة له نقتنع بضرورة الاعتناء به وبجميع الفروع الأخرى خدمة للدرس الصوتي ولغة الضاد.

[1] ـ علم الأصوات ،د/كمال محمد بشر، ص55
[2] ـ المصدر نفسه ، ص56

المبحث الثّالث :

أهميّة الدّراسة الصّوتية وقيمتها

عنّاية العرب بالصوتيات قديمة تعود إلى اليّوم الذي فيه بدا اللحن في منتصف القرن الأول هجري ،خاصة عندما امتدّ هذا الخطر إلى النص القرآني لأن الدراسة الصوتية من أصل العلوم عند العرب، ولأنها تتصل اتصالا مباشر بتلاوة القرآن الكريم، وفهم كلماته وتراكيبه وأسلوبه ومعانيه ،وما يتضمن من أحكام دينية ودنيوية[1]،فهي الحجر الأساسيُ لأي دراسة لغوية ، وقد بيَّنت الدراسات العربية القديمة قدرها لأنهم بـنـوا عليها أراءهم، في إصلاح الكتابة العربية، وفي وضع العروض والنحو والصرف والمعاجم وفي تدوين القراءات القرآنية[2]، فهو لا يخدم القرآن الكريم وحده ،و إنما يخدم كل أساليب الكلام على كل المستويات ،إن هذا العلم عندما يخدم كلام الله يقتضينا أن نعتني به أشد العناية ،وأن نتعمق في أصول حقائقه ،وأن نوسع في ميادينه بحيث تشتمل كل العلوم اللسانية حتى تضل عربيتنا سليمة صحيحة إذ في صحتها صحة القرآن الكريم وسلامته[3].

فالدراسة الصوتية ذات قيمة حيوية كبيرة تخدم اللغة ، والمجتمع على سواء ، ونشير إلى أهم الجوانب التي تبرز فيها تلك القيمة في اللغة بمجالاتها المتنّوعة في المجتمع بمتطلباته وأهدافه[4].

1- في مجال اللّغة والبحث فيها:

إن الأصوات هي اللبنات التي تشكَّل اللغة ،أو المادة الخام التي تـبنى منها الكلمات ،والعبارات فما اللغة إلا سلسلة من الأصوات المتتابعة ،أو المتجمعة في وحدات أكبر ترتقي حتى تصل إلى المجموعة النفسية، وعلى هذا فإن أي دراسة تفصيلية للغة ما تقتضي دراسة تحليلية لمادتها الأساسية، أو لعناصرها التكوينية وتقتضي دراسة تجمعاتها الصوتية، وربما كان أكثر فروع الدراسة اللغوية بحاجة للتحليل الصوتي هو علم الصرف.

---

[1] ـ مقدمة علم الأصوات اللغوية _الفونتيكا_ ، د/ عصام نور الدين ، ص02.
[2] ـ علم اللغة _مقدمة للقارئ العربي_ ، د/محمود السعران ، ص104.
[3] ـ علم الأصوات ، د/كمال محمد بشر ، ص 580
[4] ـ الصوتيات اللغوية_ دراسة تطبيقية على أصوات اللغة _ ، د/ عبد الغفار حامد هلال، ص22

كما أن دراسة الدلالات ترتبط ارتباطا كبيرا بدراسة التبادلات الصوتية في الموقع الواحد والحس ،ولا يستغني اللغوي عن هذا مهما كان منهجه في دراسة اللغة وصفا تاريخيا ،أو معماريا ،أو مقارنا[1]، فلا يمكن الأخذ في دراسة لغة ما ،أو لهجة ما ،دراسة علمية ما لم تكن هذه الدراسة مبنية على وصف أصواتها وأنظمتها الصوتية، فالكلام أولا وقبل كل شيء سلسلة من الأصوات ، فلابدّ من البدء بالوصف الصوتي للمقطع الصغير أو العناصر الصغيرة ،وهذه الوحدات التي تتألّف منها المقاطع على أنظمة معينة تختلف باختلاف لغات المقاطع التي يكون بعضها دون ائتلاف مع غيره كلمات ،والتي تتكون أكثر الكلمات من ائتلاف عدد منها ،من المحال إذاً دراسة بنية الكلمة دون التّحقيق الصوتي للعناصر المكونة للكلمات ،كما أن دراسة نظم الكلام قاصرة ما لم يراع فيها دراسة الصورة التنغيمة مثلا والدراسة الدلالية، أي دراسة المعاني لا يمكن أن تثمر ما لم يمكن أن ترتكز على دراسة الصور الصوتية والتنغينية[2].

أ/**وضع الأبجديات** :

للدراسة الصوتية أثر كبير يمكن استخدامه في وضع أبجديات دقيقة للغات التّي ليس لها كتابات حتى الآن ،وهي _**مئات**_ فالصوت يجعل من الممكن إعطاء رموز مفصلة لكل كلمة في اللغة _**كما هي الحال في الصينية**_ ، وإن كان من الملاحظ أن ذلك يؤدي إلى إيجاد عدد ضخم من الرموز لا يسهل تعلمه كما إن اللغة بمرور الزمن يصيبها التغير ،والتّطور على حين تبقى الأبجدية على صورتها الأولى دون تغيير عادة، ومن ثم يظهر فيها نوع من القصور منها: [3]

- ـ يتمثّل في عدم قدرة الأبجدية على تمثيل النطق تمثيلا صادقا بسبب التطور الذي يلحق

أصوات اللغة على مر الزمن وله في لغات كثيرة ، ومن **أمثلتّه في الإنجليزية** الصوت الأقصى الانفجاري المهموس **(k)**حيث تصوره الأبجدية الإملائية مرة

---

[1] _ **دراسة الصوت اللغوي، د/أحمد عمر مختار ، ص402.**

[2] ـ **علم اللغة _مقدمة للقارئ العربي_ ، د/ محمود السعران، ص105.**

[3] ـ **علم اللغة العام_ الأصوات _، القسم الثاني ، د/ كمال محمد بشر، دار المعارف ،مصر؛ 1971م، ص235.**

بحرف **(K)**ومرة ثانية بالرمز(**C)** ثالثة بالرمز **(q)** ورابعة بالرمز **(ch)** ،وأمثلة هذه الحالات بالترتيب (**character-queen-cat_kill)**

ومن **أمثلته في العربية** كتابه الفتحة الطويلة برمز الياء في مثل **(رمى)** ، فطبيعة الصوت توجب كتابته بالألف أي **(رما مثل غزا)** ،ومثل ذلك الأصوات التي لاتنطق وتكتب مثل ألف **(هذا وهذه).**

- ثانيهما وجود رموز أبجدية في اللغات دون مقابل صوتي لها في الكلام المنطوق ومن أمثلة

ذلك في الانجليزية الرمز **(L)** في الكلمة **(TALK)** فلا يوجد مقابل صوتي لها،وفي العربية لا يوجد مقابل صوتي للألف التي تكتب بعد واو الجماعة في مثل **(قضوا ورموا)**،وكذلك الواو في مثل **(عمرو)**[1].

فعلم الأصوات اللغوية يشرع في تقرير الحقائق اللغوية للغة من اللغات، ويعين في **وضع أبجديات** دقيقة للغات التي ليس لها كتابات حتى الآن ، ويعين في إصلاح الأبجديات التقليدية لتكون أدق تمثّيلا للنطق، ولا غنى للمعاجم عن الاستعانة بالثقافة الصوتية اللغوية، فالمفروض أن واجب المعاجم لا يقتصر على تبيان معاني **(المفردات)** وتطور هذه المعاني، بل يتعداه إلى تمثيل نطق هذه المفردات، وهذا لا يكون إلا باصطناع نظام من الرموز الكتابية يكون أدق تمثيلا للنطق من الأبجدية التقليدية[2].

ب/ تعليّم الأداء وضبّط النّطق:

من أهداف دراسة أصوات اللغة العربية هو ضبط النّطق الصحيح، والأداء الفصيح للكلام العربي بعامة ،وفي قراءة القرآن الكريم بخاصة، على نهج ما كان العرب الفصحاء يفعلون ذلك أن الأداء السليم الفصيح للغة يحفظ لها رونقها في الأسماع، ووقعها الساحر في الطباع، ويفتح لها القلوب فتعي ما تسمع وترتاح وبذلك يتمهد للسامع سبيل الاستجابة والتقبل لما يسمع، كما أن للنطق السقيم

[1] ـ علم اللغة العام_ الأصوات _، د/ كمال محمد بشر ، ص235- 236.
[2] ـ علم اللغة-مقدمة للقارئ العربي-،د/محمود السعران، ص106

يهدر جانبا من وظيفة الكلام ويهضم حق السامع[1]، والواجب على المرء أن يعرف كيف يتكلم، ويتكلم بطلاقة لكي يصل إلى جمهوره، ويحقق النفوذ الذي يـبـْغيه .

وطريقة نطق الإنسان لم تعد أمرا خاصا بالمتكلم ،وإنما هو أمر متعلق بكل من يستمع سواءً كان المتكلم عالما أو فنانا أو ممثلا ، ولم يعد الجمهور السامع كما كان في الماضي تجمعا صغيرا من الأصدقاء أو الأقارب بل آلافا أو ملايين من الجمهور فالأداء **(diction)** فن النطق[2]، فإذا أديّت الحروف من مخارجها، واستوفيت صفاتها وحسن تآلفها في كلماتها وعباراتها ، وألقيت العبارات على الوجه المناسب لموضوعها في فصاحة تتمثل في وضوح المفاصل وقوة النبرات، فلا شك أن السامع يكون قد استوفى حقه ، ولن يؤفك عما يراد منّه إلا لعوائق في ذات نفسه أو في معقولية الكلام الذي سمعه، وإذا كان عرض الكلام على هذا الوجه من البيّان و الفصاحة، وحسن الأداء حقا للسامع لا شك فيه، فإنه يصبح بالضرورة واجبا على المتكلم لا فكاك منه إن كان يريد أن يبلغ مراده بما ألقى من كلام ،فإذا جاوزنا جانب الإفهام بسلامة أداء الكلام، وجدنا أن الأداء الفصيح المحكم للغتنا العربية يمتُّع ذوي الحسَّ اللّغوي المرهف، ويُأسر نفوسهم المبّهرة قد تفوق المتعة باللحون الغنائية، فالعربيُّ المرهف الحسَّ يَـلـَـتذُّ سماع الإلقاء الفصيح للتعبير الصحيح ،ويسحره الجرس الذي يمثل المعنى تمثيلا صادقا فتراه يستريح إليه ويهش له[3].

وصدق **رسول الله صلى الله عليه وسلم** حين قال : « إنَّ من البَيَان لسحراً»، ويقول **عمر بن عبد العزيز**: « ما كلمني رجل من بني أسد إلا تمنيّت أن يَمدَّ له في حجته حتى يكثّر كلامه فأسمعه[4]»، أي أنه يسمع سماع كلامهم ويؤكد الجاحظ أنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا أنفع ولا أنق ولا ألذ في الإسماع، ولا أشد

[1] ـ المختصر في أصوات اللغة- دراسة نظرية تطبيقية-، د/ محمد حسن جبل، ص09.
[2] ـ دراسة الصوت اللغوي، د/أحمد عمر مختار ، ص402.
[3] ـ المختصر في أصوات اللغة العربية _دراسة نظرية تطبيقية_،د/ محمد حسن جبل، ص10-11
[4] ـ محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، الراغب الأصفهاني، تحقيق :د/عمر الطباع ، دار القلم؛ 1420م ،31/1.

اتّصالا بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان ولا أجود تقويما للبيان من طول سماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء[1].

ج/تعلم اللغة الأجنبية:

عادة ما يواجه من يتعلم لغة أجنبية فونيمات جديدة، وقواعد جديدة وعليه معرفتها ،ومحاولة تطبيقها أثناء استخدام لغته الأجنبية، فيجد العرب الذين يدرسون اللغة الإنجليزية فونيمات لم يعهدوها في لغتهم أو لهجتهم العربية، على سبيل المثال: **(p/V)** إضافة للأصوات الجديدة هناك ما يبدو لنا بأنه موجود في لغة المتعلم الأم.

إلا أنه في واقع الأمر ليس الصوت نفسه مثل :**(/s/ ،/z/)**فهم موجودان في اللغة العربية و الإنجليزية إلا أن الفرق بين نطقها في اللغة الإنجليزية واللغة العربية ليس هو الفرق نفسه[2]، ومن الثابت أن الإنسان إذا تعلم لغة أجنبية فهو يميل غير واع في معظم الأحيان إلى أن ينطق أصوات اللغة الأجنبية من خلال أصوات لغته هو، إلا أن يفرض الأنظمة الصوتية الخاصة بلغته على الأنظمة الصوتية الخاصة باللغة الجديدة، وعلم الأصوات يقدم خير عون لإصلاح هذا الخلل، فهو إذ يصل إلى وصف أصوات اللغتين ووصف أنظمتها الصوتية[3].

وهذا لا يكفي تعلم الأصوات الغربية فقط ،لابد من تعلم كل النظام النطقي بما في ذلك التنغيم وغيره من الظواهر الموسيقية ؛فإذا أراد الرجل الإنجليزي أو الإيطالي تعلم الفرنسية مثلا فيجب أن يتعلم استعمال الخاصية الشفوية **(labaralisation)**كملمح مميز ،و الإسباني الذي يتعلم الإنجليزية يجب أن يتعلم كيف يميز عن وعي بين **/d/**الوقفية ،و**/a/** الاحتكاكية، فإن الأمر ليس أمر مشكلات صوتية جزئية ،وإنما أمر استعمال نظام صوتي مختلف وهذا الجانب من تعلم نطق اللغة الأجنبية يفترض تحليلا كلا النظامين موضع الاهتمام، ويتطلب معلومات كافية من التركيب الوظيفي ككل فإذا كانت اللغة الأم تملك نظاما من خمس علل، والأجنبية من سبع علل مثلا، فنحن نعرف مقدما أنه ليس هناك فقط صعوبة تعليم

---

[1] ـ البيان والتبين، الجاحظ ، تحقيق:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ،ط1؛ 1418ه/1998م ، 145/1.

[2] ـ الصوتيات العربية، د/منصور بن محمد الغامدي ،مكتبة التـوبة ،ط1؛ 1421ه/ 2001م،ص162

[3] ـعلم اللغة_ مقدمة للقارئ العربي_،د/محمود السعران، ص107.

فونيمي العلة الزائدين، وإنما أيضا صعوبة الاضطراب والخلط وعدم التمييز بين الفونيمات[1].

فبدون معونة علم الأصوات قد لا تجدي الإقامة بين أبناء اللغة في اكتساب النطق السليم ،فنجد تقابل كثيرا أمثلة لأجانب عاشوا بين أبناء اللغة سنين، وسنين دون أن يكتسبوا صورة قريبة لنطق أبناء اللغة سنين وسنين دون أن يكتسبوا حتى صورة قريبة لنطق أبناء اللغة، فعامل الحاسم في الموضوع هو **تعلم النطق** بطريقة جيدة سواءً انتقل الشخص إلى منطقة اللغة أو لم ينتقل، وهنا يجب أن ننبه إلى أن المتعلم نفسه ليس بحاجة إلى معرفة صوتية واسعة ،ولكن يكفيه قدر معين من التدريب المتصل بالموضوع تحت الإشراف الدقيق، أما المدرس نفسه فيجب أن يستعين بالدراسات والقواعد الصوتية، وأن يكون قادرا على نسبة ما يسمع إلى الكيفية النطقية المعينة أن يعطي تعليماته الأساسية لمساعدة المتكلم على ضوء كل ذلك[2].

د/علاقتها بمستويات التحليل اللغوي:

تعدُّ الدراسة الصوتية ممهدة للدراسة الصرفية ،و النحوية والدلالية والمعجمية، فأي مستوى من مستويات البحث اللغوي تعتمد في كل خطواتها على نتائج الدراسات الصوتية ،وذلك أمر يمكن إدراكه إذا عرفنا أن الأصوات هي اللبنات الأولى للأحداث اللغوية، ويتكون منها البناء الكبير، وقد صرح بهذا المعنى[3]، **فإذا جئنا إلى المستوى الصرفي:** وجدنا الوحدات الصوتية تدخل في بناء الوحدات الصرفية، فلا وجود لعلم الصرف بدون علم الأصوات ذلك لأن مباحث الصرف مبنية في أساسها على ما يقرره علم الأصوات من حقائق ،وما يرسمه من حدود و ليست ضرورة لاعتماد علم الصرف على الأصوات مقصورة على اللغة دون أخرى ،ولغات الأرض جميعا تستوي في هذا الأمر، والاختلاف بينها يكون في طبيعة استغلال الحقائق الصوتية في المجال الصرفي[4].

---

[1] ـ دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد عمر مختار،ص404-403.
[2] ـ المصدر نفسه ، د/ أحمد مختار عمر، ص404-405.
[3] ـ علم الأصوات، د/ كمال محمد بشر، ص605
[4] ـ علم الأصوات، د/ كمال محمد بشر ، ص606 .

وربط الصرف بالأصوات واضح من دراسات علمائنا القدماء ،فقد حاولوا بيان التغييرات التي تطرأ على أبنية الكلمة العربية وهي معظمها تعتمد على الأصوات[1]، كما تلعب دورا هاما في صيّغ الأسماء و الأفعال، كبناء صيغ الفعل لمعلوم والمجهول **(فَعَل) و(فُعِل)** ، حيث لا يفرق بينهما سوى وحدات صوتية، هي الصوائت القصيرة، وأحيانا نجد الوحدة الصوتية نفسها وحدة صرفية ، تسهم في تحديث الصيغة الصرفية المطلوبة نحو جمع صيغة في كلمة **(مسلمون)** التي مفردها **(مسلم)** حيث لا يفرق بينهما سوى الطول في الصوت الصامت التي أبدلت بالواو الصائتة، فكان هذا الصوت لوحده سببا في بناء الصيغة الصرفية للكلمة[2].

وهناك في الصرف العربي بالذات حاجة ملحة في الرجوع إلى الحقائق التي يقررها الدرس الصوتي لقد درج علماء الصرف القدماء على أن يقولوا مثلا: **قُل** أصله**(قَوْل)**، التقى ساكنان الواو واللام، فحذفت الواو لالتقاء الساكنين فصارت **(قل)** ، و حقيقة الأمر أن **(قل)** جاءت على هذه الصورة من بداية الأمر طبقا لقواعد النّطق الصحيح لسبب صوتي ظاهر يرتبط بخواص التركيب المقطعي في اللغة العربية الفصحى[3]

فتفسر دراسة الصوت في الصّرف بما يلي :

- السر في ثقل بعض الأبنية (كصيغ **فِعُل ،و فِعِل، وفُعل** في الأسماء) كما تفسر ظواهر القلب والإبدال والإعلال الصرفي والإدغام
- تفسر بعضا من أبواب مضارع الماضي الثلاثي كصيغة **فعَل يفعَل** (بالفتح فيهما)
- حالات التقاء الساكنين (الجائز منها والممتنع) [4]

وكذلك الدراسة النحوية لا تتم في صورتها المثلى دون الاعتماد على الأصوات ،فالتنغيم مثلا يلعب دورا هاما في تحديد أنماط الجمل من خبر وإنشاء ، ومثال ذلك أنك إن نطقت بعض الجمل وغيرت نغمة الكلام تغير المعنى[5] ، فيفرق عادة بين الجملة الإثباتية ،والجملة الاستفهامية باحتواء الثانية على أداة الاستفهام

---

[1] -الصوتيات اللغوية _دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية، د/ عبد الغفار حامد هلال ،ص25.

[2] - دروس في مقياس الصوتيات، د/ عبد الصمد لميش ،ص01.

[3] - علم الأصوات، د/كمال محمد بشر، ص605

[4] - المختصر في أصوات اللغة العربية _دراسة نظرية تطبيقية_،د/ محمد حسن جبل ، ص20.

[5] -دروس في مقياس الصوتيات ، د/ عبد الصمد لميش ، ص 02 .

أو تغيير طفيف في نظمها ، على حين أن أهم أساس للتفريق هو التنغيم أو التّلوين الموسيقي الذي يعد جزءا لا يتجزأ من النّطق نفسه ، أما أن موسيقى الكلام أو التنغيم عنصر مهم في هذا التفريق ، فشيء واضح تستطيع الأذن الخبيرة إدراكه وتذوقه ، وهناك من الأمثلة ما يحتوي على أداة الاستفهام وهي في الوقت نفسه ليست باستفهام ، من ذلك مثلا قوله تعالى
: ﴿ هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ ﴾[1].

فقد قرر المفسرون أن **(هل)** هنّا معناها **(قد)**، وفسرها بعضهم بعبارة بسيطة **(هل)**

خرجت عن أصل معناها ، لكن الذّي يفصل هذا الأمر هو التنغيم والموسيقى[2] ، ومن هنا كان للتنغيم أثر في تحديد نمط الجملة النحوية ، وكذلك النّبر الذي يدخل ضمن عناصر الدراسة النحوية ، إضافة إلى الوقف والابتداء اللذان يلعبان دورا في تحديد نمط الجملة وتخصيص عناصرها .

أمَّا بالنسبة للمستوى الدلالي ، فإنّك إذا جئت إلى جانب الدراسات العجمية ،وتمعنّت في العديد من مفردات العربية وجدت أن الصوت اللغوي المفرد يسهم في إثراء المعجم العربي بشكل مباشر ، فإذا نظرت إلى الكلمات الآتية **(بُرٌّ، بِرٌّ ، بَرٌّ)** وجدت أن الوحدات الصوتية الثلاث الفتحة والكسرة والضّمة ، هي أصوات صائتة قصيرة ، قد تدخلت بما لا يمكن اعتبارها زوائد بل أصولا أصلية في بناء الوحدة المعجمية ،فالدراسة الصوتية لها صلة قوية بالدراسة المعجمية ، فلابدَّ للمعاجم من الاستعانة بالأصوات ، ولذا فإن مقدمات معظم المعاجم العربية تحتوي معلومات عن أصوات اللغة العربية[3] ،فمن الوظائف الأساسية للمعجم تسجيل طريقة النطق الصحيح للكلمات ، حتى يكون مرجعا موثوقا به ومعتمدا عليه في تصحيح المسار اللغوي منذ البداية ،ومعلوم أن كثيرا من النظم الألفبائية العادية لا تفي بهذا الهدف ، وتكاد تعجز عجزا تاما عن القيام بهذا الدور – دور ترجمة النطق الفعلي للكلمات ترجمة صحيحة – كما هو الحال في نظم الألفباء في بعض اللغات كالإنجليزية والفرنسية ، وإذا كانت دراسة أصوات اللغة المعينة ذات

---

[1] ـ سورة الإنسان ، الآية : 01.
[2] ـ علم الأصوات ، د/ كمال محمد بشر ، ص 612.
[3] ـ علم اللغة – مقدمة القارئ العربي – ، د/ محمود السعران ، ص 100 .

نفع لخدمة المعاني على مستوى المفردات ، كما في المعجم فإنها بالضرورة أكثر نفعا وأبعد قيمة، وأهمية في هذا الشأن على مستوى الجمل والعبارات ، ذلك أن المعجم بهذا الوصف وبحكم وظيفته ليس الوسيلة الأولى ، والأخيرة لتفسير المعاني وتوضيحها إنه بحكم موقعه في دراسة اللغة يُقنع عادة بتسجيل المعاني العامة ، مهملا في أكثر الأحيان تلك المعاني الفرعية والدلالات [1].

فالدراسة الصوتية جزء أصيل من دراسة المعنى ، فقد تكون **(الفونيمات)** المكونة لكلمة مطابقة للفونيمات المكونة الأخرى ، أي قد تتطابق كلمتان من حيث الوحدات الصوتية الصغرى المكونة لكل منهما ، ولكن نجد أن موضع الارتكاز في هذه الكلمة غير موضع الارتكاز في تلك ، أو أن إحداهما تنطق بارتكاز في موضع، والثانية بلا ارتكاز واضح ومعنى هذه غير معنى تلك ، ومن ذلك في الإنجليزية كلمتا (**record**) و(**re'cord**) : ففونيمات الأولى هي فونيمات الثانية ولكن بينهما خلافا في موضع الارتكاز ، فالارتكاز في إحداهما على المقطع الأول وفي الثانية على المقطع الثاني ، وإحدى الكلمتين اسم والثانية فعل ، ومعنى هذا الارتكاز قد يستعمل استعمالا وظيفيا للتفريق بين المعاني [2]، والكلام نمط سلوكي مترابط ، ولهذا فدراسة ، الصوت الإنساني يمكن على أساسها تحليل عناصر الكلام واتخاذ مناهج محددة للدراسة ، فمنهج الأصوات وآخر للتشكيل الصوتي ، وللصرف ، والنحو ، وهكذا [3].

2- في مجال التّطبيق الاجتماعي:

اللغة ظاهرة اجتماعية ووسيلة المجتمع للتعبير عن أغراضه وشؤونه ، فالمجتمع حريص على بقائها وإتقانها ، وحياة اللغة تقوم على حياة أصواتها وإجادة نطقها .

أ/مهمّة وسائل الإعلام :

يجب على المشتغلين بالصحافة وأجهزة الإعلام المسموعة والمرئية أن يكونوا على دراية واسعة بطريقة نطق الأصوات اللغوية ، فهم ذوو تأثير واسع على المستوى الثقافي والشعبي ، لأنهم ينقلون إلى الجماهير الغفيرة ما يهمهم من

[1] ـ علم الأصوات ، د/ كمال محمد بشر ، ص 626.
[2] ـ علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي- ،د/ محمود السعران ، ص 105
[3] ـ مناهج البحث في اللغة ، د/ تمام حسان ، ص 254.

شؤون لغتهم التي يتحدثون بها ، والجماهير تتلقف الأصوات منهم ثم تقلدها ، ولو أحسن هؤلاء النطق لأثر ذلك في جودة اللغة على لسان الشعب .

وهي مهمة كذلك المشتغلين بالغناء والتمثيل ،فلا ننسى الأثر الكبير الذي ينعكس على الشعب في تلقي الأصوات ،وطرائق النطق من أفواه هؤلاء ، ونحن نلاحظ تحريف بعض الأصوات العربية على لسانهم فالقاف – تنطق – على لسانهم – قريبة من الكاف والهاء قريبة من الزاي ، ويظن أبناء الشعب أن نطقها – بهذه الصورة – تحضير في أساليب العربية[1] .

وعن طريقة دراسة علم الأصوات يمكن التمثيل، والإيقاع على حسب الحزن أو الفرح أو غيرهما من مقتضيات الكلام[2] ،كما أخذ مهندسو الاتصال والفنيون في انتقال الصوت يهتمون بعلم الأصوات اللغوي ، فحينما يريد شخص أن يصنع آلة قادرة على نقل اللغة المتكلمة بطريقة أو بأخرى (سواء كانت الآلة ميكروفونا أو تليفونا أو فونوجرافا ...) فلابد أن يعرف الخصائص الأكوستيكية للعلل والسواكن ، لكي يجعل جهازه قادرا على الاحتفاظ بكل الذبذبات التشخيصية لهذه الأصوات ، فليس كل الترددات الحادثة تتمتع بدرجة محددة من الأهمية في تشخيص الصوت ، وعلى هذا يجب على مهندسي الصوت أن يعرفوا الترددات المطلوبة للتعرف على الفونيمات ، ويفصلوها عن الترددات غير المطلوبة [3].

و كثيرا ما ينشأ خلل صوتي عند استعمال هذه الأجهزة أساسه عدم اعتماد المهندس على أسس الأصوات أو عدم إجادته لها و هذا لا ينكر أن الأصواتيين و مهندسي الصوت و الاتصال يبذلون جهودا مشتركة لحل مشكلات اللغة المتكلمة،و الاهتمام بتحسين وسائل الاتصال،و طرق تسجيل الصوت و إعادة إنتاجه.

ب/ تعليم الصّم و علاج عيوب السَّمع و النُّطق:

هناك علاقة قوية بين الصوتيات و علاج عيوب النطق و السمع ،فعلى الأصواتي أن يوفر معطيات عن الأصوات اللغوية مخارجها،و العضلات و الأعضاء التي لها دور في نطقها و خصائصها الفيزيائية و مشعراتها الصوتية،

---

[1] ـ علم اللغة العام – الأصوات – د/ كمال بشر ، ص 321.

[2] ـ الصوتيات اللغوية – دراسة تطبيقية على الأصوات اللغة العربية ،د/ عبد الغفار حامد هلال ، ص27 .

[3] ـ دراسة الصوت اللغوي ، د/ أحمد عمر مختار ، ص 406 .

فيكون بهذا قد قدم نموذجا للأصوات اللغوية للعاديين يستضيء بها معالج عيوب النطق و السمع،كما أن النتائج النظرية التي يتوصل إليها الأصواتي تساعد في وضع طريقة للعلاج[1] .كما يستخدم علم الأصوات في تعليم الصم سواء كان الشخص المريض ثقيل السمع، أو كونه مولودا و هو أصم،أو كان قد أصيب بالصم في وقت متأخر[2].

بدأ الاهتمام بهذه الفئة من الناس عن طريق تعليّمهم طرائق خاصة بنطق الأصوات حتى يفهموها بتعبيرات المتكلمين، و تقريبهم على الإدراك بقراءة الشفتين أو قراءة الكلام،كما طور جهاز النطق الطبيعي على تمثيل المريض للنماذج التي يقدمها المدرس ،و من عندهم صمم جزئي قد يسمعون ترددات معينة دون غيرها فيمكن ملاحظة ذلك في تعليمهم[3]، ومن تلك التّجارب و الأبحاث التي أجريت لتحديد معايير السمع ،و تعيّن درجات للصمم و أنّواع استخدام الأذن السليمة ،و المريضة عند ترددات مختلفة في العملية الكلامية مما ساعد على تطوير الوسائل المعينة على السمع لتكون أصلح، و حتى يصل الإنسان إلى النطق السليم، فعلم تصحيح النطق **(phoniatrics)** يعطي اهتماما لكل عيوب النطق سواء كانت خصائص نطقية، أو أمراضا عن النّظام العصبي المركزي أو نقصا في السمع، و لكن تنّاول الظواهر الصوتية المرضية يفترض معرفة مسبقة بعلم الأصوات اللغوي[4].

- **ـ تـعليم اللغة القـومـية:**

الدراسات الصوتية من خير وسائل تعلم اللغة القومية تعلما سليما، و سبيل من سبل رقيَّها و المحافظة عليها فالمتعلمون – و**بخاصة**- في المراحل الأولى معرضون للخطأ في نطق اللغة، و الانحراف عن الطريقة الصحيحة لأدائها ذلك لأن هؤلاء المتعلمين يأتون من مناطق مختلفة، و ينتمون إلى بيئات اجتماعية غير متجانسة ، ولكل واحد من هؤلاء عاداته النطقية التي يؤدي بها لهجته المحلية ،

---

[1] ـالصوتيات العربية ،د/منصور بن محمد الغامدي ، ص 164.

[2] ـ دراسة الصوت اللغوي ، د/ أحمد عمر مختار ، ص407.

[3] ـ الصوتيات اللغوية – دراسة تطبيقية على الأصوات اللغة العربية_ ، د/ عبد الغفار حامد هلال ، ص 28 .

[4] ـ ينظر: دراسة الصوت اللغوي ، د/ أحمد عمر مختار ، ص348 – 349.

وهذه العادات لابدّ أن يظهر أثرها بصورة أو بأخرى في نطق اللغة القومية التّي تسمى في الاصطلاح اللغوي باللغة المشتركة (**common language)**

و نعني في هذا المجال العربية الفصيحة ،فإذا ما أرشد هؤلاء المتعلمون إلى أصوات هذه اللغة سهل عليهم إجادة نطقها، و حسن أدائها ،و استطاعوا بالتدرج أن يتخلَّصوا من العادات النطقية المحلية[1] ، كما أن كشف قوانين التّطور الصوتي يساعد على معرفة العلاقة بين الفصحى،و العاميَّات المتطورة عنها و بها تكشف الصلة بين اللهجات العربية المختلفة من نجدية ،و حجازية ،و يمنية و غيرها ،و بين اللغة العربية و أخواتها الساميات كالفينيقية ،والآرامية، والعراقية ،والجنوبية كما تتضح معالم الاختلاف بينهن و أسس هذا الاختلاف.[2]

كذلك دراسة أصوات اللغة و صور تطورها تعيّن أيمّـــا معونة في كشف الصّلة بين اللّغة العربيّة و اللغات الأخرى غير السّامية ، فقد قال بعض الباحثين ذوي القدرة و الرأي المحترم بأن اللغة العربية هي أم اللغات التّي في العالم، و استشهد لذلك بمئات من الألفاظ التي تعود جذورها إلى ألفاظ عربية، و قد توصل في ذلك البحث لمعرفة التّطورات الصوتية التّي يمكن أن تحدث لحروف الجذر العربي حتى تصير إلى ما صارت إليه في اللغات الهند الأوروبية القديمة ،و اللغات الأوروبية الحديثة [3].

فهذا يؤكد خبرة الباحث في مجال الدراسة الصوتية العربية ،و أن كثير من القوانين الصوتية عالمية و صالحة للتطبيق في جمهور اللغات المعروفة ،و للصوتيات تطبيقات عديدة في حياتنا، فهي تدخل في كل ما له علاقة بأصوات اللغة ،و نظرا للتّطور التقني الكبير الذي نشهده في هذا العصر و الحاجة لاستخدام اللغة المنطوقة في التواصل بين الناس من جهة ،و بين الإنسان و الآلة من جهة أخرى فإن الصوتيات التطبيقية تتوسع ، و نتوقع أن تشهد توسعا أكبر في السنوات القادمة، و يرافق هذا التّوسع تطور نقل الموجات الصوتية و تخزينها و التحكم في الآلات و الأجهزة.

---

[1] ـ علم الأصوات ،د/ كمال محمد بشر ، ص 587.

[2] ـ المختصر في أصوات اللغة العربية – دراسة نظرية تطبيقية_ ، د/ محمد حسن جبل ؛ ص 17 .

[3] ـ أشتـات مجتـمعات في اللغة والأدب ، د/عبّاس محمود العقاد ، دار المعارف،القاهرة ؛ط6، ص 14-16.

الفصل الثّاني

النّــظـرة التـأصيليّة للدراسات الصّـوتيـة العـربيـّة

المبحث الأوّل: البحث الصّوتي عنّد الخليل ابن أحمد الفراهيدي (100هـ/175هـ)

المبحث الثّاني: فضل سيبويه في الرّقي بالـــدّرس الصّوتي(140هـ/180هـ)

المبحث الثّالث : تراث ابن سينا وأصوات اللّغة في رسالته(370ه/428ه)

المبحث الرّابع: المباحث الصّوتية عنّد ابن سنان الخفاجي (423ه-466ه)

وجدت اللّغة العربية عنايّة واضحة في دراسة مستوياتها المختلفة، ابتداء بالأصوات ومرورا ببنية الكلمة (**الصّرف**)، والتركيب (**النّحو**)، وانتهاء بالدراسة الدلالية (**المعجم**)، ولقد حمل لواءها في البداية علماء العربية لأنهم في ذلك الوقت يتميزون بالجمع بين العلوم العربية بنظرة تكاملية، لذا ظهر الدرس الصوتي لدى العرب الأوائل - في أول الأمر- ضمن معجم العين، ثم بعده لدى سيبويه في الكتاب، وسر صناعة الإعراب لان جني وهكذا .

الحضارة العربية لم تغفل هذا الاهتمام المعرفي الذّي استقطب عقول أغلب علماء الحضارات الإنسانية بل عمل المفكرون من أسلافنا على تأسيس حقول معرفية تهتم باللسان وآلية التوصيل المادة الأساسيّة لهما، والمتمثلة في (الصوت) فأنتجوا مقولات أولية كانت الأساس الذي استند إليه علماؤنا بعد أن أقعدت العلوم ووزعت الوظائف على كل علم[1] ، ولعل العنّاية الرئيسية من تأسيس علوم العربية الأساسية هي الغاية الدينيّة المتمثلة في الحفاظ على اللسان العربي سليما صحيحا فصيحا خاليا من العيوب واللحون التي قد تطرأ عليه من خلال الاحتكاك بالأقوام الأخرى[2].

بمعنى الحفاظ على القرآن الكريم ولغته- خوف التحريف والتغيير- حتى لا تنبه معانيه على أهله ،حيث تطورت الدراسات العربية في القرن الثّاني الهجري تطورا واسعا عندما تنّاولت تلك الدراسات الموضوعات الصوتية بالوصف والتحليل، وذلك بدافع خدمة لغة القرآن الكريم، والشّعور بأن تعلم اللغة وإتقانها لا يتّم بدون دراسة أصواتها دراسة جيدة، لإتقان أدائها بصورة صحيحة وحمايتها من اللحن والتحريف وفي ظل الحفاظ على الأداء السليم للقرآن الكريم، نشأ الدرس اللغوي مع **أبي الأسود الدُّؤلي (ت 69هـ)** هو أول من وضع حركات الإعراب في قوله لكاتبه، من خلاصته: « اخُذ قَلَمًا وصْبُغا مُغايرًا للمَصْحفِ، وانْظُر إلي فَإذا رأيتَنِي فَتَحْتُ فَمِي بالحَرْف، ضَعْ نُقْطَة فَوْقه، وإن كَسَرْت شَفَتَيْ ضَعْ نُقْطَة تَحْته، فإن ضَمَمْتهما ضَع نُقْطَة بين يَديَّه فإذا أتْبَعت ذاك بِشَيء من غُنَّه، ضَعْ مَكَان النُقْطَة نُقْطَتَيْن[3]».

---

[1]- المدخل إلى علم فقه اللغة، د/أحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1؛ 1413هـ/1993م،ص 103-140.

[2]- علم اللغة _مقدمة للقارئ العربي_ ، د/ محمود السعران، ص09.

[3]- المدارس النّحوية، د/شوقي ضيف، مط دار المعارف ،مصر، ط1؛ 1968 م، ص16.

وما يؤكد هذا الكلام ما يروي عن **الزجاج (ت 316 هـ)** أنّ أبا الأسود الدؤلي* قال: «دخلت على علي بن أبي طالب فرأيته مطرقا متفكرا فقلت: فيم تفكر يا أمير المؤمنين؟ قال: إنِّي سمعتُ ببلدكم هذا لحنًا فأردت أن أضع كتابا في أصول العربية، فقلت: إن جعلت هذا أحْيَيْتنا، وبقيت فيّنا هذه اللغة ثم أتيته بعد ثلاث فألقى إلى صحيفة فيها: بسم الله الرحمن الرحيم الكلام كله اسم وفعل وحرف، فالاسم ما أنبأ عن المسمى، والفعل ما أنبأ عن الحركة المسمى، والحرف ما أنبأ عن معنى ليس باسم ولا فعل، ثم قال: تتبعه وزد فيه ما وقع لك واعلم يا أبا الأسود أن الأشياء ثلاثة: ظاهر، ومضمر، وشيء ليس بظاهر، ولا مضمر وإنّما تفاصل العلماء في معرفة ما ليس بظاهر ولا مضمر قال أبو الأسود: فجمعت فيه أشياء وعرضتها عليه، فكان في ذلك حروف النصب، فذكر منها إنّ وأنّ، ليت، لعل، وكأنّ ،ولم أذكر "لكن" فقال لي: لما تَرَكتَها ؟ فقلت لم أحسبها منها، فقال: هي منها فزدها فيها[1]».

وتوالت الجهود عبر القرون الأربعة الأولى فحمل الخليل ابن أحمد الفراهيدي (ت175ه) لواء الدرس الصوتي بما جاء به في معجمه (العين) ،واكتشاف العروض في مجال موسيقى الشعر ،وتبعه سيبويه ثم ابن جني (ت 392ه) ،وابن سينا (ت428ه)، والفرابي (ت339ه) ،وابن رشيد (ت595ه) والفراء، وغيرهم من العلماء الأفذاذ، فنهض هؤلاء بالدرس الصّوتي نهوضا لا نظير له يدفعهم في ذلك الوازع الديّني من أجل الحفاظ على سلامة قراءة كتاب الله عز وجل.وهذا ما نسعى لمعرفته في هذا الفصل

المبحث الأوّل:

البحث الصّوتي عنّد الخليل ابن أحمد الفراهيدي (100هـ/175هـ)

*** أبو الأسود الدؤلي يعد من الطبقة الأولى من مدرسة البصرة النحوية.. علوي الرأي، من رجل أهل البصرة هو أول من أسس العربية ونهج بابها ووضع قياسها، حين اضطرب كلام العرب وتوفي سنة 69 هـ، وهو ابن خمس وثمانين.**

[1]- الأشباه والنظائر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1؛ 1985م، 13/1.

خلدَّ تاريخنا المجيد على صفحاته إضاءات مشرقة لأناس حبوا الإنسانية عطاءًا علميا ومعرفيا، عظيما بات واحدا لِمَنْ أتى بعدهم، ومن بين هؤلاء العالم الكبير **الخليل بن أحمد الفراهيدي** ،"الخليل" يأتي: في طليعة أولئك الذين تَسَنَّمُوا ذُرْوَةَ التميُّز في العلم، والذين حفظ لهم التّاريخ تلك المكانة العظمى على مرَّ أدواره، واعترف بنبوغهم النَّادر وعطائهم الوافر، أخلص الخليل للغة العربية، وحَبَاهَا حُبَّهُ، ومنحها اهتمامه، وصَرَف لها جُلَّ عمره، شَارحًا لعلومها وموضّحا ومؤصّلا ومبتكرا، فكان له فضل السبق في إبراز كثير من معالمها العظيمة.

1- الخليل ومنّهجه في دراسة معجم العين:

أ/ نبذة مختصرة عن الخليل بن أحمد الفراهيدي:

هو أبو الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيديُّ الأزديُّ[1] ،من الفراهيد بن مالك بن فهم بن عبد الله بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث، وقيل: هو منسوب إلى فرهود بن شبابة بن مالك بن فهم، والفراهيد: صغار الغنم[2].

قال ابن أبي خيثمة:" أحمد أبو الخليل أول من سمي في الإسلام بأحمد، وأصله من الأزد من فراهيد"[3].،انحدر من قرية عمانية إلى البصرة، وولد سنة مئة هجرية[4]، وتوفي سنة (170هـ)[5] ،وقيل (175ه)[6]وهي الأرجح، وقيل سنة (160ه)[7].

قليل أولئك العلماء الذين تجمع كتب التاريخ على نبوغهم ،وعبقريتهم وعمليتهم ،وصلاحهم وتقواهم وزهدهم، **فالخليل بن أحمد الفراهيدي** أحد أولئك الذين سطر التّاريخ كل ما استطاع أن يسطره فيهم، بل الخليل فوق ذلك كله إذ كان محورا لصنَّيع الحياة العقلية العلمية العربية الإسلامية.

- ففي النّحو هو مفتت عيونه، وشارح علله ومستنبط أحكامه، ومصحح مقياسه.

---

[1]- معجم الأدباء إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب ، ياقوت الحموي، 1260/4.

[2]- إنباه الرواة، للقفطي (ت 646ه)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار الفكر العربي،القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1 ؛1406هـ/ 1982م، 376/1.

[3]- المصدر نفسه ،1 /377.

[4]- المصدر نفسه ، 1/ 381.

[5]- الفهرست، لابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفية، بيروت، لبنان، ط2؛ 1417ه/ 1997 م، ص65.

[6]- معجم الأدباء، ياقوت الحموي ، 3 /1260.

[7]- الكامل في التاريخ، ابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان، ط1؛ 1417هـ/ 1997م، 5/ 222.

- -وفي اللغة هو أول من ضبطها، و أول من حصرها في معجم اسمه (العين)، الذي هو أصل كتب اللغة ومنّه تفرعت، وهو الذي يحفظ نصف اللغة أو ثلثها.
- -وفي العروض هو مخترعه، ومبتكره، ومؤسس دعامته، لم يسبقه إلى علمه سابق من العلماء، كلّهم "الخليل" باختصار إمام أهل اللغة والعربية على الإطلاق.

وكان أزهد النّاس وأعلاهم نفسًا، وأشدهم تعففًا[1]، حيث قال **ابن قتيبة**: « كان الخليل ذكيا، لطيفا، فطنا، واتفق العلماء على جلالته وفضائله، وتقدُّمه في علوم العربية في النحو واللغة والتصريف والعروض وهو السابق إلى ذلك المرجوع فيه إليه، وهو شيخ سيبويه إمام أهل العربية.»[2]

ب/ منزلة العين و نبذة عنّه:

كان الخليل فكّر، وأطال التفكير في صنع كتاب في اللغة يحصر لغة العرب كلّها، لا تُفْلت منه كلمة ولا يشذّ منها لفظ، وهداه عقله النّاقد الفاحص إليه، وخطا في ذلك خطوات علمية محكمة، وأقام خطتّه على نظام رياضي دقيق.

- - بني الخطة على أساس من عدّة الأصول التي تتألف منها للكلمة، ولم يعبأ بالزوائد وقد

توفرت لديه أبواب منتظمة محبوكة حبكا رياضيا متقنا[3].

- - لقد انتهج الخليل بن أحمد في كتاب العين منهجا فريدا فابتدأه بحرف العين، وهذا ترتيب

مخارج الحروف، وليس على التّرتيب الألف بائي.

قال **ياقوت الحموي(ت 626ه)** : « بدأ فيه بسياقة مخارج الحروف، فلما فرغ من سرد مخارجها عدل إلى إحصاء أبنية الأشخاص وأمثلة أحداث الأسماء، فزعم أن مبلغ عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل على مراتبها الأربع من

---

[1]- الخليل بن أحمد عبقري العلماء، د/يوسف بن محمود فجال، مجلة كلية الآداب ، قسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، 03 جمادى الآخر 1427ه، ص02.

[2]- تهذيب الأسماء واللغات،النّووي(ت 676ه)، تعليق: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، ودار الكتب العلمية، بيروت، 178/1.

[3]- العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (175/100ه)، تحقيق: مهدي المخزومي، ود/إبراهيم السامرائي ؛ سلسلة المعاجم والفهارس (دتا) ،15/1.

الثنائي ،والثلاثي ،والرباعي، والخماسي من غير تكرير ينساق إلى اثني عشر ألف وثلاثمائة ألف وخمسة ألاف وأربعمائة واثني عشر، **الثّنائي** منها ينساق إلى سبعمائة وستة وخمسين **والثّلاثي** إلى تسعة عشر ألف وستمائة وستة وخمسين، و**الرباعي** إلى أربع مائة وواحد وتسعين ألفا وأربعمائة، **والخماسي** إلى أحد عشر ألف وسبعمائة وثلاثة وتسعين ألف وستمائة[1]».

والعين بهذا أول معجم في العربية ولعلّه معجم مُوعِب، وقد أنجز في زمن لم تكن أذهان الدّارسين ممهّدة لتقبّل مثله، مثل أي عمل يبتكر كان الخليل قد انفرد في انجازه، ولذلك بقي بعيدا عن متناول رواة اللغة السلفيين، ولم يخطر على بال أحدهم إذ ذاك أن يصنف كتابا يكون (مدار كلام العرب وألفاظهم، ولا يخرج منها عنه شيء)،كما جاء في مقدمة "العين" ولم يكن ليكون مما اتجهت أذهانهم إليه، وانصبت عنايتهم عليه[2].

وكان **ابن دُرَيدْ (ت321ه)** على حق إذّ قال: « وقد ألف أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي رضوان الله عليه كتاب العين، فأتعب من يصدى لغايته، وعنّى من سما إلى نهايته فالمنصف له بالغلب معترف، والمعان متكلف وكل من يعده له تبع، أقر بذلك أم جحد، ولكنه رحمه الله ألف كتابا مشاكلا لثقوب فهمه، وذكاء فطنته .»[3]، ويرجع الفضل في الدراسة الصوتية إلى الخليل بن أحمد الذي وضع الأسس الأولى لعلم الأصوات العربية، ويتجلى ذلك من مقدمة العين حيث يقول محققا للمعجم: «في هذه المقدمة بواكير معلومات صوتية لم يدركها العلم فيما خلا العربية من اللغات إلا بعد قرون عدّة من عصر الخليل[4]».

وبذلك احتل هذا المعجم مكانة سامية في اللغة العربية باعتباره أول معجم عربي، إن لم يكن أول معجم عملي، ينظر بطريقة علمية دقيقة اعترف بها في ميدان الدراسات اللغوية المعاصرة، اهتدى إليها الخليل بفكره الثاقب وموهبته النّادرة وعلمه الواسع، من كتاب العين انطلق عدد من المؤلفين في وضع كتب أخرى مثل **(البارع)** لأبي علي الغالي (ت365ه) ،و(**تهذيب اللغة**) لأبي منصور

---

[1]- معجم الأدباء، ياقوت الحموي، 1261/3.
[2]- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، 18/1.
[3]- جمهرة اللغة ، لابن دريد، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت،ط1 ؛ 1987م ، 17/1.
[4]- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، 10/1.

الأزهدي (ت370هـ)، و(**المحيط في اللغة**)للصاحب بن عباد (ت 385هـ)،و (**المحكم)** لابن سيده (ت458هـ).

ومن هنّا كان الخليل منعطفا مهما في تاريخ النطق باللغة العربية ،وصار بمثابة نهاية عصر وبداية عصر جديد في التعامل مع اللغة العربية عن طريق الضوابط التّي وضعها بنتاج فكره الصيَّن، فقد قام منهج تأليف **العين** على نظرية صوتية وضعها الخليل وهي الأخذ بالمخرج الصوتي لترتيب الحروف في المعجم ،ترتيبا يبدأ من الحروف التي تخرج من الحلق ،ثم تقدم شيئا فشيئا حتى انتهى بالحروف التي تخرج من الشفة، ثم بعد ذلك حروف العلة ثم الهمزة.

ثم يأخذ في كل باب يركب الحرف الذي يبدأ به الباب مع ما يأتي بعده من حروف متناولا كل حرف على حدة، وكان أول الكتب هو كتاب العين الذي اختير ليكون عنوان المعجم بكامله[1] فهو أول من وضع الصوت اللغوي موضوع تطبيق فنَّي في دراسته اللغوية ،التّي انتظمها كتابه الفريد (العين) بل هو أول من جعل الصوت اللغوي أساس اللغة المعجمي، فكان بذلك الرائد و المؤسس وخلاصة للقول أن كتاب العين ذو شقين: **الأول** المقدمة، **والثاني** الكتاب بمادته اللغوية ،وتصرفاته الإحصائية المبتكرة التّي اشتملت على المهمل والمستعمل في لغة العرب[2].

والذي يعنينا في مدرسة الخليل الصوتية مواكبة هذه المقدمة ،واستخراج منها كيفية ترتيب الحروف ومسلكيَّته في التّصنيف، والظواهر الصوتية التي تدل على أصَّالة علم الخليل.

2- أثر أو تــعدد المصطلحات الصّوتية في التّراث العربي عند الخليل:

إن المتتبع للمراحل التي سلكها الدرس الصوتي عند العرب في تطوره، عبر القرون الثّلاثة الأولى، يدرك أن تلك المصطلحات التي نهضت بجمل أفكاره كانت مواكبة لحركته ،فقد بدأت قليلة محدودة ومترددة أحيانا على يد نابغة العرب الخليل

[1]- المدارس الصوتية عند العرب- النشأة والتطور- ،د/علاء جبر محمد، ص 19-20.
[2]- الصوت اللغوي في القرآن، د/محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، موسوعات الدراسات القرآنية، بيروت، لبنان؛ 1420ه/2000م، ص02.

بن أحمد الفراهيدي رحمه الله ثم مع توالي الأيام ،وزيادة المهتمين بهذا الدرس، أخذت تلك المصطلحات في التنّوع والتعدد والاستقرار، ومن هنا، فإن المصطلحات الصوتية بهذا المعنى تعد صورة حية متناولة في التراث العربي.

ويظهر من حركة سير البحث الصوتي عند أئمة اللّسان العربي، أن الخليل بن أحمد الفراهيدي يُسنَد إليه ضبط الحقائق العلمية التّي اهتدى إليها في هذا المجال ،إلى مصطلحات استطاعت أن تنقلها كما ارتضى، وأن تبلغها إلى معاصريه ومن أعقبهم أصدق تبليغ، فاستفاد هؤلاء الدّارسون من تلك المصطلحات ،ومما شحنت به استفادة كبيرة أنارت لهم سبيل البحث الصوتي، فهدوا بذلك أرجاءه، وارتقوا بمسائله إلى مراتب خدمة الدرس اللغوي[1]، ومن هذه المصطلحات :

أ/ العلاقة بين مصطلح الصوت والحرف:

كان الخليل بن أحمد الفراهيدي وإن لم يستعمل مصطلح الصوت ،يفرق بين صوت الحرف واسمه ،وهذا يتضح من سؤاله لأصحابه حين قال لهم: « كيف تقولون إذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التّي في لك، والكاف التّي في مالك والباء التّي في ضرب؟ فقيل له: باء كاف، فقال: إنما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف.»[2]، وواضّح هنا أن الخليل كان يريد الصوت، ولم يستعمل مصطلح الصوت، والعبرة بالمعاني لا بالمباني، يؤكد هذا ما قاله محققا كتاب العين في المقدمة، من أن كلمة (حرف) تعني في مصطلح الخليل ما نعنيه باستعمالنا كلمة صوت في عصرنا الحاضر، ولنسمعه يقول: « فإذا سئلت عن كلمة، وأردت أن تعرف موضعها، فانظر إلى حروف الكلمة فمهما وجدت منها واحد في الكتاب المقدم فهو في ذلك الكتاب، وإن قوله (حروف الكلمة) يعني أصواتها، وهو يشير إلى أنه ضمن مقدمته التي دعاها (الكتاب المقدم) هذه المواد الصوتية اللغوية.»[3]

[1]- مصطلحات الخليل الصّوتية ومنّهجه في دراسات معاصرين، د/ المهدي بوربة، مجلة الأثر، قسم الأدب واللغات، ،جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، ع05، مارس 2006م، ص23.
[2]- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، 48/1.
[3]- اللغة بين المعيارية والوصفية، د/تمام حسان، دار الثقافة، المغرب، ص 168.

وبهذا نقول: إن الخليل استعمل مصطلح الحرف، وأراد به الصوت، وهو مبدأ يطلق عليه اصطلاحا لفظ الاتفاق والتناسب[1] ،فهو من الأوائل الذين أدركوا وربطوا اللغة بالصوت، باعتبار الصوت امتدادا للبنيّة التركيبيّة ،وأصلا للأفكار المنّظورة في اللغة[2]، فقضية التّماثل الحاصل بين الألفاظ والمعاني على أساس بين أجراس الحروف، وأصوات الأفعال التي تعبّر الأجراس عنها[3]، تعدو قضية دلالية في ارتباط الدوال بالمدلولات، وهو الشيء الذي توصل إليه بعد قرون عدة فرديناد دي سويسر.

وفي هذا المقام ربط الخليل الخط بالصوت، أو قد حاول ذلك، إذ من خصوصيات الكتّابة العربية تنفصل فيها عنّاصر اللفظ ،وأصوله، وهيأته (**الحروف والأوزان**) عن علامات المعنى ومحدداته (**الحركات**) ،وهو بهذه العملية الإجرائية قام بـ الوصل بين (**المبنى**) و (**المعنى**)؛ لأنه أدرك لولا الدلالة الذاتية للفظ في مستواه الصوتي على معناه، لكان الترجيح معنى لفظ بإزاء معاني أخرى ترجيحا بلا مرجح وهو محال[4].

فموضع (**الحركات**) على (**الحروف**) معناه إعطاؤها قالبا منطقيا، ولكن الاستفادة من صيغة هذا القالب تتم بـ (**النطق**) ،وهذا يدخل في باب العلوم المشاهدة، لأن الخليل يرى أن المستوى الصوتي الذي هو الأصل والأساس ،والسند ،والقاعدة الذي يتّم فوقه إرساء البناء اللغوي، لا مجال للاعتباطية فيه، بل تغلب عليه الوظيفة، وجد أن الصوت هو أصل الحرف، والحرف أصل اللفظ ،واللفظ أصل الكلام، والكلام مادة اللغة، وبما أن هناك مستوى من المسموع يدرك سماعا ،ولا يكتب ابتكارا له رموز دالة عليه ليعرف أجواء اللفظ ومقاماته المختلفة إذن البناء المعرفي الخليلي للصوت العربي كالآتي[5]:

---

[1]- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)،الإمام فخر الدين الرازي ، المطبعة المصرية، القاهرة،ط1؛ 1938م، 1/ 22.

[2]- الصوت اللغوي في القرآن، د /محمد حسين على الصغير، ص08.

[3]- الخصائص، ، أبو الفتح ابن جني، تحقيق : محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط2، القاهرة؛ 1952م،65/1.

[4]- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم بن أبي بكر، وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية (د.ت)، 16/1.

[5]- ينظر: الصوت بين المعيارية والموضوعية عند الخليل الفراهيدي، د/جعفر يايوش، المجلة الجزائرية في الأنثروبــولوجيا والعلوم الاجتماعية "إنسانيات"، ع 21 ؛ 2003 م، ص64.

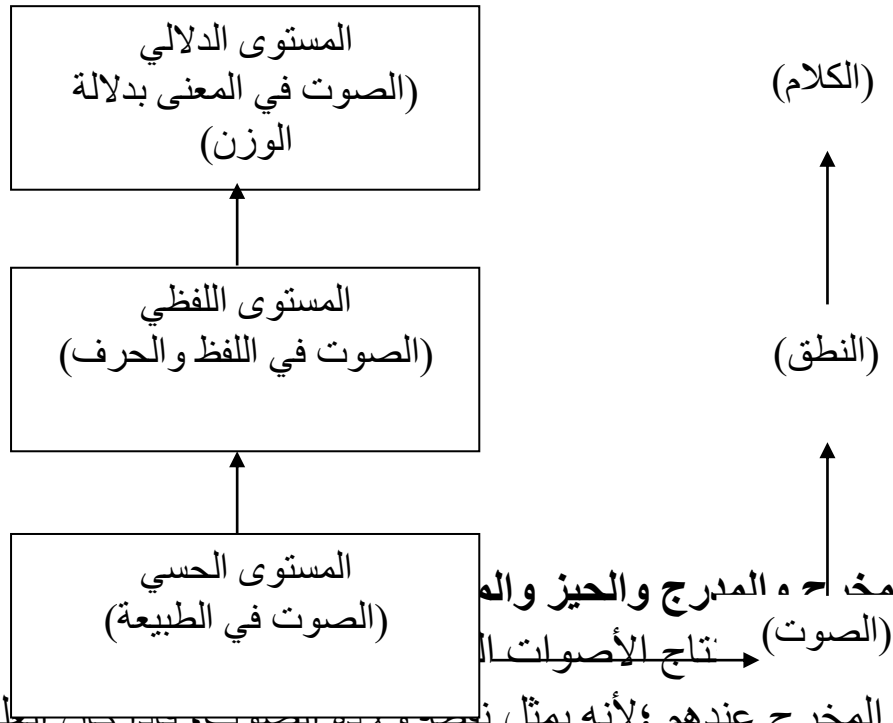

ب/ الفرق بين المخرج والمدرج والحيز والهـ
عند الـ تاج الأصوات الـ
الوقوف على حد المخرج عندهم ؛لأنه يمثل نقطة بداية الصوت، إذا كان العلماء العرب قد حددوا المخرج من حيث أنه المنطقة التي يولد فيها الصوت اللغوي، فإن أصحاب المعجمات يعدُّون من أوائل العلماء العرب الذين حددوا بدقة مخرج الصوت متمثلين بالخليل بن أحمد الفراهيدي ،إذ أنه أطلق على المنطقة التي يولد منّها الصوت اللغوي اسم (المخرج) ،إضافة إلى المسميات الأخرى (الحيز، الموضع، المدرج)[1].
وسنحاول الوقوف على سبب هذا النّوع بالتسميات:

- **ـ المخرج :**

يعدُّ الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من استخدّم لفظ حيز، ومدرج ،ومخرج حيث قال: « في العربية تسعة وعشرون حرفا ،منّها خمسة وعشرون حرفا صحيحا لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف وهي الواو والياء والألف اللينة، والهمزة، وسميت جوفا، لأنها تخرج من الجوف، فلا تقع في مدرجة من مدارج اللسان، ولا من مدارج الحلق، ولا من مدرج اللهاة إنما هي هاوية في الهواء، فلم

[1]ـ المدارس الصوتية عند العرب ـ النشأة والتطور ـ د/علاء جبر محمد، ص21.

يكن لها حيز تنسب إليه إلا الجوف»[1]، واستخدم كلمة المخرج والمدرج، وهو يقصد بهما موضع حدوث الصَّوت، بقوله: «اعلم أنّ الحروف الذلقية والشّفوية ستّة هي: الرّاء، واللاّم، والنّون، تخرج من ذلق اللسان والشّفتين وهما (مدرجتا) هذه الأحرف الستة.»[2]، **(فالمخرج)** هو الموضع الذي يتحقّق ويحدث فيه الصوت الواحد في حال انفراده ،ويتعرض لمجرى الهواء في الجهاز النطقي عند النطق بالصوت اللغوي[3].

- **ـ المبدأ:**

نفهم من تسمية المبدأ بهذا المصطلح، أنه يعني بداية تَكَوُّن الشيء ،وهي المرحلة السابقة لاكتماله وحدوثه، أي أنّه سابق لغيره، فهو الموضع الذي يبدأ الصّوت فيه بالتّجمع، بتأكيد الخليل بأن العين والحاء والهاء والغين حلقية؛ لأن مبدأها من الحلق، وإن كان المبدأ هو بداية تجمع الصّوت وتشكله، قبل أن يتخذ مخرجا محدّدّا وتلون بصفة معينة، فإن المخرج هو انطلاق الصّوت من موضع تجمع نفسه ليصبح مدركا سمعيا عند المستقبل له[4].

- **ـ المدرّج :**

لما كانت الأصوات متقاربة من بعضها، ومتعاقبة في حدوثها، يبتدئ الثاني عند النقطة التي يتوقف عندها الأول ،وينطلق منها في مجموعة تقترب من بعضها مكونة سلسلة من الحلقات، أقصاها خمس عند الخليل، ثم يتحدد موضع حدوثها تحديدا عضويا فيزيولوجيا، ويسمى هذا الموضع مدرجا، لنشأة الأصوات فيه وتدرجها منه[5]، يعنّي المدرج الموضع الذي يبدأ منّه الصوت في منطقة اعتراض الهواء، لذلك نرى الخليل يبيَّن أن مدرج الباء من بين الشفتين ،ومدرج التاء من

---

[1]ـ تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق وتقديم: عبد السلام هارون، مصر؛ 1964م، 48/1.

[2]ـ العين، الخليل ابن أحمد الفراهدي ، 54/1.

[3]ـ المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، د/ مكي درار،د/سعاد بسناسي ، ص41.

[4]ـ المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية، د/ مكي درار،د/سعاد بسناسي ، ص40.

[5]ـ المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، د/ درار مكي، ص39.

بين أطراف اللسان وأطراف الثنايا، وعلى ذلك فلكل صوت لغوي مدرجه الخاص به[1]، وهناك مصطلح رابع يزاحم هذه المصطلحات، وهو الحيّز.

- **ـ الحيّز:**

هو الموضع الذي تتجمع فيه عائلة صوتية واحدة، فتنتسب إليه، وذلك مثل الحروف الحلقية، كلّها تنسب إلى الحلق مع تفاوت بينهما ،وبين حروف أقصى الحلق، ووسطه، وأدناه، فهذه مدارج، أي أقصى الحلق ووسطه وأدناه، لأنّها في شكل حلقات متسلسلة متتابعة، والحلق كله بتقسيماته الثلاثة يسمى حيزا[2]، ويبدو أن الخليل بن أحمد الفراهيدي يقصد من مصطلح (حيز) المساحة التّي يشغلها عدد من الحروف بدليل قوله: « الطاء والدال والتاء في حيز واحد.»[3].

ونجد فكرة هذه المصطلحات كانت واضحة عند الأزهري، الذّي حاول أن يميز بين مصطلحي **(المخرج والحيز)** واضعا عناوين في مقدمة معجمه حيث قام بتضمين حديثه عن مخارج الأصوات في الباب الأول ،وذلك لالتقاء مصطلح المخرج مع حديثه مكان إصدار الحرف، وهو ما يطابق مفهوم المخرج المتعارف ،على حين تحدث عن المجموعات الصوتية ذات الموضع الواحد في الجهاز النطقي عندما تحدث عن الأحياز التي قسمها[4].

إن أول ما يمكن أن نستنتجه من كيفيات عرض المصطلح عند الخليل هو التركيز على المضمون، وآية ذلك كثرة تصدير التركيب له، ثم يُورد بعده المصطلح، ثم الوصف لتحديده تحديدا دقيقا يزيل عنه شبح الغموض ،والالتباس لتُيَّسر للملتقي استيعابه استيعابا صحيحا، كما نخلص إلى أن استفادة معاصري الخليل من ثروته الاصطلاحية حقيقة واقعية تؤكدها اقتباساتهم الكثيرة، إذ لا يعقل أن يكون كل هذا التشابه في المصطلح، والمنهج من قبيل التصادف ،وكذا تسجيل **موقف عبد الرحمن الحاج صالح** الذّي عمل على إحياء الكثّير من المصطلحات

[1]ـ المدارس الصوتية عند العرب-النشأة والتطور- ، د /علاء جبر محمد، ص21.
[2]ـ المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية – دراسة تحليلية تطبيقية-، د/ درار مكي، د/سعاد بسناسي، ص 41.
[3]ـ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، 1/ 52.
[4]ـ المدارس الصوتية عند العرب-النشأة والتطور- ، د /علاء جبر محمد، ص22.

الصّوتية التراثية في بحوثه الصوتية سواء ما كان منها على صفحات مجلة اللسانيات، أو ما كان منّها في بحوث مستقلة[1]. و من المحدثين من علماء الأصوات الذين وجدنا في تعريفاتهم تعريفات مطابقة لتعريفات علمائنا الأول- **برجشتراسر**- بقوله: « المخرج أو الحيّز هو الموضع من الفم ،ونواحيه الذّي يَخرج أو يُخْرَج منّه الحرف.»[2] ،ويقول **ماريوياي**: « إن التميّز بيّن أصوات اللغة سواء منّها الأنفي ،أو الفموي يعتمد على استمرار الصوت، ودرجة اسماعه، وقوة إنتاجه، وفوق كل هذا على المخرج وكلمة المخرج تشير إلى النقطة المحدودة في الجهاز النطقي التي يتّم عندها تعديل وضعه.»[3].

وبهذا يكون الخليل بن أحمد هو السباق سواء أكان في تسميته موضع النطق بـ(المخرج) أم في تذوقه للحروف فمن هذه التسميات أدرك العلماء العرب أنه لنشوء الصوت يجب الاستناد والّنظر للجهاز الصوتي الذي يشكل دائرة إنتاج الصوت اللغوي ، ومما يجدر التنبيه عليه معنا، أن إفراد الفكرة الصوتية الواحدة بأكثر من مصطلح لا يعني أن أحد هذه المصطلحات متطور عن الآخر، أو أدق منه، بل لقد سيقت جميعها لأداء المعنى عيْنُه، وقد يشتهر منها مصطلح واحد لكثرة استعماله، نحو تغليب الخليل الحرف على الصورة والصحيح على الساكن، كما أن التّعدد في المصطلحات للظاهرة الصوتية الواحدة لا يعني غياب فكرة المصطلح، أو عدم نضجها لدى أئمة اللسان العربي في القرون الثّلاثة الأولى بل إن العكس هو الصحيح، فقد كانوا حكماء في انتقاء مصطلحاتهم، إذ اختاروا من متن العربية أقصر الألفاظ بنية ،وأكثرها استفاقا لمعانيهم المراد التّعبير عنها.

3- ترتيب مخارج الأصوات العربية:

جاء الخليل بن أحمد الفراهيدي ليشكّل مجهوده نقطة تحول في الدرس الصوتي العربي، حيث تجلت براعته أكثر من ذلك الإبداع العلمي القدير ،ممثلا في الأبجدية الصّوتية التي جاء بها وفق ترتيب مخارج الأصوات بدءا من الأعمق في جهاز التصويت وصولا إلى مخرج الشّفتين، لقد دلّت دراسة المخارج على ما وصل إليه النظر المنهجي الصّوتي السليم من وضوح لدى الخليل، عمل كبير

[1]- ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني، 45/1، و ينظر: جمهرة اللغة ،لابن دريد، 1 /18.
[2]- التطور النحوي للغة العربية ،محاضرات المستشرق الألماني:برجشتراسر، أخرجه د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1؛ 1994م، ص11.
[3]- أسس علم اللغة، ماريوياي، ترجمة : د/ أحمد مختار عمر، جامعة طرابلس؛ 1973م ، ص78.

يشيّر إلى رسوخ القدم في مجال المعرفة الصوتية، وقد قال عّنها أحد المستشرقين: «ونظرية مخارج الحروف عند النّحاة العرب نظرية أحكموا ضبطها بعناية. »[1]، وإذا كان الفكر العربي قد حقق سبقا في علم الأصوات بهذه الدراسة التّي جاءت عند الخليل، فقد كان ذلك السبق مدعاة للتساؤل عن سبب وجود هذا البناء النظري المتكامل!

حيث يبدأ الخليل المقدمة بالصوت اللغوي عند السطر الأول بقوله: « هذا ما ألفه الخليل بن أحمد البصري من حروف: (أ- ب-ت-ث) وأضاف أنّه لم يمكنه أن يبتدئ التأليف من أول: أ- ب-ت-ث وهو الألف، لأن الألف حرف معتل، فلما فاته الحرف الأول كره أن يبتدئ بالثاني – وهو الباء- إلا بعد حجة واستقصاء النظر، فدبّر ونظر إلى الحروف كلها، وذاتها فوجد مخرج الكلام كله من الحلق، فصير أولها بالابتداء أدخل حرف في الحلق.»[2] ،

فلقد خالف الخليل الترتيبين الأبجدي ،والألفبائي في دراسته للأصوات اللغوية، فالأول اقتبسته العرب عن الفينيقيين، وهو ترتيب (أبجد ،هوز ،حطي ،كلمن ،سعفص، فرشت ،ثخذ ضظغ)[3]، فكان ترتيبه للحروف العربية وفق المخارج، فنبدأ بأصوات الحلق، ثم باقي الحروف منتهيا بالحروف الشّفوية، وختم ترتيبه بأصوات العلة والهمزة، فلم يبدأ بالهمزة أو الألف لما لاحظه من تغيّر صوتي يطرأ عليها، فبدأ معجمه بحرف العين باعتباره الصوت الحلقي الأول الذّي لا يتغير في الأبنية الصرفية، و لا لأنها أوّل الحروف مخرجا ،ولكنها أول الحروف نصاعة وثبات ،وإنما كان ذوقه إياها أنّه كان يفتح فاهه بالألف، ثم يظهر الحرف نحو (أب-أت-أخ-أغ-أع)، فوجد العين وأدخل الحروف في الحلق، فجعلها أول الكتاب ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع حتى على آخرها وهو الميم[4].

ومعنى هذا أن الخليل قد أحاط بالترتيب (الألفبائي) من عهد مبكر، ولم ينشأ أن يبتدئ به مع اهتدائه إليه، لأن أول حرف في هذا النّظام حرف معتلّ، ولا معنى

---

[1]- دروس في علم أصوات العربية، لجان كانتينو، نقله إلى العربية:د/ صالح القرمادي، مكتبة الدراسات، تونس، ص31.

[2]- الصوت اللغوي في القرآن، د/ محمد حسين على الصغير، ص40

[3]- ينظر: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 ؛ 1997م، ص 14-15.

[4]- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، 47/1.

أن يبتدئ بما يليه وهو الباء لأنه ترجيح بلا مرجح وتقديم دون أساس، فذاق الحروف تجريبيا فرأى أولاها بالابتداء حروف الحلق، وذاقها مرة أخرى فرأى (العين) أدخل حرف منها في الحلق، بل في أقصى الحلق[1].

وقال أيضا فيما ذكره **السيوطي** عن ابن كيسان(ت 299ه): « سمعت من يذكر عن الخليل أنه قال: لم أبدأ بالهمزة لأنّها يلحقها النقص والتغيير والحذف، ولا بالألف، لأنها لا تكون في ابتداء كلمة، ولا في الاسم، ولا فعل إلا زائدة، أو مبدلة، ولا بالهاء لأنّها مهموسة خفيفة لا صوت لها، فنزلت إلى الحيز الثاني، وفيه العين والحاء فوجدت العين أنصع حرفين، فابتدأت به ليكون أحسن من التأليف.»[2]، وهذا دليل واضح وقوي لاعتذار الخليل من البدء بالهمزة.

ومعنى هذا أنّه سار مع الحروف مسيرة مخبرية استقرائية، ابتداء من أقصى الحلق، فالحلق مرورا بفضائه فالأسنان وانتهاء بالشفة فالميم عندها، لأن الميم أرفع حروف الشفة[3]، وسميت هذه الطريقة بذوق الحروف[4]، وبهذا يتفق الدارسون أن هذه الطريقة منفردة في تحديد الأصوات والوقوف على مخارجها، ومن أحسن ما عرض له الخليل في دراسة الأصوات ما نجد من وصف للجهاز الصوتي، وهو الحلق والفم إلى الشفتين، وتقسيمه إياه إلى مناطق ومدارج يختص كل منها بصوت أو مجموعة أصوات، وما أشار إليه من ذوق لبيان حقيقة المخرج، وما ذكره يرتبط أساسا بعملية إنتاج الأصوات، وهذا يدل على ذوق حسيا فريدا وصبرا وقدرة على الاستنتاج حتى توصل إلى ما توصل إليه إبداعا وابتكارا دون الاستعانة بأي جهاز علمي، إذ لا جهاز آنذاك، وهو مالم يثبت العلم التشريحي الحديث بكل أجهزته الدقيقة ومختبراته الضخمة خلافا له، فيما يبدو يسيراً [5].

رتب الخليل معجمه على أساس ذوقه الصوتي حيث قلب أصوات العربية، ووضعها ضمن مخارج صوتية معينة بحسب مدارج إلى **عشرة** أصناف:

---

[1]- الصوت اللغوي في القرآن، د/ محمد حسين على الصغير، ص40.

[2]- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، 90/1 .

[3]- الصوت اللغوي في القرآن، د/ محمد حسين على الصغير، ص41.

[4]- التفكير الصوتي عند العرب بين الأصالة والتحديث، د/صلاح الدين قناوي، دار الفكر، دمشق؛ 2008 م، ص09.

[5]- في البحث الصوت عند العرب، د/ خليل إبراهيم العطية، دار الجاحظ للنشر، بغداد؛ 1983م، ص11.

- **ـ الأصوات الحلقية:** يقول الخليل: « فالعين ،والحاء ،الهاء ،والخاء ،والغين حلقية لأن
مبدأه من الحلق.»
- **ـ الأصوات اللهوية:** القاف ،والكاف لهويتان لأن مبدأها من اللهاة.
- **ـ الأصوات الشجرية :** الجيم والشين ،والضاد شجرية، لأن مبدأها من شجر الفم أي
مخرج الفم .
- **ـ الأصوات الأسلية :** الصاد ،والسين ،والزاي أسلية، لأن مبدأها من أسلة اللسان،
وهو مستدق طرف اللسان.
- **ـ الأصوات النطعية :** الطاء ،والتاء، والدال نطعية، لأن مبدأها من نطع الغار الأعلى.
- **ـ الأصوات الذلقية:** يقول الخليل: « والراء ،واللام، والنون ذلقية ، لأن مبدأها
من ذلق اللسان»، وهو تحديد طرفية كذلق السنان.
- **ـ الأصوات اللثوية:** والظاء ،والذال ،والثاء لثوية، لأن مبدأها من اللثة.
- **ـ الأصوات الشفوية:** والفاء والباء والميم شفوية، وقال مرة شفهية لأن مبدأها من الشفة.
- ـ وثمت مجموعة من الأصوات الهوائية، يقول الخليل: « والياء ،والواو، والألف، لأنّها هاوية في الهواء»[1].
- ـ همزة[2].

إن هذه التسميات التشخيصية قد نهضت بكيان كل صوت ،وعادت به إلى نقطة انطلاقه واهتداء الخليل إليها بذهنه المتوهج فطنة وذكاء، دون مثال يحتذيه عند من سبقه من علماء العربية كنصر بن عاصم الليثي ،وأبي عمرو بن العلاء لدليل ناصع على موسوعية فذة، وعبقرية لا تقاس بالأشباه كيف لا وبداية إفاضاته الصّوتية مبكرة ومبتكرة[3]، فيضع وبدقة متناهية مخططا شاملا للمخرج كل

[1]ـ علم الأصوات، د/ حسام البهنساوي، ص 45-46.
[2]ـ العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، 58/1.
[3]ـ الصوت اللغوي في القرآن، د/ محمد حسين على الصغير، ص43.

صورة، فإن ترتيب مخارج الأصوات على هذه الطريقة جعل الهمزة مع الأصوات الهوائية وكذلك جعل الهاء مع الأصوات الحلقية في حين يوضعان عنّد المحدثين مع الأصوات الحنجرية ؛لأن مكان النّطق بهما هو الحنجرة[1]، ومن الممكن القول إن الخليل كان يذهب إلى أن الحنجرة واقعة ضمن منطقة الحلق ،وإن الهمزة بالذات تخرج من أقصى الحلق ويؤكد ذلك قوله : «أما الهمزة فمخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة ،فإذا رفـــة عنها لانت فصارت الياء، والواو، والألف عن غير طريقة الحروف الصحاح »[2].

أما فيما يخص **(الواو والياء)** فهما من حروف العلّة عند الخليل ،ماعدا الفاء صوتا شفويا والأمر ذاته بالنسبة **(الذال والتاء والطاء)**، فهي عنده تخرج من حيز واحد ،وكذا **(الشين والجيم والظاء)** ، وفي حديثه عن القاف وصفه بأنّه صوت لهوي ،والأمر كذلك لمواضع **(الغين والخاء والكاف)**[3] ،فوصفه لهذه المخارج اختلف فيها المحدثون لكن هذا لا يقلل من هيمنة منهج الخليل على منهجهم ؛لأنه لم يخرج عنهم إلا في بعض الأمور القليلة، أما وصفه لمخارج الأصوات الأخرى فكان دقيقا، فقد تابعه في ذلك **أبو علي القالي (ت 356هـ)** في معجمه (البارع)، فقد جاء مختلفا من حيث تقدير مخرج الصوت فأدى ذلك إلى التقديم والتأخير حيث وضع الأحرف الذلقية (ل، ن، ر) قبل الأحرف اللثوية (ط، ذ، ث) مع تقديم الراء المكررة على اللام، ووضع الحروف النّطعية قبل الأحرف الأسلية مع تقديم الزاي على السين ،من حيث المخرج الصوتي فضلا على أنه وضع العين وهو الصوت الحلقي في ترتيب الثالث من حيث المخرج، وقدم الضاد على الجيم والشين[4].

وهذه الاختلافات ترجع إلى تذوق الأصوات، والنظر إلى خصائصها ،ومميزاتها فكل عالم يتذوق الأصوات بحسب حسَّه الموسيقي، وإدراكه لموسيقى الأصوات التّي تؤدي إلى تقديم الأصوات بعضها على بعض، **فالأزهري (ت370ه)** الذي تابع الخليل ،والقالي في اعتماده النظام المخرجي في ترتيب

---

[1]- الأصوات اللغوية ، د/ إبراهيم أنيس، ص 89،

[2]- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، 52/1.

[3]- ينظر: المدارس الصوتية عند العرب- النشأة والتطور- د/ علاء جبر محمد، ص 29-30.

[4]- معجم البارع في اللغة، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، تحقيق: د/هاشم الطعان، مكتبة النهضة، بغداد، ودار الحضارة العربية، بيروت؛ 1975م ، ص 11.

الأصوات فبدأ بالأصوات من أقصاها مخرجا ،وهي أصوات أقصى الحلق إلى آخر الأصوات وهي على النّحو الآتي: (ع-ح-هـ - خ-غ/ق- ك/ج-ش-ض- ص- س- ز/ط- د- ت/ ظ- ذ- ث/ر- ل-ن/ ف- ب- م/و- ا- ي) ،وأطلق على هذه الأصوات الألقاب عينها التي أطلقها الخليل فشملت الأصوات الحلقية ،وتضم (ع، ح، هـ خ، غ) ،والأصوات اللهوية (ق، ك) وهكذا بقية الألقاب التي تخص الأصوات الأخرى من نحو الأصوات الشجرية، والأسلية ،والنطعية... وهي ألقاب الخليل عينها[1].

وكذلك **الصاحب بن عباد** (ت 385هـ) الذّي تأثر بالخليل تأثرا كبيرا ،وبيَّن منهجه الذي سار فيه على منهج الخليل، فقال: « اعلم أن الخليل لما قام بجمع كلام العرب جال فكره فيما يبنى عليه كتابه، ويدير عليه أبوابه فنظر في الحروف كلها، وذاقها ،ووجود مخرج الكلام كله من الحلق...، أوله العين فجعلها أول الكتاب، ثم ما قرب منها الأرفع فالأرفع، وهذه صورة الحروف على الولاء، وذكر نسبتها إلى مخارجها وهي تسعة وعشرون حرفا»[2] ،ومهما يكن من أمر فإن الترتيب الصوتي لأبجدية الصاحب بن عباد هي عينها أبجدية الخليل وترتيبه المخرجي لأصوات اللغة، ولم يكتف ابن عباد باتباع ترتيب الخليل فقط بل سعى جاهدا إلى الاستناد على تعليلات الخليل ،وحججه في ترتيب الأصوات وقد صرح بذلك بنفسه حيث قال: « إن الهمزة والهاء وإن كان لهما التقدم في المخرج على أخواتهما من الحروف الحلقية ،فإن الخليل إنما عدل عن الابتداء بهما لأن الهمزة مهتوتة مضغوطة فإذا رفه عنّها لانت »[3].

أما **ابن سيده (ت 458هـ)** لم يختلف في نهجه عن علماء هذه المدرسة، فقد رتب الأصوات وفق ترتيب المدرسة ولم يشيّد عنها[4]، فكان بذلك خاتمة العلماء الذين ساروا على خطى هذه المدرسة التّي بدأها الخليل في اعتماد النّظام المخرجي بوصفه أساسا لترتيب المعجم العربي، فضلا عن نظام التقليب ،وبذلك

---

[1]- المدارس الصوتية – النشأة والتطور-، د/علاء جبر محمد، ص32.

[2]- المحيط في اللغة ، إسماعيل بن عباد الصاحب أبو القاسم، تحقيق : محمد حسن آل ياسين،عالم الكتب ،ط1؛ 1414 ه/1994م ،1/ 60.

[3]- المحيط في اللغة ، الصاحب بن عباد ، 64/1.

[4]- المخصص، علي بن إسماعيل أبو الحسن ابن سيده تحقيق : مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي،دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ط1؛1996م،22/1.

كون هؤلاء العلماء مدرسة صوتية أشرنا أن نطلق عليّها **مدرسة المعجمين الصوتية،** فكانت المدرسة الرائدة في دراسة هذا العلم لأن الخليل الذي هو رأس المدرسة كان الأسبق في دراسة هذا العلم.

ولم يكن حظ هذه المدرسة سهلا يسرا بل على العكس، ولذلك صعب على الكثير من العلماء السير على خطاها، حتى **ابن دريد (ت 321هـ)** عندما اعتمد نظام الأبنية ،والتقاليب وهما جوهر مدرسة العين، أعرض عن ترتيب المدرسة المخرجي، ورتب أصوات العربية ترتيبا ألفبائيا؛ لأنه أدرك أن هذه الطريقة صعبة فأعرض عنها لصعوبتها[1].

وهكذا فتعتبر المعاجم العربية، من مصادر التّراث الصوتي، لأنها زخت بفيض هائل من الفكر الصوتي عند العرب ،لما حملته من الأفكار ،والتعليلات ،والابتكارات التي ظلت نبراسا، وهديا لعلماء اللغة ،والنحو ،والصرف ،والعلوم الإنسانية بصفة عامة.

4- صفات الحروف العربية:

يعدُّ الخليل بن أحمد الفراهيدي أوّل من تذوق الحروف وفق مخارجها ،وأوّل من عرف أنها تختلف في صفاتها، وخصائصها، فهي ليست من طبيعة واحدة، ولاحظ أن هذه الحروف لها صفات تميزّها عن غيرها، وربما وصفت مجموعة من الحروف بصفة معينة، وعلى هذا فقد استعمل الخليل طائفة من المصطلحات وصف بها هذه الحروف منها:

- **ـ الصحاح والهوائية:**

قال الخليل بن أحمد: « حروف العربية تسعة وعشرون حرفا منها خمسة وعشرون حرفا صحاّح، لها أحياز ومدارج، وأربعة أحرف جوف: الواو، والياء ،والألف اللينة ،والهمزة، وسميت جوفا لأنها تخرج من الجوف، فلا تخرج في مدرجة من مدارج الحلق، ولا مدارج اللهاة، ولا مدارج اللسان، وهي في الهواء،

[1]- الجمهرة، ابن دريد ، 18/1.

فليس لها حيز تنسب إليه إلا الجوف»[1] ،وكان يقول كثيرا: « الألف اللينة والواو والياء هوائية (أي أنها في الهواء) »[2].

فمعنى ذلك أن هذه الأصوات تخرج مع الهواء دون عائق – كما قال المحدثون- وقد رتب الحروف الهجائية على مخارجها، ووضع الألف والواو ،والياء في آخرها ممّا يدلّ على أن لها وضعا خاصا يختلف عن سابقيها[3] ،كما وصف الخليل بعض هذه الحروف ب (الجوفية) لأنّها تخرج من الجوف ،وأن تيار الهواء الخارج من الرئتين هو سبب حدوث الصوت، لذا وصفها بأنها هاوية في الهواء، وهوائية أي أنها في الهواء لا يتعلق بها شيء، وهي أربعة: الواو، الياء، الألف اللينة، الهمزة[4].

أما الأصوات الصحيحة فهي الأصوات التي تكون أصول أبنية الكلم ،والتّي لها أحياز ومخارج وتضم أكبر عدد من الأصوات يبلغ (خمسة وعشرين) صوتا، فهذه الصفة مستمدة من أساس حرفي، وهو من أهم غايات هذه المدرسة ،وأهدافها لمعرفة أصول الكلمة العربية ؛لأن عملية بناء المعجم تقوم على هذا الأساس[5] ،وعلى هذا لجأ المحدثون إلى تقسيم الحروف إلى صوامت وصوائت، فالحروف الصَّحاح عند علماء العربية هي الصوامت عند المحدثين والهوائية عندهم هي الصوائت عند المحدثين[6].

- **الذلاقة والإصمات:**

تعد هذه الصفة من أكثر الصفات التي استعملها المعجميون، وأرادوا بها تلك الأصوات التي يكون حدوثها من طرف اللسان، وطرف كل شيء ذلقه، وهي أخف الأصوات وأحسنها امتزاجا بغيرها[7] ،حيث قسم حروف العربية إلى ذلق وصمت، وجعل حروف الذلق ستة أحرف ،وباقي الحروف سماها مصمتة، وأخرج منها الحروف الهوائية فقال: « اعلم أن الحروف الذلق والشفوية ستة وهي (ر، ل، ن،

[1]- أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين، د/ أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط1؛ 1419هـ/1998م ، ص119.
[2]- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ، 1/ 64-65.
[3]- الصوتيات اللغوية – دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية-، د/ عبد الغفار حامد هلال، ص122
[4]- الخليل بن أحمد رائد علم الأصوات، د/ أحمد محمد سالم الزاوي، مجلة كلية الأدب، ع09، ص11.
[5]- المدارس الصّوتية عند العرب- النشأة والتطور-، د/ علاء جبر محمد، ص 39-40
[6]- الخليل بن أحمد رائد علم الأصوات، د/ أحمد محمد سالم الزاوي،مجلة كلية الأدب،ع9، ص11.
[7]- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، 1/ 64-65.

ف، ب، م) ،وإنما سميت هذه الحروف ذلقا لأن الذلاقة في المنطق إنما هي بطرف أسلة اللسان، والشفتين، وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذلقية (ر، ل، ن) تخرج من ذلق اللسان من طرف غار الفم ،وثلاثة شفوية (ف، ب، م) مخرجها من بين الشفتين... فلما ذلقت الحروف الستة، ذلق بهن اللسان، وسهلت عليه في النطق كثرت في أبنية الكلام، فليس شيء من بناء الخماسي التام يعرى منها أو من بعضها»[1]، فيجدر الإشارة إلى أن الكلمة العربية إن كانت رباعية أو خماسية فهي لا تعرى من واحد من حروف الذلاقة وهي ستة، وإذا جاءت الكلمة رباعية، أو خماسية معراة من حروف الذلاقة فهي مبتدعة ليست من كلام العرب[2]، إلا أن الخليل كان يرى أن الذلاقة في المنطق إنما هي طرف اللسان ،والشفتين وجمعها في ستة أحدهما حيز الفاء، وفيه ثلاثة أحرف (ف-ب-م) ،والآخر حيز اللام فيه ثلاثة أحرف (ل، ر، ن).

ويبدو أن في إطلاق التسمية من جهة العموم فيه إشكال ؛لأن هناك أصواتا شفوية لا دخل لذلق اللسان فيها، لذلك ذهب بعض الباحثين إلى أن العلماء أرادوا التغليب ؛لأنهم وجدوا (اللام والراء والنون) من طرف اللسان فجعلوا الاسم لها ،وضموا إليها الأصوات الأخرى[3]، وهو احتمال وجيه و لكنه بعيد، فلماذا لم يعكسوا المسألة فيطلقوا عليها (الشفوية) بالتغليب لا سيما أن نصف هذه الأصوات أصوات شفوية، ولعل سبب التسمية يرجع إلى سهولة نطقها بالاستناد إلى أن الذلاقة من جملة معانيها سهولة النطق لذلك لا يبعد أن تكون هذه التسمية مستمدة من خفتها على اللسان ،وكثرة دورانها في الكلمات العربية[4].

أما صفة الإصمات فهي صفة تطلق على الأصوات الأخرى، لأنها أصوات صمت أن يتكلم بها ،وتبنى الكلمة منها فإذا كثرت فلا تجد بناء رباعياً مصمت الأصوات لا مزاج له من أصوات الذلاقة[5] ،وبهذا أطلقت صفة الذلاقة ،والإصمات

[1]- تهذيب اللغة ، ابن الأزهري ، 1 / 50-51
[2]- مبادئ اللسانيات، د/ أحمد محمد قدور، ص86.
[3]- ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د/ حسام سعيد النعيمي، دار الطليعة للطباعة والنشر منشورات وزارة الثقافة والإعلام جمهورية العراق ، بيروت ؛ 1980م، ص 323.
[4]- ينظر: الأصوات اللغوية ، د/ إبراهيم أنيس، ص 109-110.
[5]- العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي ،52/1.

على تلك الألفاظ التّي تندرج في المعجم العربي، ويبنى على ذلك شيوع الألفاظ من عدمها، ويقود أيضا إلى معرفة المهمل والمستعمل، وقياس أكثر الألفاظ دورانا في كلام العرب[1].

- **ـ المهموس والمجهور:**

لم تأخذ هذه الصفتان البعد الدقيق الذّي أخذته في مقولات سيبويه الصوتية ولكن هذا لا يبعد أن يكون الخليل قد استعملها ،وإن كانت الدلالة مختلفة، فقد أورد ابن كيسان عن الخليل في حديثه عن الهاء أنه قال: «... ولا بالهاء لأنها مهموسة خفية لا صوت لها »[2]، وقد اكتفى الخليل في هذا النّص بوصف الهاء بأنها مهموسة من دون أن يذكر معنى الهمس، وكذلك تعريف الجهر والهمس نجدّه فيما نقل عنّه الزجاج فقال: « الحروف المجهورة والمهموسة فيما زعم الخليل ضربان: **فالمجهور** حرف أشبع الاعتماد عليه في موضعه ،ومنع النفس أن يجري معه، **والمهموس** حرف أضعف الاعتماد في موضعه وجرى معه النفس»[3]، وهذا دليل واضح يدل دلالة قاطعة على أن الخليل كان يعرف الحروف المجهورة والمهموسة، كما ذكر الخليل هذين المصطلحين في ثنايا معجمه مشيرا إلى أن الهمس هو :همس الصوت في الفم مما لا إشراب له من صوت الصدر ، ولا جهارة في المنطق و لكن كلام مهموس في الفم كالسر[4].

ومن هنا لا يمكن أن نستبعد أن يكون الخليل هو الذي لَمَّحَ إلى سيبويه بالمدلول الاصطلاحي لهذه الصفة، فاتخذوه مصطلحا بلاغيا تقوم على أساس فصاحة الكلمة وبلاغتها[5].

- **ـ التَّفشي :**

وهي من الصفات التي أطلاقها الخليل على أصوات (الشين) ،والذي يظهر من نّص الخليل هذا أنه لم يوضح معنى التفشي ،وإنما اكتفى بقوله إنّما صفة لصوت الشين[6]، والذّي يبدو من خلال وصفه لمخرج الشين أن مفهوم **التفشي** عنده

---

[1]ـ المدارس الصوتية عند العرب – النشأة والتطور- د/ علاء جبر محمد، ص38.

[2]ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها، جلال الدين السيوطي، 90/1.

[3]ـ شرح كتاب سيبويه ،الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي أبو سعيد، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم 528، 6/ 461.

[4]ـ العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي، 4/ 10.

[5]ـ ينظر: جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنّقدي عند العرب، د/ ماهر مهدي هلال، دار الرشيد، بغداد؛ 1980م، ص60.

[6]ـ العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي، 289/6.

هو انتشار اللسان على الحنك، فيتكون في وسطه شيء كالقناة تتسرب النفس منه ، ويتوزع تسربه في جنبات الفم، ولا يقتصر على المخرج فقط[1].

➢ **- اللين :**

جعل الخليل صفة اللين خاصة بالألف فقال: « الألف اللينة والواو ،والياء هوائية أي أنها في الهواء.»[2] ،و**اللين** ضد الخشونة أي السهولة والتنعيم، ويقصد به إخراج الحرف الليِّن ،وعدم الكلفة على اللسان وخروجه بسهولة حال النّطق به، وحروفه (الواو، والياء) الساكنتان المفتوح ما قبلها، ويمدَّان حال الوقف لا حال الوصل، ويكون وصف اللين في هذين الحرفين عند مجانسة ما قبلها لهما فيجري عليهما المد ،والمتوسط، والقصر[3].

➢ **- الخفية والمهتوتة:**

صفة أطلقت على الهمزة ،وقد وصفها الخليل بأنها مهتوتة، وهذا يدل على أنّها تصل إلى درجة في صفتها[4]، وتشبه الياء بالهاء في مكان آخر، لقوله: « الياء شبيهة بالهاء في خفتها وخفائها»[5] ،وجاء في لسان العرب أيضا أن الخليل قال عن الهمزة بأنها: « صوت مهتوت في أقصى الحلق يصيب همزة فإذا رفه عن الهمزة كان نفسا يحول إلى مخرج الهاء»[6]، فعلماء الأصوات المحدثين لم يخرجوا عما جاء به القدماء في الهاء

فالصفات التّي لها ضد ،والصفات التي لا ضد لها قدّمها البحث الصوتي عند العرب القدامى ،ولا يختلف كثيرا كما عرفه البحث الصوتي الحديث في علم الأصوات على الرغم من اختلاف الوسائل، وأجهزة التّشريح الحديثة المستخدمة في الوقت الحالي ،وهذا دليل إلى تأصّيل الدرس الصوتي العربي في التراث

---

[1]- في البحث الصوتي عند العرب،د/ إبراهيم خليل العطية، ص56.

[2]- العين، الخليل ابن أحمد الفراهدي، 1/ 57، و ينظر: تهذيب اللغة، أبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق وتقديم: د/عبد السلام هارون، ،مكتبة الخانجي، ط1 ؛1396 ه/ 1976م، 1/ 48.

[3]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري أبو الحيز محمد بن محمد الدمشقي (ت833هـ)، قدم له الأستاذ علي محمد الضباع شيخ عموم القارئ بالديار المصرية، خرج آياته الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ؛ 1427ه، 1/ 204-205

[4]- جمهرة اللغة، لابن دريد، 90/1.

[5]- الكتاب، سيبويه أبي بشير بن عثمان بن قنبر(ت180ه)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط3 ؛ 1408ه/1988م ، 4/ 314.

[6]- لسان العرب، لابن منظور، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ط3، 6/ 4610.

،والتأكيد على أنَّ قصب السَبق كان لصالحه خاصة على مستوى صفات الأصوات.

فالخليل بن أحمد الفراهيدي أعمل فكره في الكلام فدبَّر ،ونظر إلى الحروف كلها ،وذاقها فكان مبتدع طريقة علمية قائمة على تحليل أصوات الكلمة ،ومشاهدتها في طريق إخراجها بحيث جعلنا نحس أنّه كان على علم بالجهاز الصوتي ،وتركيبه وأجزاءه، وتحدث أيضا عن الصفات الأخرى للأصوات مثل الإطباق، والاستعلاء ،والاستفال، والطليقة، البحة في الهاء[1].

فلهذه المدرسة ميزة التفرّد في ترتيب الأصوات اللغوية العربية على وفق أبجدية صوتية تتخذ من مخارج الأصوات أساسا لها، وأظهرت ألقابا على مجاميع الأصوات ،وأعطت أهميّة كبيرة للصوت اللغوي في الدراسات اللغوية، فوضعت أصولا للقارئ حتى يعرف حق كل حرف حال النّطق به، وليعمل نفسه بإحكام، لأنّه ينشأ عن التركيب مالم يكن حالة الإفراد بحسب ما يجاور هذه الأصوات من مجانس لها ،ومقارب ،وقوي، وضعيف ،ومرفق، ومفحم، فيجذب القوى الضعيف ،ويغلب المفحم المرفق، فيصعب على اللسان النّطق بذلك على حقه إلا بالرياضة الشديدة ،فمن أحكام صحة التّلفظ حال التركيب حصل على حقيقة التجويد بالإتقان والتدريب[2].

[1]- ينظر: العين،الخليل ابن أحمد الفراهدي، 43/1.
[2]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 214/1-215.

المبحث الثّاني:

فضل سيبويه في رقي الدّرس الصّوتي العربيّ (148هـ/180هـ)

كانت عملية التاريخ لنشّأة النّحو العربي من أبرز الموضوعات شيوعا عند الدارسين ،وذلك لما احتواه هذا الموضوع من غموض كبير في معرفة الواضع الأول لهذا العلم ،ومعرفة الكتاب الأوّل الذي ألف فيه، فألف الباحثون الكثير من الكتب التي عالجت هذا الموضوع، وليس من اختصاص بحثنا الوقوف على هذا الموضوع، ولكن الذّي نريد أن نؤكده هنا هو أنّ النحويين قد أكملوا فكرهم في الجانب الّصوتي ودرسوا جوانبه المختلفة، والأمر الذي يجدر الإشارة إليه، أن هذا النضج الواضح في الفكر الصوتي الذي وجدناه في أول كتاب نحوي ناضج يصل إلينا – **الكتاب لسيبويه**- لا بد أن يكون مسبوقا بخطوات بسيطة سلكها الدّارسون حتى وصلوا إلى هذا النضج العلمي في دراستهم[1].

وأول رواية تشير إلى هذه النشأة تاريخ نزول القرآن وتدوينه، ثم تلاوته وتعليم قراءته، وإن كانت هذه الخطوات عبارة عن ملاحظات أولية لغوية صدرت من عدد من أولى الأمر ،والعلماء من الصحابة، والتابعين بصورة شفهية فإن الجهد اللغوي بدا بالأوراق الأربع التي ذكر ابن نديم أنه شاهدها بخط يحي بن يعمر عن أبي الأسود الدؤلي (ت 69هـ)، فيها كلام عن الفاعل والمفعول، ثمَّ اتسعت حركة جمع اللغة، واستخلاص قواعده، حتى انتهى ذلك الجهد بظهور الكتب الجامعية التي تضم ألفاظ اللغة، على نحو ما نجده في المعجمات كالعين للخليل والمصنفات النحوية كالكتاب لسيبويه وغيره من كتب النحويين واللغويين[2].

حيث يقوم كثير من أصول النّحو العربي على أسس صوتية، كتفسير كثير من الآثار الإعرابية التي تطرأ على الكلمات، فلقد حوت المصنّفات الّنحوية الصرفية بين ثناياها كثيرا من ملامح التراث الصوتي العربي، وضمت دراسة مسهبة للمنّحى الفيسيولوجي المتعلق بكيفية تكوين الأصوات وإصدارها، وما ينجم

[1]- المدارس الصوتية عند العرب – النشأة والتطور- د/ علاء جبر محمد، ص61.
[2]- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د/غانم قدوري الحمد ،دار عمار ،الأردن ، ط3؛ 1428ه/2007م، ص06.

عن ذلك من تنّوع في صفاتها، كما خصص النّحاة بعض الأبواب في كتبهم للدراسة الصوتية ،وخاصة حين تعرضهم لباب الإدغام ،أو الحديث عن قواعد الإعلال، والإبدال وكتاب سيبويه شاهد عدل على ذلك[1] .

والذّي تضمن دراسات صوتية أوفت على الغاية بدقة وأهمية، وتنّوعت بتنوع مادتها، فكان منّها ما يتعلق باللهجات، والمقايسة بينها والاستدلال لها[2]، ومنها ما يعرض للقراءات، ومنها ما يتحدث عن ظواهر صوتية مختلفة كأحكام الهمز من تحقيق، وتسهيل وهمزة بين، والإمالة والفتح وما يتعلق بهما من أحكام ...والإعلال والإبدال والتعليل الصوتي لهما... إلى غير ذلك من مباحث صوتية مبثوثة في طيات الكتاب[3]، استهله سيبويه بذكر عدد الحروف العربية ومخارجها، ومهموسها ومجهورها وأصولها وفروعها، وما إلى ذلك مما يدخل في تكوين النظام الصوتي العربي ليغدو أساسا ومرجعا لكل من صنف في هذا الباب من النّحاة واللغويين والقراء وهو الموضوع الذي سنتطرق إليه[4].

1- سيبويه: حياته وكتبه وأبحاثه

أ/ التعريف بشخصيته:

هو عمر بن عثمان بن قنبر، وبعضهم يختزل نسبه فيقول: عمرو ابن قنبر، وهو فارسي الأصل، وينتمي بالولاء إلى الحارث بن كعب ،بن عمرو ابن علة ،بن جلد بن مالك بن أدد، وقُنبر، ضبطه الذهبي في التشبيه، بضم ففتح، وكذا ضبطه صاحب تاج العروس، وأما القفطي فضبطه بفتح القاف وسكون النون "قَنْبَر"[5] ،ومما يؤيد هذا الضبط.

وأمّا كنيته فاختلفت فيها: فهو أبو بشير، وهو أبو الحسين، وهو أبو عثمان، وأثبتت هذه الكُنَى جميعا هي أبو بشير، وقد اشتهر بلقب **(سيبويه)** الذّي غطى على اسمه وكنيته ،بل وتخلد اسمه حتى وقتنا الحاضر وصار يضرب به المثل في الفصاحة ،ومعرفة الأصول، والقواعد اللغوية والنحوية ،ولذلك لقب بحجة

---

[1]- مصادر التراث الصوتي العربي-، د/ أحمد عزور،مجلة التراث العربي ،ع 71_72؛ 1998م،ص 186.

[2]- ينظر: الكتاب ،سيبويه أبي بشير بن عثمان بن قنبر(ت180ه) ، 1/ 71-66-57.

[3]- ينظر :المصدر نفسه ، 4/ 431-485.

[4]- تناول كثير من اللسانيين المعاصرين مباحث الصوت في الكتاب بالدراسة والتتبع، أذكر منهم: د/ إبراهيم أنيس في الأصوات اللغوية، ص111-135، البحث اللغوي عند العرب، د/عمر مختار، -109.

[5]- الكتاب، سيبويه، 1/ 03 (مقدمة الكتاب).

النّحويين. فهو فارسي الأصل حيث ولد في حدود عام **(140هـ/756م)** على أرجح الأقوال في مدينة البيضاء ببلاد فارس، وقد كانت أمّه تحب أن تراقصه، وتدلّله في الصغر فكانت تناديه **(سيبويه)** ، وهي كلمة فارسية تعنّي (رائحة التفاح)، حيث أن (**السيب**) هو: التفاح، و(**يـــه**) أي رائحة التفاح، كما قيل سمي بسيبويه لجماله ،وحمرة وجنتيه[1].

من أرض فارس قدم سيبويه إلى البصرة التّي كانت حاضرة العلم والثقافة ،والأدب وكانت تَّعُج بكبار الأئمة والعلماء ،والفقهاء أخذ ينهل من مناهل العلم والأدب والحديث، فكان الحديث والفقه من أول ما يدرس العلماء، فأعجبه ذلك وصحب الفقهاء وأهل الحديث، ومما روى عنه ذات يوم ذهب إلى شيخه **حماد البصري** ليتلقى منه الحديث و يستملى منه قول النبي صلى الله عليه وسلم :« ليس من أصحابي أحد إلا ،ولو شئت لأخذت عليه ليس أبَا الدرداء...» ،ولكن سيبويه أخطأ لقدر قدره الله له، وهو يقرأ حديث الرسول صلى الله عليه وسلم ليقرأ الحديث على هذا النّحو:« ليس من أصحابي أحد إلا ولو شئت لأخذت ليس أبُو الدرداء...».

فصاح به شيخه حماد البصري: «لحَنْتَ يا سيبويه، إنّما هذا استثناء، فقال سيبويه والله لأطلبن علما لا يلحنني معه أحد»، ثم مضى ولزم الخليل وغيره، ومن هنّا كانت البداية الحقيقية ليصبح إمام المتقدمين والمتأخرين في النّحو ،وإمام النّحاة الذي إليه يرجعون، وعلم النّحو ونبّراسه والذي إليه ينظرون، وصاحب كتاب الذي سيبقى خالدا إلى أن يرث الله الأرض، ومن عليها أو إلى أن يحدث الله أمرا كان مفعولا"[2].

ب/ الكتاب ومنهج سيبويه في تأليفه:

كان العلماء والباحثون والمصنفون، وعلى امتداد تاريخ البشرية يصنعون أسماء تميّز مؤلفاتهم ومصنفاتهم إلا أن سيبويه لم يضع لكتابه اسما، أو حتى مقدمة ،أو خاتمة لأن القدر لم يمهله ،حيث مات وهو ما يزال في ريعان شبابه **(ت**

[1]- ينظر : مقدمة الكتاب، سيبويه،1/ 3-4-8.
[2]- ينظر: المصدر نفسه ، 1/ 08 ، وإنباه الرواة على أنباه النحاة، القفطي، 2/ 350.

180هـ)[1] ،فقبل أن يخرج الكتاب إلى النور، أخرجه تلميذه أبو الحسن الأخفش إلى الوجود دون اسم، وخدمة للغة العربية (لغة القرآن) أطلق العلماء على كتابه اسم **الكتاب**.

لا ريب أيضا أن سيبويه قد انتفع بعلم الخاص انتفاعا ظاهرا، وبعلم شيوخه الذّي سبق الكلام عليهم، مما أنّه أفاد ممن سبقه من أئمة النّحو الذين ألفوا فيه أو أثرت عنهم رواية فيهم، بمعنى كتاب سيبويه لقاح جهود النّحاة الذين سبقوه إذ لا يعقل أن يبتدع سيبويه هذا العلم المتكامل دون أن يفيد من تلك الجهود الأصلية التّي رسمت كثّيرا من أصول النّحو ،ومسائله ومقاييسه وعلله[2].

فكان منهجه في تصنيف الكتاب يتجه إلى فكرة الباب كما تتمثل له، فيستحضرها ويضع المعالم لها، ثم يعرضها جملة أو أحادا، وينظر فيها تصعيدا وتصويبا، يحلل التراكيب، ويؤوّل الألفاظ ويقدر المحذوف، ويستخلص المعنى المراد، وفي خلال ذلك يوازن ويقيس، ويذكر ويعدُّ، ويستفتي الذوق، ويستشهد ويلتمس العلل، ويروي القراءات، وأقوال العلماء، إما لمجرد النص والاستيعاب ،وإما للمناقشة وإعلان الرأي، وربما طاب له الحديث وأغراه البحث، فمضى ممعّنا متدفقا يستكثر من الأمثلة والنّصوص واللّغة عنده وحدة متماسكة، ينسى بعضها بعضا، ويقاسى بعضها بعض، وهو في كل هذا يتكئ في ترتيب أبواب الكتاب على فكرة العامل أولا وأخيرا[3].

وقد أقرَّ العلماء أن أسلوب الكتاب فيه كثير من الغموض، وفي ذلك يقول **ابن كيسان**[4]

:« نظرنا في كتاب سيبويه فوجدناه في الموضع الذّي يستحقه ،ووجدنا ألفاظه تحتاج إلى عبارة وإيضاح، لأنه كتاب أُلّف في زمان كان أهله يألفون مثل هذه الألفاظ، فاختصر على مذاهبهم» ، وقال **أبو جعفر النّحاس(ت 388ه)**: «ورأيت علي بن سليمان يذهب إلى غيره، قال ابن كيسان، قال عَمَل سيبويه كتاب على لغة

[1]- طبقات النحويين واللغويين ، محمد بن الحسن الزبيدي أبو بكر، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعارف، ط2 ؛1984م ،ص73.
[2]- ينظر الكتاب، سيبويه ،1/ 25-26.
[3]- ينظر : المصدر نفسه ،32/1
[4]- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، 2/ 108.

العرب وخطبها وبلاغتها، فجعل فيه بيِّنـــًا مشروحا وجعل فيه مشتبها، ليكون لمن استنبط نظر وفضل وعلى هذا خاطبهم الله عزّ وجل بالقرآن »[1].

ومهما يكن فإن تعاقب الأجيال وتعاقب العلماء على خدمة هذا الكتاب، وما حفظته دور الكتب من مخطوطات كتب النّحو، وما نشره العلماء من التراث النحوي، وما أثير حول الكتاب من مناقشات ومجالات في مختلف كتب العربية بل كتب الثقافة الإسلامية، إن كل أولئك بالإضافة إلى ما أثرنا إليه من قبل، هو ضرورة التمرس بأسلوب الكتاب ،وتعرف مصطلحاته يجعل من قراءة سيبويه متعة نافعة ونفعا ممتعا، ويضع أساسا سليما للدراسات النّحوية المعاصرة التي كثيرا ما انحرفت بدورها عن حاجة السبيل، لأنها لم تقف وقفة الخشوع إزاء الجهد العبقري الجبار، لتزن ما صنع الأسلاف وزَنَ الحق، و تقدر صدقهم وذكاءهم في عدل وإنصاف[2].

2- أصوات العربية في كتاب سيبويه:

تعد الأصوات اللبنات التي تشكل اللغة، أو المادة الخام، التي تبنى منها الكلمات والعبارات، فما اللغة إلا سلسلة من الأصوات المتتابعة[3]، وقد تنبه سيبويه إلى أهمية الصوت اللغوي، وأدرك أهمية النظام الصوتي وكان على وعي تام بأن دراسة الأصوات مقدمة، لابدّ منها لدراسة اللغة، لذلك فقد تنّاول بالوصف المنطوق، فبين عدده، وحددّ مخرج كل صوت، وما يصحبه من حركات أعضاء النطق، لأن غرض الباحث في علم الصوت، هو أن يبين ما في نطق من حركات عضوية، وفي ضوء هذه الحركات يتم تحديد الصوت المنطوق[4]، ويعد بيان عدد أصوات اللغة، وتحديد مخارجها وصفاتها والتمييز بين طبيعة نطقها داخل بنية الكلام عملا وصفيا ،ويقسم سيبويه الأصوات العربية إلى أصول وفروع، **فأصول الأصوات** عنده تسعة وعشرون صوت وهي:

- همزة – ا- هـ.
- ع-ح-غ-خ

---

[1]- ينظر :حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ،شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي ،دار صادر، بيروت ، 2/ 102، وينظر :الفهرست، ابن النديم، ص74.

[2]- ينظر: الكتاب، سيبويه، 33/1.

[3]- دراسة الصوت اللغوي، د/أحمد مختار عمر، ص347.

[4]- اللغة بين المعيارية والوصفية ، د/تمام حسان ، ص119.

- ك-ق
-ص-ج-ش
- ي-ل-ر
- ن-ط-د
- ت- ص
- ز- س-ظ
- ذ-ث-ف
- ب-م-و.[1]

أمّا الحروف الفرعية ذكر سيبويه أن العرب نطقت حروفا هن فروع من الأحرف الأصلية التسعة والعشرين ،وهذه "الحروف " يؤخذ بها **وتستحسن** في قراءة القرآن والأشعار هي: النون الخفيفة، والهمزة التي بين بين، والألف التي تمال إمالة شديدة، والشين التي كالجيم، والصاد التي كالزاي وألف التفخيم.[2]

والأصوات **غير مستحسنة** أو مستهجنة عند سيبويه ثمانية ، ولا تستحسن في قراءة القرآن ولا الشعر، ولا كثيرة في لغة من ترتضى عربيته وهي: الكاف التي بين الجيم والكاف، والجيم التي كالكاف، والجيم التي كالشين، والضاد الضعيفة، والصاد التي كالسين، والطاء التي كالتاء والظاء التي كالثاء، والباء التي كالفاء"[3].

يظهر جليا أن سيبويه حين وصف هذه الأصوات كان على وعي تام ب،أن الحرف الواحد قد يشمل على أكثر من صوت واحد، ويأتي كل صوت منه في بيئة صوتية خاصة، فالتنوعات الصوتية للحرف الواحد ليست وحدات صوتية **(صوتيا)** مستقلة، كما هي الحال في **(النون الخفيفة)** على سبيل المثال، فهي تنّوع صوتي للصوتية **(النون)** ،التّي تشمل على عدد من الأصوات حتى أن بعض أصوات[4]، إذ هناك تشابها بين بعض أسس نظرية الفونيم المتعلقة باعتبار بعض الاختلافات النطقية، تنوعا موقعيا لصوت واحد، وبين تقسيم الأصوات إلى أصول

[1]- الصوت اللغوي في القرآن، د/محمد علي حسين الصغير، ص52-53.
[2]- الكتاب، سيبويه، 432/4.
[3]- الكتاب، سيبويه ، 4/ 434.
[4]- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، د/ نوزاد حسن أحمد ، منشورات جامعة قار يونس ، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1؛ 1994م، ص 89-90.

وفروع عند سيبويه ،وقوله إن الحروف الفرعية لا تتبين إلا بالمشافهة، ويشير إلى إدراك علماء العربية، أن هذه الأصوات تنوع موقعي أو لهجي لأصوات العربية، وإنها لا تؤدي إلى تغيير معاني المفردات، ومن ثم لم يخصص لها في الكتابة الهجائية رموز مستقلة[1].

إلا أن استعمال سيبويه لمصطلح **(الحروف)** بدلا من **(الأصوات)**، لا يعني أنّه لم يكن يفرق بين اصطلاحي الحرف والصوت، كما يرى البعض إذ أن ما ذكره سيبويه في فرق بين الحروف الأصول والفروع، يدل على معرفة تامة بما يعنيه كل من الحرف الصوتي[2].

أ/ مخارج الأصوات عند سيبويه :

تحدث هذا العالم عن مخارج الأصوات في كتابه حديثا مستفيضا قدم فيه منهجه العام في الدراسات الصوتية وقال فيه :« هذا باب عدد الحروف العربية، ومخارجها ومجهورها، وأحوال مجهورها

و مهموسها، واختلافها، والحروف العربية ستة عشر مخرجا، فللحلق منها ثلاثة»[3].

- -فأقصاها مخرجا **الهمزة والهاء والألف**.
- -ومن أوسط الحلق مخرج **العين والحاء**
- -وأدناها مخرجا من الفم **الغين والخاء**.
- -ومن أقصى اللسان، وما فوقه من الحنك الأعلى، مخرج **القاف**.
- -ومن أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ،ومما يليه من الحنك الأعلى، مخرج **الكاف**.
- -ومن وسط اللسان بينه، وبين وسط الحنك الأعلى مخرج **الجيم، والشين، والياء**.

[1]- المدخل إلى علم أصوات العربية، د/ غانم قدوري الحمد ، منشورات المجمع العلمي، بغداد ؛ 2002م ، ص 33.

[2]- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، د/ نوزاد حسن أحمد، ص90.

[3]- الكتاب، سيبويه ، 4/ 431.

- -ومن بين أول حافة اللسان ،وما يليها من الأضراس مخرج **الضاء.**
- -ومن حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ما بينها ،وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الضاحك، والناب والرباعية، والثنية مخرج **اللام**[1].
- -ومن طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا مخرج **النون**.
- -ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام مخرج **الراء**.
- -ومما بين طرف اللسان أصول الثنايا مخرج **الطاء والدال والتاء**.
- -ومما بين طرف اللسان وفوق الثنايا مخرج **الزاي، والسين ،والصاد**.
- -ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا مخرج، **الظاء ،والذال، والثاء**.
- -ومن باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى مخرج **الفاء**.
- -ومما بين الشفتين، مخرج **الياء، والميم، والواو**.
- -ومن الخياشيم مخرج **النون الخفيفة**[2].

ولا بد لنّا أن نذكر هنا أن الاختلاف بين مدرسة النحاة ،والمدرسة المعجمية لم يقتصر على الخلاف في عدد مخارج أو في ترتيب الحروف، بل تعداه إلى الخلاف بينهما في الترتيب الداخلي لحروف بعض المخارج، أو عددها، ويمكن بيان ذلك بالآتي:

ـ **أوّلا**: اختلفتا في ترتيب حروف أدنى الحلق مما يلي الفم، فذهب الخليل ومن سار على خطاه إلى أن ترتيبها **(خ، غ)** ، وذهب سيبويه ومن تبعه إلى ترتيبها **(غ، خ).**

ـ **ثانيا**: اختلفتا في حروف وسط اللسان ووسط الحنك الأعلى، فذهب الخليل ومن تبعه إلى أنها **(ج، ش)**، وذهب النحاة إلى أنها **(ج، ش، ي)**، وهي ما تسمى بالحروف الشجرية.

ـ **ثالثا**: اختلفتا في ترتيب الحروف التي تخرج مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا السفلى ،وهي ما تسمى بالحروف الأسلية، أو الصفيرية، فقد ذهب المعجميون إلى أن ترتيبها **(ص، س، ز)** وذهب سيبويه ومن معه إلى أن ترتيبها **(ز، س، ص)** ،وكلا الترتيبين مخالف لترتيب الخليل.

---

[1]ـ لم يرد صوت اللام في تحقيق عبد السلام محمد هارون، وقد يكون سقط سهوا عند الطبع وأثبته في مقارنة مع طبعة بولاق، 2/ 405

[2]ـ الكتاب، سيبويه ، 4/ 433، وينظر: علم الأصوات، د/ حسام البهنساوي، ص 46-47.

ـرابعا: اختلفتا في الحروف التي تخرج من بين الشفتين، فذهب الخليل ومن معه إلى أنّها **(ب، م)**، وذهب سيبويه ومن معه إلى أنها **(ب، م، و).**

وعلى الرغم من أن اختلاف العلماء العرب في عدد مخارج الأصوات يبدو أنه صحيح في عمومه نجد أن بعضا من دارسي الأصوات المحدثين من لم يُقره[1]، إذ يرى عدد من المحدثين أنّه ليس هناك في الواقع حدود يمكن لها أن تفصل فصلا تاما بين بعض المخارج ،وبعضها الآخر ضمن الجائز أن تنسب مجموعة من الأصوات إلى مخرج معين، وينسبها باحث آخر إلى مخرج قريب منه أو متصل به أو متداخل معه[2].

دراسة المخارج فكرة عربية خالصة نبعت في أرض وتفكير عربي، وهي نتاج المناخ العلمي
الذي كان سائدا في ذلك العصر، وهو عصر قدم الكثير على صعيد البحث اللغوي الأصيل ،ونهض بالدرس الصوتي العربي، فله قدم سبق مشهود له (سيبويه) في قضايا الصوت نفسها ،وقد أقرر العلماء المحدثين أن سيبويه قد وضع قواعد هذا البحث ،وأحكامه لا لفترة معينة من الزمن بل يكاد يكون ذلك نهائيا، وكان تصرفه فيها تصرفا رائعا، صادرا عن عبقريته سبقت الزمن، فلم يكن ممن جاء بعده من العلماء والباحثين إلا أن اتبعوا نهجه، واكتفوا بما قال، ولم يزيدوا بعد سيبويه على ما قال حرفا بل أخذوا يرددون عباراته مع كتبهم، ويصرحون بأنّهم إنما يتبعون مذهبه سواء في ذلك علماء النّحو أوعلماء القراءة[3].

ب/ صفات الأصوات

يضم التّراث العربي مباحث واسعة عن صفات الحروف، وتصنّيفيها على وفق تلك الصفات، وأقدم دراسة لصفات الحروف في العربية، وأهمها ما ورد في الكتاب لسيبويه حيث استعمل طائفة من المصطلحات التّي وصف بها أصوات الحروف العربية، واعتمد في ذلك على معيار تحكم جهاز النطق بالهواء الخارج

[1]ـ في البحث الصوتي عند العرب، د/خليل إبراهيم العطية، ص25.
[2]ـ علم اللغة العام – الأصوات-، د/ كمال محمد بشر، ص22.
[3]ـ ينظر: الصوت اللغوي في القرآن، د / محمد علي حسين صغير، ص54، وينظر: أثر القراءات في الأصوات والنّحو العربي أبو عمر بن العلاء، د/ عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1 1408؛ ه/1987 م ،ص198.

من الفم، كالجهر والمهموس، والشديد والرخو وما بينهما...الشديد والرخو وما بينهما.

➢ **- المهجور والمهموس:**

يقول سيبويه إن **المجهور** حرف **أشبع الاعتماد** في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه ويجري الصوت[1]، بمعنى الحروف المجهورة هي الحروف التي أشبع الاعتماد في مواضعها ،ومنع النفس أن يجري معها حتى ينقضي الاعتماد فيجري الصوت، ثم ذكر أن الحروف في اللغة العربية تسعة عشر حرفا :(الهمزة و الألف والعين، والغين والقاف، والجيم والياء، والضاد، واللام، والنون، والراء، والزاي، والظاء، والذال، والباء، والميم و الواو)[2].

أما **المهموس** فعرفوه بأنه صوت أضعف الاعتماد في موضعه حتى **جرى معه النفس**، والأصوات المهموسة هي: (الهاء، والحاء، والخاء، والكاف، والسين، والشين، والثاء، والصاد، والتاء، والفاء)[3].

فمعيار الفصل بين الجهر والهمس هو جري النفس مع الحرف أو توقفه، فإذا جرى النفس مع النطق بالحرف كان مهموسا، وإذا منع النفس مع الجريان حتى ينتهي النطق كان مجهورا.

كما تبين لنا في تعريف سيبويه أمران متميزان عبر عن أولهما بعبارة: **(إشباع الاعتماد)** التّي أراد بها أن يصف المجهور؛ بأنّه صوت متمكن مشبع فيه وضوح ،وفيه قوة وتلك هي الصفة التي يشير إليها الأوربيون بقولهم **(sonority)** ،والعبارة الثانية **(مع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه)** ،حيث حسه المرهف جعله يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الصوتين أحدهما من الآخر حتى ليكادان يسدان طريق التنفس وتلك هي الصفة التي وضحها لنا المحدثون حين وصفوا ما يجرى في الحنجرة مع المجهورات[4].

---

[1]- الأصوات اللغوية ، د/ إبراهيم أنيس، ص123.

[2]- الكتاب، سيبويه ، 2/ 405.

[3]- المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت ،1/ 194-195.

[4]- الأصوات اللغوية ، د/ إبراهيم أنيس، ص 123-124.

فكان سيبويه أول من فرق بين المهموس والمجهور واعتمد الكثيّر من النّحاة، والدارسين المحدثين هذا الوصف في دراساتهم، حيث يقول **عبد الصبور شاهين** في هذا الصدد: « وقد ظلت محاولة سيبويه تفسير المجهور ،والمهموس في الأصوات قانونا سار عليّه جميع من جاء بعده من النّحاة ،والقراء إلى أن جاءت بحوث المحدثين ،فصدقت كثيرا مما قاله في هذا الباب »[1].

- **ـالشدة والرخو:**

تصنف أصوات العربية في التّراث الصوتي العربي بناء على أساس درجة الانفتاح ، أو نوع الاعتراض على ثلاثة أنواع هي:

ـ **الأصوات الشديدة:** هي الأصوات التي لا يجري فيها الصوت، وقد حددها النحاة بثمانية أصوات كما هي أصوات لا يمكن مد الصّوت معها، وقد مثلوا لنا بقولنا: **(الحج)** إذ لا يمكن مد الصوت في حال النطق بالجيم[2].

ـ **الأصوات الرخوة:** فهي على العكس من الأصوات الشديدة إذ أن الصوت يجري فيها، وقد حددها النحاة بثلاثة عشر صوتا هي: (الهاء، والحاء، والغين، والخاء، والشين، والضاد، والصاد، والزاي، والسين، والظاء، والثاء، والذال، والفاء) ،فإذا أردت مدّ الصوت معها فإنه يجري بسهولة، وقد مثل العلماء لها بقرآن: **(الطس)** ،و **(انقض)** إذا أن النطق بها لا يمنع من أن نجري الصوت معها[3].

ـ **الأصوات المتوسطة:** هي تلك الأصوات التي لا تندرج في الأصوات الشديدة، ولا الرخوة، لطبيعة شكل اعتراض النفس فيها، وهي تضم (الراء، اللام، الميم، النون) ،ويطلق الدارسون المحدثون على هذه الأصوات صفة الأصوات المتوسطة، أو البينية ومن الجدير بالذكر أن علماء العربية منذ القديم قد أدركوا أن لأصوات **(لم نر)** أيّ: (ل، م ،ن ،ر) سمات معينة ترشحها لتشكيل صنف خاص في منظومة الأصوات العربية وعلى رأسهم سيبويه[4]، وهكذا لم يخرج المحدثون

[1]ـ أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمر بن العلاء، د/عبد الصبور شاهين، ص205.
[2]ـ الكتاب، سيبويه ، 402/2.
[3]ـ المقتضب، المبرد، 1/ 194-195.
[4]ـ الكتاب، سيبويه ،2/ 406.

عن هذا الإطار في تقسيم الأصوات إلا في التسمية إذ سموا الشديد بالانفجاري ،والرخو بالاحتكاكي ،والمتوسط بالمائع[1]،

إلا أنهما اختلافا بين الاثنين في وصف بعض الحروف بإحدى هذه الصفات ،فالجيم في المفهوم القديم شديدة، وعند المحدثين مركبة، والضاد عند القدماء رخو في حين وصفه المحدثون بالانفجاري، والعين صوت متوسط عند القدماء إلا انه عند المحدثين احتكاكي[2] ،والسبب الرئيسي في هذا الاختلاف بين القدماء والمحدثين يمكن في التطور الصوتي الذي تعرضت له هذه الأصوات.

- **ـ الإطباق والانفتاح:**

الإطباق هو ارتفاع اللسان إلى أعلى الحنك، حتى يصير كالطبق له وحروفه: (ص، ض، ط، ظ) ،وتؤدي ظاهرة ارتفاع أقصى اللسان، وتراجعه إلى الحلق باتجاه الجدار الخلفي للحلق عند وضع طرف اللسان في مكانه من المخرج إلى تفخيم الصوت، وتتنوع بذلك أصوات طرف اللسان إلى أصوات مفخمة، وأصوات غير مفخمة **(مرفقة)**[3]، أما **الأصوات المنفتحة** فإن النّاطق لا يطبق لسانه عند النطق بها ، ويرفعه إلى الحنك وهي بقية الأصوات التي لم توسع مع المفخمة[4].

ويشير علماء الأصوات المحدثون إلى أن اللسان يأخذ شكلا مقعرا في حالة الإطباق، فيرتفع من طرفه، ويتصعد من أقصاه[5]، ولعل هذا هو مراد سيبويه من قوله: « فهذه الأربعة لها موضعان من اللسان» [6] ،وهده الأصوات المطبقة (هي الضاد ،والطاء ،والصاد، والظاء) ضمّ إليها سيبويه ثلاثة أصوات أخرى ،وهي (القاف، عين، خاء)، وسماها جميعا أصوات الاستعلاء[7].

- **ـ الأصوات اللينة:** اختصت حروف **(الواو ،والياء ،و الألف)** بهذه الصفة لأن مخرجها

---

[1]ـ الأصوات اللغوية ، د/إبراهيم أنيس، ص24.
[2]ـ مناهج البحث في اللغة ، د/تمام حسان، ص 102.
[3]ـ المصدر نفسه ، ص 89.
[4]ـ المدارس الصّوتية عند العرب- النشأة والتطور- ،د/ علاء جبر محمد، ص 71.
[5]ـ علم الأصوات، د/كمال بشر، ص 129.
[6]ـ الكتاب، سيبويه ، 4/ 436.
[7]ـ المصدر نفسه ، 4/ 128-129.

يتسع لهواء الصوت أستند من اتساع غيرها[1]، ولا يبتعد المحدثون عن هذا الوصف، إذ أن الأصوات عندهم تحمل درجة انفتاح واسعة عند النّطق بها ومثلهما الألف، وهي حروف تمتلك أبرز

خواص الحركات، وهي حرية مرور الهواء حال النطق بها فضلا على قوة الوضوح السمعي[2].

وبهذا يكون سيبويه قد أحسَ مع المجهور والمهموس، ومع الشديد و الرخو ومع الغنّة ،والقلقلة والصفير ،والتفشي بما يحس بها الدارسون للأصوات من المحدثين. ومما يكمل فهم سيبويه لطبيعة هذه الأصوات، وهو يتحدث عن صفات الحروف: « ومنها الهاوي وهو حرف اتسع لهواء الصوت مخرجه أشد من اتساع مخرج الياء والواو، لأنك قد تضم شفتيك في الواو، وترفع في الياء لسانك قبل الحنك وهي الألف »[3].

3- الظواهر الصّوتية عند سيبويه:

إن القدماء تنّاولوا كثيرا من القضايا الصوتية التّي لها دور فاعل في إنتاج الأصوات، وصحة النطق والأداء ،وأعطوها حقها من الدراسة العميقة، والشاملة في مصنفات عديدة وعلوم شتى، حيث يربط النّحاة دراسة الأصوات بالجانبين الصرفي والتركيبي، إذا أنها تخضع لقوانين صوتية تقوم بتفسير التغيرات الصوتية التي تطرأ على بنية الكلمة كلما يحدث ذلك في الإدغام ،والإبدال ،والإعلال والإمالة ،وغيرها من الظواهر الصوتية الأخرى، وقد درس علماء هذه المدرسة هذه الظواهر الصوتية على وفق غايتهم، وموطن حاجتهم إليّها لأن هذه الدراسة قد وجهت عنايتها إلى ما يؤديه الصوت من وظائف في العملية النطقية، وما تحدثه هذه التغيرات الصوتية من تغيير على بنية الكلمة العربية، ومن أهم الظواهر الصوتية التيّ وقف عليها سيبويه في الكتاب ،وهي ظواهر تتأرجح بين الصوت والسياق، إلا أن تصنيفها صوتيا أقرب من تصنيفها سياقيا وتضم:

---

[1]- المقتضب، المبرد، 1/ 210.
[2]- علم اللغة العام – الأصوات-،د/ كمال بشر، ص 116-117.
[3]- الكتاب، سيبويه ، 4/ 433.

أ/ ظاهرة الوقف:

يقع المقطع الأخير من المصرع، أو من البيت الشعري، أو من الجملة النثرية، أو جزء منها

موقعا خاصا يدعى الوقف، وهو مما يشترك فيه الاسم والفعل والحرف[1] ،وهو أمر يحدث إما لتمام المعنى كليا أو جزئيا أو لانقطاع النفس أو لأي سبب يدعو إلى الوقف في الكلام[2]، والوقف في العربية اختص بعلامة السكون، لأنّه العلامة الرئيسية التي يهرع إليها المتكلم كلما زاد الوقف على كلامه[3] ، وهذا لا يعني أن السكون هي علامة الوقف فقط ،وإنما للسكون في العربية وظيفة إعرابية وهي الدلالة على الجزم، فضلا على وظائفه المقطعية والموسيقية ويمكن أن نميز نوعين من الوقوف عنده:

- **ـ الوقوف بزيادة صوت:**

1- زيادة الهاء: تزاد الهاء التي يسميها سيبويه **(هاء السكت)** في آخر الكلمة عند الوقف، ويراد من هذه الزيادة إثبات حركة الحرف المتحرك في آخر الكلمة[4]،كما في قولهم : **(مسلمونه)** في **(مسلمون)** ،و**(ضاربانه)** في **(ضاربان)**، وعللوا ذلك بقولهم: « إن العرب لكان من كلامهم أن يبينوا حركة ما كان قبله متحركا مما لم يحذف من أخره شيء لأن ما قبله مسكن، وذلك إخلال به»[5].

2- **الوقف بزيادة غير الهاء:** ويكون بزيادة الألف في حالة النصب في الوقف على التّنوين، كي لا يلتبس التنوين بالنون، نحو: رأيت زيد[6]، ويكون أيضا بمد الحركة وإشباعها كقولهم: أن، إن، الأصل كما يرى سيبويه هو **(أنْ)**[7]، ومنه زيادة

---

[1]- شرح المفصل،موقف الدين ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة، 67/9.
[2]- المدارس الصوتية عند العرب _النشأة والتطور_، د/علاء جبر محمد، ص 73.
[3]- الموجز في النحو، أبو بكر بن السراج، تحقيق: غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتب العربي للطباعة، القاهرة، (د، ت)، ص 88.
[4]- الظواهر الصوتية عند سيبويه، د/ إبراهيم محمّد البب، مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها (فصلية محكمة) ،جامعة تشرين، سوريا ،ع 02 ؛ 2010م، ص21.
[5]- الكتاب ،سيبويه ،67/2
[6]- الظواهر الصوتية عند سيبويه، د/ إبراهيم محمّد البب، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، ص22.
[7]- الكتاب، سيبويه ، 4/ 163-164.

السين، وهي من الزيادة النّادرة، وذلك بإلحاق الكاف سينا ليبينوا كسرة المؤنث ،والعلة في إلحاق **(السين)** من بين سائر أصوات العربية الأخرى تكمن في أنها من أصوات الزيادة عندهم كما في **(استفعل)**، لذلك وقع الاختيار عليها فيقولون **:(أعطيتكس، وأكرمتكس)** في هذا الوقف، أما في حالة الكلام فتحذف (السين)، لأن الكسرة سوف تبين وتظهر[1].

➢ **- الوقف بغير زيادة :**

1- الوقف على آخر الكلمة المتحركة في الوصل: ويكون ذلك بأربعة أوجه:

* **الإشمام**: هو تهيئة العضو للنطق بالضم من غير تصويت، وذلك بأن تضم شفتيك بعد الإسكان، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج منه النفس ، فيراهما المخاطب مضمومتين[2]، فيعلم أنّ المراد بضمهما هو الحركة، وعلامته نقطة فوق الحرف.

* **الرّوم**: صوت ضعيف ناقص فكأنك تروم ذلك ولا تتمه[3]، وهم أمر لا يدرك إلا بالإصغاء التام لأن الناطق بالصوت يعمل على تضعيف الحركة من دون أن يسقطها للوقوف على الكلمة، وقد ميزوا بينه وبين الإشمام بأن الرّوم يشعر به الأعمى ،والبصير أما الإشمام فلا يشعر به إلا البصير[4].

* **التضعيف**: يراد به تضعيف الحرف الموقوف عليه، بزيادة حرفا مثله فيصّير كالإدغام وهذا التضعيف من زيادات الوقف، لأنه يتحرك عند وصل الكلام[5]، وعلامة الشين فوق الحرف المضعف، ويكون في الرفع والنصب والجر نحو: **(هذا فرجْ، ورأيت أحمدْ، ومررت بخالدْ)**، وقد جعل سيبويه الخاء لما أجري مجرى الساكن أو المجزوم، لأنهّا أول كلمة خفيف فدلّ بها على السكون لأنه تخفيف، وجعل حرف الشين للتضعيف؛ لأنّه أول كلمة شديد، فدلّ به عليه لأنه مشدد، وجعل النقطة للإشمام، والخط للرّوم، لأن الإشمام أضعف من الرّوم

[1]- المدارس الصوتية عند العرب _ النشأة والتطور_، د/ علاء جبر محمد ، ص 81.
[2]- شرح المفصل، ابن يعيش، 9/ 67.
[3]- الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج، تحقيق: د/ عبد الحسن حسين، دار الشروق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1988م، 2/ 372
[4]- المدارس الصوتية عند العرب _ النشأة والتطور_، د/ علاء جبر محمد، ص 82.
[5]- شرح المفصل، ابن يعيش، 9/ 67-68.

والنقطة أنقص من الخط، وأظن أن هذه الحروف التي جعلت ضوابط فوق الحرف دليل على كمية الهواء المحبوس في الرئتين[1].

فظاهرة الوقف تتسّع ويطول الحديث عنها، فقد بيّن فيه سيبويه أسسه وقوانينه، وقواعده وأنّواعه سواء أكان ذلك بزيادة حرف أم بغير زيادة، ومع أحرف العلّة أم مع غيرها من الأحرف الصامتة.

ب/ ظاهرة الإمالة:

الإمالة : مصدر للفعل **(أَمَالَ يَمِيلُ)**، والميْلُ الانحراف عن القصد، وهي في اللغة «...عدول بالألف عن استوائه، وجنوح به إلى الياء، فيصير مخرجه من مخرج الألف المفخمة وبين مخرج الياء، وبحسب قرب ذلك الموضع من الياء تكون شدة الإمالة، وبحسب بعده تكون خفتها، والتفخيم هو الأصل، والإمالة طارئة...»[2].

ذكر سيبويه في كتابه أن **الإمالة** تكون من الألفات وليس فيها، لأن الألف هو كمية صوتية تضعيفية للصائت القصير التي هي الفتحة، والفتحة موقعها وسطي، ما بين الضمة والكسرة، ومن هنا فالألف الممتد من الفتحة يمال به في اتجاه الضمة أو الكسرة، ولكن سيبويه والذين من بعده جعلوا الإمالة في الألف، وشرطها أن تكون بعد كسرة أو قبلها في مثل **(عماد وعالم)** ، ولها مواضع أخرى وحالات مما ينبغي التنبيه إليه، أن الإمالة تغيير للكمية الصوتية في الصّوت الممال، وتغيير للمدة الزمنية التي كان يستغرقها ذلك الصوت عند النطق به غير ممال[3].

ج/ ظاهرتا الإعلال والإبدال:

هما مطططلحان مستخدمان في كتب الصرف العربي ، يرجعان في أساسهما إلى ظاهرة صوتية

[1]- الظواهر الصوتية عند سيبويه، د/ إبراهيم محمد البب ، مجلة الدراسات في اللغة العربية، ص 24.
[2]- لسان العرب، ابن منظور، 11 /636.
[3]- المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، د/ درار مكي، ص 122.

تحكمها قوانين دقيقة، الغاية منها التجانس بين أصوات الكمية الواحدة ،وهما وإن عبرا عن ظاهرة واحدة هي التجانس الصوتي ،فإن كلا منهما يختلف عن الآخر اختلافا واضحا، **فالإعلال** هو ما تتعرض له أصوات العلّة من تغيرات قد تؤدي إلى حلول بعضها مكان بعض، أو حذف بعضها مكان بعض ، أو حذف بعضها أو نقل حركته إلى غيره، أمّا **الإبدال** فهو أعم من ذلك وأشمل، حيث يراد به جميع حالات التبادل بين الأصوات، سواء أكانت صحيحة أم معتلة ،و يعمد المتكلم فيه لحذف صوت من الكلمة والمجيء بآخر مكانه[1].

- **الإعلال** : رصد علماء هذه المدرسة حالات الإعلال، فوجدوا أنها تتمثل في

حالات متعددة أهمها[2]:

1- الإعلال بالحذف: من أبرز مظاهره حذف فاء الكلمة في الفعل المثال، والمضارع والأمر والمصدر الذّي على وزن **(فعله)** مثل: وَعَدَ ← يَعِدُ [3]، وهناك حذف في بعض الأسماء، وهو حذف سماعي كما يرى سيبويه، مثل: يد، ودم، وحر وست ....[4]

2- الإعلال بالقلب: يراد به قلب أصوات العلة بعضها من بعض ،وأهم مظاهره هي:[5]

* **قلب الواو والياء ألفا** [6]: فالياء والواو إذا تحركتا، وانفتح ما قبلهما فتحة أصلية اعتلت ،وقلبت ألفا، نحو: تاه وطاح وغزا و رمي.

* **قلب الواو ياء**: إذا سكنت بعد كسرة، نحو (**ميزان، وميعاد**) ،أو إذا اجتمعت مع الياء، نحو سيد، وصيت[7].

---

[1]- الظواهر الصوتية عند سيبويه، د/إبراهيم محمد البب ، مجلة الدراسات في اللغة العربية ،ص 24.

[2]- الكتاب، سيبويه ،2/ 381.

[3]- المنصف شرح كتاب التصريف ،أبي عثمان أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى ومحمد أمين، مصر؛ 1322هـ ، 1/ 234-235.

[4]- الكتاب، سيبويه، 2/ 360-361.

[5]- المدارس الصوتية عند العرب _النشأة والتطور_ ، د/ علاء جبر محمد، ص 86.

[6]- الكتاب، سيبويه، 4/ 344-349.

[7]- ينظر : الكتاب، سيبويه (مواضع القلب)، 4/ 360-335-314.

* **قلب الهمزة الساكنة ألفا**: إذا كان ما قبلها مفتوحا نحو (**رأس، راس**)، وتقلب واو إذا كان ما قبلها مضموما: (**البؤس، البوس**)، وتقلب ياء إذا كان ما قبلها مكسورا نحو (**الذئب، الذيب**)[1].

* **الإعلال بالتسكين والنقل**[2]: يقصد به سيبويه حذف حركة المعتل أو نقلها إلى الصحيح قبله، والغاية من ذلك تخفيف النطق ،والبعد عن التنافر والثقل الصوتي، ويشترط في نقل الحركة أن يكون الصحيح الذي تنقل إليه الحركة ساكنا نحو: (**يبيع**)، ويقول: (**مهيب**)، و(**مبيع**)، فأصلهما (**يبْيع ،مبْيع، مهْيبْ**).

➢ - **الإبدال**: تعد هذه الظاهرة الصوتية من المظاهر المهمة التي أولتها هذه المدرسة عنايّة خاصة، فتناولها العلماء بالدرس فقاموا بجمع ألفاظها ،وتحليلها ووضع التعليلات لها وبيان مسبباتها وقد قسم العلماء الإبدال إلى قسمين هما:

1- **الإبدال المطرد (القياسي)**: وسمي أيضا **الإبدال الصرفي** ؛لأنه يخضع لقواعد صرفية محددة كما في صيغة (**افتعل**)، إذ تبدل تاء افتعل فيها (طاء) إذا كانت قبلها أحد أصوات الإطباق: وهي (الطاء والظاء والصاد والضاد)، نحو (**اضطجع**)، والتي تكون على القياس (**اضتجع**)، وكذلك إذا كان قبل (**التاء**) أحد الأصوات المجهورة (الزاي، الذال، والدال) إ،ذ تبدل (التاء) من صوت مجهور نحو : (**ازدرع**) وقياسها (**ازتدع**)[3].

وقد وضع النّحاة والصرفيون رقما لتلك الأصوات التي تبدل قياسيا وإذ اختلفوا فيه، إذ جعله قسم منهم (**أحد عشر**) صوتا تشمل الأصوات (الهمزة، الألف، الياء، الواو، التاء، الدال، والطاء، والميم، والجيم، والهاء، والنون)[4] ،وعند غيرهم (**اثنا عشر**) صوتا.

---

[1]- الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج ، 2/ 398 ، وينظر: الكتاب، سيبويه، 2/ 380.

[2]- الظواهر الصوتية عند سيبويه ، د/إبراهيم محمد البب، ص 35.

[3]- المدارس الصوتية عند العرب _ النشأة والتطور_ ، د/ علاء جبر محمد، ص 75.

[4]- ينظر: شرح ابن عقيل، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط12، 1961م، 2/ 428.

2 / الإبدال اللّغوي (السماعي): اشترط سيبويه في حصول هذا الإبدال أن يكون للصوت المبدل ،والصوت المبدل منه عن مخرج واحد أو من مخرجين متقاربين ،وإن الغاية منه تقريب الأصوات بعضها من بعض.[1]

د/ ظاهرة الإدغام: إن الإدغام أو التماثل **(Assimilation)** هو أحد التّلوينات الصوتية التّي لها أثرها في توجيه النطق والدلالة وتحسينهما، لما يحكمه من قوانين صوتية، والتماثل هو تمازج أصوات وتداخلها، ويحدث بأن يتَّحد صامتان متجاوران في المخرج والصفة، ولا يمكن أن يحصل ذلك إلا إذا تكرر الصامت نفسه مرتين في مثل **(شدّ، ومدّ)**، فالدال تكررت مرتين، فأدغمت الدال الأولى في الثانية،[2] وأقسام الإدغام عند القدامى وعلى رأسهم سيبويه هي:

1- **إدغام المتماثلين**: الصوتان المتماثلان هما اللذان يتفقان في المخرج الذي يحدثان فيه ،وفي الصفة أي أنهما صوت واحد متكرر، كالباء والباء، التاء والتاء، وعند التقائهم تحذف حركة أحد المثلين ،ويدغم أحدهما في الآخر ،ومن ثم يتخذ اللسان عند النطق بهما موضعا واحدا لا يزول عنه،[3] ولا فرق بين وقوع الإدغام في كلمة واحدة أو في كلمتين، كما أنه يقع في الفعل الثلاثي المجرد كما في (**فرر**)، إذ قالوا (**فــرَّ**) ،والفعل الثلاثي المزيد نحو (**احمار**) و(**احمرَّ**)[4] ،أما في الكلمتين المنفصلين في الصوتين المتماثلين المتحركين، تحذف حركة إحداهما ويدغم في الآخر، من نحو (**جعلَ لكَ**)، وعلة الحذف هي أن العرب تكره توالي المتحركات في كلامها ، واشترطوا في ذلك أن لا يكون قبل الأول صوت ساكن إلا إذا كان الساكن صوت مدّ فيجوز فيه الإدغام نحو (**المال لك**) ،أما إذا لم يكن الساكن صوت مدّ فلا يجوز الإدغام نحو (**ابن نوح**).[5]

2- **إدغام المتقاربين**: ينقسم الإدغام بحسب مراعاة التقارب في الانفصال بين الصوامت إلى أربعة أقسام هي:

- صوامت لا تدغم في مقاربها، ولا يدغم مقاربها فيها، وهي (**الهمزة والواو**).

---

[1]- المقتضب، المبرد، 1/ 225.
[2]- المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية_ دراسة تحليلية تطبيقية_، د/ درار مكي، د/سعاد بسناسي، ص 140.
[3] - الكتاب، سيبويه ، 2/ 410.
[4]- الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج، 3 / 405-406.
[5]- الكتاب، سيبويه ، 2/ 410.

- صوامت لا تدغم في مقاربها، ويدغم فيها مقاربها، لما لها من الفضائل الصوتية هي (**الفاء، الميم، الياء والواو**)[1]، نحو(**اصحمّطرا**) في (**اصحب مطر**).
- إدغام المجموعات كالنطعية في الأسلية، والنطعية مع بعضها البعض مثل (**ذهبسَّلمى، وقسمّعت**) في (**ذهبت سلمى**)، و(**قد سمعت**).[2]
- إدغام المجموعات اللثوية (ظ، ث، ذ) في الصفيرية مثل: (**ابعسّلمى، احفصلمى، وحصابرا ومزّمان**) نحو (**ابعث سلمى، احفظ سلمى، خذ صابرا، ومذ زمان**)، وإدغام الحروف الأسنانية في النطعية نحو: (**اهب ظّالما، ابعدّلك**) في (**اهبط ظالما، ابعث لك**).[3]

يتبيّن مما سبق أن سيبويه كان أحيانا يصرح بالظّاهرة اللغوية ، وأحيانا أخرى يتركها على إطلاقها، وهذا كثيرا جدا في كتابه،[4] كما كان يكثر من الحديث عن اللهجات في أثناء تناوله الظاهرة، مصرحا أحيانا بأن هذه الظاهرة موجودة عند بعض العرب دون غيرهم،[5] وهذا ما جعل ظواهره تحمل مادة ثرية جدا لدراسة اللهجات العربية، وغايته من ذلك حرصه الشديد على تقديم اللغة في أدق وصف وأكمل وجه، وليس هناك من يستطيع أن يتجاوز العمل الصوتي الكبير الذي قدمه هذا العالم الجليل فيجب أن نحترم آراءه ونجلها، ونقدر جهوده الجبارة ولا سيما أنه كان رائدا في هذا المجال، شقّ الطريق الوعرة ،وحاول أن يسهل للأجيال من بعده سبيل تناول اللغة.

وقد ظل القدماء يدورون في فلكه، ويرددون عباراته و مصطلحاته، وتأثر بكتابه كل من جاء بعده من النّحاة واللغويين، لا في آرائه النّحوية فحسب، بل في آرائه الصوتية كذلك، كالمبرد وابن جني والزمخشري، والذي نريد أن نصل إليه من جراء التأكيدات السابقة، هو وجود توافق بين ما جاء في التراث العربي ،والبحث الحديث الأوروبي في بعض الجوانب من حيث المادة مما يدل دلالة واضحة على تأثرهم بالتراث العربي الصوتي، واطلاعهم عليه وقراءتهم له، بدليل

---

[1]- الحروف العربية و تبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه (خلفيات وامتداد ،دراسة)، د/ درار مكي، اتحاد الكتاب العرب، ط1؛2007م، ص 298.

[2]-ينظر: المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعية الجزائرية ،د/ دارر مكي ،د/سعاد بسناسي، ص 145.

[3]- الحروف العربية وتبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه، د/ درار مكي، ص 301.

[4]- ينظر: الكتاب، سيبويه ،4 / 163-168.

[5]- ينظر: المصدر نفسه ، 4/ 125-140.

أنهم سبقوا العرب المحدثين إلى إخراج بعض الكتب العربية وتحقيقها، وهذا يدفع للقيام بالمزيد من الدراسات التأصيلية في المجال الصوتي، تزاوج بين الأصالة والمعاصرة.

المبحث الثالث:

تراث ابن سينا وأصوات اللغة في رسالته (370هـ/428هـ):

للأطباء والفلاسفة المسلمين أثر كبيّر في بناء الصّرح العلمي عند العرب، وذلك لمّا قدموه من ثقافة كبيرة أغنت الفكر الإنساني عموما، والعربي على وجه الخصوص، إذ تفرّدوا عن غيرهم من الدارسين في طبيعة البحث وعمقه، وكان البحث اللغوي واحدا من العلوم التي كتبوا فيها ،وأغنوا بدراستهم العلمية الدقيقة التي شغلت مساحة زمنيّة كبيرة[1].

وعلى الرغم من السعة الزمنيّة التي شغلتها هذه المدرسة وتعدد علمائها، وتوزعهم على هذه الحقبة الطويلة، لم تستطع أن تستميل اهتمام الدارسين، وتحرك أقلامهم اللهم إلا القليل ممن حاول دراسة الجوانب اللغوية عند علمائها، ومن بينها الجانب الصّوتي الذّي اهتموا به كثيرا، إذ لم يكتف أصحاب هذه المدرسة على وجه العموم، بدراسة الأصوات من زاوية واحدة بل تعددت زوايا النظر وتنوعت، **فالكندي** مثلا درس اللثغة[2]، **وأبو نصر الفارابي (ت339هـ)** أوّل من استخدم

[1]- المدارس الصوتية عند العرب_النشأة والتطور_، د/علاء جبر محمد، ص 152.
[2]- الأصوات اللغوية، د/ زين كامل الخويسكي، ص 58.

مصطلح (علم اللسان)[1] ،**وإخوان الصفا وابن رشد (ت595هـ)** في كتبه انتقال الصّوت اللغوي[2].

أما ابن سينا فشملت دراسته الجانب الطبيعي (الفيزيائي) ،والجانب النّطقي للأصوات وهو من الذين آمنوا أن العلم هو مجموعة من الملاحظات، والاستدلالات للمؤسسة عليها، ثم دراستها وأخذ الخلاصات منها ،وهذه الخلاصات هي العلم أي اكتشاف الحقائق ،ومعرفة القوانين التي تربط هذه الحقائق[3]، من أجل هذا سنخصص رسالته بفضل بيان لجهوده الجبارة.

1- ابن سينا وسيرته الذاتية :

أ/ التّعريف بابن سينا: ابن سينا هو أبو على الحسين بن عبد الله بن الحسن ،بن على بن سينا، عالم مسلم فارسي (**370ه-428هـ)** أحد العباقرة العظام الذين أنجبتهم الحضارة العربية الإسلامية، فخلدوا على وجه الدهر، نشأ محبا للعلم كَلِفاً بالمعرفة، وقد أوتي من الموهبة والذكاء ما بهر أساتذته وعارفيه، حتى إن **النَائليُّ المتفلسف** وكان قد جاء ليعلمه فأخذ يتعلم منه، نصح لوالده ألا يشغله بغير العلم، كان جادا لا يمل العمل، ولا يفتر عن المطالعة، منهوما لا يشبع من طلب العلم، يتكئ على نفسه في الدّرس ،والبحث لقوله : « ثم أخذت أقرأ الكتب على نفسي وأطالع الشروح حتى أحكمت علم المنطق، وكذلك كتاب أقليدس... وصارت أبواب العلم تنفتح عليَّ»، قرأ ما قرأ، ووعى ما وعى، فلما بلغ الثّامنة عشرة من عمر فرغ من العلوم لم يتجدد له بعد ذلك شيء[4].

ولعل من الأمور الدّالة على الشأن الذي بلغه الشيخ الرئيس أن يقصد، وهو في الحادية والعشرين من عمره، ليسأل أن يضيف كتابا جامعا في الفلسفة فيؤلف كتاب المجموع (**الحكمة العروضية**) ،الذّي أتى فيه على سائل العلوم سوى العلم الرياضي، ثم يؤلف استجابة لجاره أبي بكر البرقي كتاب الحاصل، والحصول في قريب من عشرين مجلدة، وكتاب البر والإثم في الأخلاق، دع عنك أنه ألَّف وهو

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 60.

[2]- الموسيقي الكبير، أبو نصر الفارابي، ص213.

[3]- منهج الدرس الصوتي عند العرب، علي خليف حسين، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2002م، ص26.

[4]- رسالة أسباب حدوث الحروف، للشيخ أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا ، ص 05.

في السابعة عشرة من عمره كتاب معتصم الشعراء في العروض ؛إنها الباكورة الطيبة تبشر بالخير العميم الذي تغدق به سماؤه[1].

وتقلب الشيخ الرئيس في الأرض، لم يألف بقعة واحدة لا يغادرها، ألجأته الضّرورة إلى التنقل، وكان طموحه أكبر من أن يحبسه منزل واحد، فسار عن بخارى التّي شهدت نشأته ،وصباه بعد أن زالت منها دولة السامانية، وقصد كركانج قصبة بلاد خوارزم، ومدينتها العظمى، ليمضي منها إلى نسافباورد، وتتقاذفه البلدان حتى بلغ به جاجرم رأس حد خراسان، ثم يأتي جرجان (وهي مدينة المشهورة بين طبرستان وخراسان) فيتلبث بها مدة، لينهض منها إلى الريّ، فيأوي إلى ظلال البويهيين، يقضي زمنا في خدمة مجد الدولة والسيدة والدته، ثم يفارق الريّ ليعيش في كنف شمس الدولة بهمذان، وينال الخطوة لديه حتى تقلد وزارته، وكان يشهد ليالي الجمعات مجلس النظر بين يدي الأمير علاء الدولة بحضرة سائر العلماء على اختلاف طبقاتهم[2] ، قضى ابن سينا شطرا طيبا من حياته في صحبة الملوك ،والأمراء والرؤساء ومجالسهم فشغل ذلك أوقاته، ولم يدعه يتفرغ للعلم والتأليف والتدريس التفرغ الذي كان يَوَدّه له تلاميذه ومريدوه وعلماء عصره، ويَفْجُؤَكَ في الشيخ الرئيس وأمره كما رأيت غزارة نتاجه وتنوعه وإحاطته وابتكاره، ويبهرك في الشيخ الرئيس قدرته الفائقة لا تحدّ في سرعة التأليف مع التّجويد والإتقان .

وآخر محطات الشيخ الرئيس(أصبهان) ،فحط بها رحاله وألقى عصاه ليجعلها خاتمة مطافه، وكان يصحب الأمير في بعض أسفاره وحروبه، وقصد علاء الدولة همذان فسار معه الشيخ الرئيس، وكان لم يبرأ من علة نابتة فأضعفته و تناهبته الأسقام، وعلم أن قوته قد سقطت، وأنها لا تقي بدفع المرض، فأهمل مداواة نفسه، وأخذ يقول:«المدبّر الذّي كان يدبّر بدني قد عجز عن التدبير، والآن فلا تنفع المعالجة» ، وبقي على هذا أياما ثم انتقل إلى جوار ربه، وكان موته في سنة **(ت438هـ)** وقبره تحت السور من جانب القبلة من همذان[3].

ب/ تأليف رسالته أسباب حدوث الحروف:

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 05

[2]- رسالة أسباب حدوث الحروف ، ابن سينا ،ص06.

[3]- المصدر نفسه، ص06-07.

لقد أحصى الأب **جورج شحاتة قنواتي** في عام(م1950) مؤلفات ابن سينا ،فبلغ بها ستة وسبعين ومائتي كتاب، ولعله لم يستوف في إحصائه كل ما ألفه الفيلسوف العظيم، ومن الحق أن لابن سينا رسائل ومؤلفات صغيرة ،ومختصرات ولكن من الحق أيضا أن له مؤلفات مبسوطة كل البسط، تقدَّم لك إحاطة بالموضوع شاملة تامة، تُلخص لك المعرفة الإنسانية حتى عصر ابن سينا، لتضم إليها نظرات الفيلسوف الحكيم التي أدته إليّها شاهداته ،وتجاربه وبصرته النافذة وفكره المبدع[1].

إنَّ السمة الأساسية في ابن سينا أنّه كان من أولئك العباقرة الموسعين، لم تقف همته على علم واحد برأسه، بل كانت إحاطته بالعلوم الشاملة، ولذلك حكاية أوردها **القفطي** في (إنباه الرواة) فقد ذكر أن الشيخ الرئيس جمعه مجلس الأمير علاء الدولة بأحد اللغويين ،واسمه أبو منصور محمد بن علي بن عمر المعروف بالجبان النحوي[2]، وجرى الحديث في شأن من شؤون اللغة تكلم فيه ابن سينا وكان يومئذ وزيرا ،فقاطعه أبو منصور الجبان قائلا:« أنت منطقي، ما نعارضك، وكلامك في لغة العرب ما نرضاه »،فسكت أبو علي خجلا، وبعد انفصاله من المجلس نظر في اللغة، وتبحر فيها، وعمل رسائل أودعها نوعا متوفرا من اللغة، وسأل علاء الدولة ابن جبان عما تضمنته من الغريب فعلم بعضه، وأنكر بعضا، فقال أبو علي: الكلمة الفلانية معناها كذا، وهي مذكورة في الكتاب الفلاني، وشرح جميعها، وأحال على الأصول، فخجل أبو منصور الجبان[3].

وهذه الحكاية تنّم عن أن ابن سينا، الذي عُرَّف طبيبا وفيلسوفا له مؤلفات ،ومصنفات في الطب والمنطق وسائر العلوم لم يشأ أن تظل معرفته باللغة من نحو، و عروض ،ودلالات، وأصوات معرفة سطحية، فلا يستفتى في شيء من ذلك استفاءه في الفلسفة والطب والحكمة، فأخلص البحث في اللغة وصنّف الرسائل والمؤلفات التّي أعجزت نحويا لغويا مثل أبي منصور الجبان عن إدراك ما جاء فيها من غريب[4] ، ومن بين رسائله أسباب حدوث الحروف التي بمثابة درة ثمينة استطلاع أن يولج بها ابن سينا علم الطبيعة إلى علم اللغة، فكشف عن أسرار

---

[1]- المصدر نفسه ،ص 08.

[2]- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمن ،ابن خلكان ، 1/ 152.

[3]- إنباه الرواة على أنباه النّحاة، القفطي، 176/4.

[4]- صوتيات ابن سينا،د/ ابراهيم خليل، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية،كلية الآداب ،الجامعة الأردنية، المجلد 32، ع 03، 2005م، ص541.

غامضة ما زالت من صميم الدراسة المعاصرة كظاهرة التّموج الفيزيائية ،وكثافة الهواء في كل موجة وشكل الموجة ،وما يترتب عنه من صوت[1]، ويبدو أن عناية ابن سينا بالطب ،والتشريح وسائر العلوم الطبيعية قادته إلى إدراك ما للصوت من أهمية في فهم النّظام اللغوي والوقوف على أسراره، ودقائقه اللطيفة التي يدق الإلمام بها حتى على جهابذة اللغة من أمثال الخليل وسيبويه وابن جني وغيرهم من اللغويين والنحويين[2].

وهذا ما أكدّه **إبراهيم أنيس** بقوله: « ولما وقفنا على هذه الرسالة منذ بضع سنوات استدعى انتباهنا ؛أنها تعالج طرفا من الدراسة الصوتية اللغوية علاجا فريدا يختلف اختلافا بيّنًا عن علاج سيبويه ،وأمثاله من علماء العربية، فقد جاء حديث ابن سينا في رسالته حديث العالم بأسرار الطبيعة حين أشار إلى كنه الصوت وأسبابه، وحديث الطبيب المشرح حين وصف أجزاء الحنجرة واللسان، وتميز كلامه بمصطلحات لا تعرف أن غيره من علماء اللغة العربية يشركه فيها، ذلك لأن سيبويه قد بدأ كتابه المشهور الوصف المألوف لأصوات اللغة من حيث مخارجها وكيفية صدورها وصفاتها »[3] ،وقد قسم ابن سينا رسالته إلى ستة فصول وهي:

1- **الفصل الأوّل**: سبب حدوث الصوت وهو التموج، الحادث عن عمليتي القرع والقلع.

2- **الفصل الثّاني**: سبب حدوث الحروف التي ليست سوى هيئات خاصة للصوت.

3- **الفصل الثّالث**: تشريح الحنجرة واللسان.

4- **الفصل الرابع**: كيفية حدوث كل حرف من حروف العربية مظهرا موقعه، ودور أعضاء النطق في تكوينه.

5- **الفصل الخامس**: الحروف التي يحدث كل منّها بين حرفين ،والتي ليست في لغة العرب.

6- **الفصل السادس**: الأصوات التي تحدث في الطبيعة من غير طريق النطق.[4]

---

[1]- مصادر التراث الصوتي العربي ، د/أحمد عزوز ، مجلة التراث العربي ،ص192.

[2]- صوتيات ابن سينا، د/ إبراهيم الخليل، ص541.

[3]- الأصوات اللغوية، د/ زين كامل الخويسكي، ص61.

[4]- علم وظائف الأصوات اللغوية- الفونولوجيا-، د/عصام نور الدين، ص 166-167.

فعبقرية الشيخ الرئيس التي تألقت في كتبه، وتآليفه قد دفعت الأجيال أن تعود إليها دراسة منقبة، وتكشف لها الأيام كّل مرة صفحة جديدة، ذلك لأن العباقرة العظام لا ينّفذ سحرهم، ولا ينضب معينهم، يجددون تجدد الفكر الإنساني، وينتفع النّاس بجناهم الطيب كل حين، ويسعد في أن أقدم لأثر نفيس من آثار الشيخ الرئيس هو رسالته في أسباب حدوث الحروف، نتحدث عنها الحديث الذي يقتضيه مقام التقديم:

2- الدراسة المادية للأصوات.

أ/ طبيعة الصوت:

تباينت اتجاهات الدراسة الصوتية عند العلماء العربية على وفق تباين المدرسة التّي ينتمون إليها وغايتها ،ومنهجها في الدراسة، فكانت السمة البارزة والأكثر تميّزا لهذه المدرسة هي تأكيدها دراسة الجوانب الطبيعية في الظاهرة الصوتية، ورصدها رصدا يهيئ لهم الوقوف على الكثير من حقائقها، ومحاولة تفسيرها، وهذا لا يعني أن جميع الدارسين في هذه المدرسة ساروا على وتيرة واحدة ،أو أن آراءهم كانت متشابهة ،ومتطابقة بل قد تباينت آرائهم في تفسير الظواهر الصوتية فمنهم من ركز على جوانب طبيعية لم يركز عليها غيره، ومنهم من أهمل دراسته بعض الجوانب قاصرا دراسته على ما رآه الأقرب من العملية السمعية[1].

وعلى الرغم من كون الهدف الأساسي من دراسة الأصوات من الجانب الطبيعي عند الفلاسفة، الوقوف على تفسير دقيق لظاهرة النغم التي أولوها عناية خاصة في دراستهم ،نجد أن هذه الدراسة قد مثلت المدخل الأساس لدراسة الصوت اللغوي ،وهو مسار أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة صحته ورجاحته على غيره من الدراسات، إذ اهتم المحدثون في دراساتهم بالدراسة الطبيعية (**الفيزيائية**) وجعلوها مدخلا أساسيا في دراستهم الصوتية، ومنطلقا لدراسة علم الأصوات النطقي[2].

[1]- علم الصوتيات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء، يوسف الهليس، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، مج 3، ع 2؛1985م، ص60.

[2]- المدراس الصوتية عند العرب– النشأة والتطور-، د/ علاء جير محمد، ص 154.

إلا أن ابن سينا أول من تطرق في مؤلفاته إلى **طبيعة الصوت** فهو في رأيه ليس أمرا قائما بذاته، موجودا ثابت الوجود، وإنما هو أمر حادث، أي أنّه ينشأ بسببين ،ومن هذا السبب **القلع** أو **القرع**، فأما القرع فهو أن تضرب صخرة ، أو خشبة بشيء فيحدث صوت، وأما القلع فمثلما تنتزع أحد شقي عن الآخر، وإذا زال السبب المحدث للصوت توقف إلا من تردد (**صدى**) يستمر لحظات ثم ينقطع ،ولكي يحدث الصوت لا بدّ من أن تكون الأجسام التّي تقرع أو تقلع أجساما صلبة، وإلا فإن بعض التّصادم لا يحدث صوتا لخلو أحد الجسمين من المقاومة، وكذلك إذا َشقَقْت شيئا يسيرا، وكان الشيء الذي تشّقه لا صلابة فيه لم يكن للقلع صوت البتة[1]، و يرى أن مع كل قرع أو قلع حركة للهواء، أو ما يجري مجراه، إما قليلا أو برفق، وإما دفعه على سبيل تموج أو انجذاب بقوة[2] ؛ وإذن فلكي يحدث الصوت لا بدّ من حركة قوية من الهواء[3] .

حيث علّ هذه الظاهرة بارتداد الهواء المتموج عما يصطدم به من جبل، أو حائط أو ما يشابهه، لأن الهواء المرتدّ ملابس للصوت أصلا، فيسمع للمرة الثّانية بارتداد الهواء وتموجه على الّنحو الذي كان أول مرة، فالصوت يرتدُّ عن الجبل أو الجدار مثلما ترتد الكرة عندما يقذف بها ذلك المانع من سور أو حائط، أو ما شاكل ذلك، ويزداد الصدى وضوحا كلما كانت المسافة كبيرة بين مصدر الصوت ،والجسم الذي يرتد عنه الهواء، لأن الفرق الزمني بين سماع الصوت وسماع الصدى هو الذي يجعل الثّاني واضحا ، وإما إذا كانت المسافة قصيرة مثلما هو الحال في المنازل، والبيوت فيسمعان معا، لذا يتضاءل الصدى حتى يكاد لا يسمع[4].

وممّا سبق نستنتج أنه يعد وصفا عاما لطريقة إنتاج الصوت، إلا أن الشيخ الرئيس لا يكتف بما ذكر، وإنما يضيف لذلك وصفا لما يتعرض له الهواء من تضاغط وتخلخل عند إحداث الصوت، فعند احتكاك جسمين صلبين، على النّحو الذي تقدّم وصفه، ينتج انفلات في الهواء وانضغاط بينهما فيعنف، والصلابة،

[1]- في البحث الصوتي عند العرب،د/ إبراهيم خليل عطية، ،ص08-10.
[2]- كتاب النفس، ابن سينا، تصدير ومراجعة: إبراهيم مذكور، تحقيق: جورج قنواتي وسعيد زايد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ص 71-72.
[3]- المصدر نفسه ، ص 72.
[4]- صوتيات ابن سينا، د/إبراهيم الخليل، ص543.

والملامسة، كلاهما يساعدان على شدة ضغط الهواء، ونتيجة ذلك تعرض للهواء، ونتيجة ذلك تعرض للهواء أعراض ينشأ عنها وضوح الصوت و تنشأ عنها قوته، فالهواء يجوز أن يعدُّ جزء منه مقاوما، وجزء بينه وبين المزاحم القارع منضغطا، بل يجوز أن يصير الهواء أجزاء ثلاثة، القارع كالريح، والمقاوم جزء منضغط فيما بينهما على هيئة من التَّموج[1].

وهذا التحديد يجعل ابن سينا يعتبّر القرع، والقلع سببين الصوت والتموج فاعلا للصوت[2] ، ويخلص من ذلك إلى اعتبار الصوت عارضا يعرض من هذه الحركة الموصوفة يتبعها ويكون معها، فإذا انتهى التموج من الهواء إلى الصماخ أحس بالصوت[3] ،والملاحظات الأخيرة تلُّفت النّظر إلى عناية ابن سينا بمعرفة المسموع ،وطبيعة السمع فضلا عن إنتاج الصوت ،وطريقة انتقاله عبر الهواء المضغوط تارة والمتخلخل تارة أخرى وإشارته إلى الصماخ، وما يجري في داخله، والعصب السمعي، ويؤكد قناعته بأن دراسة الجانب السمعي دراسة مهمة، وهو بهذا يجمع بين الدراسة الفيزيائية للصوت ،والدراسة السمعية مما يجعله على وئام وانسجام مع علماء الأصوات المحدثين ، الذين يرون ضرورة هذا الجانب أسْوَةً بالجانب النطقي[4].

ب/ وصف الصوامت العربية:

يسمي ابن سينا كغيره من المتقدمين الصوت اللغوي حرفا ،وهو يعني به ما يعنيه اللغويون في أيامنا هذه من مصطلح الفونيم، ويعرفه بقوله:« هو هيئة عارضة للصوت يتميز بها عن صوت آخر مثله في الحدة ،أو الثقل تمييزا في المسموع، وهو ناتج عن حبس الهواء تاما يتبعه انطلاقه دفعة واحدة، وبعض الأصوات يحتاج إلى احتباس غير تام تتبعه إطلاقات »[5].

والحروف المفردة هي:(الباء والتاء، والجيم، والدال، والضاد أيضا من وجه، والطاء والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون أيضا من وجه)، وهي

---

[1]- في البحث الصوتي عند العرب، د/ إبراهيم خليل عطية، ص87.

[2]- كتاب النفس، ابن سينا، ص71.

[3]- المصدر نفسه ، ص 81.

[4]- أسس علم اللغة ، ماريوباي ، ص92.

[5]- رسالة أسباب حدوث الحروف، للشيخ أبي على الحسين بن عبد الله بن سينا (370 ه- 428ه) ، ص 60.

تشترك في أنَّ وجودَّها ،وحدوثها في الآنِ الفاصل بين زمان الحبس وزمان الإطلاق، وذلك لأن زمان الحبس التّام لا يمكن أن يحدث فيه صوت حادث عن الهواء ،وهو مسكن بالحبس وزمان الإطلاق ليس يسمع فيه شيء من هذه الحروف، لا تمتد البتة، إنما هي مع إزالة الحبس فقط[1]، فالأصوات المفردة تشبه التوقفية عند المحدثين ،أما المركبة فتشبه الأصوات الرخوة ،وهي التي تنشأ عن احتكاك الهواء بجدران الممر الصوتي في موضع النطق دون انغلاق مما يترك الهواء مستمرا في المرور عبر التجويف الفموي، أيّ أن الصوت في مثل هذه الحال يمكن الاستمرار فيه مديدة[2]، وأما **الحروف الأخرى** فإنها تمتد زمانا ما ،وتفنى مع زمان الإطلاق التام، وإنّما تمتد في الزمان الذي لا يجتمع فيه الحبس مع الإطلاق.

وبعد اشتراك كل واحدة من الصنفيّن في العلة العامة، قد تختلف بسبب اختلاف **الأجرام*** التي يقع عندها وبها الحبس والإطلاق، فإنها ربما كانت ألين ، وربما كانت أصلب ،وربما كانت أيسر، وربما كانت أرطب، وربما كان الحبس في نفس رطوبة تتفقع ثم تتفقأ إما مع انفصال وامتداد وإما في **مكانها***، وقد يكون **الحابس*** أعظم، وأصغر والمحبوس أيضا أكثر وأقل والمخرج أضيق، وأوسع، ومستدير الشكل، ومستعرض الشكل مع دقة والحبس أشد وألين، والضغط، بعد الإطلاق أحفز وأسلس[3].

فالدارس المتأمل لما ذكره من وصف لبعض الأصوات يستنتج أن **ابن سينا** استعمل مصطلحين متميزين هما: **المخارج والمحابس**، ,أغلب الظن أنه يريد بالمخارج مجرى الهواء أو طريقه الذي يكون إما في الأنف وذلك مع الميم

---

[1]- رسالة أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص 62.

[2]- معرفة اللغة، جورج يول، ترجمة: أ/د محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ص 61.

*** الأجرام: الأجسام، ويقصد بها إلى أعضاء النطق التي تشترك في إصدار كل صوت، وخواص كل منها: حجما، وطولا، وليونة.**

*** قد يكون الحبس (نقطة المخرج) في مكان به رطوبة تتجمع وتتفرق،والرطوبة كما قال الجرجاني كيفية تقتضي سهولة الشكل والتفرق والاتصال ،وتعني أيضا البلل مقابلا للجفاف ،فالجسم المبلل غير الجسم المبلل.**

***عضو النطق الذي يقوم بعملية الحبس (حبس الهواء)**

[3]- علوم الصوتيات عند ابن سينا ،د/محمد صالح الضالع ،دار غريب للطباعة ،القاهرة ؛2002م،ص 102ـــ 103.

والنون، أو من الفم مع باقي الحروف، أما المحابس فيبدو أن ابن سينا يريد بها ما أراده القدماء بمصطلحهم المخارج، وهي تلك المواقع التي يتم لدى كل منّها حبس الهواء سواء كان هذا الحبس تاما، أو غير تام **فالكاف** لها محبس هو في أقصى الفم حين يلتقى أقصى اللسان بأقصى الحنك التقاء محكما يترتب عليه حبس الهواء حبسا تاما، فإذا انفصل العضوان فجأة تسرب الهواء في العنف محدثا **صوتا انفجاريا**، فهذا الموضع أي أقصى اللسان مع أقصى الحنك هو ما سماه القدماء كسيبويه وغيره بمخرج الكاف، أو ما يسميه ابن سينا بمحبسها، **فالحبس** لدى ابن سينا هو موضع معين أو نقطة مسيئة في طريق الهواء، أما المخرج فهو كل الطريق[1].

والأمر الثّاني أن لابن سينا نّظرة ثاقبة في تمييز الصوت من الآخر، وهذه آلنظرة لا تعتمد على معرفة المخرج المشترك لصوتين مثلما بينا قبلا، ولكنه يتنبه كذلك لآلية اللفظ، **فالباء والميم** صوتان شفهيان فرق بينهما التجويف الأنفي في الميم، ولولا ذلك لكان صوتا واحدا، كذلك **الباء والفاء** متقاربان في المخرج إلا أن الفاء لا تتطلب احتباس الهواء وغلق الممر تماما ،بل تكون بواسطة ملامسة الثنايا العليا لباطن الشفة السفلى ملامسة لينة تاركة للهواء حرية التسرب[2] ،في حين أن الباء محتاجة إلى حبس الهواء بإغلاق تام ثم إطلاقة مثلما يحدث في نطق الهمزة، فموقع الباء من الفاء كموقع الهمزة من الهاء في الحنجرة[3].

ويصف ابن سينا **الأصوات الصفيرية** ومنها السين ،والزاي[4]، **والأصوات الذلقية** مثل الذال والظاء مفرقا بينهما وبين الزاي بما ينفذ من هواء خلال الأسنان مع عدم استمرار نفاذه طويلا كالزاي[5] ، ووصفه لنّطق النون مقارنة بالميم وصف دقيق لأنه هنا يؤكد أن الهواء لا يحتبس عن طريق ضم الشفتين ،وإنما من ملامسة اللسان للحنك مع انطلاق الهواء المقاوم إلى تجويف الأنف[6]، أما تفريقه بين الطاء

[1]- الأصوات اللغوية ، د/ إبراهيم أنيس، ص 140-141.
[2]- رسالة أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص 82.
[3]- علوم الصوتيات عند ابن سينا، د/ محمد صالح الضالع، ص 115
[4]- المصدر نفسه ،ص 77-79
[5]- المصدر السابق ، ص 81.
[6]- علوم الصوتيات عند ابن سينا، د/محمد صالح الضالع، ص83.

والتاء فهو قاعدة جيدة للتفريق بين الانفتاح، والإطباق وكلاهما من خصائص الأصوات في العربية ،وتفريقه بين صوت الخاء والعين يعتمد على مقدار انحباس الهواء، ففي الخاء تكون قوة انطلاق للهواء أوضح من قوة انطلاقة الغين، كما عرف ابن سينا صلة الهمزة بالحنجرة خلافا للقدماء الذين عدُّوها من حروف الحلق، فنطق الهمزة ينشأ عن مقاومة الغضروف لانطلاق الهواء زمنا ثم اندفاعه[1].

3- أعضاء النّطق عند ابن سينا :

لم تعد نظرة العديد من الدارسين الذاهبة إلى القول بأن العلماء العرب لم يكونوا عارفين بالأعضاء النطقية معرفة دقيقة مقبولة ،وذلك بعد العثور على العديد من النّصوص التي تدلُّ على هذه المعرفة إذ يعد **الإمام جعفر الصادق (ت 148هـ)** من أوائل العلماء العرب الذين وصفوا الأعضاء النطقية وصفا دقيقا يكاد يقرب من الوصف الحديث[2]، وأدركوا دورها في تكوين الأصوات، ولم يغب عن إدراكهم منها شيء، سوى ما لا يقع تحت النظر والملاحظة الذاتية، وإن كانوا قد أحسوا بأثره الصوتي وميزوه عن غيره.[3]

والجدير بالذكر أن علماء هذه الفترة من تاريخ البحث الصوتي، قد أفادوا كثيرا من المادة الصوتية التي تركها أسلافهم، إلا أن دراستهم كانت أعمق ،وأدق ،وأشمل في مختلف مباحثها، وعلى رأسهم **ابن سينا** حيث تبدت عبقرتيه الطبية في تشريح الحنجرة مبينا غضاريفها الثلاثة (**الدّرقي، الطّرجهاري، وعديم الاسم**)، وكفية تركيبها ،وارتباطها بعضها ببعض عن طريق المفاصل، والعضلات التي عدّدها وحدّدها تحديدا دقيقا وهذا ما سنشير إليه:

أ/ تشريح الحنجرة:

ابن سينا أول من عرف الحنجرة، وعرف الأجزاء التي تتألف منها، وتحدث عن الغضاريف الثلاثة حيث يقول: «أما الحنجرة فإنها مركبة من غضاريف ثلاثة »

---

[1]- صوتيات ابن سينا ، د/ إبراهيم خليل ،ص547.
[2]- المدراس الصوتية عند العرب – النشأة والتطور-، د/ علاء جبر محمد، ص 166.
[3]- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد ،د/ غانم قدوري الحمد، ص 84.

- ـ**أحدهما** موضوع إلى قدّام يناله المسّ في المهازيل جدا ، عند أعلى العنق تحت الذّقن،وشكله

شكل القصعة حدبته إلى الخارج وإلى قدّام، وتقعيره إلى داخل وإلى الخلف، وسمي الغضروف الدّرقي والترسي[1]،و لأنه يكون في الرجل أظهر من عند الإناث فقد سمي تفاحة آدم.

- ـ **والثاني** الخلفي متصل بالأول بوساطة أربطة تشده من اليسار واليمين ، ولا يجد ابن سينا

فيما بين يديه من معطيات التشريح لهذا الجزء من جسم الإنسان اسما، فيعبر عنه بعبارة لا تخلو من معنى وهي: **عديم الاسم**.

- ـ الغضروف **الثالث** وهو يشبه قصعة مقلوبة على الغضروفين الآخرين وهو منفصل عن

الأول ،ومرتبط بالثاني بمفاصل مضاعفة النسج تتألف من زائدتين تصعدان مع الغضروف الخلفي وتستقران في نُقْرَتين فيه، ويسميه ابن سينا الغضروف المقلوب أو المُكَبَّى أو الطَّرْجَهالي[2] .

فهذه الغضاريف وظيفتها تحديد كمية الهواء المار من تجويف الحنجرة ،فيكون الصوت بذلك حادا أو ثقيلا، وهنا يتحوّل الهواء إلى صوت ثم ينتقل الهواء إلى موضع آخر من مواضع النّطق ،فيحدث صدام آخر له يحدد نوع الصوت، وإذا وصل الهواء إلى اللسان فإنّه يقطع إلى حروف ويؤلف من هذا التقطيع الكلام، ولم يكتف ابن سينا الأمر ،وإنما أشار إلى وظيفة الأعضاء الأخرى في إنتاج الكلام كاللهاة والأنف والشفتين[3].

والحق أن وصف ابن سينا **للحنجرة**، وما فيها من غضاريف، يكاد يطابق تماما ما جاء لدى المحدثين، حيث يقول **سعد مصلوح**:« الغضروف الدّرقي غضروف ذو حدبة تتّجه الجهة المفتوحة منه إلى الخلف، والحدبة البارزة إلى الأمام، بحيث ترى تحت الذقن، وتكون بارزة عند الرجال أكثر من النساء وتتصل بالعظم اللامي وتجمعها بالغضروفين الآخرين روابط وعضلات .»[4].

---

[1]ـ رسالة أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص 64-65.

[2]ـ ينظر: علوم الصوتيات عند ابن سينا، د/محمد صالح الضالع، ص104.

[3]ـ المدراس الصوتية عند العرب – النشأة والتطور-، د/ علاء جبر محمد، ص 168.

[4]ـ دراسة السمع والكلام، د/ سعد عبد العزيز مصلوح، ، ص65.

كما أن الغضروف الذي يطلق عليه ابن سينا (عديم الاسم) يسميه المحدثون (**Epiglottis**) ،فكأنه حين ظهر له أن المقطع السابق « **Epi** » لا يعني أكثر من (**فوق أو على**) وأن كلمة « **glottis** » بالإغريقية معناها (**اللسان**)وأهم وظيفة له هو من طريق التنفس في أثناء البلع[1] ،وكذلك تبيّن لنا أن الغضروف الذي سماه ابن سينا **الدرقي** ،أو **الترسي** سمي لدى المحدثين باسم **(Thyroid**)،وهذه التسمية الأجنبية ترجمة للعربية، لأن هذا الغضروف يشبه في شكله الترس أو الدرقة، و بمعنى بالإغريقية(**Thyroid**) الترس.

ومن هذا نستنتج أن المحدثين لم يبتعدوا في حديثهم عن أعضاء النطق، وكيفية إنتاج الكلام عن أفكار الشيخ الرئيس ابن سينا فهم يذهبون إلى أن الأصوات تنتّج عن القرع أو احتكاك الجسم بجسم أو نفخ بجسم، وأما الكلام فيحدثه (عمود هوائي يتحرك يجري خلال فراغ ضيق في الفم ،أو الأنف ،أو الحلق ،وكون العمود متحركا يستلزم وجود باعث على حركته)[2] .

ب/ تشريح اللسان:

لا يخل كتاب من كتب الطب العربية القديمة من فصول مخصصة لدراسة أمراض اللسان ،فعلى سبيل المثال في الجزء الثالث من الحاوي للرازي نجد بابا لحس الذوق ،وآخر لأمراض الحلق واللسان واللهاة، كما خصص الرازي الباب التاسع والأربعين من كتابه التقسيم والتشجير لعلل اللسان، أما أبو الحسن الطبري صاحب كتاب المعالجات البقراطية مخصص لأمراض اللسان ، و ابن سينا في كتاب القانون في الطب الذّي يعطي سورة واضحة عن اللسان ،فلا يوجد كتاب طبي في تراثنا من فصول يتحدث فيها المؤلف عن أمراض اللسان وعلاجاتها.

اعتبّر ابن سينا **اللسان** أحد أعضاء النّطق حيث يقول:« وأما اللسان فتحركه بالتحقيق ثماني عضل» ،منها **عضلتان** تأتيان من الزوائد السهمية التي عند الأذن يمنه ويسرة وتتصلان بجانبي اللسان، فإذا تشنجتا عرضتاه،ومنها **عضلتان** تأتيان من أعالي العظم الشبيه باللام ،وتنفذان وسط اللسان ،فإذا تشنجتا جذبتا جملة اللسان إلى قدام ،فتبعها جزء من اللسان وامتد وطال،ومنها **عضلتان** من العضلين السافلين من أضلاع هذا العظم، ينفذان بين العرضين والمطولين، ويحدث عنهما

[1]- الأصوات اللغوية، د/إبراهيم أنيس، ص 142-143.
[2]- علم اللغة- مقدمة للقارئ العربي - ، د/ محمود السعران، ص 150.

توريب اللسان[1]،ومنها **عضلتان** موضوعتان تحت هاتين ،وإذا تشنجتا بطحتا اللسان ،وأما تمييله إلى فوق وداخلا فمن فعل المعترضة والموربة[2].

ومن وظائفه عضو من الفم ،وهو من آلات تقليب الممضوغ، وتقليع الصوت وإخراج الحروف ،وإليه تميّيز الذوق، وجلدة سطحه الأسفل متصلة بجلدة المرئ ،وباطن المعدة وجلدة النّطع مقسومة منصفة بحذاء الدرز السهمي ،وبينهما مشاركة في أربطة واتصال ،وفيه أعصاب كثيرة متشعبة من أعصاب أربعة ناتئة ،وفيه من العروق والأعصاب فوق ما يتوقع في مثله ،ومن تحته فوهتان يدخلهما الميل هما منبع اللُّعاب يفضيان إلى اللحم الغددي الذي في أصله المسمى مولد اللعاب ،وهذان المنبعان يسميان ساكبي اللعاب يحفظان نداوة اللسان ،والغشاء الجاري عليه متصل بغشاء جملة الفم[3].

فالخطوة التي أحدثها ابن سينا تحدث بشكل مفصل عن أعضاء النّطق، وهو الأمر الذي ميزه عن بقية الدارسين إذا استطاع في دراسته لأعضاء النطق أن يبين وظيفة كل عضو، وأن يشرح شكله ،ويحدد مكانه ،وطريقة مرور الهواء من خلاله ،ومساهمته في النّطق، فقد أفرّد فصلا كاملا في رسالته أسباب حدوث الحروف تحدث فيه عن هذه الأعضاء فضلا عن بقية كتبه من خلال كلامه عن الحجاب الحاجز، والرئتين، وقصبة الرئة ،والحنجرة، ولسان المزمار، والعظم اللامي ،واللهاة والأنف والحنك ،واللسان ،والأسنان، والشفتين.

فرسالته تعالج طرُفا مختلفة عن الدراسة الصوتية اللغوية علاجا فريدا بينّا عن علاج سيبوبه، والخليل وغيرهما من العرب، فقد جاء حديث ابن سينا في رسالته هذه الحديث العالم بأسرار الطبيعة، حيث أشار إلى كنه الصوت وأسبابه، وحديث الطبيب المشرح؛ حيث وصف الحنجرة واللسان، كما تميز كلامه بمصطلحات لا نعرف أن غيره من علماء العربية يشترك معه فيها، فقد سلك مسلكا مغايرا في كل ناحية من نواحي دراسته عمن سبقوه، فاستحقت رسالته الاهتمام الذي قام به العلماء نحوها.

---

[1]- علوم الصوتيات عند ابن سينا، د/ محمد صالح الضالع، ص 108-109.

[2]- رسالة أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص 71.

[3]- القانون في الطب، ابن سينا، مكتبة المثنى في بغداد ،(د تا) ، 175/2.

المبحث الرابع :

الصوتيات عنّد ابن سنان الخفاجي (423ه-466ه)

1- ابن سنان الخفاجي(حياته ومؤلفاته)

أ/ المكونات الشخصية والثقافية للمؤلف:

هو الأمير أبو محمد ،وفي أنساب السمعانّي أبو سعيد عبد الله بن محمد سعيد ،بن يحي بن الحسين بن محمد بن الربيع، بن سنان بن الربيع، الخفاجي الحلبي ،الشّاعر صاحب سر الفصاحة[1] ،ولد سنة (**423ه-**) بقلعة (**عزاز**) من أعمال حلب، وكان أبوه من أشراف البلدة، أخذ العلم عن أبي العلاء المعري وغيره، وعندما أتم علومه وَليَّ على قلعة عزازة، وسخط على أولياء الأمر في عصره، وظهرت في نفسه نوازع الثّورة، فأعلن العصيان على الأمير محمود بن نصر، ولكن الأمير أرسل إلى وزيره النّحاس، ليقنع ابن سنان للعودة إلى الطاعة، وكتب الوزير

[1]- ديوان ابن سنان الخفاجي، تحقيق: عبد الرزاق حسين، المكتب الإسلامي للطباعة،ط1؛ 1988م، 12/1.

النحاس إلى ابن سنان يدعوه إلى العودة إلى الطاعة ،ولكنه رمز إليه بكتابه بأنهم يريدون به شرا، فاستمر في عصيّانه، ولكن محمود بن نصر أمر الوزير النحاس بتنفيذ مكيدة بابن سنان، أودت بحياته، فمات سنة(**446ه**).

وقد رسم ابن سنان منهجه في الحياة حريصا على إرث أمجاد آبائه وأجداده،متمسكا بالقيم والمبادئ التي ورثها عنهم، أنشأ في بيئة تحترم العلم وتقدر العلماء[1]، وارتوى من ينابيع الثقافة العربية في زمانه منذ الصبا ،واستعان بذكائه واجتهاده وإمكانياته الذاتية، وكان يتمتّع بمواهب خاصة التي جعلته يستفيد مما كتبه العلماء ،والأدباء الذين سبقوه[2]، وكان ذلك أخذ مصادر ثقافته الواسعة، فقد أفاد من تجاربهم، وقرأ كتبهم، منهم قدامة بن جعفر ،والآمدي ،والرماني، والمعري الذّي تأثر به، وتتلْمذ على يده[3].

وهذا يتضح لنا أن ابن سنان كان شخصية أدبية علمية، وكان ذا أراء واضحة سديدة، امتاز بحرية الرأي والاعتداد بالنّفس، وابن سنان بتأليفه كتاب **سر الفصاحة**، وتعرضه لفصاحة المفرد والمركب تجده قد وضع الأساس المبين لمقدمة البلاغة، التي قام بتلخيصها **الخطيب القزويني** المتوفي سنة (**739ه**) -، وغيره، ونقل ابن الأثير (**637هـ**)[4] شروطه لفصاحة اللفظة المفردة، وممّن تأثر به كذلك الطُّوفي سليمان البغدادي المتوفي سنة (**716هـ**)[5] وغيرهم.

يبيّن هذا الكتاب بمضمونه وبمصادره أن صاحبه عالم بالنحو ،واللغة والفنون الأدبية ، وعلم الكلام والأصول والفقه والعروض والقراءات، متشبع بثقافة عصره، يأخذ شواهده من قدماء اللغويين، والنحاة أمثال عبيدة وسيبويه والخليل والمبرد، كما يروي أقوال المتكلمين كالجبائي وأبي هشام والجاحظ والشريف المرتضى والقاضي عبد الجبار، ونماذج من نثر أبي إسحاق الصابي وأبي الفرج

---

[1]- المحاضرات والمحاورات، جلال الدين السيوطي، تحقيق:د/يحي الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1424ه/2003م ،ص173.

[2]- سر الفصاحة، الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعد بن سنان الخفاجي، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الكتب العالمية، بيروت، ط1؛ 1982م ، ص08.

[3]- قدماء ومعاصرون، سامي الدهان، دار المعارف، مصر، 1961م، ص 81.

[4]- ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (637هـ)، المحقق: أحمد الحوفي،و بدوي طبانة، دار النهضة للطباعة، الفجالة، القاهرة، ص175.

[5]- ينظر : الإكسير في علم التفسير، د/ نجم الدين الطوفي، تحقيق: د/ عبد القادر حسين، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة، ط1، ص 68-88.

الببغاء... وغيرهم[1]، حيث يقول أحد الباحثين:«...إن دَلَّت على شيء فإنما تدل على ما يمتاز به الخفاجي من صفاء الذهن، ورفاهة الحس، ودقة الشعور، والخبرة الواسعة بأساليب اللغة، والقدرة على تمييز جيد الكلام من رديئه، وغثِّهِ من سَمينِه »[2].

ومن خلال ما كتب ابن سنان وما وصلنا عنه، يمكن أن يظهر لنا من صفاته الشخصية المتواضعة، فهو حينما يتّفق مع غيره في الرّأي، يشكر من وُفِّقَ ويحمد له صَنْعه، وحينما يخالفه فلا ينتقص من شأنه بل قد يلتمس له العذر[3]، وبدون شك من أعظم الصّفات أن يحترم فيها العالم آراء الآخرين ولا ينتقص من شأنهم.

نظم الشعر وأعاد نظمه ولمّ تتجاوز سِنُّه العشرين، يقول ياقوت في حديثه عن حلب:« وقرأت في رسالة كتبها ابن بُطلان المتطبّب إلى هلال بن محسّن بن إبراهيم الصَّابي في نحو (440ه) في دولة بني مرداس،وفيها من الشعراء جماعة، منهم شاعر يعرف بأبي الفتح بن أبي حُصَينَة، وفيها حدث يعرف بأبي محمد بن سنان قد ناهز العشرين ،وعلا في الشعر طبقة المحنكين»[4] ،وقد اتفقت المصادر التي أرخت له، وكذلك ما وصل من أشعاره على شدّة مطمحه ،وتطلعاته السياسية التي توجه بتوليه حصن عزاز من أعمال حلب، ولكن هذه الطموحات كانت هي سبب رحيله المبكر عن الحياة، وحرمنا من موهبته العلمية والأدبية، وذهب بذلك ضحيّة كيد الغادرين، وضحيّة الصّراع على السلطة والتّنافس.

ب/ كتابه سرّ الفصاحة:

شهد له كثيرون بالمنزلة العالية، وعلى رأسهم ابن الأثير الذّي قال في صدر كتابه المثل السائر:« وبعد فإن علم البيان لتأليف النظم، والنثر بمنزلة أصول الفقه للأحكام وأدّلة الأحكام، وقد ألف الناس فيه كتبا، وجلبوا ذهبا وحطبا، وما من تأليف إلاّ وقد تصفّحت شينه وسينه فلم أجد ما ينتفع به في ذلك إلا كتاب الموازنة لأبي قاسم الحسن بن بشير الأمدي، وكتاب **سر الفصاحة** لأبي محمد عبد الله بن سنان الخفاجي ،غير أن كتاب الموزانة أجمع أصولا وأجدى محصولا، وكتاب سر

---

[1]- ديوان ابن سنان الخفاجي، ترجمة و تحقيق: عبد الرزاق حسين، ص25.

[2]- الأسلوب الكنائي –نشأته وتطوره وبلاغته-، د/ محمد السيد شيخون، دار النهضة ، ط1 ؛1398 ه/1978م ، ص 15.

[3]- ينظر: قدماء ومعاصرون، د/سامي الدهان، ص 87-97

[4]- ديوان ابن سنان الخفاجي،د/ نجم الدين الطوفي، ص23.

الفصاحة وإن نبَّه فيه على نكتة منيرة، فإنه قد أكثر ممّا قلّ به مقدار كتابه من ذكر الأصوات والحروف والكلام عليه.»[1]

فرع في تأليفه سنة (454هـ)، ويدعى أيضا **"سرُّ الصناعة"** فضلا عن أهمية محتواه البلاغي والنقدي يبين أن مؤلفه قضى الأربعينيات، و جزءا من الخمسينيات في تحصيل العلم وفي التأليف، ولم يهتم إلا قليلا بغيرهما[2].

ومن الجدير بالذكر أن في الكتاب – **سر الفصاحة**- خللا واضحا في ترتيب أبوابه، وفي توزيع موضوعاته على هذه الأبواب ،وكان الإمام عبد القادر الجرجاني معاصرا لابن سنان ووضع في هذا العلم كتابين هما: دلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة، وكان أسلوبه فيهما يتصف بتنميق العبارات أكثر من الخفاجي، ولكنه كان يقرر قواعده تقريرا، وكان يسمى هذا العلم علم البيان وامتاز علي الخفاجي بنظره إلى هذه المباحث على أنّها علم له قواعد ينفرّد بها، ورتب هذه المباحث ترتيبا دقيقا، ووزعها على علوم البلاغة المعاني، البيان، البديع توزيعا سليما، وبهذا أصبح عبد القادر الجرجاني أكثر شهرة من غيره في هذه العلوم، حتى سمي شيخ البلاغة ولكن مدرسة الجرجاني لا تتصل بالمتأخرين مباشرة، وإنما عن طريق السكاكي في كتابه مفتاح العلوم ،علما بأن أسلوب الخفاجي في كتابه – **سرّ الفصاحة**- أقرب إلى أسلوب المتأخرين من أسلوب الجرجاني، مما يجعل كتابه هذا أكثر نفعا للطلاب والدارسين ولا سيما في تربية ملكة النقد، أما الخلل في ترتيب أبواب الكتاب، فلا يؤثر في قيمة الكتب العلمية[3] ، وتضمن هذا الكتاب:

- الكلام على شروط الفصاحة في اللفظة الواحدة.
- الكلام على شروطها في الألفاظ المنظوم بعضها مع بعض.
- الكلام على المعاني مفردة عن الألفاظ.
- فضل في الأصوات والحروف والكلام واللغة[4].

[1]- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ابن الأثير (ت 637هـ) ، ص18-19 .
[2]- ديوان ابن سنان الخفاجي، د/نجم الدين الطوفي، ص25.
[3]- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص05.
[4]- المصدر نفسه ، ص08.

كما لا حظنا أنه قد أَثْرَى بكتابه (سر الفصاحة) المكتبة العربية ،فهو يُعدُّ من المؤلفات النّادرة إلى اليّوم، فلم يأت بعده أحد إلّا ونهل منه، سواء منهم من ذكره ونسب إليه، أو من لم يذكره وينسب إليه.

2- فيزياوية الصوت عند ابن سنان الخفاجي:

أجمع علماء الأصوات (**Phonetaus**) على أنَّ أهم عملية إنتاج الكلام هي عملية النفس[1] (**Respiration**)،وهي تحدث استجابة لضغط الأعصاب على النسيج العضلي في الحجاب الحاجز، فيتقلص هذا النسيج محدثا عملية الشهيق (**Inspiration**)، وبعد زوال ضغط الأعضاء على النّسيج العضلي يرجع إلى وضعه الأول فتحدث عملية الزفير(**Expiration**).

والأصوات اللغوية يحدثها تيار من الهواء يجري خلال ممر هوائي يتكون من الرئتين، والقصبة الهوائية، والبلعوم، وفراغ الفم والأنف[2] ،وتسعى هذه الأعضاء تجاوزاً أعضاء النطق ،ويتطلب الصوت اللغوي عدة جوانب منها:

- جانب علم الأصوات النّطقي.
- جانب علم الأصوات الفيزيائي.
- علم الأصوات السمعي[3].

وقد أدرك ابن سنان الخفاجي طبيعة الصّوت وانتقاله في الهواء ،وتأثير ذلك على عملية السمع(**الجانب السمعي للأصوات**)،ويمكن أن نستدل ذلك من خلال النصوص الآتية

قال:« الصوت معقول،والدليل على أنه ليس بجسم أنه مدرك بحاسة السمع، لأنه كون الصوت مدركا بالسمع...»[4].

وورد قوله أيضا:«الصوت ليس بجسم إذا ثبت أن الأجسام متماثلة من وجه آخر، وذلك أن ندرك الأصوات مختلفة ، فالراء مخالفة للزاي، وكذلك سائر الحروف المختلفة ،فإذا كانت الأجسام متماثلة والأصوات تدرك مختلفة فليست

---

[1]- دراسة الصوت اللغوي ،د/ أحمد عمر مختار ،ص191.

[2]- علم الأصوات العام - أصوات اللغة العربية - ، بسام بركة ، مركز الأنماء القومي، لبنان، 1988م ، ص 76.

[3]- الأصوات اللغوية، د/ عبد القادر عبد الجليل، ص 73.

[4]-ينظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص16.

بأجسام»[1].وكذلك في موضع آخر « والأصوات تدرك بحاسة السمع في محالها، ولا تحتاج إلى انتقال محالها وانتقالها، وكونها أعراضا منع من انتقالها...».

ومع ما يجول ويشوب كلامه من روح الفلسفة ،والنطق إلا أنه دلَّ على بصر بالصوت ،وحقيقة انتقاله في الهواء ،ورد فعل الأذن لهذه المثيرات، كذلك ملاحظته الدقيقة للذبذبات الصوتية في أثناء تموجها في الوسط الناقل الذي هو الهواء ،وكونها بطيئة بالقياس إلى النّظر الذي يعني (**الموجات الضوئية**)[2] ، فيكون بهذا قد سبق الدراسات الصوتية الحديثة.

والصوت كما عرفه روبن **(Ropin)**: « اضطراب مادي في الهواء يتمثل في قوة ،أو ضعف سريعين للضغط المتحرك من المصدر في اتجاه الخارج ،ثم في ضعف تدريجي ينتهي إلى نقطة الزوال النهائي»[3] ،ويقتضي هذا التعريف عناصر تستدعيها عملية الصوت ،وهذا ما أحاط به ابن سنان الخفاجي علما بهذا الجوانب من خلال قوله:«... الصوت يتولد في الهواء والبعد المخصوص مانع من إدراكه ، فإذا تولد فيما يقرب أدرك في محله ،وإن لم يتصل بحاسة السمع...فكذلك يدرك الصوت في جهة الريح أقوى لأنه يتولد فيها حالا بعد حال، فيكون إلى إدراكه أقرب وإذا كانت الريح في خلاف جهة الصوت ضعف إدراكه ،وربما لم يدرك لأنّه يتولد فيما يبعد عنه البعد المانع عن إدراكه»[4] ،والصوت يتكون من موجات تنتقل عبر الهواء ،والموجات الصوتية هي إنتاج ذبذبة[5]، وهذه الأخيرة هي حركة متكررة في جسم ما ،وعليه فإن لكل جسم في لطبيعة درجة تذبذبية خاصة تتحكم فيها مجموعة من العوامل، والمؤثرات الخارجية والداخلية كالوزن و الطول[6]، لذلك تختلف ترددات الأجسام في الطبيعة حسب اختلاف أوزانها وطولها، ونسب الشدة في مكوناتها وتجاويفها وكتلها وامتداداتها وشكلها وخفتها وثقلها والجسم الثقيل يتذبذب بحالة أبطأ من الجسم الخفيف[7]،

---

[1]- سر الفصاحة ، ابن سنان الخفاجي ، ص19.

[2] 10- في البحث الصوتي عند العرب، د/ خليل إبراهيم العطية، ص

[3]- المصدر نفسه ، ص 10-11.

[4]-علم الأصوات العام- أصوات اللغة العربية -، د/بسام بركة ،ص 30،و ينظر: سر الفصاحة ، ابن سينان الخفاجي ،ص22.

[5]- الأصوات اللغوية، د/ عبد القادر عبد الجليل، ص 56.

[6]- دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد عمر مختار، ص 24.

[7]- الأصوات اللغوية، د/ عبد القادر عبد الجليل، ص 51.

وبهذا يتفق ابن سنان الخفاجي مع المحدثين حيث يرى الصوت يختلف باختلاف حال محله ،ولأنه يختلف باختلاف حال محله ،فيتولد من الصوت في الطست خلاف ما يتولد في الحجر مدلّلا بقوله: «قد ثبت وجود بعض الأصوات في غير محل، فإذا ثبت ذلك في بعضه ثبت في جميعه لأن الأصوات متفقة في أنها لا توجب حالا لمحل ولا حكمة»[1] ،وقد ذهب أبو علي محمد بن عبد الوهاب الُجبَّاني إلى أن جنس الصوت يحتاج إلى المحل إلى هيئة ،وحركة أما أبو الهاشم فيُقِرُّ أنه لا يحتاج إلى المحل ،وعلى هذا القول أكثر أصحابه مثل نصر الشريف المرتضي رضي الله عنه، استدلوا على نفي حاجته إلى غير محل ؛لأنه مما لا يوجب حالا لغيره .

فالصوت يحتاج إلى الحركة لأنها كالسبب فيه، من حيث كنا لا نفعله إلا متولدا عن الاعتماد على وجه المصاكة، أو الاعتماد يولد الحركة، فلهذا جرى مجرى السبب، فليس يمتنع أن يفعل الله تعالى الصوت مبتدأ من غير حركة، كما يفعله غير متولد عن الاعتماد، وكما يفعل ما وقع منا بآلة من غير آلة، وجعلوا هذا هو العلة في انقطاع طنين الطست بتسكينه، وأجازوا وجود القليل من الصوت مع السكون عند تناهيه وانقطاعه، وصنعوا من وجوده من فعلنا مع السكون من فعلنا حالا بعد حال[2]، يبدو مما تقدم أن ابن سنان كان دقيقا وغامضا أحيانا في عرض أفكاره، إلا أن ملاحظاته جاءت ذكية مفهومة إلى حد ما، تدل على حقيقة الصوت.

3- مخارج الحروف وصفاتها في سر الفصاحة :

أ/ مخارج الحروف:

أطال ابن سنان الخفاجي الحديث عن الصوت في كتابه حتى يثبت أن الصوت عرض ،ليس جسم مستعرضا فيها قدراته البارعة في علمي البلاغة والفلسفة، حيث يقول :«الصوت يخرج مستطيلا ساذجا حتى يعرض له في الحلق

[1]- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص20.
[2]- المصدر نفسه ، ص21.

،والفم ،والشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده، فيسعى المقطع أينما عرض له حرفا»[1]؛ و جدير بنا أن نقرر أنه ليس هناك تعبير أوضح، ولا أبرع من الذي جاء به هذا العبقري العربي في بيان الفرق بين صوت الإنسان وصوت الحجر، وخلو هذا الأخير من المقاطع (الحروف) مما يدل على بصر الأصوات.

تبدأ مخارج الأصوات عند الخليل(ت175هـ) ،وسيبويه (ت 180هـ) ،والمبرد (285هـ) وابن جني (392هـ) وابن سنان الخفاجي ،ومن تبعهم من علماء العربية من أقصى الحلق ،وتنتهي بالشفتين [2] ، ويرى بعض علماء اللغة المحدثون أن هناك تشابها واضحا بين ترتيبهم لها، وبين الهنود لأصوات اللغة السنسكرتية[3] ،مما يدل مبدأ التأثر والتأثير قد يكون واردا ،فالعرب والهنود سبقوا الغرب في هذا العلم.

ودائما يحرص دارسوا الأصوات في كتاباتهم ،وأبحاثهم الصوتية على كتابة فصل خاص لوصف أعضاء النطق، لكن علماء العربية كانوا يكتفون بتسمية تلك الأعضاء في أثناء كلامهم عن مخارج الحروف[4]، ويمكننا توضيح أعضاء النطق عند ابن سنان الخفاجي وفقا للمخطط الآتي:

1- **الحلق**[5]:
- أقصى الحلق
- وسط الحلق

2- **الفم**[6] :
- أول الفم
- مقدم الفم
- أقصى اللسان
- وسط اللسان
- حافة اللسان
- طرف اللسان

[1]- سر الفصاحة ،ابن سنان الخفاجي
[2]- ينظر : العين ، الخليل بن أحمد الف الكتاب، سيبويه ، 485/4، سر صناعة الإعراب، ابن جني ،75/1.
[3]- علم اللغة العام- الأصوات-،د/ كما
[4]- المقتضب، المبرد، 1/ 192.
[5]- الكتاب، سيبويه ،4/ 431.
[6]- الجمهرة ، لابن دريد، 8/1-4.

3- **اللسان**[1]:

4- **الثنايا**[2]:

5- **الشفتان.**[3]

- فوق الثنايا
- أصول الثنايا
- أطراف الثنايا

6- **الخياشيم**[4].

والمخارج التي ذكرها للحروف ستة عشر مخرجا ، وهو بهذا متابع لسيبويه، وابن جني[5]، فثلاثة في الحلق:

- ➢ - أولها من أقصاه مخرج **الهمزة والألف والهاء**[6].
- ➢ - ثم يليه من وسط الحلق مخرج **العين والخاء**.
- ➢ - ثم من فوق ذلك مع أول الفم مخرج **الغين والخاء.**
- ➢ - ثم من أقصى اللسان مخرج **القاف**.
- ➢ - ومن أسفل ذلك، وأدنى إلى مقدم الفم ومخرج **الكاف**.
- ➢ - ومن وسط اللسان بينه ، وبين الحنك الأعلى مخرج **الجيم والشين والياء**.
- ➢ -ومن أول حافة اللسان ، وما يليها من الأضراس مخرج **للصاد**.
- ➢ - ومن أول حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرفه بينهما ، وبين ما يليها من الحنك الأعلى مخرج **اللام**.
- ➢ - ومن طرف اللسان بينه ، وبين ما فوق الثنايا مخرج **النون.**
- ➢ - ومن مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان مخرج **الراء**.

---

[1]- الأصوات اللغوية، د/ عبد القادر عبد الجليل، ص139.

[2]- علم اللغة العام_ الأصوات_ ، د/كمال محمد بشر،1/ 66-97.

[3]- العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي ،1 /52.

[4]- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص30.

[5]- سرّ صنّاعة الإعراب ،ابن جني ، 52/1.

[6]- سر الفصاحة ،ابن سنان الخفاجي، ص22.، و ينظر: الكتاب ،سيبويه ، 431/4.

- ➢ - ومما بين طرف اللسان، وأصول الثنايا مخرج **الطاء والتاء والدال**.
- ➢ - ومما بين الثنايا ، وطرف اللسان مخرج **الصاد والزاي والسين**.
- ➢ - ومما بين طرف اللسان، وأطراف الثنايا مخرج **الظاء والثاء والذال**.
- ➢ - ومن باطن الشفة السفلى ، وأطراف الثنايا العليا مخرج **الفاء**.
- ➢ - ومن بين الشفتين مخرج **الباء والميم والواو**.
- ➢ - ومن الخياشيم مخرج **النون الخفيفة**[1].

وفيما يلي جدول يبين ترتيب الحروف حسب مخارجها عند ابن سنان الخفاجي وعند غيره من العلماء القدامى:

كتاب **العين** للخليل	**الكتاب** لسيبويه	كتاب **أسباب حدوث الحروف** لابن سينا	كتاب **سر الفصاحة** لابن سنان الخفاجي
العين	الهمزة	الهمزة	الهمزة
الحاء	الألف	الهاء	الألف
الهـاء	الهـاء	العين	الهـاء
الخاء	العين	الحاء	العين
الغين	الحاء	الخاء	الحاء
القاف	الغين	القاف	الغين
الكاف	الخاء	الغين	الخاء
الجيم	القاف	الكاف	القاف
الشين	الكاف	الجيم	الكاف
الضاد	الجيم	الشين	الجيم
الصاد	الشين	الضاد	الشين
السين	الياء	الصاد	الياء
الزاي	الضاد	السين	الضاد
الطاء	اللام	الزاي	اللام
الدال	النون	الطاء	النون
التاء	الراء	التاء	الراء

[1]- **المصدر نفسه ، ص29-30.**

الظاء	الطاء	الدال	الطاء
الذال	الدال	الثاء	التاء
الثاء	التاء	الظاء	الدال
الراء	الزاي	الذال	الصاد
اللام	السين	اللام	الزاي
النون	الصاد	الراء	السين
الفاء	الظاد	الفاء	الظاد
الباء	الذال	الباء	الثاء
الميم	التاء	الميم	الذال
الواو	الفاء	النون	الفاء
الألف	الباء	الواو	الباء
الياء	الميم	الياء	الميم
الهمزة	الواو	الألف	الواو
	النون الخفيفة		النون الخفيفة

هذا هو تصنيف ابن سنان الخفاجي للصوامت العربية، نلاحظ من خلاله أن هناك اختلافا ،واتفاقا بين تصنيفه ،وبين تصنيف سيبويه ،والخليل، وابن سينا من جهة، وتصنيف المحدثين من علماء الأصوات من جهة أخرى ،والسبب في ذلك يرجع كما يبدو إلى اعتماد مبدأ الملاحظة الذاتية والتذوق الشخصي، فضلا عن طبيعة المنهج الذي اتبعه ابن سنان الخفاجي في كتابه، والذي صرح به فقال: «وإنما أردنا ذكر ما لا يستغنى عنه طالب معرفة الفصاحة التّي لها يقصد ،وإليها ينحو فأما ما سوى ذلك فاللمحة تقنع منه، واللمعة تغني فيه، وفيما أوردناه من أقسام الحروف وأحكامها في هذا الفصل مقنع، ولا يليق به الزيادة عليه ،والإسهاب لأنه كالطريق الذي يجتاز فيه إلى مردانا ونتوصل بسلوكه إلى مصدنا»[1].

ب/ صفات الأصوات:

[1]- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص31.

ألممنا فيما مضى بمخارج الأصوات عند ابن سنان الخفاجي، وسنحاول في هذا البحث أن نستقرئ صفات الحروف عنده، وهو فيهما متابع لسيبويه[1] ،وبما أننا عرضنا هذه الصفات عنده سنكتفي بإلقاء الضوء على أهم المستجدات التي أتى بها للدراسات الصوتية التراثية العربية.

- **ـ الصفات العامة:**

1- الجهر و الهمس:

يبيّن ابن سنان الخفاجي حدّ الجهر والهمس بقوله: «ومعنى **الجهر** في الحرف أنه أشبع الاعتماد في موضعه وضع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت» ،أما معنى **الهمس** فيه أن يضعف الاعتماد في الصوت حتى يجري معه النفس[2] ،فتعريفه لهما دلالة على فهم وإدراك تأمين لظاهرتي الجهر والهمس.

2- الشدة والرخاوة:

ذكر ابن سنان الخفاجي أن من الحروف ما هو شديد ،ومنها ما هو رخو ،ومنها ما هو بين الشديد والرخو، **الشديد** عنده الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه، وهي ثمانية أحرف[3] ،وتسمى الدراسة الحديثة هذا النوّع بالأصوات الانفجارية أو الوقفية[4]، أما **الرخو** من الحروف الرخوة الحروف التي لا تمنع الصوت أن يجري فيها[5] ،وتسمى عند المحدثين بالاحتكاكية[6].

وأما الحروف التي بين الشدة والرخاوة جمعوا علماء العربية أصواتها في لفظ **(لم نرع)** تارة ، و **(لم يروعنا)** تارة أخرى، ولا شك أن الألف ليس منّها بالتأكيد لأنه من أصوات اللين[7]، إلا أن ابن سنان أجمعها في ثمانية أحرف[8]

- **ـ الصفات الخاصة:**

1- الإطباق والانفتاح:

---

[1]ـ الكتاب، سيبويه، 432/4.
[2]ـ في البحث الصوتي عند العرب، د/خليل إبراهيم عطية، ص 40.
[3]ـ سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 30.
[4]ـ علم اللغة العام ـ الأصوات ـ ، د/كمال محمد بشر، 98/1.
[5]ـ سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 30.
[6]ـ علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي_،د/ محمود السعران، ص166.
[7]ـ في البحث الصوتي عند العرب، د/ خليل إبراهيم عطية، ص 46.
[8]ـ أنظر: سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 30.

اتفق ابن سنان الخفاجي مع سيبويه في عدد الحروف **المطبقة**: (الصاد والضاد والطاء والظاء)[1] ،واختلفا في عدد الحروف **المنفتحة** حيث قال: (وما سواها من الحروف مفتوحة غير منطبق)[2].

2- الاستعلاء والانخفاض:

ذكر ابن سنان الخفاجي أن **المستعلية** سبعة أحرف هي (الحاء ،والغين ،و القاف، والضاد والظاء ،والصاد ،والطاء) وما سوى ذلك من الحروف **منخفض**[3]، على أن هذا التقسيم للحروف من حيث كونها مستعلية أو منخفضة تفرد به القدامى دون المحدثين، وقد أقره المحدثين منهم[4].

3- الذلاقة والإصمات:

ستة أحرف أطلق عليها ابن سنان الخفاجي حروف **الذلاقة** ،وهي (اللام والراء والنون والفاء والباء و الميم) ومعنى الذلاقة عنده أن يعتمد عليها بطرف اللسان وهو طرفه وذلق كل شيء حده[5] وما سوى هذه الحروف عنده **المصمتة**[6]، ويلاحظ أن حروف الذلاقة عند ابن سنان الخفاجي تتكون من نوعين:

- **شفوي**، مخرجها الشفة وهي: الفاء- الباء- الميم.
- **ذلقي**، مخرجها ذلق اللسان أي طرفه: الراء، النون، اللام.

4 - الحروف الأصلية والفرعية عند ابن سنان الخفاجي:

قسم ابن سنان الخفاجي أيضا الحروف إلى الصحة ،والإعلال ،والزيادة ،والأصل ،والسكون والحركة، وهذه الصفات الأخيرة لم يعرِّفها أو يعتل لها، وإنما اكتفى بذكرها فقط وعلل ذلك ، فقال

:« وللحروف أيضا انقسام إلى الصحة والاعتلال والزيادة والأصل والسكون والحركة، وغير ذلك مما أكثر علقته بالنحو، ولو ذكرناه في الكتاب أطلناه، وعدلنا عن الغرض في تقريبه»[7] ،إلا أنه عَرَّج عن الحروف الأصلية والفرعية

أ/ الحروف العربية (الأصول):

---

[1]- المصدر نفسه ، ص 31.
[2]- المصدر نفسه ، ص31.
[3]- ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/ 71.
[4]- في البحث الصوتي عند العرب، د/خليل إبراهيم عطية، ص57.
[5]- الجمهرة، ابن دريد، 1/ 7.
[6]- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 31.
[7]- المصدر نفسه ، ابن سنان الخفاجي، ص 31.

إن أصل هذه الحروف ، وهذا التقسيم يرجع إلى ما أورده سيبويه في كتابه (فأصل حروف العربية تسعة وعشرون)[1]، إلّا أن علماء العربية اختلفوا في عددها ،فسيبويه ، وابن سنان تسعة وعشرون حرفا في حين **المبرد(ت 286ه)** ثمانية وعشرين حرفا[2] ،وتبعه في ذلك **الأزهري (ت370هـ)**[3] ،إذ أسقط هؤلاء الهمزة منها إلّا أن ابن سنان الخفاجي رفض ذلك، ويبرر بقوله:

« لأن الاعتبار باللفظ دون الخط وهي ثابتة فيه، ولو أن العرب لا حظ لها كغيرها من الأمم لم يمنع ذلك من الاعتداد بجميع هذه الحروف»[4] ، أما الدرس الصّوتي الحديث فأصوله العربية ثمانية وعشرون صوتا بإسقاط **(الألف)** لا **(الهمزة)**،لأنها باختلاف صورها لا تعدو أن تكون مدا، ولا تعتريها الحركات[5].

ب/ الحروف الفرعية العربية :

عرف ابن سنان الخفاجي **الحروف الفرعية** فقال: « ويلحق هذه الحروف التّي ذكرناها حروف بعضها يحسن استعماله في الفصيح من الكلام، وبعضها لا يحسن»[6] ، فالتّي **تستحسن** ستّة حروف وهي:(النون الخفيفة التي تخرج من الخيشوم ،والهمزة المخففة ،وألف الإمالة ،وألف التفخيم، وهي التي بها ينحى نحو الواو، وذلك كقولهم في **(الزكاة- الزكاوة)**، والصاد التي كالزاي، نحو قولهم في (مصدر- مزدر) ،والشين التي كالجيم، نحو قولهم في (**أشدق- أجدق**)[7]، أما الحروف **غير المستحسنة**، فقد قال عنها ابن سنان الخفاجي: « و الحروف التّي لا تستحسن ثمانية»[8]:

- **الكاف بين الجيم والكاف** مثل لها نحو: (**كلهم عندك**)، وربما يكون ضربا مما يعرف بـ**(الكشكشة)** الشائعة في كلامنا الدارج في جنوب العراق من قلب كاف الخطاب للمؤنث جيما[9].

---

[1]- الكتاب ،سيبويه ، 432/4.
[2]- المقتضب، المبرد، 192/1.
[3]- تهذيب اللغة ، أبي منصور الأزهري ، 48/1.
[4]- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 27.
[5]- كلام العرب من قضايا اللغة العربية ،د/ حسن ظاظا، دار المعارف، مصر، 1971م، ص16.
[6]- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 29
[7]- المصدر نفسه ، ص 29
[8]- المصدر السابق ، ص 29.
[9]- في البحث الصوتي عند العرب،د/ خليل إبراهيم عطية، ص34.

- **الجيم التي كالكاف** ومثل لها نحو قولهم (**للرجل – ركل**) ،ويرى **خليل العطية** إنها الجيم السامية التي نجدها في العربية[1].
- **الجيم التي كالشين** ومثل لها: نحو قولهم (**خرشت**)[2].
- **ثم الطاء التي كالتاء**: كقولهم (**طلب**)، ويرى السيوطي أنها تسمع من عجم أهل الشرق كثيرا[3].
- **الضاد الضعيفة**: كقولهم في (أثرد- أضرد).
- **الصاد التي كالسين**: كقولهم (صدق)
- **الظاء التي كالثاء**: كقولهم(ظلم)[4].
- **الفاء التي كالباء**: كقولهم(فرند)، وهذه اللغة تكثر في بلاد فارس[5] ،ولعل العرب قد أخذوها منهم.

فلما كانت العلاقة جد وثيقة بين **البلاغة والأصوات** في الدراسات اللغوية القديمة والحديثة، فلا عجب أن تضم البلاغة بين ثناياه حديثا عن الأصوات ،وخاصة حين تعرضها للفصاحة وما يرتبط بتنافر وإئتلاف الحروف ،ومن هؤلاء العلماء الذين شهد لهم **ابن سنان الخفاجي** الذّي سجل له التاريخ اللغوي جولات في الحديث عن الصوت اللغوي، وأثره في بناء الصيغ الإفرادية، والتركيبية والسياقية ،وتجدر الإشارة أيضا إلى مفتاح العلوم للسكاكي الذي يعد مصدرا بلاغيا ،ولكنه لم يغفل الجانب الصوتي، إذ بدأ بـــه كتابه، فتعرض إلى مخارج الحروف وصفاتها، ومما يثير الإعجاب أنه رسم جهاز النطق ،ووضع ضمنّه مخرج كل حرف على الرغم من أنه لم تكن لديه الأجهزة العلمية التي يستعين بها لرسمه.

فعلماء المدرسة البلاغية كانت غايتهم في دراسة الأصوات مختلفة، إذ اتخذوا من نظرية المخارج الأصوات معيارا بلاغيا، ونقديا لبيان فصاحة اللفظة فكان التقارب المخرجي ،والتباعد هما الفصل في تمييز الألفاظ الفصيحة من غيرها لأن ذلك يؤدي غلى تنافر الأصوات، وتآلفها لذلك قسموا الكلام إلى متنافر

---

[1]- المصدر نفسه ،ص34.
[2]- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 29.
[3]- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: د/ عبد العلي سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت؛ 1980م، 230/2.
[4]- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص 29.
[5]- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، 02/ 230.

ومتلائم[1]. وحوت هذه المصادر البلاغية مجالا خصبا للبحوث الصوتية يمكن للدارس الإفادة منها.

فمن خلال عرض جميع هذه الجهود التّي قدّمها العرب للتّراث الصوتي، يلاحظ أنها كانت مبنية في أساسها على هذا الجانب النطقي، بوصفه الوسيلة المتاحة التي يمكن الاعتماد عليها في زمن حرم معظم فروع العلم ،وآلاته وأجهزته الفنيّة التي تساعد على الكشف عن الجوانب الأخرى للصوت اللغوي، وذلك على ما شهدت به آرائهم العلمية ،ومصطلحاتهم ومصنفاتهم الصّوتية التّي خلفوها كما كانوا أصحاب سبق فيّما قدموا من دراسات ،وبحوث في الأصوات اللغوية على ما رأينا من اللغويين النحاة ،وأصحاب المعالم وعلماء التجويد ،والقراءات القرآنية والبلاغيين وأصحاب الموسوعات الأدبية والفلاسفة، فقد أقر المحدثون أنها جميعها كانت جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم، حتى بالنسبة للعصر الحديث رغم ما فيه من إمكانيات هائلة لم يتح منها شيء للقدماء، فالاعتماد على ذوق الأصوات والملاحظة الذاتية ظلت قائمة ولأجيال متتابعة ،و متعاقبة إلى أن نَشَد علماء الأصوات في الفترات الأخيرة من الزمن المعونة من العلوم الأخرى لتوثيق مادتهم ، و تأكيد نتائج بحوثهم.

[1]- المدارس الصوتية عند العرب –النشأة والتطور- ، د/علاء جبر محمد، ص213.

الفصل الثّالث:

ا لفكر الصّوتي وأصَّالته عنّد ابن جنّي من خلال سرّ صنّاعة الإعراب

المبحث الأوّل: مرحلة النّظرية والتّأصيل في جهود ابن جنَّي(321ه/392ه)

المبحث الثّاني : الحروف العربيّة وتذوّقها في سرّ صنّاعة الإعراب

المبحث الثّالث: أصّالة الأصوات العربية في سرّ صنّاعة الإعراب

المبحث الرّابع : تراث ابن جنَّي والدّرس الصَّوتي الحديث

إنّ النّهضة التّي تشهدها علوم اللّغة في أيامنا، و إن كانت ملكا مشاعا بين الإنسانية قاطبة، لا يمكن أن ننكر أنها إلى حد هذه اللحظة التاريخية التي نعيشها نتاج علمي عربي بالدرجة الأولى ومازالت هذه العلوم تتّخذ من القرب مركزا شأنها من ذلك شأن علوم عديدة، إن لم يكن شأن سائر العلوم، و إنها لتشهد بين الحين و الحين بفعل التراكم المعرفي ،و الثورات التقنيّة ، و الفتوح العلميّة تطويرا و إعادة صياغة، و تنشأ منها فروع جديدة.

و إنّ ما هو راسخ في فكرنا من واجبنا بيّانه، و إذاعته على أسس علمية مضبوطة، لا عبر خطاب فضفاض غير مقنع علميا ، و أن آخر حلقة استفاد منها الفكر الغربي المعاصر هي التراث العربي الإسلامي، و أن فضيلة هذا التراث إنّما تنبع من أن الحضارة العربية الإسلامية كانت أعلى في الوتيرة الفكرية، و أنقذ في الرؤية المستقبلية عن غيرها من الثقافات ،و الحضارات التي سبقتّها أو رافقتها.

لقد بات من المؤكد اليوم أن وشائج العلاقة بين مختلف الفروع المعرفية لاسيما الإنسانية منها مترابطة ترابطا وثيقا يأخذ بعضها برقاب بعض، و يستند بعضها إلى الآخر، و يقوم بعضها معتمدا على أسس البعض الآخر لا يكاد يضيف إلى تلك الأسس إلا طفيفا، و كل هذا في حد ذاته مجال معروف، نلتمسه في **تراث ابن جنَّي** ، و هو العلامة الذّي يكاد تراثه يكون مصدر للدّراسات العربية الحديثة، و يعدُّ أقوى نموذج حي لتلك الكنوز الدفينة التي يحتاج إليه رجال علم اللغة الحديث، مما جعلت أنظار الباحثين المعاصرين تتوجه إليه في الشرق و الغرب، فقامت حوله دراسات متعددة متنّوعة تعني بالفكر الصوتي عند ابن جني و نظرياته إذ تتجاوز عمله مرحلة البناء إلى مرحلة التّأصيل و هذا الذّي نحن بصدد دراسته.

المبحث الأول:

مرحلة النّظرية والتّأصيل في جهود ابن جنّي(321ه/392ه)

1- الأصَالة و السَّبْق :

رأينا فيّما تقدّم أن للعرب قدمًا و باعًا طويلة في الدراسات الصّوتية ، و نذكر أنّ لهم فضل السَّبق في الوصول إلى نتائج و حقائق علميّة صوتية في غاية الدقة، و لم يشارك العرب في هذا السبق سوى الهنود، و قد اعترف بذلك المستشرق **(برجشتراسر)** بقوله: «لم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من قوام الشرق ،و هما أصل الهند – يعني البراهمة- و العرب »[1] ، إلا أن الآراء الصوتية لقدماء الهنود تختلف عن العرب الذين أدركوا الأسس (**الفسيولوجية**) في تكوين الأصوات[2].

كما نجد كمال بشر يؤيد هذا الرأي بقوله:« في رأينا أن دراسة العرب لأصوات لغتّهم إنما هي دراسة أصليّة، ليست منّقولة في منّهجها أو طريق الفكر فيّها عن غيّرهم من الأمم، و القول بأنّها ترجع إلى أعمال الهنود أو اليونان في دراستهم الصوتية قول تَعوزه الأدلّة العلمية الّتي تستطيع أن تؤكد هذا العزم أو تنفيه، على النّظر الدقيق في جملة ما طلع علينا به علماء العربية في مجال الأصوات اللغوية يحملنا على الجزم بأن هؤلاء العلماء كانوا يصدرون عن عقليتهم الخاصة و ثقافتهم العربية »[3].

ولقد استفاد الغربيون من دراسات العرب الصوتية، وأصلوا عليها علوما كثيرة و فروعا لدراساتهم الصوتية، مكنّهم منها تطوُّر العصر و ظهور الآلات الدقيقة، و الدرس المعملي الصوتي، الذي أمكن عن طريقه تحديد الأصوات ،و طرق استخدمها بدقة على حين كان العالم العربي يعتمد على ذوقه المرهف[4].

وإذا كان للعلماء العرب فضل مهد للباحثين في الأصوات ،فذلك راجع إلى من أَثَارَ كَوَامِن المادة، وكشف جوانبها، وأوضح معالمها، و أضاف إليّها من ابتكارات عقله المراجح ذلكم هو عالمنا اللغوي (**أبو الفتح عثمان ابن جنَّي)**

1- ينظر: التّطور النّحوي للغة العربية، محاضرات المستشرق الألماني برجشتراسر، ترجمة: د/ رمضان عبد التواب ،ص11.

2- علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي_، د/ محمود السعران، ص92.

3- علم الأصوات،د/ كمال محمد بشر، ص577-578.

4- الصوتيات العربية – دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية_، د/عبد الغفار حامد هلال، ص22.

،بحث ما ورثه عن أسلافه الأفذاذ ، بفكر لغوي متعمِّق و الفيلسوف الذي يعرف أمور أوزانها و مقاديرها[1].

فبعد مدرسة الخليل، و سيبويه نجد **ابن جِنَّي (ت 392 ه)** مؤهل هذا الفنّ ، و مبرمجه و أول مضيف له إضافات مهمة ذات قيمة منهجية في الدراسات الصوتية ، و أن جهوده ارتفعت إلى مستوى الفكر المخطط و الممنهج؛ لأنّه نهض بأعباء الصّوت اللغوي بما يصح أن تطلق عليه اسم الفكر الصوتي،إذ تجاوز مرحلة البناء و التأسيس إلى مرحلة التّأصيل و النظرية في كتابه (**سرّ صنّاعة الإعراب**) مما جعله في عداد المبدعين و المؤصلين[2].

فبدلا من أن يتناوّل الموضوع تناولا عابرا كغيره من سابقيه ، أفرغ جهدا كبيرا يضفي على البحوث الصوتية لونا من القوة، و يبيّن أنها دراسة لغوية هامَّة يجب على عالم اللغة أن يضفيها في مجال البحث ،و لذلك أفرد لها كتابا -سرّ صنّاعة الإعراب-، و معظم الآراء التي ساقها ابن جني في كتابه هذا نالت إعجاب المستشرقين و علماء اللّغة الأوروبيين، وفي ثنايا بحوثه نحسُّ بمبلغ القوة العلمية ، والدقة الفائقة حتّى ليثيَّر إعجابنا ووصفه للجهاز الصوتي وصف الفيلسوف الحكيم،و العالم التّجريبُّي الذّي كشف عن الأسرار الصوتية، و أنها تحتاج إلى دراسة آلية كما يقول علماء اللغة المحدثين، فقد شبه الحلق بالناي (**المزمار**)، وشبه مدارج الحروف ومخارجها بفتحاته التي توضع عليها الأصابع، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق النّاي المنسوقة، و رَاوَح بين أنامله، اختلفت الأصوات، و سمع لكل خرق منّها صوت لا يشبه صاحبه، فكذلك إذا قطع الصّوت في الحلق و الفم باعتماد على جهات مختّلفة كان السبب استماعنا هذه الأصّوات المختلفة[3] ، وبهذا يعدُّ ابن جنَّي الأسبق في ربط علم الأصوات بعلم الموسيقى، وأول من استعمل مصطلح (**علم الأصوات**) ،فحديثه عن الأصوات أعظم حديث عربي صوتي في التّراث الأصيل[4].

وهذا ما نجدّه في كتاب **سرّ صنّاعة الإعراب** الذي يعدّ من أكمل الكتب التي وصلتنا، و أشملها في العربية و مادته العلمية لم تتوفر في أي كتاب آخر، فهو

1- عبقري اللغويين، أبو الفتح عثمان ابن جني (321هـ-392هـ)، د/ عبد الغفار حامد محمد هلال،دار الفكر العربي ،القاهرة ط1؛ 1436ه/2006م، 516/2

2- الصوت اللغوي في القرآن،د/محمد حسين علي الصّغير، ص55-56.

3- سر صناعة الإعراب، ابن جنّي، 21/1-22.

4- الصوتيات العربية –دراسة تطبيقية عن أصوات اللغة العربية-،د/ حامد هلال غافر، ص18-19.

كتاب فريد في نظمه و تبويبه، و موضوعه لم يسبقه إليه أحد اشتمل على مدخل في علم الأصوات، تحدث فيه بكلام بهـرّ به الدارسين في القديم، و فاز بإعجاب علماء الصّوتيات المحدثين.

وقيمة هذا الكتاب ترجع على أنّه أصبح مصدرا أساسيا للدراسات الصوتية العربية، فلا يذكر علم الأصوات إلا مقرونا بسرّ صنّاعة الإعراب، و الدّارسون يستشيرونه فهو يرشدهم إلى الطريق الصواب ،و بالإضافة إلى دقّـة الدراسة الصوتية المركزة التّي جعلها ابن جني مدخلا لكتابه القيم، فإن مادة أبواب الكتاب التسعة و العشرون كانت مصدرا لعلماء الصرف[1].

فابن جنَّي قال منّذ ألف سنة ما لم يتوصل إليه علماء الأصوات في عصرنا هذا[2]، فإن هذا المسح الصوتي لكلام ابن جني يكشف عن حسن لغوي دقيق استطاع من خلاله أن يقدم للدرس الصوتي آراء و أفكار طموحه، و فرصا رائعة لفك أسرار اللغة و تراكيبها، و تأكيد نظريته القيمة التعبيريّة للأصوات في البنايات المختلفة[3]،و يجدر بنا في بداية ذلك أن ننبه لملاحظات مهمة **تبيّن أسبقيّته**، ونحن نعرض هذا الفكر في سرّ صنّاعة الإعراب.

- ابن جنَّي رائد الدراسات الصّوتية فمباحثه متخصصة لم يسبق إليه في أغلبها ،وأول من نظر

إلى المبحث الصوتي على أنه علم قائم بذاته **(علم الأصوات)**، و كان على حق حين قال :«وما علمت أن أحدا من أصحابنا خاض في هذا الخوض، و لا أشبعه هذا الإشباع»[4].

- ابن جنَّي هو أول من عرض لجهاز النّطق الإنساني و طبيعته، و وظيفته فشبهه بالنّاي، و

العود ليقدّم صورة من عملية إنتاج الكلام، و ما ينتج عنها من أصوات، مقسمة حسب المخارج، فهي إما صامتة (**Consonnes)**، و إما صائتة [5] **(voyelles)**

1- ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/21-22.
2- الإبدال، عبد الواحد بن أبي علي اللغوي الحلبي أبو الطيب ، تحقيق: عز الدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1380هـ / 1961م ، ص17 (المقدمة).
3- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/15-16.
4- الصوت اللغوي في القرآن، د/ محمد حسين علي الصّغير، ص56.
5- علم وظائف الأصوات اللغوية – الفونولوجيا-، د/ عصام نور الدين ، ص 164-165.

➢ - عقد ابن جنَّي بابا خاصا لذوق الحروف شرح فيه كيفية تذوق الأصوات، ممّا مكنّه أن

يصدر في حقها أحكاما علميّة صّارمة، مكنته من إطلاق المصطلحات الموفقة، فهو أول من استعمل مصطلح (**الصَّائت**) أو (**المُصَوَّت**)، معتمدا في ذلك على ما يعرف بالدّرس الحديث باسم الوضوح السمعي[1].

وما يثيّر الإعجاب، أنه من الاتجاهات المنّهجية الحديثة في الدّراسات اللغوية العامّة و الصوتية خاصة ،البحث في الشخصيات التراثية التي لها إسهام في دراسة الأصوات العربية، لتكون منطلقا للموازنة بينها و بين غيرها من الشخصيات التراثية، أو موازنتها بالدرس الصوتي الحديث، مما يقيد في تأصيل القضايا الصوتية ، والتّأكيد على أسبقيّة القدامى المحدثين في هذا المجال.

و هذا الاتجاه نلمسه لدى **محمد حسن باكلا** في بحثه (**ابن جنَّي عالم الصوتيات**) حيث وازن بين القضايا الصّوتية الواردة في كتب ابن جنّي ،و بين كتب الأوائل و المحدثين ونصَّ على هذا بقوله:«استخلصت المعلومات الصّوتية في كتابه هذا سرّ صنّاعة الإعراب، و قارنتها بالمعلومات الصّوتية في كتبه الأخرى ،كما قمت بمقارنة كل هذا بكتب علماء العرب المسلمين الأقدمـــين والمحدثين، و أيضا بالدراسات الغربية و الشرقية الحديثة، كلما استوجب الأمر كذلك»[2] ، ليصل إلى التأكيد على أسبقيّة التّراث العربي في أغلب القضايا الصوتية و أصّالته، موضحا الريَّادة لابن جنّي في دراساتّه التي لها أبعاد باطنية ،و ضمنية غابت عن أفهام معاصريّه ومن جاءت بعدهم[3].

و سنشير إلى أهم القضايا الصّوتية التي تدلّ على سبق ابن جنَّي ،و أصالته بالإضافة إلى بعض المصطلحات الجديدة التي انفرد بها عن سابقيه.

أ /- علم الأصوات:

يعدُّ ابن جنَّي أول من سمى البحث في الأصوات العربية علما، فيتحدث عن علم الأصوات والحروف ،و مشاركة الموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات و

1- المصدر نفسه ، ص165.

2- ابن جني عالم الصوتيات _مقدمة للدراسات الصوتية واللسانية لدى العرب المسلمين الأوائل_، د/ محمد حسن باكلا، الرياض ، ط1 ؛ 1982 م، ص 36-37.

3- ابن جني عالم الصوتيات _مقدمة للدراسات الصوتية واللسانية لدى العرب المسلمين الأوائل_، د/ محمد حسن باكلا ، ص39.

التعلّم[1] ،و هو يسوي بين الصنعة والعلم[2]،و عندما يطلق مصطلح علم الأصوات يطلقه بلفظ واضح و صريح، و ذلك قبل الدراسات الغربية بقرون، و هو يقصد دراسة الأصوات،و البحث في مشكلاتها المختلفة بحيث لا يبتعد عن مصطلح الدراسات الصوتية الحديثة **(Phonetics).**

و يدرك أن علم الأصوات علم قائم بذاته، و هذه إشارة واضحة على أن الدراسة الصوتية في عهده في القرن الرابع الهجري كانت تلْقى العنايّة اللائقة، فأخذ ينظر إليّها على أنها دراسة مستقلة لا تقل شأنا عن النحو،والصرف ،والبلاغة ويرى الكثير من الدارسين أن ابن جنّي قد سبق الأوروبيين في استعماله **علم للأصوات** ذلك المصطلح الدقيق الذي رسم به صورة واضحة لهذا العلم[3].

و كتابه **سرّ صنّاعة الإعراب** هو أول كتاب مستقل يؤلف في هذا العلم، فلم تعرف العرب كتابا مخصوصا لعلم الأصوات،و هو يجمع الدارسات الصّوتية السابقة التّي بدأت عند الخليل وتلميذه سيبويه ثم تطورت إلى أن وصلت عند ابن جنَّي في هذا الكتاب، و هذا التّطور يدلُّ على ازدهار الثقافة الإسلامية عامة في عصره. فهذا الكتاب عنوان واضح على تفوُّقه في دراسة الأصوات، فقد تكلم عن الصوت كمادة علمية، لها مفهومها المحدد و تناول الأصوات العربية من معظم جهاتها، وائتلاف الحروف بعضها مع بعض لتكون الكلمات، و التعبيرات اللغوية[4]، و كان لاهتمامه بالأصوات أن قال عنه **عبده الراجحي** بأنه أستاذ علم الأصوات دون منازع، و ليس ذلك بغريب على رجل هو أول من استعمل مصطلحا لغويا للدلالة على هذا العلم، مازلنا نستعمله حتى الآن **(علم الأصوات)**[5].

كما أنّه هو أوَّل من عرَّف اللغة بأنها أصوات حيث قال :« أما حدّها فإنها أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم»[6]، فقصر اللغة على الأصوات فيه دليل على أن علماء العربية لم يكونو يُدرَّسون اللغة باعتبارها لغة **(مكتوبة)** ، وإنما كانوا يدرسونها باعتبارها لغة **(منطوقة قائمة على الأصوات)**[7] ،و هو تعريف هامٌّ

1- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1 /22.
2- أئمة النّحاة في التاريخ، د/ محمد محمود الغالي، دار الشروق، جدة، ط1، 1396ه/ 1976م، ص47
3- جهود العرب في الدراسات الصوتية، د/كمال بشر ، ص51.
4- الصوتيات العربية –دراسة تطبيقية عن أصوات اللغة العربية-،د/ عبد الغفار حامد هلال، ص18.
5- البحث اللغوي عند العرب – مع دراسة قضية التأثير والتأثر- د /أحمد عمر مختار، ص100.
6- الخصائص،ابن جني، 33/1.
7- فقه اللغة في الكتب العربية، د /عبده الراجحي، ص6.

يستوقف الباحث اللغوي الحديث ؛لأنه يذكر أبرز الجوانب المميزة للغة، فهو يؤكد أولا الطبيعة الصوتية لها، و يذكر وظيفتها الاجتماعية في التعبير ،و نقل الفكر كما شـَير إلى اختلاف البنية اللغوية باختلاف المجتمعات الإنسانية ،وهذه الجوانب الثلاثة تناولتها التعريفات الحديثة للغة[1].

فبهذا العلم الذي أصطلح عليه بعلم الأصوات أحدث ابن جنّي نظريات لغوية في الأصوات تناقلها المحدثون على تفكيرهم و كتبهم عنه، بل إن الأوروبيين قد استعانوا بها، و فتحت أمامهم المجال لكشف الغامض عن أسرار اللغات جميعا.

ب/ تعريفه للصَّوت والصوّيت:

عرَّف ابن جنَّي **الصّوت** بقوله: «هو عرض يخرج مع النّفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق ،و الفم ،و الشّفتين تثنيه عن امتداده و استطالة، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا، وتختلف أجراس الحروف بحس اختلاف مقاطعها»[2] ،فالمفهوم هذا محدد بملامح الصّوت اللّغوي دون سواه بدليل تحديده مقاطع الصّوت التي تثنيه عن الامتداد و الاستطالة، و يسمى وقفة الانثناء حرفا، و يميز بين الجرس الصّوتي لكلّ حرف معجمي، بحسب اختلاف مقاطع الأصوات ،فتلمس لكل حرف جرسا و لكل جرس صوتا.

و معنى هذا أن الصّوت اللغوي عند ابن جنَّي ليس حدثا صرفًا، إنما هو عرض لحدث، إذ الحدث هو الّنفس الذي تقوم عليه حياة الإنسان فالنّفس أصل، و الصّوت تبع وعرض، يقول **حلمي خليل** في هذا الصدد:« أجمع علماء الأصوات على أن العملية الهامّة في إنتّاج الكلام في عملية التنفس ،و يشيرون في هذا الصَّدد إلى أن معظم الأصوات اللغوية يحدثها تيّار من الهواء يجري خلال ممر هوائي يتكون من الرئتين ،و القصبة الهوائية ،و البلعوم نو فراغ الفم و الأنف، و كون هذا التيار الهوائي متحركا يستلزم بالضرورة وجود باعث على هذه الحركة، و يستلزم نقطة بدء و نقطة نهاية، وأنّ يسير في اتجاه خاص»[3]، فمن خلال هذا

1- الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات العربية والمعاصرة، مجلة التراث العربي،د/ عبد الفتاح المصري، دمشق، العددان 15 و16؛ 1404ه/1984م، ص07.
2- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 19/1.
3- مقدمة لدراسة علم اللغة، د/ حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر؛ 1996م، ص211.

التعريف يتضح لنا أن تعريف ابن جنَّي كان جامعا، وهو يشمل على **خصائص** لم نجدها عند غيره من بينها .

- **الصوت عرض:** فهو عارض يخرج مع النفس و ليس أساسيا لحياة الفرد ،كالنّفس بغيّر

النّفس لا يحيا الإنسان، و أما بغير الصّوت فيمكن يحيا الإنسان، و هذا يوافق أقوال العلماء اليوم عن الصوت الإنساني يفرض على النّفس كعرض يوجد ثم يزول ،فإن كان النفس جوهر الحياة الإنسانية فالصوت عرض لها، و هم يعبرون عن ذلك أحيانا بقولهم إن الصوت مفروض على النفس[1].

- **الصوت مستطيل:** فهو يتشكل بأشكال جهاز النطق في الإنسان ،و قد يشاركه الحيوان

الأعجم عند خروج النّفس، من الرئتين، و يعطي أمثلة فيشبه مجرى الصوت بداخل النّاي يستطيل فيه الصوت حتى يخرج من فتحاته[2].

- **الصوت متصل:** صوت الإنسان متصل الحركات ،و هي تشبه الساكنات أن تكون عليه

نتوءات تمنعه من الاستطالة و الاتصال ،فالصوت يستطيع الاتّصال ما اتصل النفس الإنساني، والغربيون يقولون أن الوحدة النفسية هي الوحدة الحقيقية للكلام ،و ليست الكلمة لأن الوحدة النفسية يتصل فيها الصوت حتى ينتهي النفس و الصوت معا، وما نسميه كلمة هو في الواقع اصطلاح أخذناه من الكتابة التي نفرق فيها بين الكلمات، و لم يؤخذ من واقع الصوت الإنساني[3].

- **الحلق والفم والشّفتان:** وهي أماكن إحداث الأصوات فبعض الساكنات حلقية و البعض فموية،و الآخر شفوية، و ابن جني أشار في هذا التعريف إلى مخارج الأصوات و ترك اللافظات إلى الوصف التفصيلي للأصوات العربية[4].

أمّا **مصطلح الصوَّيت** يعبّر به في سرّ صنّاعة الإعراب عن ظاهرة تلحظ في أواخر بعض الأصوات العربية حين يحاول نطق هذه الأصوات مفردة فيقول:«ألا تراك تقول في الدال و الطاء. واللام : إد، إط ، إل، فلا تجد للصّوت

1- أئمة النحاة في التاريخ، د/محمد محمود غالي، ص45.
2- مدخل إلى علم الأصوات العربية الفصحى،د/عبد القادر الجديدي ، الحياة الثقافية ، تونس، ع36/37 ؛ 1985م ،ص75-76.
3- الأصوات اللغوية، د/إبراهيم أنيس، ص8-9.
4- أئمة النحاة في التاريخ، محمد محمود غالي، ص46.

منفذا هناك، ثم تقول: إس، إص، إز، إذ، إث,إف، فتجد الصوت يتبع الحرف، و إنما يعرض هذا الصوّيت التابع لهذه الحروف ،و نحوها ما وقفت عليها لأنك لا تنوي الأخذ في حرف غيرها، فيتمكن الصوّيت فيظهر، فأما إذا وصلت هذه الحروف نحوها....فإنك لا تحس معها شيئا من الصّوت ،كما تجدّه معها إذا وقفت عليّها ،و ذلك نحو: (**يصبر، و سيلم، و يزلق ، و يثرد، و يفتح)** ،و إنما كان ذلك من قبل أخذك في حرف آخر

وتأهبك له قد حال بينك و بين التلبّث ،و الاستراحة التي يوجد معها ذلك الصوّيت »[1].

و يعلّق **كمال بشر** على ذلك بقوله: « يأتي بأهم خواص الحروف المختلفة من حيث كيفية مرور الهواء حال النطق، و يذكر أن الهواء قد يقف وقوفا تاما كما في حال الدال ،و الطاء وغيرها من الأصوات التي اتفق على تسميتها حديثا بالأصوات الانفجارية ،أو الوقفات أو أن هذا الهواء قد لا يمرّ و لكن يحدث حفيف أو ما سماه (**صوّيتا**) كما في السين و الذال ،و غيرهما من تلك الأصوات المعروفة بالاحتكاكية غير أن مجرى الحروف يتسع ،و لا يعوق الهواء عائق و ذلك في حالة الألف و الياء و الواو، و هذا تصور بارع لاحظه ابن جنّي حيث أدرك خاصة حروف المدّ بوضعها حركات، و هي أن هواءها يمرُّ حرا طليقا دون مانع يمنعه، على حين يحسّ إحساسا صادقا بخاصة النوع الآخر ،و هي الأصوات الصامتة فيلحظ أن هواءها قد يقف وقوفا تاما أو لا يقف، لكنه ينسل من خلال طريق ضيق، فهو يفصل فصلا واضحا بين صنفي الأصوات: **الأصوات الصامتة، و حروف المد** و هي الحركات»[2].

ومما سبق يتضح أن (**الصّويت**) ،أو (**فرع الصوت**) يوضح رأي ابن جني في الدراسات الصوتية الدقيقة التي تدرس الصوت ،و فروعه و ترى أن الصوت المتمايز(**Phonème)** يمكن أن تكون له فروع يسميها الغربيون(**Allophones**)أو صوتيات[3].

2- الفرق بين الصّوت و الحرف:

1- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 20/1.
2- علم اللغة العام- الأصوات-، د/كمال محمد بشر، ص79.
3- أئمة النحاة في التاريخ، د/ محمد محمود غالي، ص78.

داخل علماء العربية بين مصطلحي الحرف و الصّوت، و هي مسألة معروفة عند الدارسين المحدثين لكن لم يخل التّراث اللسانُّي العربُّي من التنبيه إلى هذه الظاهرة المركبة للقارئ، فعدم التمييز بين هذين المصطلحين يبعد الفهم الصحيح عن ذهنية القارئ، فحديث العالم عن الصّوت المنطوق سمة معنوية ،تخالف التّصور الذّي قد يتبادر إلى الذهن من أن المقصود هو الحرف ببعده المادي المنظور عليه ،فقد وردت نصوص عدة في **سرّ صنّاعة الإعراب** تؤكد تنبه ابن جني إلى ضرورة تفريق تلك، و منه نصه الذي قاله في كتابه والذي سبق أن عرّفناه.

ومن هنا نفهم أن ابن جنَّي سمي المقطع **حرفا**، و المعروف أن المقطع هو مخرج الحرف – لا الحرف – فكلامه لا يستقيم إلا على ضرب من المجاز، هو تسمية المحل باسم الحال كقولك **(انصرف الديوان)** و المراد **(من فيه)**، و التجوز غير مستساغ في التعاريف[1]، **فكأن الصّوت** و أشكاله المختلفة من الحركات هو الإطار العام الذي تحدث عند مقاطعة الحروف أو الساكنات[2] ،أما الحرف يعرفه ابن جني بقوله :« أما **الحرف** فالقول فيه و فيما كان من لفظه أن (ح-ر-ف) أينما وقعت في الكلام يــرّاد بها حدُّ الشيء ،وحدّتــه من ذلك حرف الشيء إنما هو حـدَّه و ناحيته »[3]، أو بمعنى آخر حدّ منقطع الصّوت و غايته و طرفه كحرف الجبل و نحوه ،و يجوز أن تكون سميت حروف لأنها جهات الكلم و نواح، كحروف الشيء و جهاته المحدقة به و كل اشتقاق المادة يدلّ على هذا المعنى[4].

و من التعاريف نستنتج أن كل من **الصّوت و الحرف** هما على الجانب المنطوق والملفوظ من الكلام، فكأن الحرف هو انحراف و انقطاع لامتداد الصوت و استطالته، و بمعنى طرف الصوت الذي هو عرض يخرج مع النّفس مستطيلا ممتدا، ومن هنا ظهرت الدقة العلمية عند ابن جنّي في تحديد مفهوم مصطلح الصوت، و تبين أن الحرف هو صوت ممتد ،و مقطع مثنى و صائت و قد يبدو لبعضهم أن المقطع يحصل عندما تقول: (إك – إج)، إذ هو الصوت + المقطع، و

1- ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جنّي، 1/ 19.
2- أئمة النحاة في التاريخ ، د/ محمد محمود غالي، ص78.
3- المصدر السابق ، 28/1.
4- الصوتيات العربية – دراسة تطبيقية عن أصوات اللغة العربية-،د/ عبد الغفار حامد هلال، ص78.

هذا هو الحرف عند ابن جني من خلال التعريف، و بعده يأتي الصائت إما فتحة لينتصب الصوت و إما ضمة فيرفع، و إما كسرة فيخفض،

و من هنّا قد لا نوافق الرأي القائل أن الحرف يأخذ الجانب الشكلي و الخطي و يختص به، وأن الصَّوت يختص بالجانب النّطقي فقط، و تغييره رأيا غير قائم على أسس علمية دقيقة، كما لا نؤيد رأي من يقول بأن الصّوت هو الحرف ؛لأنه لا يحمل سندا علميا صحيحا و أن تعريف ابن جني لا يدعمه[1].

لكن المتعمق في مسألة الحرف والصوت، يجد أن كلمة الحرف عند **العرب القدامى** لها معاني كثيرة، و خاصة في مجال القراءات القرآنية، غير أن الذي يعنينا أمران هو: الصوت المنطوق و الرمز المكتوب، فبهذين خاصية كان الحرف معروفا عند العرب، و عند كثير من علماء أوروبا لعهد قريب، و إذا ما تكلم اللغوي العربي عن الحرف، فإنه لم يكن يعني إلا الصوت اللغوي، و إذا عني رمزه المكتوب نبه على ذلك، و ظلت هذه الفكرة مسيطرة على الدراسات اللغوية العربية، إلا أنها في العصور الإسلامية المتأخرة صارت تعني غالبا الرمز الكتابي[2].

والآن نستطيع أن نميز الفرق الذي تصوره ابن جني باعتبار **الصّوت** نشاط عضوي حركي تنشأ عنه قيم صوتية، و **الحرف** هو تلك الوحدة العضوية المعنية (كالنون و الباء) مثلا التي توجد عند موقع معين يقف عنده الصوت يطلق عليه اسم المخرج[3]، و هذا هو المراد فحين تبتدئ الصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ بأي المقاطع شئت أحسست عند ذلك صدى غير الصدى الأول، و ذلك نحو الكاف فإنك إذا قطعت بها سمعت هنا صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره، و إن جزت* إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين[4].

أعتقد ما وصلت إليه الدراسات الحديثة مبنيٌّ على أساس التفريق ،الذي حددّه عالمنا **ابن جنّي** فالصّوت في حقيقته عملية حركيّة ذات الأثر السمعي، و

1- اللسان العربي وقضايا العصر، رؤية علمية في الفهم والمنهج والخصائص – التعليم والتعليل- د/ عمار سامي، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1؛ 2009م، ص52.

2- الصوتيات، د/عمار ساسي ،حولية أكاديمية محكمة متخصصة تصدر عن مخبر الصوتيات العربية الحديثة، البليدة، ع13، أفريل2013 ، ص05.

3- عبقري اللغويين، أبو الفتح عثمان بن جني (321هـ-392هـ)، د/ عبد الغفار حامد هلال، 520/2.

***جزت، جار الطريق ونحوه أي تعداد وخلفه وراءه، لسان العرب ،724/1.**

4- سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، 19/1.

الحرف وحدة تجريدية (**قد تكون ذات صوت واحدا أو حدة الأصوات**)[1]، و خير دليل **تمام حسان** الذي بنى تمييّــزه بينهما على هذا المعيار حيث يقول: « **الصّوت** هو من أداء المتكلم في نشاطه اللغوي العادي اليومي،فكلنا ينطق في كلامه أصواتا لغوية مسموعة، و أما **الحرف** فهو وحدة تصنيفيّة يقول بها دارس اللغة حين يقسم العدد الأكثر من الأصوات إلى العدد الأقل من الحروف، إذ قد يشتمل الحرف الواحد على أكثر من صوت واحد، كما يشتمل حرف الميم على أصوات مختلفة ؛منها ذو الإظهار ،و ذو الإخفاء ،و ذو الإقلاب ،كما يشتمل حرف النون على عدد من الأصوات يأتي كل منها في بيئة صوتية خاصة، حتى إن بعض أصوات النون كالذي في (**ينظر**) ينطق بإخراج اللسان كإخراجه في الظاء»[2]، و هذا يطلق عليّه بعض الباحثين اسم (**الفونيم**)، فالفوينم في أحد معانيه يقصد به الحرف[3].

كما نجد **إبراهيم نجا** يربط الصوت بمصدره حيث قال في نصه :« الصّوت ظاهرة طبيعية تدرك بحاسة السمع؛ إنه يحدث من احتكاك جسم بآخر لينجم ذلك الاحتكاك اهتزازات صوتية تنتقل في الأوساط المحيطة بهذا المصدر حتى تصل إلى أذن السامعين »، ذكر سيادته ما يثبت ذلك من أدلة علمية[4].

و الصوت حقيقة لا يخرج عن هذا النطاق ،يحدث كما سبق و أن جرى تغطية ذلك نتيجة اصطدام الهواء الخارج من الرئتين في عملية التنفس المعروفة بالزفير، و بالأوتار الصوتية في الحنجرة فيحدث الرنين الذي أطلق عليه العلماء باسم الصوت، و يظل على صورته التي حدثت عن الاصطدام مارَا بباقي أعضاء النّطق من الحلق ،و اللسان ،و الشفة إلى أن يصل الهواء فتمتد ذراته حتى تصل إلى أذن السامعين[5] ،و الحرف هو ما يقف بتلك الذبدبات عند وضع معين ،و مخرج خاص لينتج صوتا مفهوما يعبّر عن أحد الحروف الهجائية[6].

1- عبقري اللغويين ، أبو الفتح عثمان بن جني (321هـ-392هـ)، د/ عبد الغفار حامد محمد هلال، ص521.
2- ينظر: مناهج البحث في اللغة ، د/تمام حسان ، ص124- 127.
3- المصدر نفسه، ص 126.
4- التجويد والأصوات، د/ إبراهيم نجا، طبعة السعادة والمعاجم اللغوية، ط1؛ 1962م، ص5-6.
5-رسالة أسباب حدوث الحروف، ابن سينا، ص 8-9.
6- ينظر: سرّ صنّاعة الإعراب، ابن جني، 1/21-22.

فكل هذه الدراسات لا تخرج عما ذكره ابن جنّي أثناء تحليله للصوت ، و تميُّزه بينه و بين الحرف ثم يطيل القول عن الفرق في المرتبة بين الحركات ،و الحروف أو الساكنات ،فيرى أن الحرف **(أقوى)** من الحركة و أن الحركة تتبع الحرف و لا تسبقه ،و لا تحدث معه[1] ، ومن جهة أخرى يقرن ابن جني الصوت بالحرف أو الحرف بالصوت فيتحدث عن ذوق أصوات الحروف وغير ذلك، وقد أكدَّ **كمال بشر** على أن ابن جنّي عندما يتحدث عن الصّوت في بعض السياقات يعني به الهواء[2].

أما في حديثه عن الإدغام يستخدم الصوت و الحرف في معنى واحد، فذكر تقريب الصوت من الصوت، ثم عاد فذكر تقريب الحرف من الحرف ،و في باب الإمالة يستخدم كلمة الصوت في معنى الحركة، فابن جني عرف مصطلحي الصوت و الحرف مع بعض الاختلاف في استعمال المحدثين ،و هذا ما جعل بعض الاضطراب أو التداخل في استعمالهما ،و هو في الغالب يعني بالحرف الصوت إذ لا يبتعد كثيرا عن السابقين له حسب رأينا لكن أسبقية هذا الجدل أو النقاش تعود إلى ابن جني باعتبارهما (**الحرف و الصّوت**) مصطلحين عربيّين أصيليّن.

3- العلاقة بين الصّوت و الموسيقى و السماع:

يصف محمود العقاد العربيّة بأنّها لغة شاعرة بنيت على نسق الشّعر في أصوله الفنيّة والموسيقية ،فهي في جملتها فنّ منظوم منسق الأوزان ،و الأصوات ،و لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه ،و لو لم يكن من كلام الشّعراء، فإن كان الشّعر روحا يكمن في سليقة الشّاعر حتى يتجلى قصدا قائم البناء، فهذا الروح في الشّعر العربي يبدأ عمله الأصيل مع لبنات البناء قبل أن تنتظم منها أركان القصيدة[3].

و عليه فالإبداع مرتبط باللغة، فعن طريقها يستطيع الشّاعر أن يرى ،و يشعر لا بحواسه الظاهرة بل بعقله و إدراكه، إنها ظاهرة اجتماعية و فكرية و

1- أئمة النحاة في التاريخ، د/محمد محمود غالي، ص48.
2- علم اللغة العام _الأصوات_ ، د/ كمال محمد بشر، 1/ 80.
3- اللغة الشاعرة، محمود عبّاس العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1995م، ص8.

حضارية ترتبط ارتباطا وثيقا بالإنسان وأحواله و تقلباته، تشكيلتها و لبناتها الأصوات ،و الألفاظ ،و الأدوات ،و الجمل، و لكل عنصر من هذه العناصر وظيفة دلالية داخل السياق، فالصّوت يمثل العنصر الأساس في تحقيق التخاطب والتّواصل بين الأفراد و الجماعات، كونه أصل اللغة ،و أداة الشّاعر في إثبات تفوقه على أقرانه، حيث تبنى عليه الكلمة والتركيب كما سبق فقلنا:« الصوت عرض يخرج مع النّفس مستطيلا... واستطالته»[1].

فالإنسان على هذا مزوَّد بآليات تجعله يختزن الهواء في الرئتين، و يخرجه عن طريق انتقاله عبر الجهاز الصّوتي، وقد اتفق معه هذا التّعريف ابن سنان الخفاجي الذّي نقل تعريف ابن جنَّي كاملا مبيَّنا أن الصوت يخرج مستطيلا ساذجا ليدخل في الحلق و الفم ،و الشفتين[2]،و إذا اختل عضو من هذه الأعضاء ينتفي الصفاء الذّي تتميّز به الأصوات، من هنّا الاختلاف بين فرد مبدع و آخر يكمن في الأداء هو تحقيق لطراز يضيف شيئا فرديا و شخصيا[3]،و على الرغم من هذا الاختلاف بين الأفراد فلا يستطيع أحد أن يغيّر من نظام اللغة، كونها ظاهرة اجتماعية جعلت للتّواصل حيث يقول ابن جني: « أمّا حدّها فهي أصوات يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم »[4]،

فهذا التّعريف يبيّن عنصرين أساسيين هما، الصّوت ووظيفته التواصليّة، و هذا يؤكد: « أن اللّغة نشأت في أحضان المجتمع الإنساني لتؤدي حاجة النّاس في تبادل المنافع ،فهي تمثّل واقعا ثقافيا و اجتماعيا، كما أن الركيزة الأساسية التي تقوم عليّها ثقافة أي مجتمع ، بحيث لا يمكن صنعها من فرد واحد ،و إنما تتجسد في طبيعة الاجتماعي البشري»[5]،فاعتقاد ابن جني بأن اللغة أصّوات يؤكد فكرة مهمة ،وهي مراعاته للمنطوق الشفهي دون المكتوب فعلماء العربية لم يتناولوا

1- سرّ صنّاعة الإعراب، ابن جني، 19/1.
2- سرّ الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص15.
3- نظرية الأدب، رنيه وليك، ارستن وارين، ترجمة : د/محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط2، بيروت، 1980م، ص16.
4- الخصائص، أبو الفتح ابن جني، 33/1.
5- الوظيفة التواصلية للغة في التراث العربي، د/بن فريحة الجيلالي، مجلة كتابات معاصرة، ناشرون للطبع، بيروت، ع48 ؛ 2010م، ص89.

اللغة في صفتها المكتوبة ،و إنما في صفتها المنطوقة لأنهم كانوا أقرب إلى الاستعمال الذي يقتضي الحوار و الكلام[1] .

حيث تشير اللغة في أفاق تطوّرها الصوتي إلى محتويات ذهن المتكلم و وعيه، و من أجل هذا خضعت في مدلولاتها، و معانيها إلى قانون التجديد و النّماء الذي تسير وفقه حياة الإنسان إذاً لغتنا تتغيّر و طرائق معيشتنا تتغير[2]، و هذا يدفع إلى التجديد و بخاصة في ميدان الخطاب الذّي يتشبع بالموسيقى الكلامية التي تشكلها الأصّوات، كونها المادة الأولى لصياغة تلك الموسيقى، بما يمتلكه كلّ صّوت من صفات خاصة مستقلة ،و هذا ما يجعل ابن جنَّي يعني بالصوت اللغوي ،و يجعل اللغة بكل ثقلها و محمولاتها أصواتا يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم، فالأذن تدرك الصّوت وتسمعه و عن طريق السماع يتم الحكم على جماليات الخطاب، وهذا الحكم يتحقق عن طريق الإنشاد الذي هو سمة من سمات البداوة ،و ركيزة أساسية مثلا على الخطاب الشّعري حيث يقول ابن جني:«... هذا القبيل من هذا العلم أعني علم الأصوات و الحروف، له تعلق و مشاركة للموسيقى، لما فيه من
صنعة الأصوات و النغم »[3].

فالإيقاع هو قاعدة الحياة و بخاصة الخطاب الذّي هو أساسه، حيث عده **جون كوين** أحد أهم أركان الخطاب الكلامي الذي يعمل من خلال عنّاصره المكونة جميعا على تحقيق أعلى نسبة ممكنّة من الانسجام و التوافق أثناء حدوث الصوت[4]، كما للإنشاد صلة بتعالق الأصوات ،و اقترابها فقد لا تستلذ أصوات من حيث النطق عند اتحادها ؛ لأن جزءا هاما من موسيقى الشعر نابع من علاقات اللغة و أصواتها ،و نبراتها.

1- الوظيفة التواصلية للغة في التراث العربي، د/بن فريحة الجيلالي، ص89.
2- الخطاب الآخر مقاربة لأبجدية الشاعر ناقدا،د/ علي حداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق؛ 2008م، ص176.
3- سرّ صنّاعة الإعراب، ابن جني، 22/1.
4- النظرية الشعرية بناء لغة الشعر_اللغة العليا_، جون كوين، ترجمة : د/ أحمد درويش، دار غريب النشر والتوزيع، القاهرة،ط1؛ 2000، 86/1.

و ما تحمله تلك النبرات و الأصوات من مشاعر تنقلها للآخرين[1] ،لذا دعا ابن جني انطلاقا من مخارج الحروف إلى التميّيز بينهما، فالمتكلم بالعربية يستسيغ التراكيب التي تباعدت مخارجها نحو

:(**الهمزة مع النون و الحاء مع الباء**)، مثل (**أَنَ ،ونَأي ،وحَبَ، وبِحَ**) ،ويستقبح ما تقارب من الحروف مثل:(**طس ،وطث، وثظ**)، فالصّوت مع نقيضه أظهر منّه مع قرينه و لصيقه[2].فهو يهتم بصفاء اللغة ،فإن تقاربت الأصوات تعثرت الألسنة في نطقها،و ثقلت الأسماع ، ولذلك تعدّ الكلمات المتشكلة من هذه الأصوات كلمات رديئة الموسيقى التّي يتجنبها الفصحاء في كلامهم، ولأجل ذلك أقرب بإدغام الأصّوات المتقاربة[3] .

فيتمرس ابن جني بعض الحقائق الصوتية و يعرضها بحذر، و يقظة و لعلها أجدر للذكر حديثه عن أثر المسموعات الصوتية في نشوء الأصوات الإنسانية فيقول:« و ذهب بعضهم إلى أن أصل اللغات ،إنما هو من أصوات المسموعات، كدوي الريح و حنين الرعد، و خرير الماء ،و شحيح الحمار، و نعيق الغراب، و صهيل الفرس و تريب الظبي، و نحو ذلك، ثم ولدت اللغات عن ذلك»[4]، فهو يربط بين الأصوات الإنسانية، و بين أصداء الطبيعة حينا ،وأصوات الكائنات الحيوانية حينا آخر، مما هو من ظواهر الموجودات في الكون، و بين تكوين اللغات التي نشأت عن هذه الأصوات في بدايتها الأولى[5]، فالله سبحانه و تعالى هو ملهم الأصوات و منشئ اللغات، فما تميزت به لغة الضاد الاتساع الذي يحدث داخل اللفظ نفسه، كاشفا عن الوجه الخفي للغة، و بمنأى عن فكرة المفاضلة بين اللفظ و المعنى يرى ابن جني أن العرب كما تعني بألفاظها فتصلحها ،و تهذبها و تراعيها و تلاحظ أحكامها فإن المعاني أقوى عندها و أكرم عليها و أفخم قدرا في نفوسها[6]

1-القلب عند البلاغيين والنّحاة العرب، د/ عيد محمد شبابيك، دار حر، القاهرة، ط1 ؛ 1998م، ص95.
2- الخصائص، ابن جني، 2/ 227.
3- المصدر نفسه ، 1/ 139-140.
4- الصوت اللغوي في القرآن الكريم، د/ محمد حسين على الصغير، ص70.
5- المصدر نفسه ، ص70.
6- الخصائص، ابن جني، 1/ 214.

،لأن المعنى هو الذي يرسم طريقا نحو الإفهام و اللفظ وعاء المعنى[1]،و هذا يتولد على أساس الأداء الصوتي (الموسيقى) و أثره بالنسبة للسامع

المبحث الثّاني:

الحروف العربية وتذوّقها في سرّ صنّاعة الإعراب

1- الجهاز الصّوتي عنّد ابن جنَّي:

إن جهاز أعضاء النّطق هو الذّي يختص بإخراج عدد لا يحصى من الأصوات[2]، إلا أن التّطور الصّوتي أدى اختلاف في بعض هذه الأعضاء، تبعا لاختلاف الشعوب و تنّوع الخواص الطبيعية المزود بها كل شعب ،و التي تنتقل عن طريق الوراثة من السلف إلى الخلف[3] ، و هذا يعني أن لكل شعب جهازا مكونا على نمط خاص يجعله قادرا على إصدار الأصوات بطريقة معينة تختلف عن الشعوب الأخرى، و لكن هذه النظرية لم يثبتها علم التّشريح بل لقد برهن معظم علماء التشريح على أن أعضاء النّطق عند الإنسان تتحد في جميع تفاصيلها من وجهة نظر علم التشريح.

و التحليل لحدوث الأصوات من وجهة نظر علمية أو تشريحية هو الذي أراده ابن جني في عنايته بمجرى الهواء في عملية إحداث الأصوات ،و لكن بأسلوب يتجاوز مناخ بيئته إلى البيئات المعاصرة، و تشبيهه لهذا الجهاز بمراوحة الزامر أنامله في خرق النّاي لسماع الأصّوات الذّي لم يعد اليوم تشبيها بل عاد تسمية اصطلاحية في علم الأصّوات الفيزيولوجي بالنسبة للتصويت[4] ،

فهو يشبه بعض أعضاء جهاز النطق بقوله:« و قد شبه بعضهم الحلق ،و الفم بالنّاي فإن الصوت يخرج فيه مستطيلا أملس ساذجا، كما يجرى الصّوت في الألف غفلا بغير صنعة، فإذا وضع الزامر أنامله على خروق النّاي المنسوقة و راح بين عمله، اختلفت الأصوات و سمع لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبّه و كذلك إذا قطع الصوت في الحلق و الفم باعتماد على جهات مختلفة كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة »[5].

1- تشريح النص مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2؛ 2006م، ص142.
2- التجويد والأصوات، د/إبراهيم نجا، ص08.
3- علم اللغة، د/ علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر، ط9 ؛ أبريل 2004م، ص250.
4- الصّوت اللغوي في القرآن،د/ محمد حسين علي الصَّغير، ص68.
5- ينظر: سرّ صنّاعة الإعراب، ابن جنّي، 1/21-22.

و يصف ابن جنَّي سرَّ اختلاف الأصوات الخارجية من هذا الجهاز ،و الكيفية التي يتّم بها هذا الاختلاف، و هي عملية ميكانيكية للنّطق فقد وردّ في **سرّ صنّاعة الإعراب** :« نظير ذلك أيضا وتر العود، فإن الضارب إذا ضربه، و هو مرسل سمعت له صوتا، فإن حصر آخره الوتر ببعض أصابع يراه أدى صوتا آخر نفإن أدناها قليلا سمعت غير الاثنين، ثم كذلك كلما أدنى أصبعه من أول الوتر تشكلت لك أصداء مختلفة، إلا أن الصوت الذي يؤديه الوتر غفلا غيّر محصور تجدّه بالإضافة إلى ما أدّاه و هو مضغوط محصور أملس مهتزا، ويختلف ذلك بقدر قوته و صلابته و ضعفه ورخاوته، فالوتر في هذا التّمثيل كالحلق و الخَفَقَة بالمضراب عليه كأول صوت من أقصى الحلق، وجريان الصّوت فيه غفلا غير محصور كجريان الصوت في الألف الساكنة، و ما يعترضه من الضغط و الحصر بالأصابع ،كالذي يعرض للصوت في مخارج الحروف من المقاطع، واختلاف الأصوات هناك كاختلافها هنا»[1].

إن ما أبداه ابن جنَّي من تفصيل تمثيلي دقيق لجهاز النّطق عند الإنسان ،و أثر انطلاق الهواء مضغوطا، وغير مضغوط في إحداث الأصوات مختلفة بحسب إرادة الناطق أو المصوت، هو ما تبناه علم الأصوات الفيزيولوجي إذ تطلق كلمة المزمار على الفراغ المثلث، كما يكون مفتوحا خلال النطق ببعض الصوامت المهموسة، أما خلال التصويت فإن المزمار يجب أن ينغلق على طول الخط الوسيط، فإذا بقي الجزء الموجود بين الغضروفين الهرميين مفتوحا، بحيث يسمح للهواء بالمرور سمعيا صوتا مستسرا هو صوت الوشوشة، و إذا كان الائتلاف كاملا كان المزمار في وضع الاستعداد للتذبذب... و من الممكن أيضا أن نقصر التذبذب على جزء من الحبل الصوتي، و بذلك نختصر طول الجسم المتذبذب، و هو ما يعطينا نغمة أكثر حدة، فهذه المعطيات الفيزيولوجية تتفق اتفاقا كاملا مع القوانين الفيزيقية التّي تحطم التردد الخاص باسم التذبذب[2].

رسم تخطيطي يوضح تشريح الحنجرة [3]

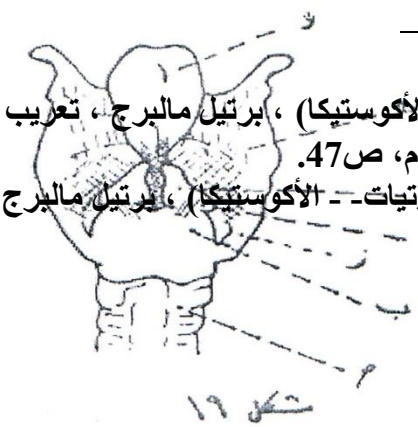

1- المصدر نفسه ، 22/1.

2- علم الأصوات (الصوتيات- الأكوستيكا) ، برتيل مالبرج ، تعريب ودراسة: د/ عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة ؛ 1984م، ص47.

3- ينظر: علم الأصوات (الصوتيات- الأكوستيكا) ، برتيل مالبرج، دراسة و تعريب: د/ عبد الصبور شاهين، ص84.

من خلال هذا يكاد نصّ ابن جني ترجمة عصرية في تشبيهه جهاز الصّوت ،لدى بداية إخراج الأصوات بالمزمار الذّي أصبح اليوم نقطة انطلاق الأصوات، باعتباره فراغا يحاط بالوترين الصوتيين، إذ لم يكن هناك يد عنّد ابن جنَّي من تلمس جهاز ملموس الاستدلال به على قضية يصعب الاستدلال عليها في عصره دون النّظر إلى الجهاز.

أما التشبيه الذّي عاد اليوم مظنّة لمساحة نطقية قرب الحنجرة، فإنّه قد لوّن بصبغة خاضعة لعلم التشريح، وليس عصر ابن جنّي عصر تشريح ، ولا هو بمختص فيه مع فرض وجود أوليات الموضوع، لذلك جاءت هذه الترجمة معبرة عن رأيه، و كاشفة عن تخطيطه تلقائيا، و حاكية لتشبيهه تمثيليا، و الأمر المنتزع من الحس إذا أقيم عليه الدليل الفعلي كان مقربا للإفهام، و مسايرا لحركة التّفكير[1].

و من الإضافات الجادّة التي تعبَّر عن النظرية العلميّة الصائبة ، ودقتها الفائقة و قصب السبق ،و التأصيل لها ذكره لأربعة أعضاء لجهاز النطق: (**الصدر** – **الحلق** – **و الفم- و الأنف**)، **فالصدر** يساعد على إطلاق النّفس المؤدّي إلى إحداث الصوت ،و ليس مساويا للأعضاء الأخرى، لأنه لا يضم مدارج الأصوات وهو لا يذكره إلا نادرا، أما **الحلق** فيتدخل تدخلا مباشرا في عملية النّطق، كما أشرنا منذ قليل، و فرَّق بين أول الفم ، وسطه ،و مقدمه، و في **الفم** جملة أعضاء تنهض بالنّطق فهناك اللسان الذّي ميّز فيه أقصاه و وسطه و طرفه بالإضافة إلى حافيته، وكان العرب قد خصوا كل قسم منّه باسم خاص و هناك الأسنان، ولها دورها في النطق و فَرَّقَ ابن جني فيها بين الثنايا و الرباعيات و

1- الصّوت اللغوي في القرآن، د/محمد حسين علي الصغير، ص 69.

الأنياب و الضواحك، وذكر الشّفتين وهما تساهمان أيضا في النطق و خاصة الشفة السفلى، و ذكر **الخياشيم** التي تساعد على مخرج النون الخفيفة الساكنة[1].

و هكذا يبدو أن النطق ليس أكثر من وظيفة ثانوية تؤيدها هذه الأعضاء إلى جانب قيّامها بوظائفها الرئيسيّة التي خلقت من أجلها[2] ،و أن إصدار الأصوات الكلامية ليس إلا وظيفة واحدة من الوظائف الكثيرة التي تقوم بها هذه الأعضاء[3] ،و المهم في كل هذا أن ابن جني عرف أن الأصوات تختلف فيما بينها تبعا لأوضاع أعضاء جهاز النطق، وأن من الأصوات ما تعترضه العوائق التّي مثلها بأنامل الزامر على النّاي أوّل الأصابع ضارب للعود على الوتر

2- عدد الحروف العربية و ترتيبها:

لقد بلغ الفكر العربي - في مجال الدّراسة الصّوتية – مكانة مرموقة انّطلاقا من القرن الثّاني للهجرة، مما أدى ببعض الباحثين الغربيين إلى الاعتقاد بتأثر العرب بمفاهيم لغوية متطوّرة من حضارات سابقة كالحضارة اليونانية و الحضارة الهندية، إلا أن بروكلمان نفي هذا الرأي، وعدّ وجود الأصوات عند العرب ظاهرة قائمة بذاتها[4] ،و العرب شأنهم شأن أية طائفة من هذه الطوائف قد استخدموا لأنفسهم طريقة صوتية لها اتجاه معين في التعبيّر عمّا يدور بخلدهم.

وقد استعملوا جهاز النّطق الذي وهبهم الله إيّاه كمّا استخدّمه غيّرهم من النّاس في شتى بقاع الأرض، إلا أن العرب قد استطاعوا بنظرتهم السليمة، وحسَّهم المرهف أن يبرعوا في استعمال أعضاء النّطق فيما خلقت له، و أن يصدر ألوانًا من الصّوت لم يستطع غيرهم أن ينطق بها، و كما يقول محمود العقاد: « إن الأمة العربية استخدمت جهاز النّطق بما لا يمكن لأي أمة أخرى في أي لغة من اللغات».[5].

ومن هنا تَفَاوت الشعوب في التفنّن، فوجدنا شعوبا لا تتمكن من إصدار بعض الحروف التي تمكن غيرهم من النّطق بها ، فبعض القبائل في أواسط أفريقية لا يستطيعون النطق بالحروف الشفوية ، ولا توجد في أبجديهتم (**ق – ب**

1- الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، د/عبد الفتاح المصري ، ص12.
2- أصوات اللغة ، د/ عبد الرحمن أيوب، ص40.
3- في البحث الصوتي عند العرب، د/ خليل إبراهيم العطية، ص12.
4- مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د/ نور الهدى لوشن، ص108.
5- اللغة الشاعرة، د/ محمود العقاد، ص12.

– م – و)، وبعض هنود كولومبيا لا يمكنّهم النطق بالحروف (**ف – ج – د –و**)[1] ، لكن الأبجدية العربية قد شملت كل الحروف التي يمكن النطق بها، و قد حافظت مع ذلك على الوضوح الكامل و عدم الالتباس في مخارج الأصوات، و هي بهذا تمتاز في جميع الأبجديات في لغات العالم قديما و حديثا[2].

أ/ أسماء الحروف و ترتيبها:

يستعمل **ابن جني** مصطلح أسماء الحروف و يعقد له بابا أسماه باب أسماء الحروف،

وأجناسها ،ومخارجها ،و فروعها المستحسنة ،و فروعها المستقبحة، و ذكر خلاف العلماء فيها[3]، يجعلها تسعة و عشرون حرفا، كما هي عند أغلب علماء العربية حيث يقول :« اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة و عشرون حرفا، فأولها الألف، و آخرها الياء على المشهور من ترتيب حروف المعجم[4] »، إلا أن **أبا العباس المبرد** يعدّها ثمانية و عشرين حرفا و يجعل أولها الباء، و يدع الألف من أولها يقول هي همزة، و لا تثبت على صورة واحدة و ليست لها صورة مستقرة، فلا يعتدها مع الحروف التي أشكالها محفوظة معروفة[5].

فلم يعتبّر المبرد الهمزة هنا من جهة أنها لا صورة لها ثابتة، و اعتبرها في ما يأتي من الأصل فيقول: «و أما الحروف التي كملت هذه الخمسة و الثلاثين حرفا بعد ذكرنا الهمزة بين بين، فالألف الممالة، و ألف التّفخيم و الحرف المعترض بين الشين و الجيم، و الحرف المعترض بين الزاي و الصاد، و النون الخفيفة فهي خمسة و ثلاثون حرفا»[6].

و **ابن جنّي** يعدّ الهمزة ألفا باعتبارها صورة الهمزة في الحقيقة، و إنما كتبت الهمزة واوا مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف ،و لو أراد تحقيقها البتة لوجب أن تكتب ألف على كل حال[7] ، و يستدل على أن كل من الهمزة

1- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية،د/ جرجي زيدان، مراجعة وتعليق: د/ مراد كامل،دار هلال ؛1969م، ص09.
2- الصوتيات اللغوية – دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية- د/ عبد الغفار حامد هلال، ص89.
3- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 55/1.
4- سر صنّاعة الإعراب، ابن جني ، 1/ 55.
5- شرح المفصل، موفق الدين ابن يعيش،10/ 126.
6- المقتضب، أبو العباس المبرد، 1/ 338.
7- سر صنّاعة الإعراب، ابن جني، 55/1.

و الألف وجودا في اللغة، تبعا للفظ و النطق لا الكتابة، و عدم الثبات على صورة واحدة، فالهمزة تعد من الحروف الهجائية لأن جميع هذه الحروف إنما وجب إثباتها ،و اعتدادها لما كانت موجودة في اللفظ الذي هو قبل الخط، و الهمزة أيضا موجودة في اللفظ كالهاء و القاف و غيرهما ،فسبيلها أن تعتد حرفا كغيرها.

فأما انقلابها في بعض أحوالها لعارض يعرض لها من تخفيف أو بدل ،فلا يخرجها من كونها حرفا، و انقلابها أول دليل على كونها حرفا، ألا ترى أن الألف ،و الواو ،و الياء ،و التاء ،و الهاء والنون و غيرهن قد يقلبن في بعض الأحوال، ولا يخرجن ذلك من أن يعتدّدن حروفا و هذا أمر واضح غير مشكل[1]، مما يؤكد على أن اللغة أصوات، فالحرف عندما يلفظ يثبت بعد ذلك بالخط فالاعتداد بالصوت لا بالحرف المكتوب، حيث جعل ابن جني **الألف صورة للهمزة**، ويدلل على ذلك بأمرين:

- **ـ الهمزة:** إذا أريد تحقيقها البتة وجب أن تكتب ألفا على كل حال،وذلك إذا وقعت موقعا

لا يمكن فيه تخفيفها، و لا تكون فيه إلا محققة ،و ذلك إذا وقعت أوّلا نحو **(أَخَذ)** و **(أُخِذ)** بضم الهمزة و كسر الخاء و على هذا وجدت في بعض المصاحف **(يستهزأون)** بالألف قبل الواو، و وجدّ فيها أيضا قوله تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[2]، **(شيأ)** بالألف بعد الياء و إنّما لتوكيد التحقيق[3].

- ـكل حرف سميته ،ففي أول حروف تسميته لفظة بعينه ألا ترى أنك إذا قلت **(جيم)**،فأوّل

حروف الحرف **(جيم)**، و إذا قلت **(دال)**، فأول حروف الحرف **(دال)**، و كذلك إذا قلت

(**ألف**) ،فأول الحروف التي نطقت بها **همزة**، فهذه دلالة أخرى على كون صورة الهمزة مع التحقيق ألفا[4].

1- المصدر نفسه ، 57/1 .
2- سورة الإسراء، الآية : 44.
3- الصوتيات اللغوية – دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية- د/ عبد الغفار حامد هلال، ص99.
4- عبقري اللغويين، أبو الفتح عثمان ابن جني، د/ عبد الغفار حامد محمد هلال، 2 /526.

فنخلص من هذا أن اسم **الهمزة،** و إطلاقه على هذا الصوت المعروف قد برز في زمن متأخر بعد أن أصبحت الألف خاصة بالفتحة الطويلة، و لكن الأمر ظل مختلطا على اللغويين العرب فظلوا يربطون بين الألف و الهمزة، و إن كانوا قد فرقوا بينها مخرجا، فابن جني على الرغم من قوله (**إن الألف في صورة الهمزة)** قد فرق بين الهمزة لصوت احتباسي و بين ألف المد[1]، و أي كان الأمر فالهمزة و الألف كلاهما من حروف المعجم التّي تبلغ كما يقول القدماء تسعة و عشرون حرفا ،وقسمها إلى نوعين مستحسنة و مستقبحة.

1/الحروف المستحسنة:

ذهب ابن جني في هذه الحروف مذهبا فنّيا عليه قرائن الأحوال، فهو يعطي استعمالها في مواطنه وتشخيصها في مواضعه، **فالحروف المستحسنة** عنده يؤخذ بها القرآن الكريم، و فصيح الكلام وهي: "النون الخفيفة، ويقال لها الخفية، و الهمزة المخففة و التفخيم، و ألف الإمالة، و الشين التي كالجيم، و الصاد التي كالزاي"[2].

- **ـ الهمزة المخففة:** هي التي تسمى همزة بين بين، و معنى ذلك أنها تكون بين الهمزة وبين

الحرف الذي منه حركتها، إن كانت مفتوحة فهي بين الهمزة و الألف، و إن كانت مكسورة فهي بين الهمزة و الياء، و إن كانت مضمونة فهي بين الهمزة و الواو، فالمفتوحة نحو قولك في (**سأل = سال**) و المكسورة نحو قولك في (**سئِم = سيم**) ،و المضمونة نحو في (**لُؤم = لوم**)[3].

- **ـ الشين التي كالجيم:** و هي التي يقل تفشيها و استطالتها، و تتراجع قليلا متصعدة

نحو الجيم[4] ، قولك في (**أشدق = أجدق**)[5].

1- سر صنّاعة الإعراب، ابن جني، 57/1.
2- سر صناعة الإعراب، ابن جني ، 59/1.
3- عبقري اللغويين، أبو الفتح عثمان ابن جني، د/ عبد الغفار حامد محمد هلال، 530/2.
4- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 64/1.
5- شرح المفصل، موقف الدين ابن يعيش، 127/10.

➢ - **الصاد التي كالزاي:** و هي التي يقل همسها، و يحدث فيها ضرب من الجهد

لمضارعتها الزاي، وذلك قولك في (**يصدر = يصدر**) ،و في (**قصد = قصد**)*، و من العرب من يخلصها زايا فيقول: (**يزدرو = قزدا**)[1]

➢ - **النون الخفيفة:** و يقال لها الخفية و هي الساكنة، و مخرجها من الأنف و الخياشيم كالنون

في (**منك = عنك**)[2]، أما المتحركة فمن حروف الفم إلا أن فيها بعض الغنّة من الأنف[3].

➢ - **ألف الإمالة:** و هي التي تجدها بين الألف و الياء نحو قولك في (**عالم و خاتم= عالم**

خاتم)[4].

➢ - **ألف التفخيم:** و هي التي تجدها بين الألف و بين الواو نحو قولهم: (**سلام عليك ، قام زيد**) ،و على هذا كتبوا (**الصّلوة و الزكوة والحيوة**) بالواو: لأن الألف مالت نحو الواو، كما كتبوا (**إحداهما و سواهن**) بالياء لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة، ومن هذا يتبين أن الإمالة كما تكون من الفتح إلى الكسر تكون أيضا من الفتح إلى الضم، و لكن القراء عـــنـوْا بالإمالة الأولى فقط[5].

2/الحروف المستقبحة: هذه الحروف قسمان مستقبحة دائما و مستقبحة في موضع،حسنة

في غيره ، فأما **الأولى** فهي[6]:

***- يلاحظ للقارئ أن النطق بالصاد هنا هو بين الصاد والزاي.**

1- الصوتيات اللغوية – دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية- د/ عبد الغفار حامد هلال، ص107.

2- شرح المفصل، موقف الدين ابن يعيش، 126/10(وتكون في 15 حرفا).

3- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 61/1.

4- المصدر نفسه ، 64/1.

5- عبقري اللغويين، أبو الفتح عثمان بن جني، د/ عبد الغفار حامد محمد هلال،532/2.

6- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 66/1.

- **ـ الجيم التّي الكاف:** و كانت شائعة في اليمن، و هي الآن موجودة بكثرة عند أهل

البحرين مثل: رجل و جمل يقول فيها (**ركل و كمل**)[1].

- **ـ حرف بين الصاد و السين:** و ينطق به بدل الصاد، فيقولون في (**صاد،ساد**) بتفخيم

السين و في (**صالح- سالح**)[2].

- **ـ حرف بين الطاء و التاء:** و هي أكنة أعجمية عند أهل المشرق، لأنهم لا يستطيعون

نطق الطاء ، فيتكلمون هذا النطق فيقلون في (**سلطان سلتان**) ،و في (**طالب = تالب**) بتفخيم قليل[3].

- **ـ حرف بين الضاد و الظاء:** ينطق به بدل الضاد، فيقولون في (**ضبع = ظبع**) بالضاء

بالظاء المصرية.

- **ـ حرف بين الظاء و الثاء:** و ينطق به بدل الظاء فيقولون في (**ظاهر = ثاهر**) بثاء

مفخمة[4].

- **ـ حرف بين الفاء و الباء:** و ينطق به بدل الباء في نحو (**أصبهان - بلخ**)، وهي على

ضربين أحدهما لفظ يكون الباء أغلب عليه من الفاء كحرف (**P**)، و الآخر لفظ الفاء أغلب عليه ،و هما حرفان من حروف المعجم سوى الباء و الفاء المخلصين[5].

و أما **الحروف المستقبحة في موضع المستحسنة في آخر** فهي:

1- الجمهرة، ابن دريد ، 05/1.
2- شرح المفصل ، موقف الدين ابن يعيش ، 128/10.
3- الصوتيات اللغوية – دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية- د/ عبد الغفار حامد هلال، ص110.
4- سر صناعة الإعراب، ابن جني ، 66/1.
5- عبقري اللغويين ، أبو الفتح عثمان ابن جني، د/ عبد الغفار حامد محمد هلال،2/ 532.، وينظر: المُقَرب، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور(669ه)، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبوري، ط1؛ 1392ه/1972م، ص326.

➢ - **حرف بين الجيم و الشين:** و ينطق بها كذلك إذا كانت ساكنة ، و بعدها تاء أو دال

مثل: (**اجتمعوا و أجدر**) يقال فيهما: (**اشتمعوا و أشدر**)، و الفرق بين هذا الحرف و الشين التي كالجيم حتى جعل الأول من الحروف المستقبحة ، و الثاني من الحروف المستحسنة أن الأول كره فيه الجمع بين الشيئين ،و الدال لما بينهما من التباين فالشين مهموسة رخو و الدال مجهور شديد، و أما إذا كانت الجيم مقدمة فليس بينهما من التنافس و التباعد ما بين الشين و الدال[1].

➢ - **حرف بين الواو و الياء:** في نحو (**قيل و بيع**) بالإشمام، فكما أن الحركة قبل هذه الياء

مشوبة بالضمة فالياء بعدها مشوبة بروائح الواو ،و هي لغة عند بعض العرب بشيمون الياء صوت الواو فتخرج كحرفي (**EU**)[2] ، و هذه من لغة الحجازيين يعاقبون بين الواو و الياء ، فيجعلون إحداهما مكان الأخرى، فيقولون مثلا في (**الصّواغ ّالصِياغ**)، و قد (**دوخوا الرجل = ديّخُوه**).

هذه برأينا إضافة إلى البحث الصوتي لم يشر إليها أحد من قبله، و لا من عصره، و لا من بعده، فهو جهد تجديدي ظاهر.

ب/ ترتيب الحروف :

لم يتناول ابن جني بالإجمال أصوات العربية ،فيقسمها أنواعا كثيرة بعد أن يعرضها مجملة ،و يرتبها ترتيبا يختلف فيه مع من سبقاه في دراسة أصوات العربية كالآتي:

(الهمزة، و الألف، و الهاء، و العين، و الحاء، والغين، و الخاء، و القاف، و الكاف، و الجيم والشين، و الياء، و الضاد، و اللام، و الراء، و النون، و الطاء، و الدال، و التاء، و الصاد، والزاي و السين، و الظاء، و الذال، و الثاء، و الفاء، و الباء، و الميم، و الواو)[3].

1-ينظر: همع الهوامع وفي شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي، 229/2، وينظر: شرح المفصل، موقف الدين ابن يعيش، 10/ 127، وينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني، 66/1.
2- تاريخ الأدب العربي، د/ مصطفى صادق الرافعي، راجعه وضبطه: عبد الله المنشاوي، ومهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، جامعة الأزهر، 130/1.
3- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 59/1.

و بمقارنة هذا الترتيب لأصوات العربية يتضح لنا و نستخلص ما يأتي:

- ➢ - يتّفق العلماء الثّلاثة (**سيبويه، والخليل، ابن جنّي**) على أن أصوات الحركة الطويلة

ثلاثة : (**أ، و، ي**) ،و لكن الخليل يجمعها بعد الساكنات، و هذا منهج يتفق مع صوتيات العربية.

- ➢ - **ابن جني** يخالف **الخليل** في عدّة مواضع، كما خالف **سيبويه** بعض المواضع وإن صرح

أن ترتيبه هو الصواب، فالخليل جعل العين أولا، و تليها الحاء و الهاء و الخاء، و الهمزة و الألف والهاء تسبقها عند ابن جنَّي، و فصل بين القاف و الغين بالخاء، أما الخليل فوضع القاف بعد الغين، و سيبويه يرتب ابتدءً من (**ك، ق، ض، ج، ش، ي**)،و ابن جني (**ق، ك، ج، ش، ي، ض**)، كما نلاحظ أن ابن جني يستعمل مصطلح (**مذاق**)، و (**تصعّد**) حين يتحدث عن ترتيب مخارج الحروف، و هو ربما يقصد ظروف النّطق في التذوق يكون عن طريق الفعل و الصعود و الهبوط، و بالفعل والحركة.

- ➢ - تأتي بعد ذلك مجموعات كل منّها من ثلاثة أصوات يبدأها **ابن جني** بالأصوات

(**ل، ر، ن**) ،و **اللام** منحرفة ،و **الراء** تكرارية ،و **النون** أنفية ،و يتفق ثلاثة على أن مخرجها واحد أو متقارب إلا أن **الخليل** يتبع ترتيبا مخالفا عن ترتيب تلميذيّه اللذين جاءوا بعده (ر، ل، ن).

- ➢ - و تأتي بعد ذلك مجموعة أصوات (**ط، د، ت**) و هي مجموعة متقاربة أو متحدة

في المخارج ،و لكن يميز كلا منها أن الطاء مطبقة ،و الدال مجهورة ،و التاء مهموسة ،و هنا يتضح أن العلماء الثلاثة كانوا يعتبرون الطاء مجهورة و أغلب الرأي الآن مهموسة، وتجيء بعد ذلك مجموعة (**ص، ز، س، ظ، ذ، ث، ف، ب، م**)

- ➢ - إلا أن **الخليل** يتبع ترتيبا مخالفا في مجموعة (**س، ص، ز**) ،فهو انتهج هذا الترتيب

(**ص، س، ز**)،و كذلك (**ظ، ذ، ث**) يبدأ بالمفخمة ثم يتبع بالمهموسة في المجموعة الأولى ،و يعدل عن ذلك في المجموعتين الأخيرتين، فسير على نفس النظام الذي

تابعه عليه **سيبويه** و **ابن جنّي** إلى أن ينتهي بنفس النهج في مجموعة أصوات (**ف، ب، م**).

- يتحدث **ابن جني** و يضيف إتماما لنظريته في الأصوات، **ستّة** أحرف مستحسنة على

حروف المعجم العربي، و **ثمانيّة** أحرف فرعية مستقبحة ،و لا يصح ذلك عنّده إلا بالسمع و المشافهة، حتى تكون حروف المعجم مع الحروف الفرعية المستحسنة إلى **خمسة و ثلاثين** حرفا، وهما مع الحروف الفرعية المستقبحة **ثلاثة و أربعون** حرفا.

إلا أن المبرد يقول :« و اعلم أن الحروف خمسة و ثلاثين حرفا»[1]، و إضافات ابن جني إحصاء دقيق، و كشف جديد، و تثبيت بارع لأن العرب ميزوا بين أصوات الأبنية المؤلفة لكلامهم، و جعلوها ذات وقع حسن ،أو ذات وقع قبيح استنادا إلى الذوق الذّي يكون لديهم من خلال جملة من التّجارب المتراكمة في أذهانهم على جميع المستويات ،فابن جني اتبع الطريق الذي أرتاه لنفسه وبنى عليه كتابه الذي ضم معاني دقيقة من عالم الصوتيات.

3- مخارج الحروف بين الأصالة والإتّباع:

إن كلام أي لغة من اللغات ليس مجموعة من الأصوات المفردة، نحن لا نتكلم أصواتا كل منّها قائم برأسه، نحن نتكلم (**كلمات**)، و(**جملا**) ،و (**فقرات**)، و إذا كانت كلمات كل لغة وجملها ترتدّ، من النّاحية الصوتية إلى مجموعة محددة من (**الأصوات**) ، فليس معنى هذا أن الأصوات في الكلمات ،أو في الكلام المتّصل تحتفظ بخصائصها التي نسبناها إليها عندما وصفنا كل صوت على أنه وحدة مستقلة، تلك كانت عملية تجريد لازمة لوصف العناصر أو الوحدات البسيطة التي تتكون منها الكلمات ،و لكن ينبغي ألا يصرفنا هذا عن تلك الحقيقة الهامة، ألا و هي أن الصوت في الكلمة[2] ، و لولادة الأصّوات و تحديد هويتها ،و سماتها النّطقية الرئيسية لابدّ من معرفة مخارج هذه الأصوات لرصد ،و تكوين هذه الألفاظ جيدا.

1- المقتضب، المبرد، 328/1.
2- علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي-، د/ محمود السعران، ص10.

و ابن جنَّي يوزع أصوات العربية على مكان مخرجها ،و يجعلها ستة عشر مخرجا بدء بالحلق وانتهاء بالشفتين، فيقول: «و اعلم أن مخارج هذه الحروف ستّة عشر ثلاثة منها في الحلق، و مما بين الشفتين مخرج الباء و الميم و الواو»[1].

و يمكن أن نختص ما جاء به ابن جني في الجدول التالي[2]:

العدد	المخـرج	الأصـوات	
01	أسفل الحلق و أقصاه	**ء ـ ا ــ ه**	**الهمزة، الألف، الهاء**
02	وسط الحلق	**ع – ح**	**العين، والحاء**
03	أدنى الحلق مع أول الفم	**غ – خ**	**الغين، والخاء**
04	أقصى اللسان	**ق**	**القاف**
05	من أسفل من ذلك و أقرب إلى مقدم الفم	**ك**	**الكاف**
06	وسط اللسان بينه و بين وسط الحنك الأعلى	**ج – ش – ي**	**الجيم، و الشين، و الياء**
07	أول حافة اللسان، و ما يليها من الأضراس	**ض**	**الضاد**
08	حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان،فويق الضاحك	**ل**	**اللام**
09	طرف اللسان بينه و بين ما فويق الثنايا	**ن**	**النون**
10	من مخرج النون غير أنه أدخل	**ر**	**الراء**

1- ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني، 60/1.
2- سرّ صنّاعة الإعراب ،ابن جني، 60/1-61.

	في ظهر اللسان قليلا لإفراغه إلى اللام.		
11	بين طرف اللسان و أصول الثنايا	**ط – د – ت**	**الطاء و الدال و التاء**
12	بين الثنايا و طرف اللسان	**ص – ز – س**	**الصاد ،و الزاي و السين**
13	بين طرف اللسان و أطراف الثنايا	**ظ – ذ – ث**	**الظاء ،و الذال و الثاء**
14	باطن الشفة السفلى ،و أطراف الثنايا العليا	**ف**	**الفاء**
15	مما بين الشفتين	**و – ب – م**	**الواو ،و الباء و الميم**
16	الخياشيم	**ن**	**النون الخفيفة الساكنة**

من خلال هذا التقسيم يشيّد الدارسون المحدثون بعمل ابن جني ،و يعدّونه مدهشا و يرون أنهم لا يختلفون معه كثيرا بل أن مجال الاتفاق أوسع من مجال الخلاف، و أن كثيرا من نقاط الخلاف يمكن أن نغض النّظر عنها ،و أن نهملها و ذلك لشدة التّقارب، والتداخل بين مخارج الحروف، فليس هناك في الواقع حدود فاصلة فصلا تاما بين بعض هذه المخارج، ووصف المخارج عند ابن جنّي بهذه الصورة يدلّ على قوة الملاحظة ،و الذكاء النّادر، و إليك هذا **الرسم الذّي يؤكد حقائق التقارب بين ابن جنّي و المحدثين في مخارج الحروف:**

أنظر الشكل[1]: رسم توضيحي لمخارج الحروف

1- دراسة النّظام المقطعي وهمزة الوصل في العربية، د/ محمد علي رباع، حوليات كلية الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قطر، ع17؛ 1415ه، ص55، أو ينظر: دروس في النظام الصوتي للغة العربية، د/ عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، 1428ه ، ص09.

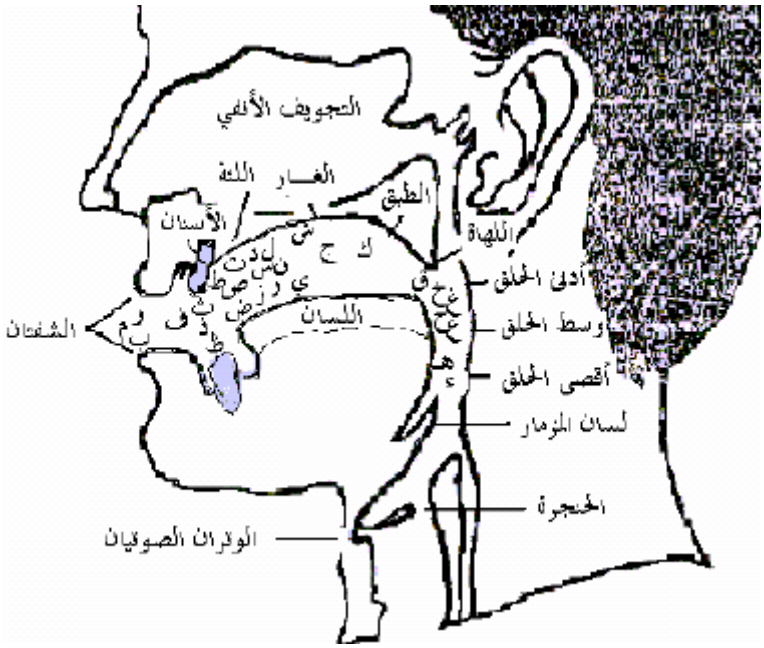

ولم يقف ابن جنّي عند هذا الحد، و إنّما عقد في كتابه فصلا خاصا عنوانه (**ذوق أصوات الحروف**) ، قام على شرح كيفية تذوق هذه الحروف و محاولة نطقها، و أتى في أثناء ذلك بأهم خواص الحروف المختلفة من حيث كيفية مرور الهواء حال النطق[1]، و لاسيما دقتّه تتجلى أكثر في كيفية اتصال طرف اللسان بالثنايا و الحنك الأعلى[2]، و يكاد هذا الوصف لابن جني ترديد حرفيا لكلام سيبويه إلا أن ابن جنَّي قد أسقط الجوف، و لم يره مخرجا، كما فعل سيبويه قبله.

فهذا الوصف يلقى قبولا و دهشة من الناحية العلمية، وتأثرنا إلى ذلك فيما مضى و كان نبراسا للمتأخرين[3] من العلماء، و لاسيما المحدثين الذين لم يكادوا يزيدون عليه شيئا ذا بال، فقد استمدّوا منه تقسيمهم للأصوات مجموعات متشابهة ، تكاد لا تخرج عما ذكره ابن جني و سيبويه ومن قبلهم.

1- الأصوات اللغوية، د/زين كامل الخوسكي، ص45.
2- عبقري اللغويين، أبو الفتح عثمان ابن جني، د/ عبد الغفار حامد محمد هلال،2 /576.
3- النشر في القراءات العشر، محمد بن يونس ابن الجزري، 1/ 198- 201.

المبحث الثالث:

أصالة الأصوات العربيّة في سرّ صنّاعة الإعراب

ألممنا فيّما سبق بجهاز النّطق عند الإنسان، وعرفنا المهم من وظائف أعضائه ،و سنحاول في هذا المبحث أن نستقرئ أقسام الأصوات العربية ،ووظيفتها (**الصوائت و الصوامت**) في مجال الاستعمال الصوتي مبرزين جهود أبو الفتح ابن جنَّي من خلال كتابه في ذلك و أصالته.

1- تقسيم الأصوات العربية:

يقسم قدامى اللّغويين العرب الأصوات قسمين: صامتة ،و صائتة ،أو سواكن* و حركات[1]، إلا أن موضوع هذه المصطلحات يطول الحديث و يتفرع، و قد يوجد تداخل شبه ثنائي في إحلال بعض المفاهيم محل بعضها في مثل المفهوم و المصطلح، و الأصالة و الحداثة، فالأصّالة أصل والحداثة فرع، و نذهب مع من قال: « فلولا الأصّالة لما كان ثمة حداثة، لولا الحداثة لفقدت الأصالة معناها،

***- تسمى أحيانا بهذا الاسم ،ولكن تلك التسمية تختلط بالحروف المشكلة بالسكون مثل الكاف والباء في (أكتب، فعل أمر مثلا).**

1- الأصوات اللغوية ، د/ إبراهيم أنيس، ص26.

الأصالة بلا حداثة عقم و جمود ،و موت ،و الحداثة بلا أصالة ضيّاع و تفسّخ، و وانحلال»[1].

اعتنى العرب بالصوامت و الصوائت في آن واحد، وعرضوا لمميزاتها الصّوتية على نّحو يتفق مع حدده علماء الأصوات المحدثون، و منّهم من فرق بين الصوائت الطويلة والقصيرة، لكنهم أولوا الأصوات الصامتة غاية خاصة، و وجهوا إليها معظم جهودهم و بحوثهم الصوتية، فنظروا فيها من حيث مخارجها و صفاتها المختلفة، و إن لم يقدموا لنا تعريفا علميا لها، و يعود اهتمامهم بالصوامت إلى نظرية الأصول عند علماء العربية، فأصول الكلمات أصوات صامتة، و إلى وجود رموز مستقلة للحروف السابقة لرموز الحركات، و المهم هنّا هو الطريقة التّي يسر صنّاعة الإعراب و سماه (**ذوق أصوات الحروف**) يقول في ذلك: « سبيلك إذا أردت اعتبار صدر الحرف أن تأتي به ساكنا لا متحركا، لأن الحركة تقلق الحرف عن موضعه و مُستقَّرَهُ، و تجتذبه إلى جهة الحرف الذي هي بعضه، ثم تدخل عليه همزة الوصل مكسورة من قبله، لأن الساكن لا يمكن الابتداء به فتقول: اك، اق، اح، و كذلك سائر الحروف»[2].

من خلال نصّه يشير ابن جنّي إلى خواص النّوعين: الصامتة و الصائتة (**الحركات**) على السواء بطريقة جليّة ، فهنا نجدّه يلاحظ خواص الأصوات الصّامتة سواء منّها ما ينحبس معه الهواء انحباسا تاما، و ما ينحبس معه انحباسا جزئيا، فالهواء لا يمرُّ معها طليقا و إنّما يعوقه عائق في إحدى مناطق النطق[3]، كما أوضح خاصة الأصوات الصّائتة ،فقد وصف حروف اللين الثلاثة باتساع المخارج: فقال:« و الحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثم الياء ثم الواو، و أوسعها و ألينها الألف.... و يقول قبل ذلك فإن اتسع مخرج الحرف حتى لا ينقطع الصوت عن امتداده ،و استطالته استمر الصّوت ممتدا حتى ينفذ»[4].

و معنى ذلك أنّه يعرف لهذه الأصوات ما لمحه فيها المحدثون، إلا أنّه يهتم بالصّوامت أكثر من الصوائت ،و لاسيما متقدموا النّحاة أيضا، حين جعلوا الأولى

1- حروف المعاني بين الأصالة والحداثة، د/حسن عباس، اتحاد كتاب العرب، دمشق؛ 2000م ، ص11.

2- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/19-20.

3- الصوتيات اللغوية – دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية- د/ عبد الغفار حامد هلال، ص122-123.

4- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/20.

أصل البناء الصرفي، على حين أن الثانية تدخل بناء الصيغ، وتنّوعها، فهي لا تقل شأنا عن الأولى إن لم تكن أولى منها بالاهتمام، على أنهم أفاضوا في الحديث عن الصوائت الطويلة دون القصيرة لوضوح رموز الطويلة في الكتابة وتأخر رموز القصيرة في الظهور، و عدم استقلالها إن تكون مرتبطة بالأصوات الصامتة.

أ/ الصوائت :

الصائت ،و الحركة ،و العلامة ،و النقطة ،و الطليقات و العلل* ،كلها ألقاب تدل على شيء واحد هو ذلك الصّوت المصاحب للصائت الذي هو الحرف في نطقه ،و الرسم المعرب عن

معناه داخل السياق ،و المبين لوظيفته داخل البناء في الإفراد و التركيب[1] ،تنقسم ثلاثة أقسام:

أ- الصوائت الطويلة.

ب- الصوائت القصيرة.

ج- **أشباه الصوائت**.

فالصوائت الطويلة: يسميها القدامى (**حروف المد**)، و هي الألف و الواو و الياء، إذا سكنت مع مجانسة الحركة السابقة عليها مثل: (**وحيل بينهم ، سور و نور ، قال و باع**) ،و الألف حرف مد دائما لأنها لا تقع إلا بعد فتحه، و هي الحركة المجانسة لها و إلا غيرت إلى حرف آخر، والواو إن سبقت بضمّة، و الياء إن سبقت بكسرة، مثل : (**ضارب وضورب ،و مصباح و مصيبيح**)في التّصغير[2].

وابن جني فرق بين الحروف الثلاثة من حيث كيفية النّطق بها ،و مواقعها من الحلق، و اللسان والشفتين، وتلك نظرة دقيقة نلمحها في نصه : « إن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء و الواو، و الصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو، و العلة في ذلك أنّك تجد الفم و الحلق، في ثلاث الأحوال مختلف الأشكال ،أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، و أما الياء فتجدّ

***- الصوائت أسماء أخرى غير هذه، كالمد واللين، وأنصاف الصائت، والسواكن.**

1- المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، د/ درار مكي، ص65.

2- الـتـجويد والأصوات، د/ إبراهيم نجا، ص27.

معها الأضراس سفلا ،و علوا قد اكتنفت جنبتيْ اللسان و ضغطته، و تُفاجَّ الحنك على ظهر اللسان فجرى الصوت متصعدا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال، و أما الواو فتضم لها معظم الشفتين، و تدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيها النّفس، و يتصل الصوت فلما اختلفت أشكال الفم و الحلق، و الشفتين، مع هذه الأحرف الثلاثة اختلف الصدى المنبعث من الصدر، و ذلك قولك في الألف: (أ ا) و في الياء: (**إى**) و في الواو: (**أو**) »[1].

و في رأيي هذا الوصف حددّ الفرق بين هذه الصوائت ، من خلال الشكل العام لمخارج هذه الأصوات.

أما الصوائت القصيرة: هي الحركات القصيرة ،و قد اعتبّرها القدامى العرب أبعاض حروف مد (**الألف و الواو و الياء**) المشار إليها فيما سبق ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة ،فكذلك ثلاث و هي: الفتحة والكسرة و الضمة، فالفتحة بعض الألف، و الكسرة بعض الياء و الضمة بعض الواو، بمعنى أن الصوائت الطويلة هي تضعيف كمية الصوائت القصيرة و عليّه، فإن الحركات القصار تعد أصولا للحركات الطوال المتفرعة عنها، من حيث الكمية[2] ، فألف المد ليست إلا فتحة طويلة، وكذلك ياء المد ليست في الحقيقة غير كسرة طويلة، و ما واو المد إلا ضمة طويلة »[3].

من خلال القول يبدو أنّهم توصلوا إلى كون الحركة أجزاء من (**الحروف**) ،عن طريق دراسة (**الإشباع**) ،الذّي دعاه ابن جني (**مطل الحركات**) ،و ملاحظتهم أن الضّمة متى اشبعت صارت، واوا و الفتحة متى أشبعت صارت ألفا، و الكسرة تصير ياء عند الإشباع[4]، فالحركات تشترك مع حروف المد في ناحية النّطق و الوضوح السمعي، إلا أنها أقصر من تلك الحروف، فهي أبعاض لها والدليل على ذلك عند ابن جني هو أنك متى أطلت الحركة صارت حرف مد، و هذّا ما يقوله : « ويدّلك على ذلك أن الحركات أبعاض لهذه الحروف، أنّك متى أشبعت واحدة منهن حدث بعدها الحرف الذي هو بعضه»[5].

1- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 21/1.
2- نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية، د/رفاس سميرة ،أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس؛ 2008/2007م، ص46.
3- الأصوات اللغوية ، د/إبراهيم أنيس، ص38.
4- في البحث الصوتي عند العرب، د/خليل إبراهيم العطية، ص51.
5- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 34/1.

و نجدّه يأتي بأمثلة على هذا منّها أنك إذا أشبعت فتحة عين (**عَمر**) حصلت على (**عامر**) ،وإذا أشبعت ضمة عين (**عُمر**) حصلت على (**عومر**) ،فلولا أن الحركات أبعاض لهذه الحروف أوائل لها لما نشأت عنّها، و لا كانت تابعة لها[1] ،و على هذا يمكن أن نعدّ عند ابن جنيّ حروف المد حركات طويلة على نحو ما يرى المحدثون، و إن لم ينص على أنها حركات، فهذا مفهوم من كلامه، إذ أن الحركات و الحروف تتّفق في كل شيء مع فارق واحد هو الطول و القصر، كما أن إشارته إلى المتقدمين توحي بأنهم أدركوا ما وضّحه[2].

حيث أخذ من حروف المد صورَّها مصغرة للدلالة عليها، فالضمة واو صغيرة في أعلى الحرف، لئلا تلتبس بالواو المكتوبة و الكسرة ياء متّصلة تحت الحرف، و الفتحة ألف مبطوحة فوقه[3] ،ولم يكتف علماء العربية بالإشارة إلى الحركات ،و ما اتّصل بها بل أشاروا إلى بعض الحركات القصيرة للغاية، التي نجدها في مباحث: الروّم و الإشمام، و الاختلاس عنّد النّحاة و المقرئين[4].

أشباه الصّوائت: يسمي القدامى الواو ،و الياء إذا سكنتا مع عدم مجانسة الحركة السابقة عليها (**حرفي لين**) مثل بيع و قيل[5] ،فكل من الياء و الواو صوت انتقالي، و من أجل هذه الطبيعة الانتقالية و أقصرهما ،و قلة وضوحها في السمع إذا قيسا بأصوات اللين، أمكن أن يبدأ من الأصوات الساكنة[6].

و هذا ما نصَّ عليه ابن جنّي، فقال: « و هناك حركات فرعية أخرى ،كالتّي بين الفتحة والكسرة، و التّي بين الضمة و الكسرة، و محصولها على الحقيقة ستُّ حركات»، فإذا نظرنا إلى الحركات بمنظار المحدثين، لرأيناها في العربية ثلاثا في الوظيفة و التميّيز بين المعاني، و لكنّها في النّطق تسع، ذلك أن كلّ حركة يصيبها التفخيم أو الترقيق، و قد تكون في مرتبة متوسطة بينهما، و إذا عددنا حروف المد حركات طويلة، كان لنا من حركة ست صور،و يصبح مجموع

1- سرّ صنّاعة الإعراب،ابن جنّي، 34/1.
2- الصوتيات، عمر ساسي، حوليات أكاديمية محكمة التخصص، ص 23.
3- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/ 34.
4- أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري (المتوفي 577هـ)، دراسة وتحقيق: محمد حسين شمس الدين، منشورات: محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1؛ 1418هـ/ 1997م،ص 205.
5- الصوتيات اللغوية- دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية- ، د/ عبد الغفار حامد هلال، ص147.
6- الأصوات اللغوية، د/إبراهيم أنيس، ص43.

الحركات عندئذ ثماني عشرة[1]، المهم أن ابن جنَّي تنبّه إلى طرائق نطق الصوائت، و ذكر صعوبة النّطق في بعضها، فلو تكلفت مثلا أن تشم الكسرة أو الضمة رائحة الفتحة لاحتجت إلى الرجوع إلى أول الحلق و في هذا مشقة[2].

و في موضع الحركة من الحرف، كان ابن جنَّي يراها بعده لا قبله، و هو الرأي الذي لم يحاول المحدثون نقضه، ذلك أن الأدلة و الشواهد التي جاء بها قوية، يقول في ذلك:« و اعلم أن الحركة التي يحملها الحرف لا تخلوا أن تكون في المرتبة قبله، أو معه، أو بعده، فمحال أن تكون الحركة في المرتبة قبل الحرف، وذلك أن الحرف كمحل للحركة ، وهي كالعرض فيه، فهي محتاجة إليه، و لا يجوز وجودها قبله، و أيضا لو كانت الحركة قبل الحرف لما جاز الإدغام في الكلام أصلا... فجواز الإدغام في الكلام دلالة على أن الحركة ليست قبل الحرف المتحرك بها[3].

ب/الصوامت:

إن كان اهتمام الدارسين و اللغويين، قد انصبّ على الصامت دون الصائت ،فذلك لما له من أهمية في تّلوين الصّوت، و تنّويع كميته، مما جعل الحديث عن الحرف واسعا و متشعبا، و لما كان كذلك، سنحاوّل أن نركز على أهم القضايا المتعلقة بجوهر هذا البحث.

و نجد للحرف تعريفا مميزا عند **أبي الوليد بن رشد** (595ه)،يقول فيه: « هو لفظ يدلّ على النسب التي تكون بين الأسماء أنفسها و بين الأسماء و الأفعال، و لذلك قيل في حده: إنه لفظ يدل على معنى في غيره »[4] ،و البحث في أصل الحروف، يتعلّق بمعرفة أصل اللغة و منشأها، و بمسألة لم يتفق حولها الباحثون، وانقسموا ما بين قائل بالتوفيق، و قائل بالاصطلاح، و جاء في كتاب الصاحبي **لابن فارس** أن الخطّ توقيف، و ذلك لظاهر قوله عز وجل: اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾عَلَّمَ

1- الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات اللغوية العربية المعاصرة، د/ عبد الفتاح المصري، مجلة التراث العربي ، ص11

2- الصوتيات، د/ عمار ساسي، قرارات أكاديمية محكمة متخصصة، ص23.

3- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 43/1.

4- الضروري في صناعة النحو، د/محمد أبو الوليد بن رشد (ت 595هـ)، تحقيق ودراسة: منصور علي عبد السميع، محمد إبراهيم عبادة، مطبعة دار الفكر العربي، ط1؛ 2002م، ص85.

الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾[1] ، وهذا يعني أن الخطّ مخلوق من عند الله، و لا دخل للبشر في صنّاعته، و كان ابن عبّاس يقول:« أوّل من وضع الكتاب العربيّ، إسماعيل عليه السلام، وضعه على لفظه و نطقهِ .»[2] ،و تكثر الروايات حول هذا الموضوع.

أما عن عربية هذه الحروف أو عجميتها، فيقول السيوطي:« قال أبو سعيد السيرافي: فصل سيبويه بين أبجد وهوز وحطي فجعلهن عربيان ،و بين البواقي فجعلهن أعجميات ،و كان أبو العباس يجيز أن يكون كلهن أعجميات، و قال من يحتج لسيبويه: جعلهن عربيات لأنهن مفهومات المعاني في كلام العرب ،و قد جرى أبو جاد على لفظ لا يجوز أن يكون عربيا تقول: هذا أبو جاد و رأيت أبا جاد، و عجبت من أبي جاد، قال أبو سعيد: « و لا تبعد فيها العجمة، لأن هذه الحروف عليها يقع تعليم الخط بالسرياني وهي معارف»[3].

بعيد عن كل هذا ذهب ابن جنّي مذهبا مغاير باعتبّار أصل اللغات كلها، إنّما هو من أصوات المسموعات[4]، إلا أن الإنسان العربّي ،و الحرف العربيّ قد تعايشا معا من نشأتها في الجزيرة العربية، عبر مراحل حياتية، فأصل الصوت هو الإنسان، لأنه يولد معه و يتطور بتطوره، و يعبر عن كل انفعالاته، و غرائزه، و رغباته[5]، و هذه الأصوات قد عني القدماء بدراستها دراسة لا يضاهيها في العمق ،و الدّقة و الاستقصاء جميع الدراسات التّي يقوم بها اللغويون الآن فيما يسمونه

(**علم الأصوات اللغوية**)[6] ،و لذلك كانوا أول الرّواد لعلم الأصوات اللغوية، و إذا كنّا بصدد الحديث عن الأصوات الصامتة ،فإنه يجدر بنّا أن نشير إلى طريقة القدامى، و خاصة أبو الفتح ابن جنّي في وصف الصفات العربية ،و أشهدها و أكثرها تداولا و استعمالا في الدرس الصوتي العربي.

2- صفات الأصوات الصامتة :

1- سورة العلق، الآية :1-5.
2- الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس زكريا الرازي أبو الحسن، حققه وضبط نصوصه وقدم له أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1 ؛1418 ه/1997م، ص 15.
3- المزهر في علوم اللغة و أنواعها، جلال الدين السيوطي، 2/ 347.
4- الخصائص، ابن جني، 1/ 46-47.
5- نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية ، د/ رفاس سميرة، أطروحة دكتوراه ،ص78.
6- دراسات في فقه اللغة ، د/ صالح صبحي، ص318.

المرّاد بالصفة الكيفيّة التي خرج بها الصوت أي : كيفية خروج الصّوت ،فقد قلنا المعنى العام لمخرج الأصوات هو لمكان الخروج، أو نقطة الالتقاء أو التقارب، أي الموضع من الجهاز النّطقي الذّي حدث فيه ذلك الصوت.

إذن **مخارج الأصوات** و**صفات الأصوات** مبحثان منفصلان، فالأوّل يحدّد مكان خروج الصّوت، و أما الثّاني فهو يحدّد الكيفية التي يخرج بها الصوت، و الكيفيات تختلف باعتبارات مختلفة، كاعتبار حركة الهواء، و هذا له تقسيماته، هل مجرى الهواء واسع أم ضيق؟ هل انحبس الهواء؟ أو لم ينحبس؟ و ما إلى ذلك[1]، و إليك صفات الحروف التي تتّاولت في سرّ صنّاعة الإعراب.

- **المجهور و المهموس:**

الجَهْرُ لغة هو:« جهر القول إذا رفع به صوته فهو جَهير ،و أجْهَر، و جَهَرَ بكلامه و صَوْته ودعائِه، يَجْهَر جَهْرًا و جَهَارًا. »[2] ،و في المفهوم العام هو الظهور و الإعلان ،و الصّوت المجهور هو الصّوت العالي المرتفع[3]، و **الهَمْسُ** الخفي من الصّوت ،و الوَطْءُ ،و الأكل ،و قد همسوا الكلام همسا، وفي الترتيل: ﴿ يوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴾[4] ،و الهمس من الصّوت و الكلام مالا غور له في الصدر ،وهو ما هَمَسَ في الفم[5].

أما اصطلاحا، فإن الصوت **المجهور هو:**« حرف أشبع الاعتماد في موضعه ،و منع النّفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ،و يجري الصوت»[6] ، أما **المهموس:** « حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى معه النّفس »[7].

و نستخلص من هذين النصّين، أن الجهر لا يتحقق في الجهاز النطقي، إلا بعد تشبع ما قبل الوترين الصوتيين بالنفس، فيهتز بقوة و لا يتحقق لهما الاهتزاز القوي إلا إذا كان النفس قويا فيسمع للصوت دويّ، يسمى الجهر، أما أصل

1- دروس في النظام الصوتي للغة العربية، د/ عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان ، ص16.
2- لسان العرب، ابن منظور، 150/4.
3- المصدر نفسه، 149/4.
4- سورة طه، الآية: 105.
5- لسان العرب، ابن منظور، 250/4.
6- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 75/1.
7- المصدر نفسه ، 75/1.

الصوت المهموس، أن يكون خفيا، لأنه نفس، تتفاوت درجات الاهتزاز فيه على ضعفها و قلتها[1].

و الدارسون العرب حين يعودون إلى تعريف المجهور و المهموس عند ابن جني الذي لا يختلف فيه عن سيبويه، يشرحون ذلك بإعجاب و قبول، يقول إبراهيم أنيس:" و هذا هو الانحباس المؤقت الذي نحس به في مخرج الحرف لحظة قصيرة جدا بسبب التقاء العضوين التقاء محكما، فإذا انفرجا فجأة سمعنا ما يسمى بالصوت الشديد، و ما يسميه الأوروبيين بالصوت الانفجاري، ألا ترى أن سيبويه فيما سبق عبر عنه (**منع الصوت**)ولم يقل (**منع النفس؟**) ،فهناك فرق بين المجهور الذي نحس فيه بمنع النفس و عدم انطلاقه حرا طليقا ،و لكن الصوت معه لا يمنع بل نظل نسمعه أما في حالة الشديد فعند المخرج يمنع الصوت فلا نسمع شيئا طالما كان الانحباس في المخرج قائما[2] ، والذي أقرَّهُ ابن جنَّي في تأكيد ما ذهب إليه سيبويه في التفرقة بين المجهور الذي يعلو فيه الصوت ، ويرجع ذلك كما فسره المحدثون إلى الحبال الصوتية تتردد ترددا سريعا يسري مع النفس حتى يخرج من الفم أو الأنف أو منهما معا"[3].

- **الأصوات الشديدة و الرّخوة و ما بينها (المتوسطة):**

يقول ابن منظور:« **الشدة:** الصلابة، و هي نقيض اللين ،و تكون في الجواهر و الأعراض»[4] و**الرخوة:**«هو الهش من كل شيء»[5] ،و في غير هذا المعنى الرخاء هو:« سعة العيش»[6] ،أما **المتوسط :**هو «الاعتدال»[7].

فالشديد عند ابن جنّي هو ذلك:« الحرف الذّي يمنّع الصّوت من أن يجري فيه، ألا ترى أنك لو قلت: الحق، و الشط، ثم رمّت مد صوتك في القاف و الطاء لكان ذلك ممتنعا»[8]، وهي تقابل الأصوات الانفجارية ،أو الوقفات في الدرس

1- ينظر: معالم الصوتيات العربية، د/شاكر عبد القادر، ص80 (بتصرف).
2- الأصوات اللغوية، د/إبراهيم أنيس، ص 126-127.
3- تاريخ أئمة النّحاة، د/محمد محمود الغالي، ص51.
4- لسان العرب، ابن منظور، 232/3
5- المصدر نفسه، 314/14
6- المصدر نفسه ، 135/14
7- الوسيط في علم التجويد، محمد خالد عبد العزيز منصور،الأردن، ط1، 1999م، ص230.
8- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 75/1.

الصّوتي الحديث[1]، و عددها ثمانية وهي: الهمزة، القاف، الكاف، الجيم و الطاء، و الدال ،و التاء ،و الباء و يجمعها في اللفظ (**أجدت طبقك**)و (**أجدك طبقت**).

و **الرخو** عنّد ابن جنّي: «هو الذّي يجري فيه الصوت، ألا ترى أنك تقول: المس ،و الرس ، والشح، و نحو ذلك، فتمدّ الصوت جاريا مع السين و الشين، و الحاء»[2] ،و اتصفت هذه الأصوات بالرخاوة، لانبساطها و جريانها، داخل الجهاز النّطقي و خارجه و نظرا لسهولة النطق بها.

و إذا كانت **الشدة** في مقابلة **الرخاوة**، و كان جريان الصوت يتوقف معها عنّد حدوثها – على ما أوضحناه من قبل- فإن الرّخاوة (**يجري فيها الصوت**)[3] ، و إذا كان جريانه هي الحالة الطبيعية، و إيقافه اصطناعية تكون الرخاوة أصلا في حدوث الصوت، و نخلص أن الأصل في الصفات هو الهمس ،و في الثانوية هو الرخاوة.

أما الأصوات المتوسطة: هي الأصوات التي بين الشديدة و الرخاوة، و هي تضمّ أنواعا مختلفة في الصفات و السمات و هي ثمانية : الألف، و العين، و الياء، و اللام والنون، و الراء، و الميم، ووالواو، يجمعها في اللفظ لم يروعنّا و إن شئت قلت: لم يرّوعنَا، و إن قلت لم يرَوعنا [4].

- **الأصوات المطبقة و المنفتحة:**

الإطباق و الانطباق: سميت بذلك لمطابقة بعضها بعضا أي بعضها فوق بعض[5] ، و عليه، فإن الانطباق هو الالتصاق و تلاحم بين جسمين فأكثر ،و منه الإطباق و الانفتاح: « الفتح نقيض الإغلاق، و باب مفتح أي واسع متفتح »[6].

يعود هذا التقسيم إلى طبيعة الأصوات العربية ،فابن جنّي يعرف **الإطباق** بقوله:« أن ترفع ظهر إلى الحنك الأعلى مطبقا له، فلولا الإطباق لصارت الطاء دالا و الصاد سينا، و الظاء ذالا، ولخرجت الضاد من الكلام، لأنه ليس من

1-تاريخ أئمة النحاة، محمد محمود الغالي ،ص52.
2- سر صناعة الإعراب ، ابن جني ،76/1.
3- الكتاب، سيبويه ، 4/ 434-435.
4- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 75/1.
5- لسان العرب، ابن منظور، 210/10.
6- المصدر نفسه ،2 /536.

موضعها شيء غيرها تزول الضاد إذا عدمت الإطباق إليه، والأصوات المطبقة أربعة: الضاد و الطاء، و الصاد و الظاء، و ما سوى ذلك فمفتوح غير مطبق»[1]،

في هذا النصّ يتّضح لحال الصوت و هيئته داخل التجويف الفموي، ووصف بالمطبق، لأنّه يطبق عليه، ومنه فإن الإطباق لا يتعلق بالجانب الفيزيائي للصوت، بل بوضعه الفيزيولوجي العضوي و الإطباق ضده **الانفتاح** و هو يعني:« سعة اتساع المجرى الهوائي بانخفاض اللسان ،مسترخيا صوت الحنك الأسفل»[2] ،و يشمل بقية الأصوات،و هذا التقسيم لازال مأخوذ به حتى اليوم ،و إن كان بعض الغربيين يسمونه مفخما مثال ذلك جاكبسون[3].

- **الأصوات المستعلية و المنخفضة:**

الاستعلاء هو:« علوّ كل شيء و علوه ،وعلاوته ،و عاليته أرفعه»[4] ،و عكسه **الانخفاض** ذكر صاحب التهذيب أن الخليل استعمل هذا المصطلح و ذلك في قوله:« منها خمس شواخص و هي الطاء ،و الضاد ،و القاف، وتسمى المستعلية»[5] ،كما نجد سيبويه تحدث عن الحروف المستعلية في معرض حديثة عن الإمالة[6]، و أضاف في قوله حرفان لم يذكرهما الخليل و هما (**الغين والخاء**).

أما ابن جنّي فقد تميّز عن غيره بتصنيف الحروف إلى صنفين في قوله:« و للحروف انقسام آخر إلى الاستعلاء و للانخفاض، فالمستعلية سبعة و هي: الخاء ،و الغين ،و القاف ،و الطاء ،و الصاد والضاد ،و ماعدا هذه الحروف فمنخفض»[7].

كما يتفق ابن جنّي مع الزمخشري في تعريف الاستعلاء في قوله:« و **الاستعلاء** ارتفاع اللسان إلى الحنك أطبقت أو لم تطبق»[8]، و هذا التقسيم عرّفه البحث الصوتي العربي و عرفه العلماء العرب ، وأقرّه المحدثون منهم، يهدف

1- الصوتيات اللغوية،- دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية - ، د/ عبد الغفار حامد هلال، ص196.
2- الحروف العربية وتبدلاتها في كتاب سيبويه، د/مكي درار، رسالة ماجستير، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران ؛1985-1986 م،ص 253
3- تاريخ أئمة النحاة ،د/ محمد محمود الغالي، ص52.
4- لسان العرب، ابن منظور، 15/ 83
5- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، 1/ 57.
6- الكتاب، سيبويه، 4/ 128- 129
7- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/ 76.
8- المفصل، الزمخشري، ص295.

إلى تقسيمها من حيث ارتفاع مؤخرة اللسان صوب الحنك الأعلى أو انخفاضها عنه[1].

- **ـ أصوات القلقلة:**

القلقلة لغة:« قَلقَلَ الشيء قَلْقَلَة و قَلْقَلًا فتقلقل، أي حَركَه فتحرك و اضطرب ،فإذا كسرته فهو مصدر، و إذا فتحته فهو اسم، و القلقلة شدة الصيّاح »[2]،و سميت بأصوات **القلقلة**، لأنّها أصوات تحتاج إلى تحريك، فكأن القلقلة جاءت من الفعل (قَلْقَلَ) بمعنى حركه، و تحتاج إلى أن تتبعها "بصوّيت" أو بصوت خفيف قصير عند النّطق بها ساكنة[3]، و يؤكد ابن جنَّي على ذلك بقوله :« لأنّك لا تستطيع الوقوف عليها إلا بصوت، وذلك شدة الحفز و الضغط ،وذلك نّحو الحَقْ واذْهَب و اخْلط و اخْرج»[4]، و هي: (القاف، و الجيم، والطاء، و الدال، و الباء)،ومن المشربة حروف يخرج معها عند الوقف عليها النفخ إلا أنّها لم تضغط ضغط الأول و هي: (الزاي، و الظاء، و الدال، والضاد)[5] ،والمحدثون لهم بعض الملاحظات حول هذه الأصوات، و بخاصة حول كونها جميعا أصواتا شديدة انفجارية[6]، سنبيّنها في نهاية هذا الفصل.

- **ـأصوات الذلاقة و الإصمات:**

الذلاقة والذلق مصطلحان متماثلان في الحروف، مختلفان في الوظيفة و الاستعمال، لأن الذلق يمثل إحدى المخارج الصّوتية، وهو طرف اللسان و أصّواته اللام و الراء و النون، أما **الذلاقة** فهي:« الفصاحة و الخفة في الكلام »[7]،و يرى ابن جنّي أن كلما تباعدت حروف الذلاقة في التأليف كانت أحسن ،و إذا تقارب الحرفان في مخرجيهما قبح اجتماعهما ،و لاسيما حروف الحلق[8]، أما الذلاقة في الأصوات ،فاسم يندرج تحته نوعان من الأصوات:

1- في البحث الصوتي عند العرب، د/ خليل إبراهيم عطية، ص 57.
2- لسان العرب، ابن منظور، 1/ 566-567.
3- علم اللغة العام- الأصوات -، د/ كمال محمد بشر، ص15.
4- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 77/1.
5- الصوتيات اللغوية - دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية - ،د/ عبد الغفار حامد هلال، ص197.
6- علم اللغة العام - الأصوات - ، د/ كمال محمد بشر، ص116.
7- شرح شافية بن الحاجب مع شرح شواهده ، رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي ، حققها وضبط غريبهما: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد المجيد ، بيروت، لبنان ؛ 1975 م، 3/ 262.
8- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/ 79.

- **الأول**: شفوي مخرجه الشفة لأصوات الفاء و الميم و الباء
- **و الآخر**: ذلقي (و **ذلق اللسان طرفه**) ،و يشتمل أصوات الراء و النون و اللام[1].

و قد سمي النّوعان بالأصوات الذلقية أو الذولقية على (**جهة التغليب**) ،و جعلوا الإصمات اسما لباقي أصوات العربيّة، و إنما عدّوها **مصمتة** لأنها على رأي ابن جني أصمتت أيّ: منعت أن تختص ببناء الكلمة في لغة العرب، إذا كثرت حروفها، لاعْتِيَاصِها على اللسان فهي حروف لا تنفرد بنفسها في كلمة أكثر من ثلاثة أحرف حتى يكون معها غيرها من الحروف المذلقة[2] ،فمعنى المصمتّة الممنوعة من أن تكون منفردة في كلمة طويلة، من قولهم: صمت إذا منع نفسه من الكلام.[3]

و أما الصفات التي لا يطلق على باقيها اسم مُشْعِر بضد تلك الصفة ، بل بسلبها فمنها[4]:

الألف: أشد امتدادا و أوسع مخرجا، و هو الحرف الهاوي، و ابن جنَّي يستعمل هذا المصطلح الهاوي،و لا يشرحه، وقد أشار إلى أن الحروف لها قسمة من حيث الصحة و الاعتلال، فجميع الحروف صحيحة إلا الألف و الياء، والواو، اللواتي هي **حروف المد و الاستطالة**[5].

اللام: منحرف، لأن اللسان ينحرف فيه مع الصوت،وتتجافى ناحيتا مستدق اللسان عن اعتراضهما على الصوت، فيخرج الصوت تينك الناحيتين و مما فوقهما و هو اللام[6].

الراء: مكرر، و تعثر طرف اللسان عند الوقف عليه بما فيه من التكرير و ذلك احتسب في الإمالة بحرفين[7]، لارتعاد طرف اللسان بها عند النطق، فهو كقولهم

1- الجمهرة، ابن دريد، 7/1.
2- ينظر: سرّ صنّاعة الإعراب، ابن جني، 1/ 78-79، وينظر لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق وتعليق: الشيخ عامر السيّد عثمان ، وشرف على إصدارها: محمد توفيق عوّيضة، د/ عبد الصبور شاهين، رفع المساهم، الكتاب السادس والعشرون، القاهرة ؛ 1972، 199/1.
3- لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، ص199.
4- المصدر نفسه ، ص199.
5- سر صنّاعة الإعراب، ابن جني، 1/ 76.
6- المصدر نفسه ،1/ 77.
7- الصوتيات اللغوية- دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية - ، د/ عبد الغفار حامد هلال، ص197.

لغير الضاحك: إنسان ضاحك، واتصاف الشيء بالشيء أعم من أن يكون بالفعل أو القوة[1].

الهاء: الصوت المهتوت صفة الهمزة، و الهت في اللغة: عصر الصّوت[2]، و عدّه ابن جنّي صفة الهاء و ذلك لما فيها من الضعف و الخفاء[3].

فهكذا قدم لنا ابن جني شرح تفصيلي لأصوات العربية ، فيتناوّل كل صوت بوصف صفاته إن كان مهموسا أو مجهورا ،و عن موقعه في الكلمة إن كان في أولها أو وسطها أو آخرها ،و حتى هنا فالوصف وصف صوتي يتفق مع ما درج عليه المحدثون، و يختلف معه في الاصطلاحات والتسميات.

لكن ابن جني لا يقتصر على ذلك بل يدخل في باب الصرف ،و يبيّن إذا ما كان الصوت بدلا من صوت آخر أو زيادة في الكلمة، و لهذا فإن الكتاب لا يعتبر كتابا في أصوات العربية و لكنه تخطى ذلك في باب الصرف أو صوتيات الصرف[4]، و يعدّ الجانب الصرفي من أهم الجوانب التي كان الأصوات فيها دور بارز حيث يتم تحديد الوحدات الصرفية من خلالها، فالأوزان و الأبنية و كثير من الظواهر التركيبية في الصرف قائمة على أسس صوتية، و لم يكن فيرث مبالغا حين قرَّرَ أنُّه لا وجود لعلم الصرف بدون علم الأصوات[5] ،و من المعروف في الدرس اللغوي العربي، أن الأصوات المتجاورة يؤثر بعضها بعضا، و غالبا ما يكون هذا التأثير ناتجا عن قوانين التطور اللغوي، كالسهولة و التيسير، الذي يسعى إليه الناطق في أثناء نطقه، ذلك أن المتحدث يميل إلى تحقيق أكبر أثر ممكن بأقل جهد[6].

1- لطائف الإشارات لفنون القراءات، شهاب الدين القسطلاني، 1/ 202.
2- في البحث الصوتي عند العرب، د/ خليل إبراهيم عطية، ص 61.
3- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/ 78، وينظر: الدراسات الصّوتية عند علماء التجويد ، د/غانم قدروي الحمد، ص277.
4- تاريخ أئمة النحاة، د/ محمد محمود الغالي، ص52.
5- من وظائف الصوت اللغوي،د/ أحمد كشك، مطبع المدينة، بدار السلام، القاهرة، ط1؛ 1983م، ص07.
6- علم الأصوات، برتيل مالمبرج، ص82.

المبحث الرّابع:

تراث ابن جنّي والدّرس الصّوتي الحديث

ينبغي أن ندّرك أن الربط بين الفكر اللغوي عند العرب، و نظريات البحث اللغوي الحديث أصبح من المسائل الملحة ،و القضايا الهام التي تطرح نفسها على أذهان العلماء والباحثين ،وبخاصة بعد ظهور علم اللغة الحديث كعلم مستقل، له كيانه المتميز بين بقية العلوم الأخرى، فلقد استطاع هذا العلم الذّي ثبَّت أركانه، و دعَّم قواعده، أن يلج القضايا اللغوية المختلفة، محللا إياها، وفق منهجية ثابتة و دقيقة، و نالت مسألة الربط بين التراث اللغوي القديم، و قواعد البحث اللغوي الحديث، أهمية واضحة لدى علماء اللغة المحدثين[1].

و فضلا عن تعدد اتجاهات البحث التي حاولت بمجملها أن تكون علميّة دقيقة ،في بحثها اللغوي أدَّى إلى التركيز في الجانب الشكلي أو البنية الظاهرية للغة و،من ثم تم انجاز كبير في وصف النظام الصوتي لعدد من اللغات الحديثة على نحو ما نجد عند بلومفيلد الذي اقتصر على الوصف الشكلي للغة[2]، و يمكن القول أن علم الأصوات هو أكثر فروع علم اللغة استفادة من التّطور الذي حصل في العلوم الأخرى، و لهذا السبب نجد اختلافات بين القدماء و المحدثين..

و هناك اختلافات ذات سمات متنّوعة فيما يتعلق بالدراسات اللغوية ،و جوانبها المختلفة بين العلماء القدماء و المحدثين، و تظهر هذه الاختلافات في أمور؛ منها ما يتصل بفروع علم اللغة أو مستوياته، فالبنسبة لفروع علم اللغة، نلاحظ أن بعض علماء العربية لم يربطوا ربطا ملائما بين فروع الدراسات اللغوية ،أو مسائل اللغة المختلفة بصفة عامة، فنراهم ينظرون إلى هذه الفروع أو المسائل كما لو كانت منفصلة ،لا يضمها إطار عام مشترك يوحي بوحدتها ،و انتظامها تحت

1- أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، د/ حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة؛ 1994م، ص01.

2- أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة، د/ نايف خرما، سلسلة عالم المعرفة، الكويت؛ 1978م، ص 109.

موضوع رئيس واحد؛ و إن كنا لا ننكر أنّهم أدركوا ارتباطا عاما بين هذه المستويات حين رأوها تخدم غرضا رئيسيا هو الحفاظ على اللغة ،و صيانة القرآن الكريم من التحريف، لكن أثناء معالجتهم لفروع اللغة على المستوى الصّوتي، أو الصّرفي، أو النّحوي، أو الدّلالي، لم يرتبوا هذه الفروع ترتيبا يفيد منه اللاحق بالسابق على النّحو المعروف، أما في علم اللغة الحديث، فعلم الصرف مثلا في حاجة إلى علم الأصوات، و هو في الوقت نفسه لا يمكن أن يستقل عن النّحو وعلم النحو نفسه في أشد الحاجة علم الصرف؛ و الصرف و النّحو كل منّهما يلتمس العون من علم الأصوات.

و بعد جولتنا هذه في عالم الأصوات نستخلص أن هذا العلم هو الحجر الأساس لأيّ دراسة لغوية، و هذا ما لم يخف عن باحثي العربية القدامى حيث قدروا الدراسة الصوتية ،و بنوا عليّها كل أرائهم في إصلاح الكتابة العربية ،و في وضع العروض، و النّحو، و الصّرف، و المعاجم و في تدوين القراءات القرآنية[1].

و الآن سنبيّن **سرّ هذا الاختلاف** الذّي له أسبقيّة في التراث الصّوتي القديم ،و يتطلب مقارنة بينه وبين الدراسات الصوتية الحديثة:

- لقد سبق علماؤنا الأقدمون بدراساتهم الصوتية و تفوقوا فيها، بل لا نكون مغالين إذ قلنا

إن رأيهم في المهموس ،و المجهور ،و الشديد ،و الرخو ،و المتوسط من الحروف يضاهي تماما ما قاله المحدثون، و استنتجوه من التّجارب و الخبرات الصّوتية اعتمادا على الآلات المبتكرة لقياس الأصوات اللغوية، و معرفة حقائقها الدقيقة ،و لو قارنَّا بين ما قال به أسلافنا من عباقرة اللغويين أمثال سيبويه و عالمنا **ابن جنَّي** ،و ما قاله المحدثون بالنّسبة لصفات الحروف السابقة لوجدنا أن ذوق علمائنا و إحساسهم المرهف كان لا يقل دقة عن الآلات التّي استخدمها المحدثون من علماء اللغة[2]، فلو تأملنّا تعريف المجهور و المهموس عند ابن جنّي لوجدنا أن هذا التعرّيف لا يختلف كثيرا عن رأي المحدثين، فكل من سيبويه و ابن جنّي يعرف – كما سبق – بأنه حرف أشبع الاعتماد من موضعه ،و منع النّفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد و يجري الصوت[3].

1- مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، د/ نور الهدى لوشن، ص139.
2- عبقري اللغويين أبو الفتح ابن جني، د/ عبد الغفار حامد هلال، 2/ 59.
3- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/ 69.

و عند المقارنة يلزم تفسير هذا التعريف و بيان غامضه، فما معنى إشباع الاعتماد؟، و لماذا قال أشبع الاعتماد من موضعه؟ ،و ما معنى قوله: منع النّفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصّوت؟

- **أما إشباع الاعتماد** فيبدو أن المقصود به قوة تأثير الهواء المندفع من الرئتين على أعضاء

النطق، في أثناء مروره في مجراه من الحنجرة حتى مخرج الصّوت، و هذا يؤكد أن الحرف المجهور حرف واضح لما يصحبه من عملية صوتية قوية ،و الحرف المهموس بالعكس يصحبه هواء ضعيف الضغط، لا يؤثر تأثيرا قويا في أثناء سيْـره في مجراه، منذ خروجه من الرئتين، و هذا ما رآه أيضا **إبراهيم أنيس** حيث قال :« إنه يصف المجهور بأنّه صوت متمكن مشبع فيه وضوح و فيه قوة، و تلك هي الصفة التي يشير إليها الأوروبيون بقولهم(**Sonority**)، فالمجهور أوضح في السمع من نظيره المهموس، لا نزاع في هذا، و ليس الاعتماد معنى في كلام سيبويه سوى عملية إصدار الصوت، تلك العملية التي تلازم النّفس منذ خروجه من الرئتين إلى انطلاقه إلى الهواء الخارجي، و يدلّ على أن الاعتماد معناه العملية العضلية المطلوبة في إصدار الصّوت أن سيبويه أحسن أن في المهموس اعتمادا أيضا، و لكنّه اعتماد ضعيف لأنه يقول: فأما المهموس: فحرف أضعف الاعتماد في موضعه»[1].

- ـو أما **إشباع الاعتماد من موضعه** ،فمعناه أن تلك القوة النّاشئة عن ضغط الهواء المندفع

من الرئتين تستمر خلال أعضاء النّطق، و فراغات الحلق و الفم، حتى تصل إلى مخرج الحرف، عند التقاء عضوي النطق بعضهما ببعض فيضغط هذا الهواء بقوة على مكان خروج الحرف، و هذا أيضا ما اعترف به إبراهيم أنيس و تمام حسان، حيث يقول : **إبراهيم أنيس** :« لأمر ما عبّر سيبويه بقوله أشبع الاعتماد في موضعه و لم يقل في مخرجه، لأنّه ما كان يشعر بهذا الإشباع في كل مجرى الصوت منذ صدوره من الرئتين إلى انطلاقه إلى الخارج، فكلمة الموضع هنا هي ما عبرنا عنه في هذا الكتاب بالمجرى»[2]،أما **تمام حسان** يرجع و يربط مصطلح إشباع الاعتماد في الموضع بعمل الأوتار الصوتية كما يراها المحدثون فقال:« إن

1- الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، ص92.
2- سرّ صنّاعة الإعراب ،ابن جنّي، ص92.

مرجع ذلك من النّاحية العضوية إلى أن الأوتار الصوتية ،كما ذكرنا تتلاصق بخفة عند الجهر فتعوق هواء الرئة عن الخروج بعض الشيء ، و لكنها تتقارب دون التصاق في حالة الهمس فيكون تسرب الهواء منها أيسر ،و تكون حركة الحجاب الحاجز من ثم أقل عنفا»[1].

- ➢ -أما عبارة **جرى النفس** مع الصوت معناه: أن الهواء وجد الطريق متسعا لخروجه ،و هذا

فيما يبدو نتيجة ابتعاد الوترين الصوتيين أحدهما عن الآخر فلا يؤثر الهواء فيهما بالاهتزاز، و من ثم تضعف قوة بروز الحرف مما يجعله مهموسا، و هذا ما يوافق رأي **إبراهيم أنيس** إذ يقول تفسيرا للعبارتين السابقتين (**منع النفس و جرى النفس**)، و معنى هذا في رأيي أن الحس المرهف لسيبويه جعله يشعر مع المجهور باقتراب الوترين الصوتيين أحدهما من الآخر، حتى ليكادان يسدّان طريق التنفس، و تلك هي الصفة التي وضحها لنّا المحدثون حين وصفوا ما يجري في الحنجرة مع المجهورات، و هذا يضطر هواء النفس إلى الاندفاع من بينهما في قوة تحرك الوترين الصوتيين، و تجعلهما يتذبذبان، و يظلان يتذبذبان حتى ينقضي الاعتماد، أي حتى تنتهي العملية العضلية المطلوبة في إصدار الصوت،

أما في حالة المهموس ، فنجدّ طريق التنفس معه مفتوحا بحيث يسمح بانسيابه حرا طليقا وتلك هي الحال التي عبّر عنها المحدثون بقولهم :« إن الوترين الصوتيين مع المهموس يبتعد أحدهما عن الآخر، فينطلق النّفس من بينهما دون حاجة إلى تحريكهما و إحداث ذبذبات بهما[2]، ومن هذا يتّضح أن ابن جني و سيبويه و غيرهما من علماء الأصوات العرب كانوا يفهمون سيُّر الصوت اللغوي بطريقة دقيقة، و يدركون هذا الجهد الذي ينشأ عنه اهتزاز الأوتار و عدم اهتزازها، و يؤكد أنه لا يفترق بذلك عن رأي المحدثين ،و كل ما يمكن ملاحظاته من اختلافات هي مجرد اختلافات في الاصطلاحات كتسميات فالمسألة اختلاف ألفاظ و مصطلحات فقط كما أكده برجشتراسر[3] ، بأن ما اختلف فيه الأقدمون ،و المحدثون ناشئ عن تطور أصوات تلك الحروف على المدى الطويل الذي مرت

1- مناهج البحث في اللغة ، د/ تمام حسان، ص152.
2- الأصوات اللغوية ، د/ إبراهيم أنيس، ص93.
3- التطور النحوي للغة العربية، محاضرات المستشرق الألماني: برجشتراسر، أخرجه د/رمضان عبد التواب، ص08.

به اللغة العربية بين الأجيال المتعددة، بالإضافة إلى وسائل العلم عند القدماء، و ما هو عليه عند المحدثين أدى إلى ظهور فوارق في الكلام على **مخارج الحروف و صفاتها** بين الفريقين، سنبينها في هذا المبحث:

1- الاختلاف في مصطلح آلة النّطق :

اهتم دارسوا علم الأصوات الحديثة بآلة النطق، أو ما يسمى ب (أعضاء النطق) فدرسوها دراسة دقيقة و مفصلة، و ساعدتهم الأجهزة الحديثة على إدراك تلك الأعضاء و وظائفها، و من المعلوم أن تلك الأجهزة لم تكن متوفرة لدى المتقدمين من علماء العربية، فكان اعتمادهم على الملاحظة الذاتية و قدراتهم الفردية التي لا تزال أساسا مهما في البحث الصوتي ،وخطوة أولى في دراسة الأصوات لا يمكننا الاستغناء عنها، و يطلق مصطلح (**آلة النّطق**) أو (**جهاز النّطق**) على الأعضاء التي تشارك في عملية إحداث الكلام، متمثلة بالرئتين و القصبة الهوائية، و الحنجرة، واللهاة، والحلق والحنك الأعلى و اللسان و التجويف الأنفي، و اللثة، و الأسنان، و الشفتين.

و قد اختلفت تسمية تلك الأعضاء لدى علماء العربية القدماء – و المحدثين، فقد أطلق **القدماء** على تلك الأعضاء مصطلح (**آلة**)، وعبّر بعضهم عن ذلك بقوله: «آلة الحروف و آلة الصوت»[1] ،و مال بعض علماء التجويد إلى استخدام مصطلح (**آلة النطق**)[2]. و منهم استخدم مصطلح (**عضو**)[3].

أما **المحدثون** فقد شاع عندهم مصطلح (**جهاز**)، فبعضهم يقول (**جهاز النطق**)[4] أو (**الجهاز الصوتي**) و (**الجهاز النطقي**)[5] ، و(**جهاز التصويت**)[6] ، و منهم من استخدم كلمة أعضاء، فقال (**أعضاء النطق**)[7]، و يرى **غانم قدوري** أن استخدام مصطلح (**آلة النطق**) أو (**أعضاء آلة النّطق**) أولى من استخدام

1- شرح شافية ابن حاجب، رضي الدين الأستراباذي، 3/ 251-271.
2- الموضح في التجويد ، عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت461)، تح: غانم قدوري الحمد، دار عمان، الأردن، ط2 ؛ 2000م، ص140.
3- الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القدسي، تحقيق: د /أحمد فرحان، دمشق؛ 1973م ، ص103.
4- علم اللغة العام- الأصوات-، كمال محمد بشر، ص81.
5- اللغة ، جوزيف فندريس، تعريب :عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة البيان العربي؛ 1950م، ص45.
6- دروس في علم الأصوات العربية، جان كانتينو، تر: صالح القرمادي ، ص17.
7- الأصوات اللغوية ، د/ إبراهيم أنيس، ص16.

المصطلحات التي نجدها عند المحدثين، لما في ذلك المصطلح من دقة ،و فهم شامل لعملية التصويت[1].

2- الاختلاف في مصطلح الصّوت :

ذكرت كثير من المصادر و الرسائل الجامعية ،و الأبحاث العلمية المتعلقة بالدراسات اللغوية والصوتية، أن الدراسات الصوتية الحديثة استطاعت أن تفرق بين الصوت و بين الحرف، استنادا على ما أقرّه المستشرق **أرتورشاده**: «أن هذا المصطلح يخصص اليّوم للتعبير عن الرمز الكتابي»[2] ،و يبدو للباحث أن ذلك لا يعد إنجازا ينطلق من خلاله الباحثون للقول بأن الدراسات الصوتية الحديثة استطاعت أن تفرق بين المصطلحين ، بقدر ما يعد ذلك إجحافا بحق القدماء من علماء العربية، إذ أن الدراسات الصوتية القديمة نصّت على الفرق بين المصطلحين على الرغم من استعمالها لمصطلح **(الحرف)** بمعنى **الصوت**، و أحيانا بمعنى **الرمز الكتابي**.

و قد وردّ المفهومان في سر صناعة الإعراب– كما سبق – و أن عرضنا ذلك، باعتبار **الصوت** هو نتيجة لما يحدث للصوت من كيفيات مخصوصة، و حقيقته عند **القدماء** الّنفس المسموع، و دلالته على الأصوات بصورة شمولية، اللغوية و غير اللغوية، أما مصطلح (الحرف) فقد استخدموه للدلالة على الأصوات اللغوية، التي تؤلف بتركيبها مع بعضها ألفاظا ،أو كلمات تعبر عن معاني مفهومة أو كلمات مهملة ليس لها أصل في وضع اللغة[3] ،كما ميّز المتأخرون من علماء التجويد بين مفهومي الحرف و الصوت، قال **علي القاري**:« أن الهواء الخارج من داخل الإنسان إن خرج بدافع الطبع يسمى نفسا، و إن خرج بالإرادة ،و عرض له تموّج بتصادم جسمين يسمى صوتا، و إذا عرض للصوت كيفيات مخصوصة بأسباب معلومة يسمى حروفا »[4].

1- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د/ غانم قدوري الحمد، ص95.
2- علم الأصوات عند سيبويه وعندنا للمشرق أرتورشاده، أ.د /صبيح حمود التميمي، آداب الرافدين، كلية الآداب بجامعة الموصل،العراق ،ع58 ؛ 2010م، ص06.
3- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/ 06.
4- المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، ملّا بن سلطان محمد القاري (ت1014هـ)، تحقيق : أسامة عطايا، مراجعة: د/أحمد شكري، شركة ومطبعة مصطفى أجاجي، مصر، الطبعة الأخيرة ؛ 1948م، ص09.

فمن خلال هذه النّصوص نستطيع القول: إن **القدماء** و إن استعملوا مصطلح(**الحرف)** دلالة على(**الصّوت)**، و على الرمز الكتابي كما هو ملاحظ عند سيبويه و الخليل و ابن جني[1]، إلا أنهم لم يغفلوا التمييز بين المصطلحين، و لربما كان ذلك مدعاة لابن جني في استعماله مصطلح (**الصّوت**) بدلا من الحرف، و ذلك ما يلاحظه الدارس في بعض كتبه (**كالخصائص**) و (**التصريف الملوكي**) و تلك إشارة بيّنها أحد الدارسين[2].أمّا يفضل علماء الأصوات **المحدثون** مصطلح (**الصوت)** للدلالة على معنى (**الحرف**) عند القدماء ،لذا نجدّ المصطلحات السائدة في كتبهم (**الصوت الكلامي**) ،و (**الصوت اللغوي**) و مصطلح الحرف عندهم برواية الرمز الكتابي، و هو رمز الصوت اللغوي[3].

فيبدو أن استعمال القدماء لمصطلح الحرف دلالة على الصّوت، لا يمكن أن يعدّ مأخذا عليهم، ما دام الشائع على كثير من الدارسين استعمال مصطلح الحرف دلالة على الصوت.

3- الاختلاف في معنى المخرج و تحديده :

استخدم علماء العربية **القدماء** عددا من المصطلحات للتعبير عن مكان الصّوت من آلة النطق ،و من بين تلك المصطلحات (**المخرج**)، فهو من مصطلحات الخليل، استخدمه في مقدمة كتابه (**العين**) محددا مواضع خروج الأصوات[4]،إلا أنه لم يستقر على هذا المصطلح فقد شاعت عنده مصطلحات أخرى كانت أكثر استخداما عنده من مصطلح (**المخرج**) ؛منها (**حيز**)، و مصطلح (**مدرج**)[5] ، و إلى جانب ذلك استخدام لفظا آخر بمعنى المخرج و هو (**المبدأ**)[6].

- ينظر: سر صناعة الإعراب ،ابن جني ،1.07/1
2- فقه اللغة العربية، د/ كاصد ياسر الزيدي، مطبوعات جامعة الموصل؛ 1985م، ص 427.
3- ينظر: علم اللغة_مقدمة للقارئ العربي _، د/محمود السعران، ص113، واللغة العربية معناها ومبناها، د/ تمام حسان، ص73-74.
4- العين، الخليل ابن أحمد الفراهيدي، 1/ 57.
5- المصدر نفسه ،1/ 48-57.
6- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د/ غانم قدوري الحمد، ص174-175.

أما عند **ابن جني** استخدم مصطلح (**المقطع**) دلالة على (**المخرج**)، و يمكن أن تستنبط ذلك من خلال تعريفه للصوت، بأنه :« ... يسمى المقطع أينما عرض له حرفا »[1]، و يمكن أن نفهم من ذلك أن المقطع هو المكان الذي يتفاوت فيه انحباس الهواء ،أو هو ما يعيق النّفس عن امتداده إعاقة تامة أو غير تامة و ذلك المكان هو المخرج، و هذا ما نلمسه أيضا عند **القرطبي** في قوله:« فالحروف هي مقاطع للصوت الخارج مع النّفس ممتدا مستطيلا، فتمنعه عن اتّصاله بغايته، فحيثما عرض ذلك المقطع سمي حرفا »[2].

و من العلماء الذي صرح بأن المقطع هو المخرج، **ابن يعيش** بقوله : « و المخرج هو المقطع الذي ينتهي الصوت عنده»[3]، و قول **المرعشي**:« المقطع هو المخرج ؛ لأن الصّوت ينقطع من
المخرج »[4].

إلا أن مصطلح (**المقطع**) لم يلق قبولا عند بعض **المحدثين**، بقول **رمضان عبد التواب**:« أما قدامى اللغويين من العرب، فإن التقسيمات عندهم متداخلة، و التعريفات ليست واضحة في كثير من الأحيان، فهم يروّن مثلا أن الأصوات كلها تنشأ من أقصى الحلق ،و يسمون ذلك المكان (**المقطع**) ثم يتحدّد الصوت عن طريق حصّره في مكان ما من الفم، و يسمون ذلك المكان المعتمد»[5]، و قد بيّن وعلق **عبد العزيز الصيغ**، أن ما أورده رمضان عبد التواب حول المقطع مخالفا لما جاء به ابن يعيش و القرطبي وما صرح به المرعشي، مؤكدا أن المقطع لا يعني الحلق[6]، و إنما هو المكان الذي يحدث فيه اعتراض للهواء الخارج من الرئتين، فينقطع هذا الهواء عند العارض فيسمى المكان مقطع الصوت[7].

1- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 19/1.
2- الموضع في التجويد، عبد الوهاب القرطبي، (ت461هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد ، ص71.
3- شرح المفصل، ابن يعيش (ت642هـ)، 1/ 124.
4- جهد المقل، محمد ين أبي بكر المرعشي (ت1150هـ)، تح: سالم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، 2001م، ص123.
5- المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ، د/ رمضان عبد التواب ، ص39.
6- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د/ عبد العزيز سعيد الصيغ، دار الفكر، دمشق؛ ط1 ؛ 1420هـ/ 2000م، ص53.
7- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/ 19.

و ذهب الأنطاكي إلى استخدام كلمة (**محبس**)[1]، مفضلا إيّاها على مصطلح (**المخرج**) لأنّه هو الطريق الذي يتسرب منه النفس إلى الخارج، و وصف هذا المصطلح بالرد على المحدثين حيث قال:« و ليس من حق المحدثين أن يبدلوا مصطلحا علميّا سار عليه أكثر علماء العربية»[2]، وكان القدماء يذوقون الأصوات لمعرفة صفاتها و مخارجها بإدخال همزة الوصل على الحرف بعد تسكينه، و أضاف **علي القاري** بعض العناصر لتحديد المخرج حيث قال: « و إذا أردت أن تعرف مخرج حرف صحيحا بعد تلفظك به صحيحا، فسكّنه أو شدّده و هو الأظهر، و أدخل عليه همزة الوصل بأي حركة، و أصغ إليه السمع فحيث انقطع كان مخرجه المحقق، و حيث يمكن انقطاع الصوت في الجملة كان مخرجه المقدر، فتدبر»[3]. إلا **إبراهيم أنيس** عدَّ إدخال همزة الوصل قبل الساكن التوصل إلى معرفة مخرج الحرف مأخذا على القدماء ، معتبرا ذلك النطق بصوتين لا بصوت واحد، و بذلك لا يتوصل إلى تحديد الصوت و معرفة صفته، و ينبغي أن ينطق الصوت مجردا منها بعد إسكانه[4]، لكن القدماء غايتهم إدخال همزة وصل قبل الساكن ليس للتوصل إلى معرفة مخرج الحرف بل التوصل إلى نطقه، ثم التحري عن موضع انقطاع الصوت لتحديد مخرجه، و ذلك ما عناه المحدثون في تحديد مخرج الصوت[5]، فأنصف في القول من قال أن تغيير المصطلح لا مسوغ له، فضلا عن اشتهاره بين الدارسين[6]، و حصر **محمود السعران** الخلاف بين القدامى ،و المحدثين في التسمية فقط حيث قال:« إن ما يسميه العرب (**مخرج الحروف**) سماه المحدثون في العرب (**موضع النّطق**) »[7] ،دلالة على الدور الفاعل الذّي أثبته القدماء في تأسيس الدرس الصوتي.

4- الاختلاف في مخارج وصفات الحروف :

حديث ابن جني و القدماء عن مخارج الحروف يتفق كثيرا مع وجهة نظر المحدثين من علماء الأصوات، بل كان **ابن جني** كغيره من سابقيه دقيقا في

1- الوجيز في فقه اللغة، د/ محمد الأنطاكي، المطبعة الحديثة ،سوريا ؛1969م، ص161.
2- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د/ عبد العزيز سعيد الصيغ، ص52.
3- المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية، ملاَّ علي بن سلطان محمد القاري (ت1014هـ)، ص09.
4- الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، ص20.
5- ينظر: التطور النحوي للغة العربية للمستشرق الألماني برجشتراسر، د/ رمضان عبد التواب، ص 97
6- ينظر: الأصوات اللغوية ، د/إبراهيم أنيس، ص112
7- علم اللغة العام – مقدمة للقارئ العربي- ، د/ محمود السعران، ص199.

وضوح المخارج إلى حدّ بهر المشتغلين بالدراسات الصوتية، ففي مخرج كل حرف يؤكد **القدماء**، و منهم ابن جني أن هناك عضويين من أعضاء النطق يتصل بعضهما ببعض حال إخراج الصوت[1]، فالمخارج ستة عشر مخرجا عند أكثر المتقدمين من علماء العربية[2].

متابعين بذلك ابن جني إقرارا بصحة ما ذهب إليه و تفضيله على كل الآراء التي ذهبت إلى التباين في عدد المخارج للأصوات العربية، قال **كمال بشر**:« و قد تحدث الكثيرون منهم عن هذه المخارج، منهم الخليل بن أحمد ،و سيبويه ،و ابن جني ،و غيرهم... و على الرغم من الدّقة النسبيّة في ترتيب سيبويه للأصوات، و توزيعها على مخارجها قد أثرنا تقديم ما أتى به ابن جني في هذا المقام لتفوقه على سيبويه في هذه المسألة ،بالإضافة إلى أن ما أتى به سيبويه هو في حقيقة الأمر الأساس الذي بني عليه ابن جني عمله في هذا الشأن»[3].

و عدد المخارج عند **المحدثين** مختلف، كما هو الحال عند ابن جني و لدى القدماء العرب، إلا أنها أقل مما هي عليه عند سابقيهم فمنهم من جعلها تسعة[4]، و منهم من عدّها عشرة[5]، و منهم من قال أنها أحد عشر[6]، و منهم من قال أنها اثنا عشر مخرجا[7]، و يبدو أن هذا الخلاف في عدد المخارج عند القدماء و المحدثين، يعود إلى أسس التّي بنى عليها كل فريق منهم وصفه للمخارج، فمنهم من جنح إلى العموم، و منهم من فصل فزاد عددها ،ومنهم من بالغ فجعل لكل حرف مخرج كما قاله ابن **الحاجب**:« و هذا الخلاف بين العلماء يعود إلى الملاحظة الذاتية، و الخبرة الفردية »[8]

وهذا ما أكدّه **السكاكي** بقوله:« عندي أن الحكم في أنواع الحروف و مخارجها على ما يجده كل أحد مستقيم الطبع سليم الذوق، إذا راجع نفسه و

1- عبقري اللغويين أبو الفتح ابن جني، د/ عبد الغفار حامد هلال، 585/2
2- سر صناعة الإعراب ،ابن جني ،1/ 585، وينظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ،د/حسام الدين النعيمي ،ص302.
3- علم اللغة العام_ الأصوات_ ، د/ كمال محمد بشر، ص185.
4- دروس في الأصوات العربية ، جان كانتينو، تر: صالح القرمادي ،ص22.
5- مناهج البحث في اللغة ، د/تمام حسان، ص84-85.
6- علم اللغة العام – مقدمة للقارئ العربي -، د/ محمود السعران، ص182.
7- أصوات اللغة، د/ عبد الرحمن أيوب ، ص199-217.
8-شرح الشافية ابن حاجب، رضي الدين الأستراباذي (ت686هـ) ، 3/ 250،

اعتبرها كما ينبغي ،و إن كان بخلاف الغير»[1]،و على حد قول **المرعشي** :« أن المخارج على حسن استقامة الطبع، لا على التكلف فاختلاف العلماء في ترتيب المخارج اختلاف في حكم الطبع المستقيم»[2].

أما كيفية معرفة مخارج الحروف عند المحدثين قال أحدهم :« الأصوات اللغوية هي ظواهر سمعية تحدث بأن تيار النفس الخارج من الرئة يعرض له في الحنجرة أو في الفم بين الشفتين عارض يضيق طريقه أو يقطعه فلا يحدث الصوت إلا بعاملين، أحدهما النفس و ثانيهما العرض»[3] ،بمعنى أن إنتاج الصوت اللغوي يحتاج إلى عاملين:

- أحدهما: النفس الذي هو تيار الهواء الخارج من الرئتين في اتجاه الفم.
-وثانيهما: هو الاعتراض أو القطع.

و قد استوقفنا نصوص لابن جني و ابن سنان الخفاجي تدل أنهما قد فطنا لهذين العاملين حيث يقول **ابن جني**:« اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا.... فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا»[4]، و ردَّد ابن سنان الخفاجي عبارة ابن جني مع إضافة مهمة، و ذلك حيث قال:

« الصوت يخرج ساذجا حتى يعرض له في الحلق و الفم و الشفتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفا »[5]، إن الصوت في النصّين، يعني النفس و هو العامل الأول عند المحدثين في إنتاج الصوت اللغوي أما (المقاطع التي تثنيه) فهي المخارج و هي العامل الثاني، و بذلك يكون العلماء القدامى على علم و بصر بهذين العاملين، و أثرهما في إنتاج الأصوات اللغوية.

اعتمد علماء العربية **القدماء** في ترتيبهم لمخارج الحروف على الترتيب التصاعدي الذي يبدأ بأقصى نقضه في آلة النطق، و التي أطلقوا عليها (**أقصى الحلق**) و يندرج هذا الترتيب صعودا حتى ينتهي بالشفتين[6]،إلا أننا نجد كثيرا من دارسي الأصوات العربية من **المحدثين** يفضلون الترتيب المعاكس، إذ يبدأ

1- مفتاح العلوم، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت626هـ)، مطبعة مصطفى البابي، ط1؛ 1937م، ص06.
2- جهد المقل، محمد بن أبي بكر المرعشي الملقب بساجقلي زاده (ت1150هـ)، ص139.
3- علم الأصوات عند سيبويه وعندنا للمستشرق الألماني أرتور شاده، أ.د صبيح التميمي، ص 03.
4- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/ 19.
5- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص18.
6- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 21/1، وينظر: العين،الخليل ابن أحمد الفراهيدي، 58/1، والكتاب،سيبويه، 404/2.

بالشفتين و ينتهي بأقصى الحلق، و هم بذلك ساروا على خطي الغربيين من علماء الأصوات في ترتيبهم للمخارج ، و الترتيبان ينتهيان إلى نتيجة واحدة، إلا أن الذي دعى القدماء

إلى الترتيب الأول هو (مادة الصوت) التي تتمثل (بالهواء الخارج من داخل الأسنان)[1]، حيث جعلوا أوله أقصى الحلق و آخره أول الشفتين، أو ربما يكونوا قد تأثروا بغيرهم.

أما علماء المحدثون، فمنهم من وافق علماء اللغة القدامى في ترتيبهم التصاعدي لمخارج الحروف[2] ،و الحقيقة أن ترتيب الأصوات على أساس المخارج ،سواء كان ترتيب الأقدمين (التصاعدي) أم ترتيب المحدثين (غير التصاعدي) ،لا يؤثر في جوهر الأصوات كما لا يؤثر في جوهر المخارج، إذ من السهل عكس الترتيب الذي اتبعه القدامى ،و المحدثون و لا يترتب عليه أي إشكال، حيث قال بعض المحدثين: «من السهل علينا أن نعكس الترتيب الذي اتبعناه سابقا ،فنرتب الأصوات المذكورة من قبل ترتيبا تصاعديا حتى نسير مع ترتيب العرب الأقدمين ،تسهيلا للمقارنة بين ما رأيناه من ترتيب الأصوات و ترتيبهم»[3]، على أية حال أن كلا الترتيبين (**ترتيب القدامى و المحدثين**) ،يؤدي إلى نتيجة واحدة و هي قضية ذات طرفين، يمكن أن تبدأ من أي الطرفين لتصل إلى الطرف الآخر[4].

و خلاصة القول في ذلك، أن مجال الاتفاق بين القدامى والمحدثين في **ترتيب المخارج** أوسع من مجال الخلاف[5]، كما أن كثيرا من نقاط الخلاف يمكن أن يغض النظر عنها، و ذلك لشدة التقارب و التداخل بين مخارج الحروف[6] - كما سبق و أن ذكرنا – و لكن أهم خلاف بينهم يكمن في إهمال القدامى لدور الوترين الصوتين و الحنجرة، أما فيما يتعلق بتلك الحروف، فقد عرّاها التّطور ما أبعدها عن أصل النطق العربي الصحيح الذي كان يستعمله العرب في شباب اللغة ،و إبان استوائها على سوقها ،و هذا كما في نطق الجيم ،و الضاد ،و الطاء ،و القاف و سنبينها في رأي المحدثين في صفات الحروف، كما خالف المحدثون القدامى في

1- المنح الفكرية في شرح المقدمة الجزرية ، ملا علي بن سلطان محمد القاري، ص11.
2- دراسة السمع والكلام- صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك-، د/ سعد عبد العزيز مصلوح، ص64.
3- علم اللغة العام_الأصوات- ، د/كمال محمد بشر، ص189.
4- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د /غانم قدوري الحمد، ص 98
5- علم اللغة العام- الأصوات-،د/ كمال محمد بشر، ص191.
6- المصدر نفسه ، ص191.

مخرج الهمزة، فابن جني و القدماء يعدّون الهمزة من حروف أقصى الحلق، و لكن المحدثين قالوا بأن الهمزة المحققة تخرج من نفس المزمار، لأنه فتحة المزمار تنطبق انطباقا تاما عند النطق بها، فلا يتسرب شيء من الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة فيسمع صوت انفجاري هو ما يعبّر عنه بالهمزة ،و من هنا اختلف وصفهم لها على ما سيأتي[1]، و فيما عدا ذلك لا يزيد حديث المحدثين شيئا عما ذكره علماؤنا الأمجاد عن مخارج الأصوات[2].

أما فيما يتعلق **بصفات الحروف** ذكر ابن جني الحروف المجهورة ،و ما تقابلها الحروف المهموسة و الشديدة تقابلها الرخوة، وبينهما حروف توصف بأنها بين الشدة و الرخاء، و منها المطبقة و تقابلها المنفتحة، و منها الحروف المستعلية و يقابلها المنخفضة، و منها حروف الذلاقة وتقابلها الحروف المصمتة...إلى غيرهما من صفات الحروف[3].

فالحروف المهموسة على ما أورد عشرة، و الحروف الباقية مجهورة، أما الدراسة الحديثة فتذهب إلى أن الحروف المهموسة هي:(التاء و الثاء و الحاء و الخاء و السين و الشين و الصاد و الطاء والفاء و القاف و الكاف و الهاء)[4]، أي أنها زادت على المهموسة الطاء ،و القاف و هما مجهوران عند القدامى ،و قد أخرجت الدراسة الحديثة الهمزة من المجهورة و أدخلها بعضهم في المهموسة ، وجعلها آخرون لا مهموسة و لا مجهورة[5] ،و علّل بعض المحدثين الخلاف حول الصوتين من تقدير القدماء الخاطئ للموضع الدقيق لهذين الصوتين، أو اختلاف نطقها في القديم عن النطق الآن، ولربما قصدوا بنطق القاف (**بالجاف**)، أو ما شبه الكاف الفارسية، أو كانت تنطبق الطاء شبيها بالضاد الحالية المجهورة، أو طاء مشربة بالتهميز كما تسمع في بعض لهجات الصعيد ،و بعض السودانيين الآن[6].

و ينبغي أن نلاحظ أن مصطلح مجهور و مهموس ،و إن كان بلفظ واحد عند القدامى والمحدثين إلا أن معناه مختلف، فالمجهور في الدراسة الحديثة:« هو الصوت الذي يتذبذب الوتران الصوتيان حال النطق به، أما **الهمس** فهو انفراج

1- الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، ص72.
2- عبقري اللغويين أبو الفتح ابن جني، د/ عبد الغفار حامد هلال، 2/ 585-586.
3- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د/ حسام سعيد النعيمي، ص312.
4- علم اللغة العام- الأصوات-، كمال محمد بشر، ص87.
5- المصدر نفسه ، ص88.
6- دروس علم الأصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، ص35.

الوترين بعضهما مع بعض أثناء مرور الهواء من الرئتين بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله أي اعتراض في طريقة، و من ثم لا يتذبذب الوتران الصوتيان»[1].

عند التّأمل في تعريف الجهر و الهمس من خلال الدرس الصوتي الحديث، و مقارنته بتعريف علماء التّراث قد لا نجد أية علاقة بينهما للوهلة الأولى، و أن تعريف **ابن جني** لا يمت بصلة إلى تعريف المحدثين، فمعيار الفصل بين الجهر و الهمس عند القدماء هو جري النفس ،أو عدمه[2] ،و عند المحدثين تذبذب الوترين الصوتين أو عدم التذبذب[3] ،لذلك ناقش بعض المحدثين اختلاف وصف هذه الأصوات الثلاثة ،و تصوروا أنها تخضع لعدة احتمالات فذكر منها ما نراد، ضروريا في هذا البحث.

- **الهمزة:**

اختلف الأقدمون و المحدثون في مخرج الهمزة – كما سبق و أن تطرقنا إلى ذلك – و منهم ابن جني ، أنها من حروف أقصى الحلق [4]،و يرى المحدثون: أن الهمزة المحققة تخرج من نفس المزمار لأن فتحة المزمار تنطبق انطباقا تاما عند النطق بها، فلا يتسرب شيء من الهواء إلى الحلق، ثم تنفرج فتحة المزمار فجأة، فيسمع صوت انفجاري هو ما يعبر عنه بالهمزة[5]، و يعد ابن جني و غيره من القدماء الهمزة من الحروف المجهورة ،و مبنى مذهبهم هو تعريف المجهور ،و منهم من يرى أن ذلك نتيجة نطقهم لها متلوة بحركة، و الحركة مجهورة فعزوا الجهر للهمز نفسها[6]، و يرى بعضهم أنهم وصفوا همزة مسهلة فأشبهت حروف اللين التي هي أصوات مجهورة، حيث يقول **تمام حسان**:« و لكن هذا الصوت – يقصر الهمزة – قد يأتي مسهلا أي :إن إقفال الأوتار الصوتية قد لا يكون تاما حين النطق به، بل يكون إقفالا تقريبا، و في حالة التسهيل هذه يحدث الجهر، و لكن

1- علم اللغة العام- الأصوات-، د/كمال محمد بشر، ص88-89.
2- الكتاب، سيبويه، 3/ 434.
3- علم اللغة العام- الأصوات-،د/ كمال محمد بشر، ص87.
4- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/ 97.
5- الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، ص72.
6- علم الأصوات عند سيبويه وعندنا، للمستشرق أرتو شاده، إخراج وتعليق: أ.د صبيح التميمي، ص09.

المجهور حينئذ ليس وقفة حنجرية، بل تضييق حنجري أشبه بأصوات العلة منه بهذا الصوت»[1].

و لعل الحدّ الفاصل في موضوع الهمزة هو الفرق بين تعريف الجهر عند القدامى ، و عند المحدثين لأن حبس الهواء وراء المزمار ثم فتحه فجأة لنطق الهمزة يمنع جريان النفس معها، و هو الضابط الذي وضعه العلماء العرب لمعنى الجهر و الهمس، فهي بهذا الضابط مجهورة لأن النفس لا يمكن أن يجري معها، إلا أننا لا يمكن أن نتجاهل أمرا مهما في هذا التعليل فإذا رضينا به تفسيرا لعد العلماء العرب الهمزة صوتا مجهورا، فإن هذا يلزم منه عدّ الأصوات الشديدة مجهورة[2] ،أما بضابط اهتزاز الوترين الصوتين ،وهو الضابط الذي وضعه المحدثون لمعنى الجهر و الهمس، فهي مهموسة لأنهما لا يتحركان معها[3].

- **الطاء:** للطاء حرف مجهور أيضا عند علماء العربية القدماء ،و علماء التجويد[4]، أما المحدثون فقد عدّوه صوتا مهموسا[5] ، و قد حاول بعض الباحثين تفسير وصف الطاء بالجهر عند ابن جني ،و علماء العربية، و علماء التجويد من هؤلاء الباحثين **إبراهيم أنيس** الذّي رجَّحَ أن الطاء التي وصفت قديما بالجهر هي في الحقيقة الضاد المصرية الحديثة[6]، أي أنه الصوت المطبق للدال[7].

و هذا صحيح، يمكن أن تستدل عليه من قول ابن جني :« فتزول الضاد إذا أعدمت الإطباق البتة»[8]، فقد قارن بين الدال و الطاء على أنها هي النظير اللين الصلب لها[9].

أما **تمام حسان** في وصف الطاء بالجهر حينما تحدث عن اللهجات العامية المعاصرة، فإن فيها صوتا من أصوات الطاء يمكن وصفه بأنه مهموز، و وضح

1-مناهج البحث في اللغة، د/ تمام حسان، ص97.
2- مجلة سر من رأى ، وصف الهمزة والطاء والقاف بالجهر، مهند أحمد حسن، جامعة تكريت، كلية الآداب، المجلد4، العدد:11، السنة الرابعة، 2008م، ص94.
3- الدراسات الصوتية عند ابن جني، د/ حسام النعيمي، ص314.
4- سر صناعة الإعراب، ابن جني،229/1.
5- الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، ص61، وينظر: علم اللغة العام _الأصوات_،د/ كمال محمد بشر، ص102.
6- المصدر نفسه، ص63.
7- المصدر نفسه ، ص63.
8- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج76/1
9- المصدر نفسه ، 65/1

معنى الطاء مهموزة بقوله:« ومعنى كون الطاء مهموزة هنا ،أنه صحبها إقفال الأوتار الصوتية حين النطق، فأصبح عنصر الهمز جزءا لا يتجزأ من نطقها... و يُرجَح عندي أن الطاء العربية الفصحى القديمة التي وصفها القراء كانت في صوتها و في نطقها بهذا الوصف،ثم لغرابة صوتها على السمع، أخطأ النُّحاة و القراء، فجعلوها مجهورة في دراستهم»[1].

و قد أكد **تمام حسان** من نصّه أن النحويين والقراء في القديم ،قد وضعوا قاعدة قياسية تقول أنّ كل صوت من أصوات القلقلة مجهور شديد، و رأى أنّ هذا ما جعلهم يخطئون الصواب، لا في صفة الطاء فحسب، بل في وصف أصوات مهموسة أخرى بالجهر، كالقاف و الهمزة[2]،و قال **ابن الجزري** في كلامه على الحروف القلقلة**:** «و أضاف بعضهم إليها الهمزة لأنها مجهورة شديدة»[3]

و لم أجد أحدا من الباحثين يخرج عن هذه الآراء غير **حسام سعيد النعيمي** الذي أكد أن اختلافنا مع القدماء في صفة الطاء بناءا على اختلاف المراد بالجهر ،و الهمس فليس صحيحا أن يحاكم القدماء على وفق المعنى الذي وضعناه لمصطلح وافقناهم في لفظه، و خالفناهم في معناه[4]، وكذلك **عبد الغفار حامد هلال** الذي يقول: « فلا مسوغ لتخطئة سيبويه ،و غيره من القدماء الذين تابعوه، ثم إن الأصوات – كما قلنا – قد خضعت للتطور و التغير»[5].

- **القاف:**

1- مناهج البحث في اللغة،د/ تمام حسان، ص94-95.
2- مناهج البحث في اللغة،د/ تمام حسان ، ص95.
3- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري ، 203/1.
4- أصوات العربية بين التحول والثبات،د/ حسام النعيمي، دار الكتب ،جامعة بغداد، سلسلة بيت الحكمة 04؛ 1989م، ص27.
5- عبقري اللغويين أبو الفتح ابن جني، د/ عبد الغفار حامد هلال، 2/ 604.

الحرف الثالث الذي أثار جدلا بين القدامى و المحدثين، وهو القاف، فإن علماء العربية وعلماء التجويد وصفوه بأنه صوت مجهور[1]، أما القاف التي تنطق بها في العصر الحديث فهي صوت مهموس[2]، وقد وصف **تمام حسان** القدماء بالخطأ في عدّهم القاف ضمن الأصوات المجهورة[3]، وحاول بعضهم تعليل ذلك دون نسبتهم إلى الوقوع في الخطأ، فذهب إلى احتمال وصفهم نطقا لهجيا للقاف يشبه النطق بالجيم القاهرية، و هو صوت يمثل مجهور الكاف[4]، و ذهب بعضهم إلى احتمال وصفهم نطقا لهجيا للقاف يشبه صوت الغين، كما هو شائع في بعض القبائل السودانية[5]، وقد حاول **غانم الحمد قدوري** إيجاد تفسير لوصف القاف بالجهر عند علماء العربية ،و علماء التجويد و ذلك في أمرين: **الأول** ما في صوت القاف من ضخامة ،و نصاعة ،و قوة تجعل كثيرا من المبتدئين بدراسة الأصوات في زماننا يتوهمون كونه مجهورا، **الثاني:** صعوبة نطق صوت شديد مجهور من مخرج القاف أو استحالته، على نحو ما يمكن مع صوت الكاف[6].

ونحن سنستبعد ما ذكره بعض المحدثين من احتمالات وصف القدماء نطقا لهجيا للقاف، أو نسبتهم إلى الوقوع في الخطأ، إذ أنهم لم يكونوا غافلين عن التمييز بين القاف الفصيحة التي وصفوها بالجهر، و القاف العامية التي هي (**الكاف المجهورة**) ، فقد ذكر **السيرافي (ت 368 ه)** صوتا متفرعا عن القاف، ينطبق بين القاف و الكاف، و قال هو:« مثل الكاف التي كالجيم و الجيم التي كالكاف»[7] ، و قال عنه القرطبي:«... و قد يسمع من العوام من يقول: (كمل و ركل، في جمل ورجل)، و هي عند أهل المعرفة معيبة مرذولة »[8].

يمكن أن نستنتج من هذه النصوص، أن وصف القدماء للقاف بالجهر، لا يمكن أن يحمل على ما سماه المحدثون بالجيم القاهرية، أو ما وضعوه بأنه قريب

1- التحديد في الإتقان والتجويد، أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، دراسة وتحقيق: غانم قدوري الحمد، ط1، دار عمار، عمان؛ 2000م، ص107.
2- علم اللغة العام _الأصوات_،د/ كمال محمد بشر، ص109.
3- مناهج البحث في اللغة، د/ تمام حسان، ص96.
4- علم اللغة العام _الأصوات_،د/كمال محمد بشر، ص41.
5- الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، ص85.
6- المدخل إلى علم أصوات العربية، د/ غانم قدوري الحمد، ،دار عمار ،عمان ،الأردن، ط1؛ 2004م ،ص297-298.
7- شرح الشافية، رضي الدين الأستراباذي، 257/3.
8- الموضح في التجويد، عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت 461هـ)، ص85.

جدا من الغين لأن من غير المعقول أن يغيب عن نظر علماء العربية ،و علماء التجويد ذلك القرب الشديد بين نطق القاف و نطق الغين، و لو أن سيبويه وصف القاف بأنهّ صوت مجهور أراد صوتا يشبه الغين، لما وصف القاف بأنها صوت شديد، فمن غير المعقول ألا يفطن **سيبويه** إلى رخاوة ذلك الصوت، و هو فعلا قد وصف الغين والخاء بأنها أصوات رخوة[1]، لذلك يمكن القول بأن الخلاف في جهر القاف و همسه بين القدماء والمحدثين، و لم يكن في كيفية نطقه، بل في المعيار الذي وضعه كل منهم في مفهوم الجهر و الهمس.

كما ذكر **ابن جني** أن من الحروف ما هو شديد ،و منها هو رخو ،و منها ما هو بين الشدة و الرخاوة[2] ،إلا أن مصطلح **الشدة** لم يلق شيوعا عند المحدثين، فقد استبدلوه بمصطلحات عديدة منها، (**الانفجارية**)[3] ، (**الاحتباسية**)[4] ، و (**الانسدادية**)[5] و (**الآنية**)[6]. و الأصوات **الرخوة** بمصطلحات (**الاحتكاكية**)[7] ،و (**الطليقة**)[8] ،و (**المتمادة**)[9]، إلا أن مصطلح (الاحتكاكية) النصيب الأكثر شيوعا، و قد وضح المحدثون الفرق بين الأصوات الشديدة والأصوات الرخوة، (بأن الناطق يحس مع الشديد بانحباس مؤقت لدى المخرج، بسبب التقاء عضوين التقاء محكما، فإذا انفصلا فجأة سمع صوتا انفجاريا، و هو الذي نسميه شديدا، أما في حالة الرخوة، فعلى الرغم من التقاء عضوين أيضا، لكن الالتقاء غير محكم، بل بينهما ممر ضيق يسمح بتسرب الهواء)[10].

وعقب هذا فلا يبقى مجال للشك في صحة ترتيب ابن جني للحروف (التي بين الشديدة والرخاوة) إلا فيما يتعلق بحرف العين، و ما عدا ذلك فإن الترتيب مطابق لترتيب علماء الأصوات العصريين[11].

1- الدراسات الصوتية عند علماء العربية، عبد الحميد الهادي إبراهيم، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، لجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس (د.ت)، ص 97.
2- أنظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني، 75/1
3- دراسة الصوت اللغوي، د/ أحمد عمر مختار، ص270.
4- الوجيز في فقه اللغة، د/ محمد الأنطاكي، ص147.
5- التطور النحوي برجشتراسر، تعريب: رمضان عبد التواب، ص13.
6- أسس علم اللغة، ماريوياي، ترجمة: أحمد مختار عمر، ص82.
7- علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي-، د/محمود السعران، ص172.
8- الوجيز في فقه اللغة، د/ محمد الأنطاكي، ص147.
9- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، د/عبد العزيز سعيد الصيغ، ص 125.
10- الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، ص126.
11- دروس في علم الأصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، ص36.

كما وصف **جان كانيتنو** العين في موضع آخر بأنه رخو[1]، و نجد **محمود السعران** يختلف عن **ابن جني** في حرف الجيم حيث أخرج هذا الحرف من قائمة الحروف الانفجارية ،و أدخل الضاد كما ينطق بها في مصر[2] ،و في هذا الباب يؤكد **حسام النعيمي** أن الذي جعل الجيم مع الحروف الاحتكاكية، و الذي جعلها انفجارية- احتكاكية لم يكن يصف الجيم الفصيحة، كما وصفها القدماء و كما ننطقها في العراق. و إنما كان يصف الجيم السورية المشربة صوت الشين مشبعة أو مختلسة ،و هي في الحالتين تختلف عن وصف العلماء العرب لها، أما الضاد فليس في العرب اليوم من ينطق بها كما كان العرب يفعلون ،و كما وصفت لنا في كتبهم، فلا موضع للكلام عليهم[3].

أما فيما يخص الإطباق و الانفتاح وصف بعض المحدثين أن تحديد وتعريف الإطباق عند ابن جني و غيره من القدماء بعيد الوضوح[4]، و حددوا الصوت المطبق بأنه الصوت الذي يحدث عندما (يرتفع طرف اللسان و أقصاه نحو الحنك و يتقعر وسطه)[5] ،و يبدو أنهم أدق تحديدا مما وصفه ابن جني، أما الأصوات المطبقة عندهم فهي نفسها التي ذكرها العالم الجليل ابن جني في سر صناعة الإعراب و علماء العربية، و هناك نظير للإطباق و الانفتاح، هو «الاستعلاء و التسفل»كما ذكر عند ابن جني[6]، و هو وصف دقيق يتفق مع المحدثين.

تابع علماء العربية ابن جني في مفهومه للقلقلة إلا أنهم اختلفوا في موضعها، حيث يرى القدماء من علماء العربية أنها لا تكون إلا في الوقف[7]. و كان لعلماء التجويد في ذلك مذهبان، **الأول:** موافق لما قاله القدماء[8] ، و **الآخر:** لا يشترط لحصولها سوى سكون تلك الحروف (سواء وقعت وسطا أو متطرفة)[9]، لربما كان ذلك مدعاة لبعض المحدثين إلى القول: بأن القلقلة قسمان؛ قلقلة كبرى، و الأخرى

1- المصدر نفسه ، ص116.
2- علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي-، د/ محمود السعران، ص166.
3- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د/حسام سعيد النعيمي، ص317.
4- دروس في علم الأصوات العربية، جان كانتينو، ترجمة: صالح القرمادي، ص36.
5- الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، ص97
6 - ينظر سر صناعة الإعراب ،ابن جني ،1/ 76.
7- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/ 77.
8- مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ، أبو الأصمع عبد العزيز بن علي بن محمد السماتي الإشبلي ابن الطحان (تبعد560هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشير، عمان، ط1؛ 1429ه/ 1999م، ص38.
9- أنظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د /غانم قدوري الحمد، ص 307.

صغرى مبينين أن القلقلة الكبرى عندما يكون حروف القلقلة في آخر الكلمة، وأما الصغرى إذا كان حرف القلقلة ساكنا وسط الكلمة[1]، و يبدو أن ابن جني قد أدرك أن هذه الحروف مجهورة ،و ذكر الصوت معها في الوقف قد يفهم منه أنها تحولت إلى الهمس، أو أن ضابط الجهر قد اختل معها لأن المجهور كما ضبطوه لا يجري النفس معه[2]، إلا أن المحدثين لم يتشرطوا أن تكون مجهورة، حيث جعلوا القاف و الطاء من أصواتها على الرغم من أنهما من الأصوات المهموسة عندهم، و قد يعود السبب في قلقلتها لما جمعناه من صفات الشدة و الاستعلاء و التفخيم، و زيادة الأطباق في الطاء[3].

أما في ما يخص حروف **الذلاقة** عدها ابن حنّي ستة أحرف ،و سماها بهذا الاسم لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان، و هو صدره و طرفه[4]، إلا أنه يختلف مع المحدثين حيث يرى **محمود السعران** أن ثلاثة منها يعتمد عليها حقا بطرف اللسان أما الثلاثة الباقية هي حروف شفوية لا شأن لطرف اللسان على الإطلاق في إخراجها[5]، غير أن ابن جني أراد التغليب ،و لم يغفل عن هذا، و بعض المحدثين يرون أن معنى الذلاقة في هذه الحروف لا يراد به سوى المعنى الشائع لهذه الكلمة ،و هو القدرة على انطلاق في الكلام بالعربية دون تعثر و تلعثم[6] ،و ذلك لأنها أكثر الحروف شيوعا في كلام العرب[7]، و هو كما نرى غير متفق مع ابن جني؛ باعتباره هو الذي وضع مصطلح الذلاقة، إذ أن وضع المصطلح هو الذي يفسره، و قد فسر ابن جني بما تقدم فينبغي أن يؤول تفسيره و يحمل على أحسن الوجوه لا أن يرد.

أما الحروف الأخرى غير الستة المذكورة فهي **المصمتة** ،و فسر ذلك بأنه قد اصمت عنها أن تبنى منها كلمة رباعية ،أو خماسية معراة من حروف الذلاقة[8]، و جعل هذا المعنى ضابطا من ضوابط معرفة الدخيل من كلام العرب، و لا نرى وجه الخلاف في هذا المصطلح.

1- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني،د/ حسام سعيد النعيمي، ص319.
2- قواعد التلاوة وعلم التجويد، د/ فرح توفيق الوليد، مطبعة الرشاد، بغداد، ط2؛ 1989م، ص40.
3- أنظر: الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني،د/ حسام سعيد النعيمي، ص320.
4- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 78/1.
5- علم اللغة – مقدمة للقارئ العربي-، د/محمود السعران، ص167-184-190.
6- الأصوات اللغوية، د/ إبراهيم أنيس، ص109.
7- المصدر نفسه ، ص110.
8- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/ 78.

وقد وافق بعض المحدثين ابن جني و علماء العربية في وصفهم لحروف **المد،والاستطالة** والمنحرف ،و المكرر ،و المهتوت، لعل أبرز الفروق بين القدامى و المحدثين كان في جانب توصيف الصوائت، إذ لم يهتم القدامى بالحركات القصيرة بقدر ما اهتموا بالحركتين الطويلتين (الواو، و الياء) أما الألف فقد تعاملوا معها باعتبارها واحدة من الصوامت[1]، كما أن أبرز الصفات التي اتخذت معيارا للتفريق بين الأصوات: هي الجهر و الهمس، و الأصوات المجهورة أوضح في السمع من المهموسة، ومن الأصوات المختلفة فيها هي: الهمزة و القاف و الطاء، و الأصوات الشديدة (**الانفجارية**) والرخوة (**الاحتكاكية**) ،و المتوسطة (**المائعة**)، و من الأصوات المختلف عليها في صفة الشدة هي (الجيم). و صفة الرخاوة هي (**الضاد**)، و صفة المتوسط هي (**العين**). و الاستطالة عند القدماء هي (**الضاد، و الشين**) ،و عند المحدثين (**ض**)، ومن الصفات الأخرى: التفشي وهي صفة للشين فقط، و الصفير و القلقلة، و التكرير للراء فقط، و الانحراف صفة اختصت بها (اللام)، و منهم من أضاف إليها (**الراء**) و غير ذلك من الصفات[2]، إلا أننا بيَّنَا عدم دقة بعض الإضافات، التي أضافها المحدثون، بدليل أن ابن جني و غيره من القدماء لهم الأثر، و الفضل الكبير في فكر من جاء بعدهم.

أما فيما يخص مخارج الأصوات، فليس هناك في الواقع حدود فاصلة فصلا تاما بين بعض هذه المخارج، و من ثم فإنه من الجائز أن تنسب مجموعة من الأصوات إلى مخرج معين، و ينسبها باحث آخر إلى مخرج قريب منه أو متصل به و متداخل معه، أو ربما يرجع الخلاف بينهم و بين ابن جني و غيره من القدماء إلى الملاحظة الذاتية والخبرة الشخصية ،و غيره من الاختلافات الفردية في الخبرة الصوتية و اللغوية، فإنه لا يمكن التسليم بما جاء به القدماء في جملته و تفاصيله قياسيا إلى ما تأكد في عصرنا، إذ نجد هنا و هناك بعض أوجه الاختلاف في معطيات القدماء و المحدثين، و أخيرا، فإذا أردنا بيان مدى نجاح الأقدمين في دراسة الحروف ،و الأصوات من حيث دلالتها، و أردنا الكشف عن طبيعة البحث اللغوي عند الأقدمين في هذا الميدان فعلينا قراءة تراث هؤلاء، قراءة فاصحة

1- المحاضرة الثامنة، توصيف الأصوات بين القدامى والمحدثين، د/ موسى حامد، منتديات شبكة القراءات القرآنية،2013م.

2- مخارج الأصوات وصفاتها بين القدماء المحدثين، د /تحسين فاضل عباس، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، السنة 2012، الإصدار10، جامعة الكوفة، ص25.

متأنية، مما يساعد في ربط الجوانب المضيئة من ذلك التراث بالحاضر ،وصولا إلى عناصر حقيقية للتطور اللغوي عموما[1].

و بعد التقصي و البحث في مصادر الدراسات الحديثة، و القديمة و التطلع على أساسياتها وجزئياتها ،و نتائجها استنتجنا أن أغلب المصطلحات الصوتية القديمة ،لم تكن قاصرة في مفاهيمها، و لا داعي لاستبدالها بمصطلحات حديثة، كما وضحت الدراسة أن أغلب التغيرات التي طرأت على المصطلحات القديمة ليس لها ما يبررها سوى متابعة الغربيين، و يبدو ذلك نتيجة تأثر الجيل الأول من الأصواتين العرب بالدراسات عند المستشرقين.

1- الحروف والأصوات العربية بين نظرة القدماء والمحدثين، أ/ يحياوي زكية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، مجلة أكاديمية محكمة، الممارسات اللغوية، ع30 ؛ 2014م، ص14-15.

الفـصـــل الـرّابـــع:

أصالة التّلوينات الصّوتية ودلالتّها الوظيفيّة في القرآن الكريم من خلال سرّ صنّاعة الإعراب

المبحث الأوّل : الدّرس الصّوتي ودوره في خدمة القرّاء والمجودين العرب

المبحث الثّاني: أصّالة التّلوينات الصّوتية عند ابن جنّي من خلال سرّ صنّاعة الإعراب

المبحث الثّالث :أصالة التّلوينات الإيقاعية في الموروث العربي ودلالتها في القرآن الكريم

تحدث تغيرات وتلونّات تصيب اللّغة فتلحق جميع أنظمتها ،فتصيب النظام الصّوتي ، والصّرفي والنّحوي، والدّلالي، بين الأنظمة في درجة التّطور، فالنظام الصّوتي والنظام النّحوي إذا ما اكتسبا مرة بقيا طول العمر،ويدينان باستقرارهما إلى استقرار ذهنية المتكلم[1]، وإذا كانت التّغيرات الصّوتية هي كل مايعتري التركيب الأدائي من تبدل أو اختلاف في الأصوات بين تشكيل لغوي سابق وآخر لاحق؛ فإن ذلك يأتي نتيجة تأثير عوامل من داخل الكلمة ناجمة عن تفاعل الأصوات مع بعضها ،وأخرى من مخارجها ناتجة عن تجاوز الكلمات، وتأثيرات العوامل النحوية والصوتية ،مما ينعكس على الأصوات حذفا ،أو إبدالا ،أو إعلالا ،أو إدغاما ،أو إمالة [2].

وبما أن القرآن الكريم نزل باللغة العربية، واللّغة في جوهرها عبّارة عن أصوات أو مقاطع صوتية، فهي المادة الأساس المكونة للغة ،وإعجازه في نظمه وبناء أصواته وكلماته، فإن بداية نسجه وتأليفه تبدأ من هذه الوحدة الصغرى (**الصّوت**) التي تشكل بناء الكلمات، وهذه الكلمات تشكل بدورها بناء الجمل ، والتّراكيب التّي يكون لكل منها معنى مفيد ومستقل بنيويا، والذّي جعل القدامى العرب يُولون اهتماما لدراسة الصّوت تعدُّ قراءات القرآن الكريم، وطريقة النّظم التي اتسقت بها ألفاظ القرآن، وتآلفت لها حروف هذه الألفاظ، ولما لها من جمال على مستوى البناء الصوتي سواء كان ذلك في مقطع صوتي ،أو إيقاع وتنغيم ،وهي الإجراءات التّطبيقية التّي نتناولها في هذا البحث.

المبحث الأوّل:

الدّرس الصّوتي ودوّره في خدمة القرّاء والمجودين العرب

[1]- اللغة ،فندريس، تعريب :عبد الحميد الدواخلي، ومحمد القصاص ،مكتبة الأنجلو مصرية ،ص246-247.

[2]- التغيرات الصوتية وقوانينها :المفهوم والمصطلح ،سامي عوض، وصلاح الدين سعيد حسين،مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ،سوريا ،اللاذقية ،مجلد31 ، ع01 ؛2009 م، ص131.

القرآن الكريم كلام الله المعجز للخلق في ألفاظه، وتراكيبه، في أسلوبه، ونظمه، وفي علومه وحكمه، وفي تأثير هدايته للبشر، فقد تحدى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم العرب بإعجازه، أما الطريقة التي اتخذها هذا التحدي فهي اقتصاره في البدء على طلب المعارضة بمثل هذا القرآن، إذ يقول الله تعالى: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾[1] ،ثم استفزهم مرة أخرى أن يأتوا : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ﴾[2]، وكان الغرض من التحدي إقامة الحجة، وإظهار وجه البرهان لأن المعجزة إذا ظهرت، فإنما تكون حجة بأن يدعيها من ظهر عليه، ولا تظهر على مدع لها إلا وهي معلومة أنها من عند الله"[3] ،ولما لم يقدروا على الإتيان بالحجة انقطعوا عن المعارضة، فالقرآن الكريم سُحِر الناس ببيانه، فانجذبت نحوه القلوب والعقول.

وللصوت اللغوي أهمية في دراسة النص القرآني، من حيث أنه البنية اللغوية الصغرى المكونة للكلمات والتراكيب، والآيات إلى جانب ذلك فهو العنصر الأساسي في الإعجاز القرآني، والقرآن ينتقي الأصوات اللغوية بحسب الدلالات قصد تجسيد المعاني في أحسن صورة، ويتسم الصّوت القرآني بقوة التأثير انطلاقا من سهولة الأصوات حين ائتلافها ،وإحساس الأذن بعذوبتها حين الترتيل والتجويد، ولم يرد عن العرب أنّهم عرفوا الدرس الصوتي كعلم مستقل منفصل عن سائر العلوم العربية الأخرى، لكنهم تناولوا الكثير من مباحثه في ثنايا مؤلفاتهم المختلفة في ميدان التجويد والقراءات والنّحو والصرف وغيرها...

ولكن المثير للدهشة هو ذلك الكم المعرفي الهام من الدرس الصوتي الذي ورد إلينا، وكذا ثراء المادة العلمية التي وصلتنا عنهم، مما يدفع إلى الإشادة بجهودهم الكبيرة التي جعلت أحد الباحثين يقول:«إن علم الأصوات كان علما واضح الملامح محدد السمات، وليس أدلّ على ذلك من أن علم التجويد ،وهو علم استعمل مصطلحات هي المصطلحات التي وجدت في المباحث الصوتية التي عرفت عند علماء النحو واللغة، ولولا أن علم التجويد اقتصرت مباحثه على قراءة

[1]- سورة الإسراء، الآية: 88.
[2]- سورة هود، الآية: 13.
[3]- تاريخ آداب العرب،د/ مصطفى صادق الرافعي، راجعه واعتنى به :درويش الجندي، المكتبة العصرية، بيروت؛ 2005 م، 147/2.

القرآن لكان في العربية علم الأصوات»[1]، ومع قصر الفترة الزمنيّة التي نشأ فيها الدرس الصوتي ،وتطور إلا أنها كانت كافية لجعله ثريا، عميقا، ومهما فإننا نرى أن الدرس الصوتي فاق بسعته وعمقه، وتعدد مجالات درسه، وتطبيقه ما عرفه علماء اللغة حتى العصر الحديث[2].

ولم تكن فائدته محصورة في دراسة اللغة ،وأصواتها فقط بل صار وسيلة لفهم التغيرات الصرفية كالإدغام والإبدال ونحوها، كما صار الأساس النظري المحكم لتجويد القراءة ،وتحقيق لفظ التّلاوة وهذا إلى كونه حظي باهتمام البلاغيين ،ودارسي الإعجاز[3]، ولا يمكن تجاهل مساهمات القراء في تطوير الدرس الصّوتي عنّد العرب قديما ،فقد قدموا عملا معتبرا في ذلك بإضافة تفصيلات صوتية إلى ما آثر عن الخليل ،وسيبويه ،وابن جني فهم قد سعوا إلى وصف تلاوة القرآن الكريم حسب القراءات المختلفة ،فسجلوا خصائص صوتية تنفرد بها التّلاوة القرآنية، ووضعوا رموزا كتابية لمثل هذه الخصائص[4] ، وما كان ظهور علم التجويد إلا ذو نتيجة لتظافر القراءات من جهة، والدرس الصّوتي من جهة أخرى[5].

كما كان لهم فضل التفضيل والتطبيق ،والإكثار من الشواهد ،وإفراد الكتب للدراسة الصوتية حيث وقفوا كل جهدهم لضبط أصوات العربية ، والعناية بنطقها وتحقيقها على ما كانت للعرب تنطقه حين تنزّل القرآن الكريم، فكان لهم فضل تثبيت هذه الأصوات ،ونقلها مشافهة متقنة من عصر إلى عصر في أنحاء العالم الإسلامي إلى يومنا هذا، فقد رأوا أن التجويد من أشرف العلوم لتعلقه بكلام الله تعالى[6]، وأن تعلمه فرض كفاية، والعمل به فرض عين على كل مسلم ومسلمة ممن يقرأ القرآن[7] ،وهكذا نجد الكلام على أصوات العربية مبثوثا في المعجمات، وكتب النّحو ،واللغة والتصريف ،والقراءات والتجويد.

1- مفهوم القراءة والتّجويد والتّرتيل :

---

[1]- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية ، د/عبد العزيز الصيغ، ص15.
[2]- مبادئ اللسانيات، د/أحمد محمد قدور، ص 38.
[3]- المصدر نفسه ، ص39.
[4]- علم اللغة العام _الأصوات_ ، د/ كمال محمد بشر، ص82.
[5]- اللسانيات وأفاق الدرس اللّغوي، د/أحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر،بيروت، ط1 ؛ ص 67.
[6]- قواعد التلاوة وعلم التجويد، د/فرج توفيق الوليد، ص16.
[7]- أصوات العربية بين التّحول والثبات، د/ حسام سعيد النعيمي، ص08.

عنيَّ العلماء بكيفيات الألفاظ القرآنية ،وأساليب أدائها تلقينا وتدوينا عناية فائقة، ودونوا فيها كتب جمّة، فحظيت مصنّفات التجويد بمسائل الاتفاق بينما حظيت مصنفات القراءات بمسائل الخلاف[1]،وقد حفلت تلك المصنّفات بمفردات كثيرة جدا تعارف عليها علماء التجويد والقراءات، وبعضها يخفى على الباحثين، بل إن عددا منها ربما خفي على بعض المتخصصين أو أشكل عليهم، وطالما احتاج كثير من الباحثين في الدراسات القرآنية ،وغيرها إلى معرفة معاني مصطلحات التجويد والقراءات عند القراء، ويدفعنا البحث الصّوتي عند علماء القراءة والتجويد للوقوف على بعض المصطلحات القرآنية، ومحاولة تحديدها وفهمها حتى يتسنى لنا استنباط جهود القراء في مجال الدراسات الصوتية.

- **ـ القراءة:**

لغة: القراءة مصدر من قرأ يقرأ قرآنا، بمعنى تلا فهو القارئ[2]، والهمزة في قرأ تكون ثابتة مهم
ومهملة حسب ابن جني[3]، ونجد لقرأ، القرء والقراءة والقرآن والإقتراء[4] ،ومنه قرأت الكتاب قراءة وقرآنا[5]، وسمي القرآن لأنه جامع للسور[6]،جاء في اللسان:«...والقرآن والأصل في هذه اللفظة الجمع، وكل شيء جمعته فقد قرأته ،وسمي القرآن لأنه جمع القصص والأمر والنهي، والوعيد ،والآيات والسور بعضها إلى بعض»[7].

فالقرآن من قرأ بمعنى جمع وضم بعضه إلى بعض، قالت العرب:« وما قرأت جنينا قط أمي لم يضطم رحمها على ولد»[8]، وفي معنى آخر لم تلقه، ومنّه معنى قرأت القرآن لفظت به مجموعا أي ألقيته، والهمزة في قرأ ثابتة وقد تخفف،

---

[1]ـ الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة- تعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها-، أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)، تحقيق: د/ أحمد حسن فرحات، دار عمار، ط3؛ 1417هـ/ 1996م، ص231.

[2]ـ ينظر: الظواهر الصوتية والصرفية والنّحوية في قراءة الجحدري البصري (ت28هـ)، د/عادل هادي العبيدي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1؛ 1425ه/2005م، ص18.

[3]ـ الخصائص، ابن جنَّي، 153/3.

[4]ـ لسان العرب، ابن منظور، 128/1.

[5]ـ المصدر نفسه ، 128/1.

[6]ـ الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري (ت28هـ)،د/ عادل هادي العبيدي، ص18.

[7]ـ لسان العرب، ابن منظور، 124/1.

[8]ـ المصدر نفسه ، 123/1.

وقد تحذف الهمزة منّه تخفيفا فيقول قرآن، وقريت وقار[1]، ويرى **ابن جنّي** أن الهمزة في قرأ أصلية ،وحين إبدالها تصبح قريت مبدلة من قرأ [2].

ويروي عن **الشافعي** أنّه قرأ القرآن على إسماعيل بن قسطنطين، وكان يقول:« القرآن اسم ،وليس بمهموز ولم يؤخذ من قرأت، ولكنه اسم لكتاب الله ،مثل التوراة والإنجيل ، ويهمز قرأت ولا يهمز القرآن»[3] ، وهذا ما ذهب إليه **ابن القيم الجوزية**[4]، في أن معنى الجمع والاجتماع ليس من معاني قرأ، والقرآن بالهمز، إذ يقرأ هناك فرق بين قرى يقرى ،و قرأ يقرأ، فالأولى يقصد بها الجمع، أما المهموز فيحمل معنى الظهور، والخروج على وجه التوقيت والتحديد ،ومنه قراءة القرآن ،لأن قارئه يخرجه مقدارا محدودا لا يزيد ولا ينقص[5].

اصطلاحا: في اصطلاح القراءة نجد تعاريف كثيرة، متقاربة، وأخرى فيها بعض الاختلاف ،ويمكن أن نورد في مفهوم القراءة قول **ابن الجزري** في كون القراءة هي:« علم كيفية أداء الكلمات القرآنية واختلافها معزوا لقائله»[6] ،أو أنها «علم بكيفيات أداء كلمات القرآن الكريم من تخفيف وتشديد، واختلاف ألفاظ الوحي في الحروف»[7]، ورغم ابتعاد الزمن بين التعريفين إلا أنهما يتفقان في أهم عنّاصر القراءة، وهي العلم وكيفية الأداء، ومن التّعريفات الأكثر تبسيطا وتوضيحا لمفهوم القراءة نجد:«النطق بألفاظ القرآن كما نطقها النبي صلى الله عليه وسلم ،أو كما نطقت أمامه فأقرها، سواء أكان النّطق باللفظ المنقول عن النبي صلى الله عليه وسلم فعلا أم تقريرا، واحدا أم متعددا»[8].

---

[1]- لسان العرب، ابن منظور ، 124/1.
[2]- الخصائص، ابن جني، 153/3.
[3]- لسان العرب، ابن منظور، 124/1.
[4]- زاد المعاد في هدي خير العباد، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط7؛ 1407، 1/ 326.
[5]- القراءات القرآنية نشأتها، أقسامها، حجتها، د/ خير الدين سيب، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ص14.
[6]- منجد المقرئين ومرشد الطالبين، محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، تحقيق: محمد حبيب الله الشنقيطي، أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ص03.
[7]- القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، دار الاتحاد العربي للطباعة، ط1؛ 1404ه/ 1984م، 10/1.
[8]- القراءات القرآنية تاريخ وتعريف ،د/عبد الهادي الفضلي، دار العلم للملايين، بيروت ،ص56.

وأهم ما يمكن أن تجمع عليه هذه التعريفات وغيرها، يكمن في كون القراءة علم مضبوط منقول عن النبي صلى الله عليه وسلم كما أنزل عليه من الله سبحانه وتعالى، وكما نقلت عن شخصه صلى الله عليه وسلم، فهي كما نطق به الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وفقا ،وطبقا لما سمعه وعلمه إياه جبريل عليه السلام[1]، ومن هنّا يتبيّن أن القراءات منزّلة، فهي وحي بدليل الأحاديث النبويّة الصحيحة.

فعن عمر ابن الخطاب- رضي الله عنه- قال:« سمعت هشام بن حكم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئنيها الرسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة*، فتبصرت** حتى سلم، فلببته*** بردائه، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ، قال: أقرأنيها رسول الله، فقلت: كذبت فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به أقوده إلى رسول الله فقلت، إني سمعت هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، فقال رسول الله: أرسله، اقرأ يا هشام، فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ ، فقال رسول الله: كذلك أنزلت ثم قال: اقرأ يا عمر، فقرأت التي أقرأني، فقال رسول الله: كذلك أنزلت، إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرءوا ما تيسر منه .»[2]

يؤكد هذا الحديث أن القراءات القرآنية، ومنّه القرآن الكريم قد تناقله الصحابة مشافهة ،وسماعا عن النّبي صلى الله عليه وسلم، وذلك لمعرفة كيفية أداء الحروف، ونطق الأصوات وهذا دليل على أن القراءات أشياء لا تحكم إلا بالسماع والمشافهة[3]، وهي في مجال التقنين ،والتعقيد لا تعزل عن بقية المصادر اللغوية وهي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر ومأثور والنثر[4].

---

[1]- القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، 10/1

***- أي أواثبه، وأقاتله، يقال سَاوَرَ فلان فلانا، إذا وَثَبَ إليه وأخذ برأسه .**

****- أي تكلفت الصبر، وأمهلته حتى فرغ من صلاته.**

*****- أي جمعت ثيابه عند صدره، ونحره، مأخوذ من اللبتة بفتح اللام وهي المنحر.**

[2]- فضائل القرآن ،حديث هشام، صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن برد زية البخاري الجعفي، ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، رقم الحديث 4992، 417/5

[3]- القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، 10/1.

[4]- البحث اللغوي عند العرب، د/تمام حسان ، ص25.

- **التّجويد:**

لغة: يعرف التّجويد في اللغة عادة بأنّه التحسين[1]، وقد يكون التّجويد من جاد جود، ومنه الجيّد ضد الرديء[2]، وجاء عند ابن منظور: «جَادَ الشيء... أي صار جيدا، وأجدت الشيء فجاد والتجويد مثله... وأجاد أتى بالجيد من القول أو الفعل»[3]، إذا أتى بالقراءة مجودة الألفاظ، وهو تقويم حروفها، وإعطاؤها حقها، وتوفيتها واجب مستحقها من غير إفراط، ولا تفريط، ولا تكلف، ولا تعسف، ولا تخليط، سالمة من تمضيغ اللسان وتقعير الفم، وتعويج الفك، وتقطيع المد، وتطنين الغنات، وحصرمة الراءات، إلى غير ذلك مما تنفر عنه الطباع، وتمجه القلوب والأسماع[4].

اصطلاحا: علم يبحث فيه عن مخارج الحروف وصفاتها، ويسمى (**علم الأداء**)[5]، قيل موضوعه الكلمات القرآنية، يعني حروفها، وفيه نظر، لأنّه يبحث فيه عن أحوال الحروف أينما وقعت، فلعله من علوم العربية، وداخل في التصريف ولذا جعل جزءا من بعض كتبه (الشافية)، ولما أفرد العلماء عن كتب التصريف لمعرفة أحوال حروف القرآن لا يبعد أن يصطلحوا على أنها موضوعه[6]، فهو يتصل بالقراءة والتلاوة، ويؤكد ذلك **ابن الجزري** في قوله:« فالتّجويد هو حليّة التّلاوة وزينة القراءة»[7]، وهو أقصى درجات ضبط القراءة وتحقيق التلاوة، فهو حيلة وزينة وما هو إلا قراءة بالتحقيق، والذي يرتبط غالبا، وهذا ما نجده صريحا

---

[1]- ينظر : الملخص المفيد في علم التجويد، محمد أحمد مفيد، مطبعة دار السلام، القاهرة، مصر، ط04؛ 1418ه /1998، ص10.
[2]- لسان العرب، ابن منظور، 110/4.
[3]- المصدر نفسه ، 110/4.
[4]- لطائف الإشارات لفنون القراءات، الإمام شهاب الدين القسطلاني، تحقيق وتعليق: عامر السيد عثمان، عبد الصبور شاهين، 207/1.
[5]- المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد، ابن أم قاسم المرادي المالكي، تحقيق: جمال السيف رفاعي، صححه وقدم له: الشيخ محمود حافظ رانق، د/ حامد بن خير الله، مكتبة أولاد الشيخ تراث، ص56.
[6]- جهد المقل، محمد بن أبي بكر المرعشي الملقب بساحقلي زاده (ت115هـ)، ص109.
[7]- النشر في القراءات العشر، ابن جزري، 212/1.

في قوله:« فأعطو كل حرف حقه ،ونزلوه منزلة وأصلوه مستحقه، من التجويد، والإتقان و الترتيل والإحسان»[1].

واستقر مصطلح التجويد وشاع استعماله في القرن الخامس بعد الهجرة بظهور مؤلفات مهمة تقعد له وتؤسس، فكان أوّل من استعمل مصطلح التجويد بعد ابن مجاهد أبو الحسن علي بن جعفر السعيدي **(ت 410هـ)** في كتابه التنبيه على اللحن الجلي ،واللحن الخفي[2].

ثم نضج على يد علماء أمثال مكي بن أبي طالب القيسي **(ت437هـ)**، وأبي عمرو الداني (ت444هـ) ،وإليهما ينسب الفضل في تأسيس وإرساء علم التجويد، فبعد كتاب التنبيه على اللحن الجلي، واللحن الخفي للسعدي... يظهر في الأندلس كتابان كبيران في علم التجويد، هو الرعاية لمكي بن أبي طالب القيسي (437هـ) ، والتحديد لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت444هـ)[3].

وينقسم التجويد إلى قسمين:

- تجويد عملي وتجويد علْمِي:

والمقصود **بالعَمَلي** أي التّطبيقي: تلاوة القرآن الكريم تلاوة مجودة كما أنزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم[4]، أما **العِلْمي** (النظري) المقصود به معرفة قواعده وأحكامه العلمية[5]، فالمتصفح لكتب القراء والتجويد يرى أن علم القراءات وعلم التّجويد ميدانهما واحد هو قراءة القرآن، إلا أن علم التجويد يعتني بدراسة حقائق الأصوات بينما علم القراءات يعني بوجوه النّطق المروية[6].

ولخص **محمد المرعشي (ت1150ه-)** الفرق بين العلمين بقوله:« اعلم أن علم القراءة يخالف علم التّجويد، لأن المقصود من الثّاني معرفة حقائق صفات الحروف ،مع قطع النّظر عن الخلاف فيها مثلا: يعرف في علم التّجويد أن حقيقة

---

[1]- المصدر نفسه ، 212/1.
[2]- علم التجويد – دراسة صوتية ميسرة-، د/ غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ، ط1؛ 1426هـ/2005م، عمان، ص24.
[3]- الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، د/ غانم قدوري الحمد، ص17.
[4]- غاية المراد في علم التجويد، عطية قابل نصر،القاهرة، ط4، 1414هـ/1994م، ص35.
[5]- المصدر نفسه، ص39.
[6]- علم التجويد – دراسة صوتية ميسرة_ ، د/ غانم قدوري الحمد، ص23.

التفجيم كذا، و حقيقة الترقيق كذا، وفي علم القراءة يعرف فَخَّمَها فلان وَرَقَّقَهَا فلان».[1]

ورغم ذلك فقد يتداخل المصطلحات في الاستعمال كون أصول ،وقواعد التجويد كانت موجودة لكن غير معلنة ومصرح بها ،فتنضوي تحت لواء القراءة فيكون المجود قارئا ،والقارئ مجودا فحدود التجويد والقراءة التجاوز، إذا عرفنا أن التجويد مهمته تحليل النظام الصوتي والمنطقي، والقُراء حسن إتباع ما وصل إليه التجويد وتطبيقه، فعلم التجويد يدرس النّظام الصّوتي للّغة حيث كان موضوعه تحليل ذلك النظام واستخلاص ظواهره ،ووضعها في قواعد تساعد المتعلم على ضبطها وإتقانها حين يستخدم اللغة[2] ،ولا يغفل هذا القول علم التجويد وأحكامه في أثار بالغة على اللّغة في كشف وضبّط قواعدها انطلاقا من نطق أصواتها ،ولفظ حروفها مفردة ومركبة.

- **التَّرتيل:**

التّرتيل من الرَّتْل، و رَتَل ،والرَّتْلُ حسن تناسق الشَّيء، ومنه جاء كلام رتَّل أي حسَّن، لأنه متناسق يذكر على تِؤدة، ورتّل الكلام أحسن تأليفه[3]، والعرب تقول: ثَغْرٌ رَتَلُ، إذا كان مفرقا لم يركب بعضه بعضا، قال صاحب العين: « رَتَّلَت الكلام تمهلت فيه»، وقال **الأصمعي**: « في الإنسان الرتّل وهو أن يكون بين الأسنان الفُرَجُ، لا يركب بعضها بعضا، وحده: ترتيب الحروف على حقها في تلاوتها، بتلبث فيها»[4]،ومنه الترتيل مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾[5] ،وعن أبي مجاهد أن التَّرْتيل هنا التَّرَسُل والتَّأن فيه[6] ،أما **أبو عمر والدّاني** (ت444هـ) فيقول:« أي أنزلناه على الترتيل وهو التمكث، وهو ضد العجلة»[7] ، يعني فسر

---

[1]- ترتيب العلوم، محمد بن أبي بكر المرعشي، تحقيق: نجلاء قاسم عباس، منشورات مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد، 1404هـ/1984م، ص64.
[2]- علم التجويد – دراسة صوتية ميسرة، د/ غانم قدوري الحمد، ص50
[3]- لسان العرب، ابن منظور، 248/1.
[4]- التمهيد في علم التجويد، شمس الدين أبي الخير محمد بن الجزري (ت833هـ)، ص60.
[5]- سورة المزمل، الآية: 04.
[6]- النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 208/1.
[7]- التحديد في الإتقان والتجويد، أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني، الأندلسي، تحقيق: غانم قدوري الحمد، ص 71-74.

المكث بالترسل[1]،كما في قوله تعالي: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾[2].

أما ابن عباس ففسر التّرتيل في قوله تعالى: ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴾[3] بالتبيين أيْ :بيَـنَه تبييناً[4]، وهو أفضل مراتب القراءة الثلاث (**التَّرتيل والتدوير*، والحدر****)[5]، لأن قراءته تأتي سلسة غير متراكبة الألفاظ ولا متلاحمتها، مما يتسنى معه التدبر، ولا يتأتى الترتيل إلا لمن عرف التحقيق، وتمرس به حتى سلس له الأداء المرتل"[6].

ويرتبط التحقيق بالتَّرتيل بل التحقيق داخل في الترتيل، باعتبار التحقيق الإتيان بالشيء على حقه من غير زيادة فيّه ،ولا نقصان والحق اسم من حقق عرف يقينا، فالتّرتيل يكون للتدبّر والتّفكر والاستنباط، والتحقيق لرياضة الألسن ،وترقيق الألفاظ الغليظة وإقامة القراءة، وإعطاء كل حرف حقه من المد ،والهمز ،والإشباع ،والتفكيك، ويؤمن معه تحريك ساكن واختلاس حركة متحرك[7] ،وبعض العلماء يرى أن التحقيق والتّرتيل بمعنى واحد[8]، إلا أن المصطلحات تتعدّد وتتقارب وقد تتطابق في تبيّين أصول قراءة القرآن ، ويتّفق علماء التجويد والقراءة على معظمها في توضيح ما يستحب وما يستهجن في القراءة، وقد وضع **القرطبي(ت461هـ)** ذلك في فصل في ذكر كيفية القراءة ،وبيان ما يستقبح منها ويستحسن ،ويختار منها ويستهجن[9].وذَيّل بما يمكن أن يعيق القراءة الصحيحة بالالتزام بأصول التَّرتيل والتحقيق[10] وغيره، فكتاب الله تعالى يقرأ بالتّرتيل

---

[1]- المصدر نفسه، ص73.
[2]- سورة الإسراء، الآية :17.
[3]- سورة المزمل، الآية : 04.
[4]- النشر في القراءات العشر، ابن جزري، 208/1.
***- التدوير: قراءة في القرآن الكريم بحالة متوسطة من الاطمئنان ،والسرعة مع مراعاة الأحكام.**
****- الحدر: قراءة القرآن بسرعة مع المحافظة على أحكام التجويد.**
[5]- البرهان في تجويد القرآن، محمد الصادق قمحاوي، ص06.
[6]- المختصر في أصوات اللغة العربية – دراسة نظرية وتطبيقية- د/ محمد حسن حسن جبل، ص213.
[7]- التحديد في الإتقان والتجويد، أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، ص 71-74.
[8]- الإيضاح في القراءات العشر، أحمد بن أبي عمر الأندرابي (ت470هـ)،أطروحة دكتوراه، دراسة وتحقيق: منى عدنان غنى ،كلية التربية للبنات في جامعة تكريت، إشراف: غانم قدوري الحمد، 2002 م، ص66.
[9]- الموضح في التجويد، تأليف عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت461هـ)، تحقيق: الشيخ جمال محمد شرف، دار الصحابة للتراث بطنط، ط1؛ 1416هـ/2005 م، ص182.
[10]- الموضح في التجويد، تأليف عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت461هـ)، ص187-188.

والتحقيق وبالحذر والتخفيف ،وبالهمز وتركه، وبالمد وقصره، وبالبيان والإدغام، وبالإمالة والتفخيم ،فهذه كلّها لا تكون إلا إذا كان لسان القارئ لا تعيبه بعض أمراض النّطق كالحبسة ،و اللثغة مثلا.

وهذا يدلُّ على أن التَّرتيل القرآني يعدُّ من قبيل الدراسات الصَّوتية ،وما هو إلا نشّاط صوتي يتشكل من توالي الأصوات وفق مخارجها ،وصفاتها في نظام بديع ،إنَّما هو حديث عن الصورة الصوتية التّي نزل بها القرآن الكريم مرتلا من جبريل عليه السلام، واستمع إليه رسول الله –صلى الله عليه وسلم- ثم نقله إلى أصحابه الذين نقلوه إلى الدّنيا كلها فيما بعد حتى صار علما قائما بذاته[1].

2- أهمية الدّراسة الصّوتية في علم التجويد:

كان علماء العربية من النّحاة ،واللغويين قد سبقوا علماء التجويد في دراسة الأصوات العربية ودراستهم لها تتناسب مع حاجة الموضوعات التي كانوا يعالجونها، فالذي يقرأ مقدمة معجم (**العين**) للخليل بن أحمد، وهي الجزء الذّي لا يختلف اللغويون حول صحة نسبته إلى الخليل، كما قال الأزهري قديما نجدّ أن دراسة الخليل للأصوات كانت لأغراض تتعلّق بالمعجم وتنظيمه، وبالكلمات وأبنيتها[2]، أما دراسة سيبويه فكانت ترتبط بموضوع الإدغام بعد أن ذكر عدد حروف العربية ،و بيَّن مخارجها وصفاتها ،وكذا ابن جنَّي الذّي بين خطتّه في الكتاب –كما سبق وأن ذكرنا- فكانت دراسة الأصوات عند علماء العربية ترتبط بأغراض معينة في الموضوعات التّي كانوا يبحثونها، ولم تكن تتبّع نظرة شاملة مستقلة تهدف إلى بيان النظام الصّوتي للغة العربية ،وما يخضع له ذلك النظام من الاعتبارات الصوتية في الكلام المنطوق، وليس هذا من باب النقد أو الطعن على جهود علماء العربية، وإنما هو من باب تقرير الحقائق لنحدّد بالموازنة اتجاهات علماء التجويد في دراسة الأصوات[3].

أما علماء التجويد فإن دراستهم للأصوات كانت ترتبط بشكل أساسي بمعالجة ما سموه باللحن الخفي، فقد قسموا اللحن إلى قسمين هما: **اللحن الجَلِي** ،وهو الخطأ الظاهر في الحركات خاصة، وقالوا: بأنه ميدان عمل النّحاة والصرفيين، **واللحن**

---

[1]- التّرتيل القرآني مفهومه وأثره في اللغة- دراسة صوتية تحليلية-، براءة نور الدين الصباغ ، رسالة ماجيستر،كلية الآداب جامعة الشرق الأوسط؛ كانون الأول 2011-2012 م، ص44.

[2]- ينظر: معجم العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، 1/ 47-48.

[3]- الدراسة الصوتية عند علماء التجويد، د/ غانم قدوري الحمد، ص46.

الخَفِي ،وهو الخلل الذّي يطرأ على الأصوات من جراء عدم توفيها حقوقها من المخارج ،أو الصفات، أو ما يطرأ لها من الأحكام عنّد تركيبها في الكلام المنطوق، وقالوا بأن هذا هو ميدان عمل علماء التجويد، وهو يستلزم في نظرهم دراسة ثلاثة أمور: مخارج الحروف، صفاتها وأحكامها التركيبيّة، وهذه هي عناصر علم التجويد الأساسية[1] ،بالإضافة إلى رياضة اللسان بذلك وكثرة التّكرار[2].

فهناك علاقة جدليّة لا انفكاك لها بين علم الصّوتيات وعلم التجويد، ذلك أن علم التجويد إنما هو علم صوتي في أصوله ،وفروعه ومقرراته، وبينما نجد علم التجويد غَلَب عليه طابع الثبات ،والاستقرار لأنّه يتعلق بالنقل والتوفيق،إلا أن علم التجويد استخلص المادة الصوتية من مؤلفات النّحويين ،واللغويين وعلماء القراء القدامى وصِيّغ منها هذا العلم، وواصل علماء التجويد أبحاثهم الصوتية مستندين إلى تلك المادة ،وأضافوا إليها خلاصة جهدهم حتى بلغ علم التجويد منزلة عالية من التّقدم في دراسة الأصوات اللغوية[3].

أما علماء القراء فإنهم كانوا مشغولين برواية النّص القرآن الكريم، وضبط حروفه كما نقلها علماء القراء طبقة، طبقة حتى تنتهي إلى طبقة الصحابة رضوان الله عليهم، الذين تلّقوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد بين مكي وغيره من العلماء الفروق بين علم التجويد وعلم القراءات، بما لا يتسع المقام لذكره هنّا، فالواقع أن قرَّاء القرآن كانوا يعينون غاية الاعتناء بتجويد الألفاظ ،وإعطاء الحروف حقّها منذ عصر الصحابة، حتى عصر ظهور المؤلفات في علم التجويد ،وكانوا يستندون في ذلك إلى الرواية الأكيدة ،والأصول المرعبة عند العرب في نطق لغتهم أما أصول علم التجويد ، وقواعده كانت موجودة في الكلام العربي، يحرص عليها القراء، ويعتمدون عليها في قراءتهم وإقرائهم، إن لم تكن مدوّنة، شأنها في ذلك شأن قواعد النّحو، والصرف التي استنبطها علماء العربية في وقت لاحق، فعلم التجويد الذي يدرس النظام الصّوتي للغة، كان موضوعه تحليل ذلك النظام ،واستخلاص ظواهره ووضعها في قواعد تساعد المتعلّم على ضبطها

---

[1]- المصدر نفسه ، ص48.
[2]- المفيد في شرح عمدة المجيد في علم التجويد، قاسم المرادي، ص57.
[3]- الدراسات الصوتية الحديثة وعلم التجويد، د /محمد أحمد الجمل، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد السابع، العدد 1 ؛ 1432هـ/ 2011 م، ص37.

،وإتقانها حين يستخدم اللغة، وهم في ذلك يسيرون على خطى علماء العربية الذين سبقوهم في هذا الميدان[1].

كما يتميّز منهج علماء التجويد، أعني طريقتهم في دراسة الأصوات اللغوية، بأنه منهج شامل استغرق جميع المباحث المتعلّقة بعلم الأصوات النّطقي، وبأنه منهج صوتي خالص لم تختلط فيه الدراسة الصوتية بما عداها من الموضوعات ،حيث يقول **الدّاني** في هذا الباب :« اعلموا أن قطب التجويد ،وملاك التحقيق معرفة مخارج الحروف وصفاتها التّي بها ينفصل بعضها من بعض، وإن اشترك في المخرج »[2]، ويقول **أبو العلاء الهمذاني العطار (ت569هـ)** في كتابه (**التمهيد في التجويد**): «اعلم أن هذا الباب من أشرف أصول القراءة ،وأهم فصول التّلاوة ،وذلك أن الحروف أصل الكلام كلّه ،وعليها مدار تألفيه، ثم من يقرأ القرآن ويتعاطى هذا الشّأن متى ما لم يتقن مخارج الحروف ،وأجناسها لم يقف على الخلل الواقع فيها، ولم يهتد إلى تجويد القراءة وتهذيبها، وكان كمن رام قطع تيهٍ بلا دليل، وإصعاد قُنَّة نيقٍ بلا ما سبيل، فإذا عرف الحروف وأتقنّها، ولاحظ أجناسها وأحكامها، ثم انضاف إلى ذلك طبع يتقبل هذا الشأن، ويمتزج به أشفى به ذلك على القراءة الصحيحة والألفاظ القويمة»[3] .

فينبغي لقارئ القرآن أن يعرف ما يحدث بعض الحروف في بعض من النّقصان لاستطالة حرف على حرف في التجاور، ويستشعر بعضها من بعض في تداخل المخارج[4].ومن هنا تظهر أهميّة الدراسة الصوتية بالنّسبة لعلم التجويد ،ومقدار عنايّة علماء التجويد بالتدريب العلمي لنطق الأصوات بمعنى استغرق الكلام على الموضوعات الأساسية في (**علم الأصوات النّطقي**)، وهي:

1- إنتاج الأصوات اللغوية وتقسيمها، ويتضمن ذلك دراسة آلة النطق ومخارج الحروف وصفاتها.

2- دراسة ما ينشأ عنها من الأحكام، أي الظواهر الصّوتية، عند تركيبها في الكلام المنطوق.

---

[1]- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د/ غانم قدوري الحمد، ص22-23.

[2]- التحديد في الإتقان والتجويد، أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، ص16-17.

[3]- التمهيد في علم التجويد، شمس الدين أبي الخير محمد بن الجزري (ت833هـ)، ص141

2 - الإيضاح في القراءات العشر ، منى عدنان غنى ،أطروحة الدكتوراه ،إشراف :د/ غانم قدوري ،ص68ـــ67

3- رسم منهج تعليمي للأصوات يتمثل في التّلقي المباشر عن المعلم المتقن أولا ،ثمّ التدريب المستمر على نطق الأصوات ثانيا، وهو ما عبّر عنّه علماء التجويد.
4- معالجة عّيوب النّطق أو أمراض الكلام[1].

وإن مما لا يخفى أن العلماء الأقدمين لم يكن عنّدهم من أدوات العصر الحديث، ما يحددون به المخرج والصفة ،ومع هذا فقد أظهر الباحثون المعاصرون الذّين أجروا دراسات على التجويد من خلال علم الأصوات الحديث، دقة وعمق ما توصل إليّه علماؤنا في معرفة هذه القضايا من وصف دقيق لجهاز النطق ،ووظائف أعضائه عندما أرادوا أن يرتلوا القرآن ترتيلا، فكانوا أوّل الرّواد لعلم الأصوات اللغوية، وعلى الكثّير من ملاحظاتهم بيّنت المباحث الحديثة في مخارج الحروف وصفاتها[2].

فالبحث في أهمية الدراسات الصّوتية في علم التجويد، إنّما هو بحث في أساسيات هذا العلم ومنطلقاته، فعلم التجويد قائم أصلا في البحث الصوتي، فهو علم **(صَّوتي)** تشكل المادة الصوتية للحروف مفردة ،ومركبة في كلماتها وجملها لحمته وسداه.

3- الأحكام التّعاملية للأصوات في القراءات القرآنية :

إن الأصوات لا تقدّم وظيفة تواصلية ،وإن كانت المادة الرئيسية لها من دون أن تتحول من المستوى المجرد إلى المستوى المادي المتصل أيّ أن تدخل في سياقات صوتية منطوقة، للتّعبير عن المعاني المرادة من التواصل،ومادام التّجاوز حاضر في السياقات الصّوتية، والأصوات ذات سمات صوتية ومخارج متنوّعة متقاربة ومتوسطة ومتباعدة، سيحصل تأثر وتأثير بين الأصوات[3]، وكان علماء التّجويد قد أولوا هذا الموضوع عنّاية كبيرة، وكانت دراستهم لمخارج الأصوات وصفاتها لغرض توضيح ما يلحق كل صوت من تغيير في الكلام المنطوق[4].

وقد رصد علماؤنا القدامى هذا التّعامل الصّوتي بين الأصوات ذات السياقات الصوتية المتقاربة في البنيّة والنّطق، وأنتجوا بذلك الكثّير من المصطلحات ،والمفاهيم المعتبرة عن اشتغال تلك المصطلحات، بوصفها وسائل لنقل النظريّة

---

[1]- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د/ غانم قدوري الحمد، ص64.
[2]- دراسات في فقه اللغة، د/صبحي صالح، ص 275-276.
[3]- المدارس الصوتية عند العرب- النشأة والتطور-،د/ علاء جبر محمد، ص121.
[4]- علم التجويد – دراسة صوتية ميسرة_ ، د/ غانم قدوري الحمد، ص81.

إلى حيز الإجراء، ولا يأتي التّعامل الصوتي بين أصوات السيّاق الصوتي الواحد على نحو التأثر ،والتأثير فقط، بل تعداه إلى جملة أحكام أخرى تتفاوت فيّها بوادر التعامل الصّوتي بين الأصوات المتجاورة[1]. يتحدّد هذا الأداء الصّوتي بحضور حالتي: التأثر والتأثير بين أصوات السياق الصّوتي، ويؤدي هذا الأداء إلى واحد من أمرين:

-إذابة بعض الأصوات بسبب التعامل: كليا أو جزئيا.

- إضفاء بعض السمات الصوتية التي لم تكن موجودة قبل التعامل، وعلى هذا الأساس سنعرض الأحكام الأصوات بحسب وجهة نظر علماء التجويد، مع مراعاة هذين الأمرين:

أ/ أحكام النون الساكنة والتنوين (الغنّة) :

للنون الساكنة والتنوين أربع أحكام حسب نوع الصوت الذّي يليّها وهي: الإظهار والإقلاب والإخفاء والإدغام.

فقد يحدث للنّون الساكنة أو التنوين نوع من التأثير، أو التأثر نتيجة مجاورتها لأي من الأصوات العربية عدا أصوات الحلق الستة وهي:(الهمزة، والهاء، و العين ،والغين ،والحاء ،والخاء)، هذا التأثير أو التأثر قد يكون كاملان ،وقد يكون جزئيا ،وأن النون الساكنة والتنوين تجمع بين الصفات الأنفية ،والفموية وتأثر النون لا مجاورة قد يقتصر على تغير معتمد اللسان في الفم، ويبقى مجرى النفس من الأنف ،وقد يشمل المعتمد والمجرى حين يفنى صوت النون في الصوت الذّي يليه فناء تاما[2]، وهذا الفناء التّام هو ما درج علماء الأصوات على تسميته بالإدغام الكامل الذّي يحدث للنون ،والتنوين إذ التقتا بأحد حرفي اللام والراء، إلا أن بعض الأصّوات يمكن أن تؤثر في النون تأثيرا كاملا وتأثير ناقصا، في الوقت نفسه، وهي حينئذ تتأرجح بين حالتي الإدغام والإخفاء[3].

وفيما يأتي سنتناوّل هذه الأحكام:

- **الإظهار:** تعدّ النون المظهرة الصورة الأصلية للنون، وتتّصف بجميع الصفات وتخرج من

[1]- المدارس الصوتية عند العرب- النشأة والتطور-، د/ علاء جبر محمد، ص122.
[2]- الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، د/ غانم قدوري الحمد،434.
[3]- المصدر نفسه ، ص434.

المخرج الذّي حددناه لها ،وتكون النون مظهرة إذا وقع بعدها حرف من حروف ستّة التّي ذكرت سابقا ،وهذه الحروف أسماها اللّغويون العرب حروف الحلق، وهو ما تتّفق معه معطيات البحث الحديثة التي كشف عنّها علماء التّشريح فيما يتعلّق بامتداد البلعوم... لا سيما إذا أخذنا في الاعتبار أن الخاء ،والغين في اللّغة العربية ليست من الطبق ،كما هو حالها في النّطق الاسكتلندي للإنجليزية ،واللغة الألمانية فيما يتعلق بالخاء، وفي الإغريقية الحديثة، وبعض اللهجات الروسية فيما يتعلق
بالغين[1]، **ومن أمثلة هذا الحكم:**

حرف الإظهار	مثاله مع النون من كلمة	مثاله مع النون في كلمتين	مثاله مع التنوين
الهمزة	﴿ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ ﴾ [2]	﴿وَمَنْ أَعْطَى﴾[6]	﴿ كِتابٌ أَنْزَلْنَاه﴾[10]
الهاء	﴿ يَنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾[3]	﴿ومَنْ هَاجَرَ﴾[7]	﴿ جُرِفٍ هَارٍ ﴾[11]
العين	﴿ وَالْأَنْعَامَ ﴾ [4]	﴿ منْ عَلَق ﴾[8]	﴿ وَاسع عَلِيم ﴾[12]
الحاء	﴿ يَنْحِتُونَ ﴾[5]	﴿مَنْ حَادَّ الله ﴾[9]	﴿عزيزُ حَكِيمُ﴾[13]
الغين	﴿ فَسَيُنْغِضُونَ ﴾[14]	﴿مِنْ غِسْلِينٍ﴾[2]	﴿قولا غَيْرَ﴾[4]
الخاء	﴿ وَالْمُنْخَنِقَةُ ﴾[1]	﴿مَّنْ خَشِيَ﴾[3]	﴿لَطِيفُ خَبِيرٌ﴾[5]

[1]- ينظر: اللغة وعلم اللغة، جون ليونز، ترجمة: د مصطفى زكي التوني، دار النهضة العربية؛ 1988م، 1/105-106.
[2]- سورة الأنعام، الآية: 26.
[3]- سورة الأنعام، الآية: 26.
[4]- سورة النحل، الآية: 05.
[5]- سورة الحجر، الآية: 82.
[6]- سورة الليل، الآية: 05.
[7]- سورة الحشر، الآية: 09.
[8]- سورة العلق، الآية: 02.
[9]- سورة المجادلة، الآية : 22.
[10]- سورة إبراهيم، الآية: 01.
[11]- سورة التوبة، الآية: 109.
[12]- سورة المائدة، الآية: 54.
[13]- سورة البقرة، الآية: 129.
[14]- سورة الإسراء، الآية: 51.

أمّا **عبد الوهاب القرطبي،** فعمَّم هذا الحكم على الأصوات جميعا، ضمن قيود معينة، لأن الإظهار لحكم يجب عنّد اجتماع حرفين تباعدا ،إما في المخرج، أو في الخاصية[6]، ومن أمثلة هذا الحكم قوله تعالى: ﴿ مَنْ آمَنَ﴾[7]، و ﴿ينهون﴾[8] ،و ﴿أَنْعَمْتَ﴾[9] ،و ﴿مَنْ حَادَّ الله﴾[10]،و ﴿مِّنْ غِلٍّ ﴾[11] ،و ﴿مَنْ خَيْلٍ﴾[12].

ومراتب **الإظهار** ثلاثة: أعلى عند الهمزة والهاء، وأوسط عند العين والحاء، وأدنى عند الغين والخاء، وإليك شاهد الإظهار من التّحفة قال:

للنُون إن تَسْكُن وللتَنْوين أَرْبَع أَحْكَام فَخُذ تَبْييني
فالأَوْلُ الإظْهَارُ قَبْل أَحْرُف للحَلَق ستٌّ رُتبَتْ فَلْتَعْرف
هَمز فَهَاءٌ ثُم عَيْن حَـاءٌ مُهْمَلَّتان ثم غَيْنٌ خَــاء[13].

- **الإخفاء:**

الإخفاء هو النّطق بالحرف بصفة بين الإظهار ،والإدغام عاريا عن التشديد مع بقاء الغنّة[14]، في الحرف الأول (**أيّ الساكنة والتنوين)** والحجة لإخفائهما- أيّ النون الساكنة- عندهن يعني حروف بإخفاء الخمسة عشر أنهن لم يبعدن عنهما بعد الحروف الحلقية فيجب الإظهار، ولم يقرّ **بن قرب** حروف **(يرملون)**، أو يماثلهن كالنون فيجب الإدغام فأعطيّن حكما متوسطا بين الإظهار، والإدغام وهو

---

[1]- سورة المائدة، الآية: 03.
[2]- سورة الحاقة، الآية : 36.
[3]- سورة ق، الآية: 33.
[4]- سورة البقرة، الآية: 59.
[5]- سورة الحج، الآية: 63.
[6]- الموضح في التجويد، عبد الوهاب القرطبي، ص157.
[7]- سورة البقرة، الآية: 62.
[8]- سورة آل عمران، الآية: 104.
[9]- سورة الفاتحة، الآية:07
[10]- سورة المجادلة، الآية: 22.
[11]- سورة الأعراف، الآية:43
[12]- سورة الحشر، الآية:06.
[13]- البرهان في التجويد القرآن ويليه رسالة في فضائل القرآن ، د/ محمد الصادق قمحاوي، ص07.
[14]- غاية المريد في علم التّجويد، د/عطية قابل نصر، ص66.

(**الإخفاء**) ويكون تارة إلى الإظهار أقرب وتارة إلى الإدغام أقرب، وذلك على حسب بعد الحرف منهما وقربه، والفرق بين الإخفاء و،الإدغام أن الإخفاء لا تشد يد معه بخلاف الإدغام[1].

وكيفية الإدغام أن ينطبق بالنون الساكنة ،والتنوين غير مظهرين إظهارا محضا، ولا مدغمين إدغاما محضا بل بحالة متوسطة بين الإظهار والإدغام عاريين عن التشّديد مع بقاء الغنة فيهما[2] ،وليحترز من إلصاق اللسان فوق الثنايا العليا عند إخفاء النون، وطريق الخلاص من ذلك هو بعد اللسان قليلا عن الثنايا العليا عند النطق بالإخفاء[3] ،وحروف الإخفاء الحقيقي خمسة عشر حرفا، جمعها **الإمام الجَمْزُوري**، صاحب التّحفة في قوله في أوائل كلمات هذا البيت:

صِفْ ذَا ثَنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سَمَا دُمْ طَيِّبًا زِدْ فِي تُقىً ضَعْ ظَالِمَا[4]

وحروف الإخفاء على ثلاث مراتب، والإخفاء على ثلاث مراتب أيضا:

1- أعلاها عنّد الطاء والدّال، والتاء لقرب مخرج النون من مخرج هذه الحروف ،فيكون الإخفاء قريبا من الإدغام.

2- أدناها عند القاف والكاف لبعد مخرج النون عن مخرج هذين الحرفين، فيكون الإخفاء قريبا من الإظهار.

3- أوسطها عند الأحرف العشرة الباقية لعدم قربها منها جدا، ولا بعدها عنها جدا فيكون

الإخفاء متوسط بينهما[5].

وفيما يلي نموذج من الأمثلة:

---

[1]- المدارس الصّوتية عند العرب –النشأة والتطور-، د/علاء جبر محمد، ص125
[2]- أحكام قراءة القرآن الكريم، الشيخ المقارئ المصري محمود خليل الحصري (ت1401هـ)، ضبط نصه وعلق عليه: محمد طلحة بلال منيار، المكتبة المكية، دار الناشر الإسلامية، ص183.
[3]- إتحاف فضلا للبشر في القراءات الأربع عشر، الشيخ أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبنَّا، حققه وقدم له: د/ شعبان محمد اسماعيل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1؛1987، ص147 بتصرف.
[4]- الترتيل القرآني مفهومه وأثره في اللغة، دراسة صوتية تحليلية، رسالة ماجيستر، براءة نور الدين الصباغ، ص46.
[5]- غاية المريد في علم التجويد، عطية قابل نصر، ص69.

حرف الإخفاء	مثاله مع النون من كلمة	مثاله مع النون من كلمتين	مثاله مع التنوين
الصاد الذال الثاء الكاف الجيم	﴿يَنْصُرْكُمْ﴾[1] ﴿مُنْذِرٌ﴾[2] ﴿مَنْثُورَا﴾[3] ﴿يَنْكُثُونَ﴾ [4] ﴿أَنجَيْنَاكَ﴾ [5]	﴿ مِنْ صَلْصَال﴾ [6] ﴿ مَنْ ذَا الذِّي﴾ [7] ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ﴾ [8] ﴿ فَمَنْ كَانَ ﴾[9] ﴿إِنْ جَاءكُم﴾[10]	﴿ رِيحًا صَرْصَرًا﴾[11] ﴿ سِرَاعاً ذَلِك﴾ [12]. ﴿ مُّطَاعٌ ثُمَّ أَمِينٍ﴾ [13] ﴿كِرَامًا كَاتِينَ﴾ [14] ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [15].
حرف الإخفاء	مثاله مع النون من كلمة	مثاله مع النون من كلمتين	مثاله مع التنوين

- سورة آل عمران، الآية : 160.[1]
- سورة الرعد ، الآية : 07[2]
- سورة الإنسان ، الآية : 19[3]
- سورة الأعراف ، الآية :135 .[4]
- سورة طه، الآية :80 [5]
- سورة الحجر، الآية :26 [6]
- سورة البقرة، الآية:255 .[7]
- سورة القارعة ، الآية :06.[8]
- سورة البقرة، الآية: 184.[9]
- سورة الحجرات، الآية : 06.[10]
- سورة القمر، الآية :19. [11]
- سورة ق، الآية : 44[12]
- سورة التكوير ، الآية : 21 .[13]
- سورة الإنفطار ،الآية : 11.[14]
- سورة يوسف ، الآية :18 .[15]

القاف	﴿يَنْقَلِبُون﴾[1].	﴿فَإِنْ قَاتَلُوكُم﴾ [7].	﴿كتُبٌ قَيِّمَة ﴾ [13].
السين	﴿مَا نَنْسَخْ ﴾[2] .	﴿مِنْ سُلَالَة ﴾[8].	﴿عَابِدَاتٌ صَالِحَاتٌ﴾[14].
الدال	﴿أَنْدَادًا﴾ [3].	﴿مَنْ دَخَلَهُ﴾ [9].	﴿ قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ ﴾ [15].
الطاء	﴿يَنْطِقُون ﴾[4].	﴿مِنْ طَيِّبَاتِ﴾ [10].	﴿ شَرَابًا طَهُورَا ﴾[16].
الزاي	﴿أَنْزَلْنَاهُ﴾[5].	﴿مَنْ زكَاهَا﴾[11].	﴿ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ [17].
الفاء	﴿فانْفِرُوا﴾ [6] .	﴿مِنْ فَضْلِ الله﴾[12].	﴿ شَيْئًا فَرِيًا ﴾ [18].

[1] - سورة الشعراء ، الآية :227.
[2] - سورة البقرة ، الآية :106.
[3] - سورة البقرة ،الآية :22.
[4] - سورة الأنبياء ، الآية :63
[5] - سورة الدخان ، الآية :03
[6] - سورة النساء ، الآية :71.
[7] - سورة البقرة ، الآية :191.
[8] - سورة المؤمنين، الآية :12.
[9] - سورة آل عمران ، الآية:97.
[10] - سورة البقرة ، الآية :172.
[11] - سورة الشمس ، الآية :09.
[12] - سورة يوسف ، الآية :38
[13] - سورة البينة ، الآية:03.
[14] - سورة التحريم ، الآية :05.
[15] - سورة الأنعام ، الآية :99.
[16] - سورة الإنسان ، الآية :21.
[17] - سورة الكهف ، الآية :40.
[18] - سورة مريم ، الآية :27.

التاء	﴿ مُّنْتَهُونَ ﴾[1] .	﴿ وإنْ تَصْبِرُوا ﴾[4].	﴿ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ﴾[7].
الضاد	﴿ مَنْضُودٍ ﴾[2].	﴿ مِنْ ضَرِيعٍ ﴾[5].	﴿ قَوْمًا ضالِّينَ ﴾[8].
الظاء	﴿ فانْظُر ﴾[3].	﴿ مَنْ ظَلَمَ ﴾[6] .	﴿ قُرًى ظَاهِرَة ﴾ [9].

وإليك شاهد الإخفاء من التحفة قال:

وَالرَّابِـعُ الإِخْـفَاءُ عِنْـدَ الْفاصِـلِ مِـنَ الحُـرُوفِ وَاجِـبٌ لِلْفَاضِـلِ
فـي خَمْسَـةٍ مِنْ بَعْدِ عَشْرٍ رَمْزُهَا فِـي كِلْمِ هذَا البَيْتِ قَـدْ ضَمَّنْتُـهَا
صِفْ ذَا ثَـنَا كَمْ جَادَ شَخْصٌ قَدْ سمَا دُمْ طَيِّـباً زِدْ فِي تُـقَىً ضَعْ ظَالِـمَا[10]

- **الإدغام:** تناول القدامى علاقة النون بباقي حروف العربيّة حيث تتأثّر كثيرا بالمجاورة وخلصوا إلى أن النون عدة أحكام فونولوجية حسب الحرّف الذي يليّها[11]، لذا نجدّ دراساتهم ثرّة في هذا الباب، وتفصيلاتهم دقيقة جدا، وعليه جعلوا الإدغام على ثلاثة تقسيمات:

❖ الإدغام الكبير والصّغير:

إنّ مفهوم الإدغام الأصغر، هو مفهوم التّعامل العام المعروف بالإدغام، أي إدخال صوت في صوت آخر بمستويات متفاوتة من الإدخال والإذابة ،لكن **أبا عمرو بن العلاء (ت154هـ)** وضع نوعا آخر من الإدغام ميّزه عن الأوّل بقيود محددة (رفعك اللسان بالحرفين رفعة واحدة، ووضعك إياه بهما موضعا واحدا) ،وهو لا يكون إلا في المثلين أو المتقاربين[12]، وينقسم الإدغام إلى قسمين: صغير

---

[1]- سورة المائدة ، الآية :91
[2]- سورة الواقعة ، الآية : 29.
[3]- سورة النمل ، الآية :14.
[4]- سورة آل عمران ، الآية :120.
[5]- سورة الغاشية ، الآية :06
[6]- سورة الكهف ، الآية :87.
[7]- سورة النّحل ، الآية :14
[8]-سورة المؤمنون ، الآية :106.
[9]- سورة سبأ ، الآية :18
[10]- البرهان في تجويد القرآن ويليه رسالة من فضائل القرآن، محمد الصادق قمحاوي، ص09.
[11]- ينظر: الكتاب، سيبويه، 452/4
[12]- المدارس الصوتية عند العرب –النشأة والتطور-، د/علاء جبر محمد، ص127.

وكبير[1]، **فالإدغام الصغير** هو ما كان أول المثلين أو المتقاربين ساكنًا، ويقع في كلمة أو في كلمتين وله أحكامه الخاصة.

أما **الإدغام الكبير** فهو في الواقع في كلمة أو في كلمتين، ويكون بين متماثلين أو متقاربين[2] متحركين، ويتم في المتماثلين بحذف حركة الأول بتسكينة، ويتم في المتقاربين بتحويل الأول منهما إلى صوت من جنس صاحبه ،وبحذف حركة الأول بتسكينه، وتحدث **الزمخشري** عن علّة الإدغام فقال: ثقل التقاء المتجانسين على ألسنتهم فعمدوا بالإدغام إلى ضرب من الخفة[3].

وقال **ابن يعيش** عن الإدغام:« أن تصل حرفا ساكنا بحرف متحرك مثله، دون فاصل بينهما بحركة أو وقف، فيصران لشدة اتصالهما كحرف واحد »[4]،وفائدة الإدغام تخفيف اللفظ لثقل النّطق بالحرفين المتفقين في المخرج، حتى شبّه النّحويون النّطق بهما بمشي المقيد يرفع رجلا، ثم يعيدها إلى موضعها أو قريب منه، لأن اللسان إذا لفظ بالحرف من مخرجه، ثم عادّ مرة أخرى إلى مخرج بعينه ليلفظ بحرف آخر مثله وجد صعوبة في النّطق[5].

ويبدو أن قانون الإدغام عنّد القرّاء له صلة وثيقة بمخارج الحروف وصفاتها، وقد بيّن **المهدويّ أبو العباس (ت440هـ)** علّة اقتران هذين البابين من أبواب العربيّة، فقال:« فإذا كان أصل الإدغام إنّما هو لتقارب الحروف في المخارج ،وامتناع الإدغام لتباعدها، وكان الأزيد مزيّة من الحروف لا يدغم في الأنقص، وإنما الأنقص في الأزيد لم يثبت معرفة هذا الباب إلا بمعرفة مخارج الحروف وأصنافها »[6].

❖ **الإدغام التّام والإدغام الناقص:**

---

[1]- الخصائص، ابن جني، 2/ 139-141.
[2]- أضاف المجودون المتأخرون، مصطلح: المتجانسين وهما ما اتفقا مخرجا ،وأما المتقاربان فهما ما اتفقا صفة لا مخرجا ،ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، 275/1.
[3]- المفصل في علوم العربية، الزمخشري، تحقيق: علي بوملحم، دار مكتبة الهلال، بيروت، ط1 ؛ 1993م، ص393.
[4]- شرح المفصّل، موفق الدين بن يعيش النحوي، 121/10.
[5]- ينظر: اللباب في علل البناء والإعراب، أبو الفتح العبكري، تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر،سوريا ، ط1؛ 1416ه/1995م، 390/2.
[6]- شرح الهداية، المهدوي أبو العباس، تحقيق: جازم حيدر، السعودية، الرياض، مكتبة الرشد، ط1؛ 1995، 75/1.

تتفاوت نسبة التأثر والتأثير بين النون والتنوين، وأصوات السياق الذي وردتا فيه ولذا قسم علماء التّجويد الإدغام إلى **ناقص** :وهو ما يبقى معه للصّوت المدغم فيه، و**كامل** :هو ما يتحوّل فيه الصوت المدغم إلى جنس الصوت المدغم فيه[1]، ووضح **محمد المرعشي** هذا التقسيم حيث قال :« ثم إن الإدغام ينقسم إلى تام وناقص ؛لأن الحرف الأول إن أدرج في الثاني ذاتًا وصفة فإن كانا مثلين أو متقاربين لكن انقلب ذات الأول إلى ذات الثاني وصفته إلى صفته فالإدغام حينئذ تام مثل إدغام (مدَّ)، وإدغام الدال في الظاء نحو ﴿إذْ ظَّلَمُوا ﴾[2].

وإن أدرج الحرف الأول في الثّاني ذاتًا لا صفة بأن كان متقاربين ،فانقلب ذات الحرف الأول إلى الثاني ،ولم تنقلب صفته إلى صفته بل بقي في التلفظ ،فالإدغام حينئذ ناقص والصفة باقية من الحرف الأول، إما غنّة، وهي في إدغام النون والتنوين في الواو والياء[3]، وإما إطباق، هو في إدغام الطاء المهملة في التاء المثناة الفوقية نحو: ﴿ أَحَطْتُ﴾[4] ،وإما استعلاء، وهو في إدغام القاف في الكاف في ﴿ ألَم نَخْلُقْكُّم ﴾[5].

❖ **الإدغام المتماثل والمتجانس والمتقارب:**

الأصل في الإدغام أن يكون في الحرفين المتماثلين نتيجة تطابقهما في الصفة والمخرج معا نحو: (شَدَّ- هَمَّ- مَرَّ)،وأشار سيبويه إلى **إدغام المتماثلين** في باب الإدغام في الحرفين اللّذين تضع لسانّك لهما موضعا واحد لا يزل عنه ،وعرفه **ابن الجزري (ت833هـ)** بقوله: «هو أن يتفق الحرفان مخرجا وصفة كالباء في الباء والتاء في التاء وسائر المتماثلين»[6]، وأوضح **الزجاجي** هذا النّوع بقوله :« هو أن يلتقي الحرفان من جنس واحد، فتسكن الأول منهما وتدغمه في الثّاني، أيّ تدخله فيه، فيبصر حرفا واحدا مستندا ينبؤ اللسان عنّه نبوة واحدة »[7].

---

[1]- المدارس الصوتية عند العرب –النشأة والتطور-،د/ علاء جبر محمد، ص129.
[2]- سورة النساء، الآية : 64.
[3]- جهد المقل، محمد بن أبي بكر المرعشي الملقب بساحقلي زاد (ت1150هـ)، ص72.
[4]- سورة النمل، الآية :22.
[5]- سورة المرسلات، الآية :20.
[6]- دراسات في التجويد والأصوات اللغوية ، عبد الحميد أبو سكين ، مطبعة الأمانة ، مصر، ط1973م، ص145.
[7]- الجمل، الزجاجي عبد الرحمن بن اسحاق، تحقيق: بن أبي شنب، ط2؛ 1957م، ص278.

ويردُ في كلمة واحدة مثل مَدَّ وشَدَّ ،وفي كلمتين مثل قوله تعالى: ﴿ اضْرُبْ بِعَصَاكَ الحَجَرَ ﴾[1]، أما **إدغام المتجانسين** أن يتحدد الصوتان في المخرج ويختلفا في الصفة ويلاحظ أن هذا النوع يشمل العمليّة الإدغامية بشقيّها **(حذف الحركة وقلب الصوت من مثل تاليه)**[2]، وإدغام الأصوات **المتقاربة** يقوم على أساس اختلاف الصّوتين في المخرج ،واتحادهما في بعض الصفات أو اختلافهما فيها ،وقد أشار إلى هذا النّوع سيبويه في باب الإدغام في الحروف المتقاربة التي هي من مخرج واحد[3] حيث يلتقي حرفان متقاربان في المخرج، فتبدل الأول في جنس الثاني، وتدغمه فيه[4].

وقريب من هذا ما ذكره **ابن جنّي**، فالإدغام عنّده تقريب صوت من صوت، وهو على ضربين الأول: الأوّل: إدغام المثلين... والثاني إدغام المتقاربين حال تجاورهما على الأحكام المسوَّغة للإدغام، فتقلب أحدهما إلى لفظ صاحبه ثم تدغمه فيه، نحو: وَتَدَ، وَتْد، وَدَّ[5].

فنستنتج من هذه التعريفات أن التّقارب هو التقارب في المخرج ،ويكون بفاصل أو بغير فاصل عضوي مع الاتفاق في أغلب الصفات الأساسية والثانوية[6]، ولا يتمّ إدغام المتقاربين إلا بعد جعل الصوتين متماثلين، لأن الإدغام على رأي الرضي في شرح الشافية: (إخراج الصوتين من مخرج واحد دفعة واحدة باعتماد تام، ولا يمكن إخراج المتقاربين من مخرج واحد، لأن لكل صوت مخرجا صفة الميم المقلوبة لا صفة النون والتنوين ،وعلامته في المصحف وضع ميم قائمة هكذا (م) فوق النون أو التنوين للدلالة عليه، وليحرز عند التلفظ بالإقلاب من كزّ الشفتين على الميم المقلوبة بل يلزم تسكينها بتلطف من غير ثقل ولا تعسف[7]، **وهذا نموذج من الأمثلة:** على حدة[8].

- **-الإقلاب:**

---

[1]- سورة البقرة ، الآية : 60.
[2]- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمرو بن العلاء، د/ عبد الصبور شاهين، ص242.
[3]- الكتاب، سيبويه ، 4/ 445.
[4]- الجمل، الزجاجي، ص378.
[5]- الخصائص، ابن جني، 2/ 139.
[6]- الإبدال في اللّغة العربية، دراسة صوتية ، الطالب: محمد الوادي ، رسالة ماجستير ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة محمد الخامس، قسم اللغة العربية وآدابها ؛ 1990م، ص247.
[7]- غاية المريد في علم التجويد، د/عطية قابل ناصر ،ص24
[8]- شرح شافية ابن الحاجب، الرضى الاستراباذي، 235/3.

هو **لغة**: تحويل الشيء عن وجهه، أمّا **اصطلاحا**: جعل حرف مكان آخر أي قلب النون
الساكنة ، والتنوين مما قبل الباء مع مراعاة الغنّة والإخفاء ،وله حرف واحد وهو الباء ويكون مع نون
في كلمة مثل: (أَنْبِئْهُمْ) وفي كلمتين مثل: (أَن بُورِك)[1]، وعلى ذلك أن الميم مؤاخية للنون في الغنة والجهر، ومشاركة للباء في المخرج، فلما وقعت النون قبل الباء، ولم يمكن إدغامها فيها، لبعد المخرجين، ولابد أن تكون ظاهرة لشبهها بأخت الباء وهي الميم، أبدلت منها لمؤاخاتها النون والباء[2]، ولكي يتحقق الإقلاب فلابدّ من ثلاثة أمور:

1/ قلب النون الساكنة ميما خالصة لفظا لاحظا.

2/ إخفاء هذه الميم عند الباء.

3/ إظهار الغنّة مع الإخفاء ،وهي

حرف الإقلاب	مثاله مع النون في كلمة	مثاله مع النون في كلمتين	مثاله مع التنوين
الباء	﴿ لَيُنْبَذَنَّ ﴾ [3]	﴿وأَمَا مَنْ بَخِلَ﴾[4]	﴿سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾[5]

[1]- البرهان في تجويد القرآن ويليه رسالة من فضائل القرآن، د/محمد الصادق قمحاوي، ص08.
[2]- ينظر الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ ، ص266.
[3]- سورة الهمزة ، الآية : 04.
[4]- سورة الليل ، الآية : 08.
[5]- سورة الحج ، الآية :61 .

المبحث الثّاني :

التّلوينات الصّوتية عند ابن جنّي من خلال سرّ صناعة الإعراب

1- مفهوم التّلوين الصّوتي:

التّلوين مشتّق من مادة لَوَنَ،ومما جاء في لسان العرب: « اللّون هيئة كالسواد أو الحمرة »[1]، وهذا يعني أن اللّونَ هو ما دلَّ على هيئة معينة للشيء، يؤتى بها للفصل بين الأشياء،كما أنه يحمل دلالة التّغير المستمر ،والانصراف عن الثبات ، وهذا ما يفسُّر بديناميكية التحوّل أيّ: ما لا يثبت على قرار أو موقف أو حال ،أما في مقاييس اللغة فنجد :« اللام والواو والنون كلمة واحدة،وهي سَحْنَة الشيء»[2]،وهنا يظهر اتفاق اللغويين في المفهوم، والذّي يعني الهيئة التي تتخذها الأشياء،والتغير والتّنوع في الهيئات المتخذة.

وإذا ما نظرنا إلى مفهوم التّلوين عند علماء الأصوات وجدنّاه كلّ ما يلحق المباني الإفرادية والتّركيبة من تبدّلات تحكمها قوانين صوتية، وتتحكم فيها لما لها من التّأثير القوي في توحيد النّطق بحسب مقتضيات الأحوال والمواقف، وبحسب تجاوز الصّوامت في التركيب، وبحسب مراعاة التحسين والتّوضيح وبمراعاة أن لكل مقام مقالا[3].

فيمكن القول إن التّلوين يصيب الصّوت المدرك فيغير مادته ،كالإدغام، والإبدال ،والقلب أو يغيّر صورته النّطقية فقط أو الدلالية،كالتفخيم والترقيق والإمالة ومن ثمة، فهو أشكال متنوعة ؛ تلحق الصوامت،أو الصوائت أوهما معا[4]، وقد تحدث ابن جنّي عن ما يعرض للحرف في بنية الكلمة من تغيير يؤدي إلى إعلال أو إبدال أو نقل أو حذف ومثال ذلك ما قاله في باب الهمزة:«اعلم أن الهمزة حرف مجهور ، وهو في الكلام على ثلاثة أضرب :أصل،بدل ،زائد»[5].

2- أنواع التّلوين الصّوتي:

---

[1] _لسان العرب ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري،393/13

[2] ـ مقاييس اللغة ، ابن فارس، 223/5.

[3] ـ المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، د/درار مكي ، ص112.

[4] ـ المصدر نفسه ،ص 107.

[5] ـ سرّ صنّاعة الإعراب ،ابن جني ،83/1.

يطرأ على الأصوات تغيرات وتبدّلات عديدة ،منها ما يقع داخل الوحدات الكلامية الكبرى ،ومنها مايكون داخل النظام الصوتي للغة وسنقف عند أبرزها من خلال التصنيف الآتي:

أ/تلوينّات الصّوامت من خلال سرّ صنّاعة الإعراب: يقصد بها الكميات الصوتية بنوعيّها الاتّساعية والامتدادية ،بالإضافة إلى الصّائت وأجزائه[1]، وإذا انطلقنا مع أساسيات البناء لاحظنا لها تفخيما وترقيقا وتوسطا والباقيات تساير السياق ،وهذه تلوينات صوتية يمكن وصفها بكميات الاتساع[2]، أما كميات الامتداد فتتمثل في التضعيفات الثلاثة للصائث وهي :المدّ والتمديد والاستطالة[3]، وأخيرا الكمية الأصلية للصائت ،أو ما اصطلح عليها ابن جنّي بالمصوتّات[4]، كما أن ثلاث أجزاء وهي الاختلاس ،والإشمام ،والروم ، **فيما يلي حديث عنها من خلال سرّ صناعة الإعراب:**

- **الاختلاس** :يدل جذر خَلَسَ على أصل واحد هو الاختطاف والاتساع ، وقولهم:

« أخلَسَ رَأسه إذا خالط سواده البياض ،كأن السواد اختلس منه فصار لمــَعاً »[5] ،فهو من المصطلحات الدّالة على اختطاف الحركة اختطافا حتى تكاد تخفى ،باعتباره مدرك سمعي بحيث لا يمكن التّعبير عنه كتابيا، فهو من السّمعيات كما أنّه التّقليل من المقادير ، والشّحنات الصّوتية لأي صائت مع صامته [6]، ولقد خصّ **ابن جنّي** مصنّفه بدراسة مختصرة للاختلاس، وجعله ضربا من التخفيف حين قال :« فأما الحركة الضعيفة المختلسة كحركة همزة بين بين ،وغيرها من الحروف التّي يراد اختلاس حركاتها تخفيفا، فليست حركة مشَمّة شيئا من غيرها من الحركتين ،وإنّما أضعف اعتمادّها، وأخفيت لضرب من التخفيف ، وهي بِزنَتها إذا وُفِّيّت، ولم تُخْتَلسْ» [7].

---

[1] ـ المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية ،د/درار مكي،ص107.
[2] ـ المصدر نفسه ،ص 107.
[3] ـ التحولات الصّوتية والدّلالية في المباني الإفرادية ،د/سعاد بسناسي ،جامعة وهران،الجزائر ،عالم الكتب ،الأردن؛ 2012، ط01، ص174.
[4] ـ سر صناعة الإعراب ،ابن جني ،1/20
[5] ـ مقاييس اللغة ،ابن فارس ،2/208.
[6] ـ التّحولات الصّوتية والدلالية في المباني الإفرادية ،د/سعاد بسناسي، ص177.
[7] ـ سر صناعة الإعراب ،ابن جني،1 /56.

واستدل بقراءة أبي عمرو في قوله تعالى :﴿مالك لاتأمنّا على يوسُفَ﴾[1]، مختلساً لا محققاً[2]،ومنه كذلك قوله تعالى:﴿ فَتُوبُو إلى بَارِئكُم﴾[3]، مختلسا حركة الهمزة حتى ظُنَّ أنّ أبا عمرو سَكَّنَ الهمزة ،كما أنّه يكاد يساوي بين مصطلحين الإختلاس والإخفاء ،ويجعلهما في مقابل الإشباع ومثل ذلك من الإخفاء في قوله تعالى:﴿ ويحيَا من حيَّ عن بيِّنَة﴾[4]،وقالوا في جمع حياء وعياء: أَحْيِية ،وأعيِية، مختلسين[5]، وكذلك قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانُ﴾،﴿ إنّا نحن نزَّلنا الذِّكر﴾، و﴿إنّا نَحْنُ نُحِي ونُمِيتُ﴾،لابد من أن تكون النون الأولى مختلسة الضمّة تخفيفا ،وهي بزنة المتحركة، فأمّا أن تكون ساكنة والحاء قبلها ساكنة فخطأ ،وقول القرّاء إن هذا ونحوه مدغم سهو منّهم ،وقصور عن إدراك حقيقة هذا الأمر[6].

وإلى نفس الظاهرة أشّار قبله القدماء ومن بينهم **سيبويه** بقوله: «أمَّا الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاسا ، وذلك قولك يضربها ومن مأمنك يسرعون اللفظ، ومن ثم قال أبو عمر :﴿فَتُوبثوا إلى بَارِئِكُمْ﴾[7]،وبذلك على أنّها متحركة قولهم :﴿ مِنْ مَأْمَنِكَ ﴾،فيبينون النون ، فلو كانت ساكنة لم تحقق النّون »[8] .

وعلى هذا الأساس تبيّن أن الصوت المختلس حق حركته من الحروف أن تسرع اللفظ به إسراعا يظن للسامع أن حركته قد ذهبت من اللفظ لشدة الإسراع ،وهي كاملة في الوزن تامة في الحقيقة ،إلا أنها لم تمطط ولم ترسل بها، فحين إشباعها لم يتبين تحقيقها [9]،ومن خلال هذا أشار ابن جني للاختلاس ولفت أنظار الدارسين اللغويين ،فوصفوه بالوصف الدقيق حين استخدم عدة تسميات أخرى يصف بها الاختلاس ومنها (**إضعاف الحركة**)، حتى تقرب من السكون ،وبالإخفاء مرّة وبالحذف في بعض الحالات أيضا ويقصره على الحركات قصيرة كانت أم طويلة، ويجعله نطق الحركة بشيء من السرعة حتى تكاد الحركة تخفى، ويجعله يقوم على حسن السمع.

- سورة سوسف ،الآية : 11.[1]
- سر صناعة الإعراب ، ابن جني ،57/1.[2]
- سورة البقرة ، الآية : 54 .[3]
- سورة الأنفال ، الآية : 32[4]
- سر صنّاعة الإعراب، ابن جنّي، 57/1.[5]
- المصدر نفسه ، 57/1.[6]
- سورة البقرة ، الآية: 54[7]
- الكتاب ،سيبويه ،202/4.[8]
- التّحديد في الإتقان والتجويد ،الدآني ، ص95- 96.[9]

➢ ـ **الإشْمَام** :جاء في **كتاب العين** الشَّم في قولك :« شممت الشيء أشّمه، ومنه التشمّم كما
تشمّم البهيمة إذا التمست رعيا ، والمشامّة : المفاعلة من الشم ،في قولك شاممت العدّو يعني الدّنو من العدو حتى يروك وتراهم، والشمم: الدنوّ،اسم منه ،شاممناهم وناوشناهم»[1]،ويخلص **ابن فارس** إلى المعنى اللغوي العام في قوله :«الشين ،والميم أصل واحد يدل على المقاربة والمداناة »[2].

أما في **الاصطلاح** : هو الإشارة إلى حركة دون صوت ،فهو لا يدرك إلا بالرُّؤية وليس للمستمع فيها حظٌّ،ولذلك لا يدركه الأعمى[3]، وللإشمام وإدراكه البصري استشهد **ابن جني** بهذا البيت:

متىَ أنَامُ لا يؤرَّقْنِي الكَرَىسُبُلا ولا أسْمَعُ أجْراسَ المَطيِّ

مشيرا إلى إشمام القاف من (يؤرَّقْني) لقوله :« فزعم أن العرب تُشِمُّ القاف شيئا من الضَّم ،وهذا يدُّلك ،من مذهب العرب ،على أن الإشمام يقرَّب من السكون ،وأن دون رَّوْم الحركة»[4]، وواضح من استخدام ابن جني للإشمام هنا يقصد به الحركة ،وليس مجرد إشارة بلا حركة ،وهذا الموضع ليس موضع موقف ،بل هو انتقال من حالة إعرابية إلى أخرى، أي من الجزم إلى الرفع ،وتغيير المعنى تغييرا ذكره ابن جني في عبارته ؛فبعد أن كان الفعل مجزوما ؛لأنّه جواب استفهام ،صار مرفوعا وصارت جملته في محل نصب حال ،فهذه دلالة قاطعة على أن حركة الإشمام لضعفها غير معتدٌّ بها ،والحرف الذي فيه ساكن أو كالساكن، وأنّها أقل في النسبة والزنة من الحركة المخفاة في همزة بين بين وغيرها مما قَرَوْنَاه[5].

ومعنى ذلك أنّنا أمام مفهومين للإشمام ،أحدهما كونّه إشارة دالة على الضّمة من دون صوت ،وذلك في الوقف،حيث لا يستتبع هذا تغيرا في المعنى،والثاني أنّه حركة مختلسة كحركة الرّوم، وذلك في غير الوقف،أي في الموصول وهو تحريك ساكن بعض التحريك، كما نجد **ابن جني** يقتصر في إشارته للإشمام على أهم ميزة فيه ، وهي أنّه للعين دون الأذن أي أن لا صوت هناك يسمع، وهذا المعنى قد ردّده من جاء بعد ابن جني ،فهذا **الأنباري** يرى أنّه: «ضم الشفتين من غير صوت

---

[1] ـ العين ، الخليل ابن أحمد الفراهدي ،6/223–224
[2] ـ مقاييس اللغة ،ابن فارس ،3/175.
[3] ـ همع الهوامع ،جلال الدين السيوطي ،6/218.
[4] ـ سر صناعة الإعراب، ابن جني ، 1/59.
[5] ـ المصدر نفسه ،1/59-60.

،وهذا يدركه البصير دون الضرير»[1]، ،فمهوم الإشمام عند القرّاء لا يبتعد عن مفهومه عند ابن جني، فهو ناتج عن ضم الشفتين من غير صوت، بعد النطق بالحرف الأخير ساكنا إشارة إلى الضّم،ولابدُّ من إبقاء فرجة أي انفتاح بين الشفتين لإخراج النّفس،وضمّ الشفتين للإشمام يكون عقب سكون الحرف الأخير من غير تراخ، فإن وقع التّراخي فهو إسكان محض لا إشمام معه ،ويضيف القرّاء شرطا آخر ليتحقق الإشمام ،وهو عدم التَّراخي أثناء نطق الصّوت المشّم،وإلا أصبح سكونا[2].

وقد قرأ بالإشمام كل من القراء **هشام** ،و**الكسائي** في كلمات:﴿ قِيلَ [3] ﴾و﴿ وغِيضَ ﴾[4] و﴿جِيءَ﴾[5]،أينما جاءت في القرآن الكريم ،وقرأ ابن عامر والكسائي كما لهم لفظ :﴿سِيقَ﴾ في موضعيه [6]،و﴿ حِيلَ﴾ بالإشمام في موضعه من قوله تعالى :﴿ وحِيلَ بَيْنَهم وبَيْنَ ما يَشْتَهُون ﴾[7]، فمن أراد أن يبقى في أوائل هذه الأفعال دلالة على البناء للمجهول، زيادة في السياق، ومن شأن العرب في كثير من كلامهم المحافظة على بقاءها يدلّ على الأصول، فأصل المبني للمجهول من الثلاثي الأجوف نحو: (**قال ،جاء**) أن كون على:(**قُوِل، جُيْء**) ، غير أنهم استثقلوا الكسرة على العين [8]، فنقلت إلى الفاء بعد طرح حركتها : (**قَوْلَ ،جِيْء**)،فإن كان معتلا بالواو قلبت ياء لسكونها بعد كسر **(قِيلَ)**[9].

قال **ابن أبي مريم** (ت565ه) في تعليل اختصاص الإشمام بالضّمة دون غيرها من الحركات :«لأن الإشمام تهيؤ اللفظ بالضمة ،وضم الشفتين استعدادا لإخراج ما كان من جنس الواو وهذا لا يمكن مع الإشارة إلى الكسرة أو الفتحة

1- أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري (المتوفي 577هـ)، ص204.
2- التّحولات الصّوتية والدلالية في المباني الإفرادية ، د/سعاد بسناسي ،ص 18.
3- سورة هود، الآية : 44
4- سورة الزمر ، الآية : 96
5-سورة الفجر، الآية : 23.
6- سورة الزمر ، الآيتين: 71-73.
7-سورة سبأ ، الآية : 54.
8- ينظر :سر صناعة الإعراب ،ابن جني ،1/54
7- الكشف في وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، القيسي مكي بن أبي طالب، تحقيق : محي الدين رمضان ،لبنان ؛ مؤسسة الرسالة ،ط4؛2003 م،1/230

»[1]،كما جاء في قوله تعالى:﴿ قال ربِّ إنِّي لما أنزلْتَ إليَّ مِن خَيْرٍ فَقيرُ﴾[2]،فلا ينطق بالضمة التّي في كلمة (**فقيرُ**) ،وإنّما يشير إلى وجودها باستدارة الشفتين.

- **الرَّوْم** : جاء في لسان العرب :« رَامَ الشّيء يرومه رومَا ،ومراما طلبه ومنّه رّوم الحركة في
الوقوع على المرفوع والمجروم»[3] ،بمعنى يكون مع جميع الصَّوائت؛حيث تُروَّم الحركة وتضاعف ،وتفعل فيه ما تفعل بالمجزوم على كل حال[4] ، ففي هذه الحالة أتم من الإشمام ،لأنه تضعيف الصوت بالحركة حتى يذهب معظمها ،فيسمع لها صوّيت خفي يدرك معرفته الأعمى بحاسة سمعه، ويستعمل في الحركات الثلاث[5]، ومثال ذلك ألا ترى أنّك لو قلت :(**الْحَق والشَّط**)، ثم رمت مدّ صوتك في القاف والطاء ،لكان ذلك ممتنعا[6]، ومن القدماء الذين تعرضوا إلى الرّوم **ابن جني** الذّي يعتبره (كالإهابة بالسَّاكن نحو الحركة وهو لذلك ضرب من المضارعة وأخف منها الإشمام ؛لأنه للعين لا للأذن[7]).

فيجعل إدراك الإشمام محصورا في العين فقط بينما الرّوم عاما ،ويبدو عنده (ابن جني)صوت بين الساكن والمتحرك،فهو منزلة بين المنزلتين مثلما يتصوره. وعنّد علماء القرّاء والمجودين خلاف بينهم ،وبين اللغويين فعندهم نطق ببعض الحركة ،وعند اللغويين نطق الحركة بصوت خفي بمعنى تظهر فائدة الخلاف بين الفرقين في الفتح،فعلى معنى القرّاء لا يدخل الروم عليه ،لأنه حركة خفيفة إذا خرج بعضها خرج سائرها ،لأنها لا تقبل التبعيض كما يقبله الكسر والضم بما فيهما من الثقل،وعلى معنى اللغويين فإن الرّوم يدخل على الفتح كما يدخل على الكسر والضّم لأنه إخفاء للحركة ،وذلك لا يمتنع في الحركات الثلاث.

1- الموضح في وجوه القراءات وعللها ، نصر بن علي بن محمد الشيرازي ابن أبي مريم ، تحقيق :عمر حمدان الكبيسي، الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ، السعودية ،جدة،ط1 ؛ 1993 م،1/217.

- سورة القصص ،الآية : 24 .[2]

- لسان العرب ،ابن منظور،6/269.[3]

- الكتاب ، سيبويه ،4/171.[4]

-الدراسات الصوتية عند علماء التجويد،د/غانم قدوري الحمد، ص 429[5]

- سرّ صنّاعة الإعراب ،ابن جنّي،1/61.[6]

- الخصائص ، ابن جني ، 2/145.[7]

فيفهم من هذا أن الكمية الصّوتية للرّوم أكبر من الكمية الصّوتية للإشمام، وما يبرز ذلك أن **علامة الرّوم** خط يوضح فوق الصامت،و**علامة الإشمام** نقطة والخط تضعيف للنقطة على أقل تقدير ،وبالتّالي الرّوم هو أكبر الجزئيات الصوتية كمية بل أقربها إلى الاكتمال من الصائت ،وقد مثل **مكي درار** للكميات الاتساعية بالزوايا الهندسية ،فإن التمثيل للكمية الأصلية للصائت كوحدة قياس أساسية بتضعيفاتها(**كميات الامتداد**)،وبأجزائها (**الجزئيات الصوتية**)، يقترن بالنظام المترى ،كما هو موضح في الجدول الآتي[1]:

بين النّظام المتري والتّنظيم الصّوتي

	الأجــــــــــــــــــزاء			الوحدة الأساسية	المــــــــــــضاعـــــــفـــــات		
النّظام المتري	مم	سم	دسم	المتر	دكم	هكم	كم
التّنظيم الصّوتي	الجزئيات الصوتية			الصائت أو (الحركة)	كميات الامتداد		
	الاختلاس	الإشمام	الرّوم		المدّ	التّمديد	الاستطالة
الزّمن	0،16ثا× 1 3	0،16ثا× 2 3	0،16ثا× 3 3	16% ثا	0،16ثا ×2	0،16ثا ×4	0،16ثا ×6

اقترن التّنظيم الصوتي بالنظام المتري في الرسم،مما يدلّ على أن الدراسة الصوتية عملية ،في مادتها وطريقة التّعامل معها وتقنيّات إنجازها ،وما يمكن أن

[1] -المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية ،مكي درار، ص110.

نسعى إليه ، هو النّظرة العلمية الممتدة إلى المجالات التطبيقية في الدراسات اللغوية من وجهة نظر عربية أصلية أصيلة؛ في جميع مجالاتها وموسوعاتها اللغوية ،ومستوياتها اللغوية.

ب/ تلوينات الصّوامت من خلال سرّ صنّاعة الإعراب: لعل ما يلفت الانتباه في دراسات القدماء أنّهم عزوا التغيرات الصّوتية على اختلاف أنواعها ،وأشكالها إلى قانون السهولة ،والتيسير الذي يعدّ نقطة الارتكاز الأولى في الدراسات اللغوية الحديثة، فالأصوات تتأثر ببعضها البعض أثناء الأداء ؛ نتيجة ميل الإنسان بطبيعة إلى التيسير والتسهيل،واختصار الجهد العضلي الذي يبذله حسن النطق ؛ فيلجأ إلى تغيير بعض الأصوات بأصوات أخرى، ويكون بذلك أيسر في النطق وأكثر تآلفا مع الأصوات الواردة لها، ليحصل الانسجام الصوتي أثناء الأداء ،وأشهر تشكيلات الصّوامت وتلويناتها في سرّ صنّاعة الإعراب:

_التماثل، الإدغام
_التجانس، الإبدال
_التوافق، الإمالة
_التخفيف، تخفيف الهمز[1]

- **ـ التماثل الصّوتي**:من أبرز ظواهر التشكيل الصوتي وهو:« أن تصل حرفا ساكنا بحرف مثله

متحرك من غير أن تفصل بينهما بحركة أو وقف ،فيصيران لشدة اتصالهما كحرف واحد، يرتفع اللسان عنها رفعة واحدة شديدة»[2]،بمعنى لا يتحقق ذلك إلا بنطق حرفين – مثلين أو متقاربين-حرفا واحد مشدّدا عليه ،وغالبا ما يكون الحرف **الأوّل** في الأصل ساكنا ،و**الثّاني** متحركا دون أن يكون بينهما فاصل[3]، في مثل (**امدْد يدك،واغضُض من صوتك**)،ففي هاتين الصيغتين تكرر الصامت بنفسه مرتين، الدال في الأول،والضاد في الثانية، وإذا وقع ذلك كان ثقيلا على ألسنية الناطقين،فتخلّصوا منه بإدماج الصوتين المتماثلين في بعضهما ابتغاء الخفة

ـ المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، مكي درار،ص 112.[1]
ـ شرح المفصل، ابن يعيش ،10/120[2]
ـ سرّ صنّاعة الإعراب ، ابن جّني ،1/29.[3]

والاقتصاد في الجهد، فقالوا: (مدّ،غضّ،شدّ)[1]،فعلّة الإدغام ثقل التقاء المتجانسين على ألسنتهم ،فعمدوا بالإدغام إلى ضرب من الخفة[2].

ويعدّ الإدغام أبرز صور التماثل بين الأصوات الصامتة ،إذ به تتم إدغام أحد الصوتين في الآخر ،ولذا عني به العلماء وجعلوه محورا للدراسة الصوتية الذي تلتقي عنده بقية الظواهر اللغوية، وجوانب البحث الصوتي بصفة عامة. وإذا نظرنا حديث ابن جني عن الإدغام نجدّ أن مفهومه له أرحب ،وأشمل من مفهومه لعلماء النّحو ، واللغة القدماء،كما سبق ووضحنا ذلك مع سيبويه فنظرته إليه أدق وأعم، والتي نهدف إلى تفصيل الحديث فيها:

فالإدغام في معناه **اللغوي**:« دغم الغيث الأرض يدغمها، وأدغمها: إذا غشيها والإدغام: إدخال اللجام في أفواه الدواب، الفرس اللجام : أدخله في فيه،وأدغم اللجام في فمه كذلك»[3]، والعرب تسمى الدَّيْزَجَ من الخيل الأدغم،وهو أن يكون لون وجهه أكدر من لون سائر جسده[4]، وفي **الاصطلاح** :«هو تقريب صوت من صوت»[5]، بحيث تنتقل إلى أحدهما صفة من الآخر ،بيد أن في تمثيل سيبويه بالفعل(**صَدَر**)في هذا الموضع نظرا،لأن الصاد هنا لم تجاوز الدال مباشرة ،وهو الشرط الأساسي لحدوث المماثلة ،وكان للأصوات أن يمثل بكلمة (**أصدر**) لتحقيق الشرط فيها،وقد تعرض ابن جني لهذه المسألة فنصّ صراحة على أن الصاد إذا تحركت لم ينجز فيها البدل،وذلك نحو (**صدر** و**صدف**) لا تقول فيه (**زدر** لا **زدف**)، وذلك أنا الحركة قوَّت الحرف وحضنته فأبعدته من الانقلاب[6].

أما عنّد علماء القرّاء هو خلط الحرفين المتماثلين أو المتقاربين أو المتجانسين ،فيصيّران حرفا واحدا مشددا، ينبو[7] اللسان بهما نبوة واحد[8]، ويقسمونه إلى نوعين

1- المصدر نفسه ،29/1.
2- المفصل في علوم اللغة ،الزمخشري، ص393.
3-العين ،الخليل ابن أحمد الفراهيدي ،4 /395
4_لسان العرب ،ابن منظور، 243/4.
5_ الخصائص ،ابن جني،2 /92-39.
6- سرّ صنّاعة الإعراب ،ابن جني ،51/1.
7- ينبو : يرفع
2- معجم علوم القرآن: التفسير ،التجويد،القراءات، إبراهيم محمد الجرمي ،دار القلم ،دمشق، سوريا، ط01 ؛ 1422 ه/2001م، ص 20.

الإدغام الكبير مثل في قوله تعالى:﴿ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[1] ، فتدغم الميم في مثلها لتُقرأ: **(الرَّحيَّملِك)** مع إشباع المد لأجل الساكنين[2]،والإدغام **الصغير** باعتباره التقاء حرف ساكن بحرف متحرك بحيث يصير الحرفان حرفا واحدا مشددا، يرتفع اللسان بهما ارتفاعه واحدة[3]

1/ الوصف الصوتي للإدغام:حينما يتجاوز صوتان لا حركة بينهما فهما إما من جنس
واحد ، وفي الحالة الأولى لا يحدث الإدغام ،فالإظهار هو الأصل[4]،لأن الصوتان المدغمان لا يجتمعان في مقطع واحد بل يكونان في مقطعين متواليين،فيكون أولهما قفلا للمقطع الأول ،ويكون آخرهما مفتاحا للمقطع الثاني مثّل له **ابن جني** بكلمة **(قطَّع)** حيث يقول:«ألا ترى أنّك تقول (قَطَّعَ)، فتدغم الطاء الأولى في الثانية، ولو كانت حركة الطاء الأولى في الثانية ،ولو كانت حركة الطاء الثانية في الرتبة قبلها ،لكانت حاجزة بين الطاء الأولى، وبين الطاء الثانية ، ولو كان الأمر كذلك لما جاز الإدغام الأولى في الثانية ؛ لأن الحركة_ على هذه المقدمة_ مرتبتها أن تكون قبل الطاء الثانية، بينها وبين الأولى، وإذا حجز بين الحرفين حركة بطل الإدغام، فجواز الإدغام في الكلام دلالة على أن الحركة ليست قبل الحرف المتحرك بها »[5].

كذلك كما في قوله تعالى:﴿فلا جُنَّاح عليْهُمُا أن يُصلَّحا بَيْنَهُما صُلْحا﴾[6]،فالإدغام في (**أن يصلَّحَا**)،ولذلك مثل **ابن جني** بالفعل اصَّبَرَ في اصْطَبَر ،وازّان في إزادان[7]، بمعنى في الوزن مفتعل من الصَّبر مُصْطبِر، ولا يجوز أن تدغم الصَّادُ في الطَّاء ،كما ادغمت الطاء والظاء فيها حيث قلت: مطَّلب ومُظَّلم ولكن

3- سورة الفاتحة،الآية 03 _04.
[2]- حرز الأماني ووجه التماني في القراءات السبع ،ضبط وتصحيح: محمد تميم الزعبي، دار الغوثاني للدراسات القرآنية ؛ط 4؛ 1425ه/ 2004م، ص10.
[3]_هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري، المرصفي عبد الفتاح ،دار النصر للطباعة الإسلامية ،مصر؛ط 1؛1402 ه/1982 م، ص163.
6- الكشف في وجوه القراءات السبع ،القيسي،ص 134/1.
1- سر صناعة الإعراب ،ابن جني ،ص28/1.
- سورة النساء ، الآية : 128.[6]
- سر صناعة الإعراب ، ابن جني ،172/1.[7]

مُصبَّر،وعلى قراءة من قرأ (**أن يصَّلحَا**)،إنما هو يفتعلان في الصلح[1] ،في الصفة أو المخرج أو معا، وتكون الغلبة والهيمنة للصوت الأقوى المؤثر في مجاوره بحيث يصبغ عليه بعض صفاته أو كلها، ولا يقال عن الصوتين إنهما مدغمان حتى يحققا الشروط التالية:ـ

- أن يتجاوز الحرفان بدون أن يفصل بينهما بصائت ،قال **ابن جني**:« ولو لم تفضل لوجب

الإدغام لأنه لا حاجز بين المثلين »[2].

- أن يكون الحرف الأول ساكنا، والسكون في هذه الحالة سكون أصلي كالكاف الأولى في

(**سكر**)[3]،وهذا النّوع هو النوع هو الأصل في الإدغام ويسمى عند **ابن جني** الإدغام الصغير،وقد حدّده علماء القراءات في تسعة أحرف يجمعها قولك (**دل ثرب دفنت**)[4] ،ويكون في كلمة مثل قوله

تعالى:﴿ يُدْرِكُكُم ﴾[5]،كما يكون في كلمتين نحو:﴿أَلَم نَجْعَل لَهُ ﴾[6].

- أن لا يكون الحرف الأول من المتجاورين مسبوقا بحرف ساكن في مثل: **(مَهْدَد،قَرْدَد)**

فالدال الساكنة تمنع الإدغام لأنها معرّاة (**الساكنة**) أصلا،ولا يمكن أن تعرَّى الدال الأولى من صائتها (**لا يمكن أن تسكن**) لإدغامها في لاحقتها ،وذلك لتوالي صامتين غير متحركين، وهو لا تقبله العربية في مبانيها[7]،وقد أوضح ابن جني في كتابه سرّ صناعة الإعراب الحروف التي يمتنع إدغامها كالضاد، والشين، والفاء،

5- التكملة ،أبي علي الفارسي (ت 377ه)، تحقيق ودراسة : كاظم بحر مرجان، دار الكتب للطباعة والنشر،جامعة الموصل ،1401 ه/1981م ، ص 621-622.

ـ سر صناعة الإعراب ، ابن جني، 29/1.[2]

_المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية ، د/درار مكي، ص 112.[3]

ـ اللهجات العربية والقراءات القرآنية ، محمد خان ،دار الفجر للنشر والتوزيع ،القاهرة ؛2003م ،ص214.[4]

ـ سورة النساء ،الآية : 78.[5]

ـ سورة البلد ، الآية : 08.[6]

ـالمجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية، د/درار مكي ، ص112.[7]

والميم، والراء، يجمعها في اللفظ (**ضُمَّ شُفْر**)،وإدغام حروف الصفير،وذلك لتفردّها بصفات مميزة[1].

- ألا يحدث الإدغام لبسا أو يضيع غرضا[2]، فهذا يدعوني للقول: إن اشتراط العلماء لحدوث

الإدغام في المستوى اللغوي العام ألا ينتج عنه التباس المعنى هو –فيما رأى- شرط له وجاهته ، فإذا كان الإدغام لا يبخس الحروف حقها، فمن باب أولى ألا يبخس المعنى حقه _أيضا_ ، فعملية الإدغام تتفاوت في صعوبتها ،بحسب أشكال التركيب فيها ومفهوم التقريب(**التماثل**) عند ابن جني لا يختلف عن مفهوم المحدثين ،حيث نراهم يستخدمون مصطلح (التماثل) **assimilation** للدلالة على الإدغام بمفهومه الواسع عند ابن جني.

2/ أنواع الإدغام : بتأمل ما ورد في **سرّ صنّاعة الإعراب** نجد قسمين من الإدغام (التقريب):

- إدغام مثلين

- إدغام متقاربين[3].ويأتي في كل منّهما على صورتين.

- **إدغام المثلين**: وهو إدغام صوتين متفقين في كل الصفات الصوتية وتظهر دلالته في قوله

تعالى:﴿اذْهَب بِّكتَابي هَذَا﴾[4]،وعند **ابن جني** نحو قولك: (**قَصَصَ، ومَضَضَ**)[5]،و(**طَلَل،وسُرُرٌ ،حُضضٌ[6]، ومرِرٌ**)[7]، فلولا أن حركة الحرف من هذين المثلين بعده لما فصلت بينه، وبين الذّي مثله بعده[8]، فاجتماع الحرفين المثلين عنده لا يخرج عن صورتين:

- سر صناعة الإعراب، ابن جني ، 1/214-218.[1]
5- الإدغام مفهومه وأنواعه وأحكامه ،أبو أوس إبراهيم السّمسان ،مجلة جامعة الإمام ،كلية الآداب، ع25؛ محرم 1420ه، ص04.
- سر صناعة الإعراب، ابن جني،1 /29[3]
- سورة النمل، الآية : 28.[4]
-المضَضُ :رجع المصيبة[5]
- حُضُض:عصارة الصبّر[6]
- مرر:جمع مرّة،ومِرَّة ،طاقة الجبل[7]
- سر صناعة الإعراب،ابن جني،1/29.[8]

_ **إحداهما** تقريب متحرك من متحرك في مثل:شدَّ،ومدَّ،وقدَّ ،لأن الثاني من الحرفين متحرك فوجودك الإدغام في نحو (**شدَّ،ومدّ**) مع حركة الثاني منهما دلالة على الحركة في الحرف الثّاني لم تفصل بينه ،وبين الأول[1].

_ **وثانيهما** تقريب الساكن الأصل كطاء (**قطَّعَ**)[2]،وكاف (**سُكَّر**) الأولين[3].

- **إدغام المتقاربين:** هو إدغام صوتين متقاربين من حيث صفتهما الصوتية ،كالتقارب في

المخرج أو الهمس والجهر، أو غير ذلك من الصفات ، ويصار إلى تغيير أحد المتقاربين ليجانس الآخر ،ويماثله ثم يدغم فيه بعد ذلك، ويشمل إدغام المتقاربين ما يسمى بالمتجانسين عند المجودين ،وهما الصوتان المشتركان في مخرج واحد[4]،نحو قولك في (**وَتدِ**) إذا سكنت التاء لإرادة الإدغام: (**ودٌّ**) فكانت الحركة في التاء قبل إسكانها فاصلة بينها، وبين الدّال فوجب لذلك الإظهار، فلما سلبت التاء كسرتها وزالت الحركة أن تكون حاجزة بينها ،وبين ما بعدها وسكنت التاء، واجمع المتقاربان، أبدلت التاء دالا، وأدغمتها في الدال بعدها ،كما تقول: (**انْعَتْ داود**): (**انْعَدّاودَ**)، فظهور التاء في (وَتِد) ما دامت مكسورة، وإدغامها إذا سكنت دلالة على أن الحركة قد كانت بينهما، وإذا كانت بينهما فهي بعد التاء لا محالة، فهذه دلالة من القوة على ما ترى[5]،ومن **تلويناته الصوتية**:

✓ من ذلك الإمالة، وقال: « وإنّما وقعت في الكلام لتقريب الصوت من الصوت ، وذلك

نحو: (**عالم وكتاب**). ..ألا تراك قربت فتحة العين من (عالم)، إلى كسرة اللّام منه ، بأن نحوت بالفتحة نحو الكسرة فأملت للألف نحو الياء» [6]

✓ ومن ذلك أن تقع فاء (افتعل) صادا أو ضادا أو طاء أو ظاء، فتقلب لها تاؤه طاء، وذلك

نحو:(**اصطبر ، و اضطرب ، واطرد، واظطلم**)[7].

---

1. ـ المصدر نفسه ،ً 29/1
2. ـالمصدر نفسه ،ص 28/1
3. ـالمجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية ،د/مكي درار،ص112.
4. ـ الإدغام مفهومه وأنواعه ، أبو أوس إبراهيم الشمسان،ص07.
5. ـ سر صناعة الإعراب ،ابن جني، 30/1.
6. ـ المصدر نفسه ، 217/1.
7. ـ المصدر نفسه ، 217/1.

✓ ومن ذلك أن تقع فاء افتعل زايا أو دالا أو ذالا،فتقلب تاؤه لها دالا،كقولهم : (ازدان) ،

(وادّعى)، (و**ادّكر واذدكر**) فإبدال إدغام[1].

✓ ومن ذلك أن تقع السين قبل الحرف المستعلي فتقرب منه بقلبها صادا، على ما هو مبين

في موضعه من باب الإدغام، وذلك قولهم في (سُقْتُ: صُقْت)، وفي (السوق: الصوق)لقوله تعالى:﴿كأَنَّمَا يُسَاقُونَ﴾[2] ،و يُصَاقُون.[3]

يتّضح لنّا أن ابن جنّي قد توصل إلى أن الإدغام نوع من التغيرات الصوتية التي تحدث في الكلمة العربية، والتي تهدف إلى دفع الثقل الذّي يكون عند التقاء المتماثلين أو المتقاربين، وهذا الإلتقاء الذي يستوجب أو يستحسن الإدغام طلبا للخفة سنمثل له **ونوضح دلالته في القرآن الكريم:**

-**إدغام الدّال في الثاء**:في قوله تعالى:﴿ومن يَرْدْ ثَوَابَ الآخرَة نُؤْتِه مِنْهَا﴾[4] ،فصوت الدّال قريب من صوت الثاء في المخرج ، وبعيد في الصفات فجاز الإدغام[5]،وتمثيل القراءة صوتيا كما يلي: يُرْد ثواب__ يرث ثَّواب.

-**إدغام الدّال في السين**:في قوله تعالى :﴿قَدْ سَمِعَ الله قَوْلَ التيّ تُجَادِلُكَ في زَوْجِهَا﴾[6]، حيث أدغم دال قد في السين لقربها في المخرج ، ولما في السين من التفشي الذّي يقويها[7] ،وتمثيلها صوتيا كما يلي: قد سمع__ قسمع

- **إدغام اللام في الثاء**:في قوله تعالى :﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى والبَصِير أمْ هَلْ تَسْتَوي الظُّلُمَات والنُّور﴾[8]،حيث أدغمت اللام في التاء وهذا جائز[9] وتمثيلها صوتيا:هل تستوي____ه*تستوي

---

1. **- المصدر نفسه ، 185/1-188.**
2. **- سورة الأنفال، الآية :06**
3. **- سر صناعة الإعراب ،ابن جني ، 212/1.**
4. **- سورة آل عمران، الآية : 145.**
5. **- ينظر: الأصوات اللغوية ، د/إبراهيم أنيس، ص49-50.**
6. **- سورة المجادلة، الآية : 01.**
7. **- الكشف في وجوه القراءات ، القيسي ،145/1.**
8. **- سورة الرعد، الآية :16.**
9. **- سر صناعة الإعراب، ابن جني ،347/1.**

- **إدغام النون في النون**:في قوله تعالى:﴿قل أتحاجُّوننّا في الله ،وهو ربُّنا وربَّكُمْ﴾، حيث تأثر صوت النون الأول (اتحاجوننّا) في صوت النون الثاني ،وذلك كونهما من مخرج واحد لهما نفس الصفات ،وتمثيله صوتيا: أتحاجوثَّنا ___ أتحاجونَّا .

➢ - **التَّجانس الصَّوتي:** التجانس أو ما يسميه الدّارسون بالتَّقارب الصَّوتي،أو ما عرف عند القدماء بالإبدال لون من التّلوينات بين الأصوات من حيث كونها انقلاب صوت إلى آخر،كما هي الحال في الإدغام ،وليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف عن حرف آخر، وإنّما هي لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد، حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد[1].

وهذا ما تناوله ابن جني في كتابه سرّ صناعة الإعراب الذّي يعد من المؤلفات الضخمة التي حوت بين دفتيها دراسات مستفيضة حول هذه الظاهرة ،حيث كان يقف عند كل حرف ، ويبحث عن أحواله في كلام العرب، ومن بين الأحوال التّي كان يبحث فيها كون الحرف بدلا أو أصلا، وهذا ما سنعلّل له.

1/ فمفهوم الإبدال لغة : تغيير شيء بشيء آخر،جاء في معجم علم الأصوات:« الإبدال تغيير صوت إلى آخر بفعل البيئة اللغوية المحيطة به ضمن كلمة أو جملة ما»[2]، ويقال :بَدَلْت الشيء إذا غيرته ، وإن لم تأت له ببدل، أما أبدلت إذا أتيت له ببدل[3]، ويتردد مصطلح الإبدال في كتب المتقدمين مثلما يتردد عند بعض المحدثين ، فيعرفه **تمام حسان**:«تأثر الصوت بما يجاوره ،وانقلابه إلى جنس الصوت آخر ،أو انقلابه إلى صوت متقارب له أجلى حصول التقارب ، والتجانس الصوتي»[4]،ونصف حال التماثل في أوجز تعريف له، ويعرف عند القدماء بالإبدال ، قال **ابن الحاجب**: « الإبدال جعل حرف مكان حرف غيره»[5]،ومن مرادفات الإبدال عند القدماء :« التعويض والتعاقب والمعاقبة»[6] ،وخير دليل ما أوضحه **ابن فارس** حين مثل بقوله تعالى:« فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ »[7]، فاللام والراء يتعاقبان

---

[1]-الإبدال ، أبو الطيب اللغوي ، ص 5.
[2]- معجم علم الأصوات ،محمد علي الخولي ،ص 09.
[3]- مقاييس اللغة ، ابن فارس، مادة (بدل).
[4]- اللغة العربية معناها ومبناها ،تمام حسان، ص662.
[5]- الشافية، ابن الحاجب، ص 197
[6]- التطور اللغوي التاريخي، د/ إبراهيم السمرائي، دار الرائد، القاهرة، 1966م،ص 111
[7]- سورة الشعراء،الآية :63.

كما تقول العرب: (**فلق الصبح وفرقه**)[1]، أما **الثعالبي** عدَّه من سنن العربية بإقامة الحروف بعضها من بعض[2].

ولأهمية هذه الظاهرة الصوتية ألف العلماء في بابها، فابن السكيت ألف كتابه **(الإبدال)** ، وعدّها ظاهرة لغوية فسرت على أنها من الإبدال حين ،ومن تباين اللهجات حينا آخر، جاءت نتيجة للتطور الصوتي[3]، فكل كلمة لها صورتان، إحداهما أصل و الأخرى فرع لها أو تطور عنها ، و هذا التطور يحصل لعلاقة صوتية بين المبدل و المبدل منه ، ولقرب في الصفة و المخرج[4] ، أما **ابن جنّي** فقد أشار إلى هذه الظاهرة في الحرفين اللّذين يخرجان من مخرج واحد ،كما هو الحال في الدّال و الطاء، و اعتمد في هذا على رأي ابن فارس الذي أشار فيه إلى هذه الظاهرة مشترطا فيه إلى تقارب المخارج و تدانيها[5]،كشرط أساس لحصول التجانس الصوتي.

و الإبدال عند علماء العرب القدامى على نوعين: أحدهما **صرفي** (قياسي)، والثاني **لغوي**
(سماعي)، فإذا نظرنا إلى تراثنا العربي وجدنا في الأمثلة المسموعة ،والمحفوظة من الإبدال ما تبدلت فيه الحروف المبدلة صفة ومخرجا ،ذكر **صاحب المزهر(ت 911ه):** قلَّما تجد حرفا إلاَّ وقد وقع منه البدل ولو نادرا[6]،وهذا ما أكده **ابن جني** كون الحرف المبدل ،والحرف المبدل منه من مخرج واحد،أو من مخرجين متقاربين ،وأن الغاية منه تقريب الأصوات بعضها بعض[7]،وأن مقياسه في ذلك هو اللفظين إذا استويا في الاستعمال والتصرف:« فلست بأن تجعل أحدهما أصلا لصاحبه أولى منك بجمله إلى ضده»[8]،وعلى هذا فكل لفظ لغة لقوم بأعيانهم

---

[1] ـ الصحابي في فقه اللغة، ابن فارس، ص204
[2] ـ فقه اللغة وأسرار العربية، الإمام أبي منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل الثعالبي (ت429هـ) ، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص204.
[3] ـ الإبدال، أبي يوسف يعقوب ابن السكيت (ت244هـ)، تحقيق: حسين محمد شرف، مراجعة: علي النجدي ناصف، القاهرة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ؛ 1398هـ/ 1978م،ص 23
[4] ـ من أسرار اللغة، د/إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط05، 1975م، ص74-75.
[5] ـ سر صناعة الإعراب،ابن جني ،193/1.
ـ المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، جلال الدين السيوطي،ص 09.[6]
ـ سر صناعة الإعراب ،ابن جني،1 /193.[7]
ـ الخصائص ، ابن جني ،82/2[8]

مثل:(علث الطعام، وغلته، والنشوع ، والنشوغ) لغات كلها لاستوائها في الاطراد والاستعمال[1]،وهذا الإبدال الشائع يسمى **الإبدال اللغوي.**

أما **الإبدال الصرفي** يسمى بالصرفي لأنّه يخضع لقواعد صرفية كما في صيغة (أفتعل) ،إن تبدل فيها تاء (افتعل) (الطاء)، إذا سبقت بأحد حروف الإطباق، و مثال ذلك كلمة (اصطبر) التي تكون على قياس (اصتبر)، و هذه الصيغة افتراضية، جاء بها القياس، و يسميها بعض علمائنا الأصل المرفوض[2] ، أي أن القياس يقرها بالرجوع إلى الأصل إلاّ أن الاستعمال يرفضها بالرجوع إلى الواقع اللغوي.

هذا الفرق الواضح بين ما هو لغوي، وما هو صرفي يجيلنا إلى ذلك التفاوت الذي ظهر عند الدارسين في عدد حروف الإبدال، فحروف البدل عند **ابن مالك** ثمانية مجموعة في قوله:«طويت دائما»،وأضاف إليها في الهاء في (أوضح المسالك) فصارت تسعة صوامت،جمعها في عبارة (**هدأت موطيا**)[3].

و يجمعما **علي القالي** (ت 356ه) في اثنا عشر صامتا في عبارة (**طال يوم أنجدته**)[4]، و**الزمخشري** (ت 338ه) يحددها بخمسة عشر حرفا هي (**استنجده يوم صال ،زط**)[5].

و**ابن جني** يربطها فيما تقاربت من الحروف وتدانت مخارجه بقوله:« إذا أصل القلب في الحروف إنما تقارب منها وذلك:الدال والطاء والتاء، والظاء والثاء، والهمزة ، والهاء، والميم والنون، وغير ذلك تدانت مخارجه، فأما الحاء فبعيدة عن الثاء»[6] ،فحروف البدل عنده أحد عشر حرفا[7].

2/ دراسة تطبيقية لظاهرة الإبدال:

1- سر صناعة الإعراب ،ابن جني، 256/1.
2- الحجة في علل القراءات السبع، أبو علي الفارسي، تحقيق: علي النجدي، عبد الحليم النجار، إسماعيل شبلي، الدار القومية، القاهرة ؛ 1966م، 38/1.
5- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد ، محمد بن مالك ،تحقيق: محمد كامل بركات، مط: دار الفكر ، ط 1؛1967م ،ص 300
4- الأمالي ، أبو علي القالي، ص186/2.
5- شرح المفصل، ابن يعيش، 07/10.
6- سر صناعة الإعراب ، ابن جني،180/1.
7- المصدر نفسه، 62/1.

لما كان التّقارب الصّوتي هو السبب الأهم في تغيير تباين اللهجات ،أو وقوع الإبدال عند القدماء أو حصول التطور الصوتي فجدير بهذا التطور أو الإبدال اللغوي أن ينظر إليه من جهة الأصالة ، والفرعية وهو ما قام به **ابن جني** إذا توصل إلى نتائج أفاد منهّا المحدثون و أعجبوا بها ، وبخاصة في بحثهم التطور الصوتي[1]،لعل ابن جني أول من عرض إلى فكرة الأصالة و الفرعية بين ألفاظ اللغة التي كانت مادة للإبدال بطريقة المعايير التي اعتمدها[2]، و سنذكر بعض الألفاظ التي أوردت في سر صناعة الإعراب، لأنه المصدر الذي شرح وجهة نظره في الإبدال بطريقة عملية تطبيقية واسعة.

- **باب الهمزة:**

ذكر ابن جني أن **الهمزة** تبدل من **خمسة** أحرف هي العين و الهاء و الواو الألف و الياء[3].

- **إبدال الألف همزة:**

هناك من الألفات التي لوحظ أنها تقلب إلى همزة حسب مذهب القدماء منها:

- **الألف المزيدة:** (الألف في اسم الفاعل من الفعل الصحيح المضعف)

يمثل ابن جني لذلك بما روي (**عن أيوب السَّختياني**) أنه قرأ: ﴿ و لاَ الضَأِّلِّينَ ﴾[4] فَهَمَز الألف، و علّل ذلك بكراهة اجتماع الساكنين قال: « و ذلك أنه كره اجتماع الساكنين» الألف، و اللام الأولى، فحرك الألف لالتقائهما، فانقلبت همزة لأن الألف حرف ضعيف واسع المخرج، لا يتحمل الحركة كما قدمنا من وصفه، فإذا اضطروا إلى تحريكه قلبوه إلى أقرب الحروف منه، و هو الهمزة[5].

و مثله ما جاء في قوله:«و على هذا ما حكاه أبو زيد فيما قرأته على أبي علي في كتاب الهمزة عنه، من قوله: **شَأْبَّةٌ**، و **مَأَدَّةٌ** »[6]*،و ما جاء أيضا في سر صنّاعة الإعراب: وحكى أبو العباس عن

---

[1]- الإبدال، أبي الطيب اللغوي (ت351هـ) ، ص 21-22.
[2]- التطور الصوتي العربية في ضوء المنهج الوصفي- دراسة تطبيقية- أنفال جاسم محمد ، رسالة ماجيستر، إشراف: د/ صيوان خضير خلف، جامعة البصرة، كلية التربية، 2011م، ص127.
[3]- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 86/1.
[4]- سورة الفاتحة ، الآية : 09.
[5]- سر صنّاعة الإعراب، ابن جني، 86/1.
***- مأدة: يقال امرأة مأدة،: أصلها مادة بوزن فاعلة، وتطلق على المرأة الناعمة.**
[6]- ينظر: لسان العرب، 6/ 19-41.

أبي عثمان عن أبي زيد، قال: سمعت عمرو بن عبيد يقرأ: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾[1]، فظننته قد لحن حتى سمعت العرب تقول: شَأَبَّة، و دَأبَّة، قال أبو العباس، فقلت لأبي عثمان: « أتقيس ذلك ؟ قال: لا، و لا أقبله » [2].

- الألف المزيدة في الفعل الصحيح المضعف:

قال ابن جني: و أنشدت الكافة:

يا عَجَباً لقد رأيتُ عَجَبَا
حِمارَ قَبّان يسُوقُ أَرْنَبـا

خاطِمهَا زَأَمَّها أن تَذْهَبـا.[3]

يريد: **زَامَّهَا**[4]، و يمكن القول إن الفعل جاء على الأصل فيه و هو همزة، إذ كل ألف زائدة نعدها في الأصل همزة.

- الألف المزيدة في البناء (افعالٌ):

و قال آخر: وبعدَ انتهاضِ الشيب من كل جانبٍ *** على لِمَّتي حتى اشْعَأَلَّ بهيمُها

يريد: (**اشعالَّ**) من قوله تعالى: ﴿ واشْتَعَلَ الرأسُ شيبًا ﴾، فهذا لا همز فيه: و قال دُكَينَ*:

رَاكدَةٌ مخْلاتُه و مَحْلبُه *** و جُلُّهُ حتى ابيأضَّ مَلْبَبه .

يريد: (**ابياض**) همز .

و يقول قرأت علي أبي الفرج علي بن حسين، عن أبي عبد الله محمد بن العباس اليزيدي، عن محمد بن حبيب لكثير:

وللأرض: أما سُودُها فتَجَلَّلَتْ بَياضًا، وأما بِيضُها فادْهَأَمَّـتِ

---

[1]- سورة الرحمن، الآية : 39.
[2]- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 87/1.
[3]- المصدر نفسه، 86/1-87.
[4]- زامَّها : الزَّمام الحبل الذي يجعل في البُرَة والخشبة وقد زَمَّ البعير بالزَّمام.
***- دُكَيْن: هو دكين بن رجاء بني فقيم، عاش في الدولة المروائية، ومدح عمر بن عبد العزيز فأعطاه ألف درهم من ماله، ولم يكن عمر يعطي الشعراء شيئا.**

يريد: ادهامَّتْ: و قد كاد يتسع هذا عنهم[1].

من المحدثين **داود عبده** يرى أن الأصل في هذه الألف **الهمزة** ،و يستدل بهذه القراءة المذكورة آنفا[2]، و هو يرد القول بقلب الألف همزة ، بأن ذلك لا ينطبق على واو المد و لا ياء المد، وبأن افتراض كون الهمزة موجودة في الأصل ثم حذفت لا يحتاج إلى دليل لأن سقوطها ظاهرة عامة في اللغة العربية[3]، و في قول داود عبده عن الواو نظر إذ روي همزها كالألف، قال ابن جني: أنشدناه أبو علي:
أَحَبُّ المُؤْقِدَيْنِ إليّ مُؤْسَى**

بهمز الواو في(**المؤقدين و مؤسى**)، و روي قنبل عن ابن كثير(بالسُّؤْقِ) مهموز الواو ، ووجه ذلك أن الواو إن كانت ساكنة، فإنها قد جاورت ضمة الميم، فصارت الضمة كأنها فيها، فمن حيث همزت الواو نحو (أُقِّتَتْ) و (أَجُوهْ) و (أُعِدَ) لانضمامها كذلك، جاز همز الواو في (الموقدين) و(موسى)، على ما قدمناه من أن الساكن إذا جاور المتحرك صارت حركته كأنها فيه[4].

و لكن هذه الواو التي حولت همزة ليست واو مد الزائدة، و ليس يسهل القول بأن أصلها الهمزة على نحو ما قيل في الألف: لأن هذا يطرد مع الألف و لا يطرد مع أمثلة الواو، و لكن همزها إنما يفسر على نحو مختلف و هو المبالغة في التفصح لأن الهمزة صارت من لوازم اللغة الفصيحة[5].

- **إبدال الواو و الياء همزة:**

-إبدال الواو و الياء همزة في بداية الكلمة:

أبدل بعض العرب **الواو** في بداية الكلمة **همزة**، قال ابن جني:« نحو قولك في وجوه: **أُجُّوه- وُجُود** – وفي **وُعد: أُعِد**، و في **وُقِّتَتْ: أقَّتت**، و كذلك كل واو انضمت ضمّا لازما فهمزها جائز... و أبدلوا أيضا الواو المكسورة، فقالوا **إسادة**

---

[1]- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/87-88.
[2]- دراسات في علم أصوات العربية،د/ داود عبده، مؤسسة الصباح، الكويت (د.ت) ،ص80.
[3]- دراسات في علم أصوات العربية، د/داود عبده، ص:81.
****- من قصيدة لحرير يمدح بها هشام بن عبد المالك وعجزه (وجعدة إذ أضاءهما الوقود) وموسى ابنه وجعدت ابنته.**
[4]- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/94.
[5]- مشكلة الهمزة العربية، رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة؛ 1996م، ط1، ص141.

في الوسادة، و **إعاد** في وعاء، و أبدلوا المفتوحة أيضا، فقالوا: **أناةٌ** في ونَاةٌ، و **أحد** في وحد، و **أَجَم** في وَجَم، **أَسْماء** في وَسْمَاء»[1].

أما **الياء** ففي قوله:« و قالوا: في **أَلَـلٌ**، فأبدلوا الياء همزة »[2] ، ويلاحظ أن الياء مفتوحة و لا يمثل فتح الياء ثقلا، و لكن وقوعها في بداية الكلمة ربما دعا إلى مزيد من الوضوح الصوتي في هذه الكلمة فأبدلت همزة.

و يذهب لتفسير ظاهرة عبد الغفار حامد هلال إلا أنه لا توجد علاقة صوتية تسوغ التبادل بين الهمزة ،و الواو و الياء[3]، يبد أن **ابن جني** يحاول أن يوجه هذا الانقلاب ،و الملاحظ أنه يسلك طريقي الصرفيين و اللغويين معا في تعليله للهمزة و عدمه، فيقسم الهمزة إلى واجب و جائز موافق للقياس فهو لذلك مطرد، ،و إلى مخالف له فلا يطرد حيث يقول في النهاية :« فهذا إبدال الهمزة عن الياء و الواو أصلين و زائدتين»[4].

ثم يناقش ما خرج عن القياس، و يجمله في موضعين: **أحدهما:** أن تقر الهمزة الواجب تغييرها فلا تغيرها، و **الآخر:**أن ترتجل همزا لا أصل له و لا قياس يعضده: فمن أمثلة **الأول:** خاطئ و منه قولهم: غفر الله له **خطائئه،** و **دريئه** و **درائئ**[5] ،و من الثاني أمثلة مذكورة هنا كا**لعألم،** و **السأسم،** إن كليهما غير مقيس[6] ،و الواقع أن ما وصفه ابن جني بالجواز و الشذوذ يعدّ من اختلاف اللهجات و لم يكن بعيدا عن فهمه، بل قد عناهُ و نبه عليه.

- إبدال الواو و الياء همزة في بناء (فاعل):

قال ابن جني :« و قالوا: **قائم** و **بائع،** فأبدلوها من **الواو** و **الياء**»[7]،حيث يكتفي ابن جني بالوصف هنّا دون تعليل ،و كأن التعليل مرهون بما خالف الأصل و ما شد عن الاستعمال المطرد، وقد اختلفت اجتهادات المحدثين في تفسير

---

[1]- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 106/1.
[2]- المصدر نفسه ، 1/ 106.
[3]- عبقري اللغويين أبو الفتح ابن جني، د/ عبد الغفار حامد هلال، 663/2.
[4]- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 106/1.
[5]- الخصائص، ابن جني، 142/3-143.
[6]- المصدر نفسه ، 142/3-143.
[7]- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 106/1.

الظاهرة ،و من بينهم **عبد الصبور الشاهين** الذي أقام نظرية جديدة لتفسير إبدال الهمزة على أساس النبر، و أوضح عدة مبادئ تتعلق بالمشكلة[1].

و قال **رمضان عبد التواب** بعد أن بَيَّن تباعد مخرج الهمزة عن مخرجي العلتين:« و لا تفسير عندنا لمثل هذا الانقلاب إلا بمبدأ الحذلقة ،و المبالغة في التفحص مرة أخرى»[2]، أما **هنري فليش** يفسر هذه الظاهرة بأنه راجع إلى كراهة النطق بالصوامت الضعيفة مع مصوت من جنسها، و هذا يصدق – في نظره – على حالات وقوع الواو و الياء في الكلمة، بمعنى أنها تنطبق على وجود الواو أو الياء في أول الكلمة ،أو في وسطها أو في آخرها و هو يشتمل في كل حالات الإبدال الواجب وغيره"[3]، و هذا القول منسجم مع ما تقدم من تفسير لإبدال الواو و الياء في بداية الكلمة، و لعل الرغبة في الوضوح الصوتي يدعم هذا المذهب.

- **إبدال الهاء همزة:**

قال **ابن جني**: « و أما إبدال الهمزة عن **الهاء** فقولهم (**ماء**) ،و أصله (**موه**) لقولهم (**أمواه**)، فقلبت الواو ألفا، و قلبت الهاء همزة، فصار (ماء) كما ترى، و قد قالوا أيضا في الجمع: أمواء فهذه الهمزة أيضا بدل من الهاء (أمواه).»[4] للتقارب بينهما في المخرج و الصفات كما ذكرنا، و نحن نوافقه على هذا الإبدال لأن ضروب التصاريف ،و المعاني تدلّ على ذلك كما يقول صاحب اللسان القاموس، فجمعه أمواه و مياه و تصغيره (مويه) و كذلك يقال في الفعل أمَاه فلان رَكَيْتَه و قد ماهتْ الرُكيْة و هذه مُويهة عذبة[5]، و مَوَّه الموضع تمَويها: صار ذا ماء و القدْرُ أُكْثر ماءها، و الموهة الحسن و ترقرق الماء في وجه الجميلة و مهْتُهُ بالكسر و بالضم: سَقَيْتُه[6].

و الهمزة أمواه بدل من هاء أمواه – كما قال ابن جني – بتقدير أنها أبدلت منها مباشرة ومن الحائز أن تكون همزة المفرد انتقلت إلى الجمع، فالإبدال إنما

---

[1]- القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د/ عبد الصبور شاهين، دار القلم، مصر؛1966 م،ص129.

[2]- مشكلة الهمزة العربية، د/ رمضان عبد التواب، ص141.

[3]- العربية الفصحى – دراسة في البناء اللغوي-، هنري فليش، تعريب وتحقيق وتقديم: د/عبد الصبور شاهين، الناشر مكتبة الشباب، القاهرة ؛ 1997م، ص 49-50.

[4]- سر صناعة الاعراب، ابن جني، 120/1.

[5]- لسان العرب، ابن منظور، 14/ 154.

[6]- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ،تحقيق:مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة، ط8 ؛1426ه/2005م،340/1.

هو في المفرد فقط، و جعل (تُدرأ وتُدْرَءُ) مما لا إبدال فيه بل هما أصلان يقال: دَرَأَ و دَرَه"[1].

- إبدال العين همزة:

لم يذكر ابن جني أمثلة لإبدال الهمزة من العين على الرغم من أنّه عدّها بين الحروف التي تبدّل منها الهمزة، و مع وجود مسوّغ التبادل من قرب المخرج و الصفات، و لكنه ذكر مثالا واحدا خرجه على أن الهمزة أصلية و ليست بدلا من العين قال: فأما ما أنشده **الأصمعي** من قول راجز[2].

أباب بَحْر ضَاحك هَزوق*.

فليست الهمزة فيه بدلا من عين عباب و إن كان بمعناه و إنما هو فعال من **أبَّ**: إذا تهيأ

قال **الأعشى**:

أخ قد طَوَى **كشْحا**** وأبَّ ليذْهَبا.

و قد بني ابن جني رأيه في هذا المثال على اختلاف الاشتقاق القائم بين اللفظين ،إذ **العباب** من عبَّ البحر: إذا زخر بكثرة مياهه، و أما **أُبَابُ** فمن التهيء، إذ تهيأ فلهذا كانت الهمزة أصلا غير بدل من العين، و إن قلت إنها بدل منها فهو وجه و ليس بالقوي[3]،و الواقع أن الإبدال يكون من الهمزة إلى العين كثيرا كما في (**الأسُن** و **العُسُن** و **كثأ اللبن** و **كَثَع**، و موت **زؤاف**، و **زعاف**) وغير ذلك لأن العين أسهل من الهمزة، و الإبدال عادة يتجه نحو السهولة لا العكس[4].

و بهذا يكون ابن جني علّل لحالات الهمزة في الكثير من الألفاظ لكن اكتفينا بهذا القدر لنبين أنه كان صرفيا كسابقيه، و قد اتخذت اللغة المثالية الهمزة عن مبادئها، بحيث ينطق به المتكلم الفصيح في مجال استخدام اللغة المشتركة، في الشعر و النثر بدويا كان أو حضريا بالإضافة إلى التعليل الصوتي الواضح المعتمد على صفة و مخرج الصوامت عنده من خلال موضوع الدراسة – **سر الصنّاعة** –

---

[1]- ينظر: سر صناعة الإعراب، ابن جني، 118/1، وعبقري اللغويين أبو الفتح ابن جني، د/ عبد الغفار حامد هلال، 2/ 649.

[2]- سر صناعة الاعراب، ابن جني، 119/1.

***- هَزوق: هزق في الضحك هزقا، وأهزق فلان في الضحك أكثر منه (ينظر:لسان العرب، 62/15)**

**** طوى كشحا: يقال طوى كشحُهُ إذا أضمر الشر لإنسان مادة (كشح) (ينظر :لسان العرب، 71/13)**

[3]- عبقري اللغويين أبو الفتح ابن جني، د/ عبد الغفار حامد هلال، 644/2-645

[4]- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 119/1.

كما لابد من وجود مسوغ أو سبب لكل أمر يحدث ،و لاسيما القضايا التي تتعلق أو يتلق بها تغيير أشياء في داخل هيكلها أو تركيب البنية العامة لها، و من ذلك الإبدال ماله من مسوغات وضعها المختصون في هذا العلم فبين بعضهم (إن حروف العلّة أحق بالإبدال من كل ما عدّاها من الحروف لاجتماع ثلاثة أسباب:

1- طلب الخفة.

2- الكثرة .

3- المناسبة بين بعضها و بعض[1].

و هذا لا يقتصر على حروف العلة دون الحروف الصحيحة ،و هو موجد ضمن شروط أو ضوابط يجب أن تتوفر لحدوثه، كما يثبت أن هذه الاستعمالات – في غالب أمرها – راجعة إلى اختلاف اللهجات، و حسن الذوق العربي.

➢ **- التوافق الصّوتي :**

التماثل والتجانس توصل إلى التوافق الصوتي الذي تناوله علماء العربية ،ومن صوره **الإعلال والإمالة والجوار**،فالإعلال من مادة علل من العلّة، و هو تغيير حرف العلة اللاحق ببنية الكلمة أي تغيير يلحق الأصوات المعتلة[2]، وسميّت هذه الحروف علة كثرة تغييرها[3]، بغية صنّاعة اللّغة،و ما يقتضيه سياقها التركيبي وما تقرضه قواعد أبنيّتها الصّوتية علاقتها الوظيفية[4]،واستخدم مصطلح الهمز والحذف والإسكان والتحول والموضع والقلب للدلالة على الإعلال[5]،ولم يخرج **ابن جني** عما قاله القدماء العرب حيث خصص بابا أسماء (**باب في تخصيص العلل**) ؛ناقش فيها هذه الظاهرة الصوتية وتبدّلاتها وذلك أنه إذا عقد هذا الموضع قال في علة قلب الواو والياء ألفا:« إن الواو والياء متى تحركتا وانفتح ما قبلهما قلبا نحو قام وباع ورمى»[6].

فهذه دلالة على أن ابن جني خرج الإعلال بالقلب المختص بحروف العلة حيث يقول :«وإنما كان الأصل قام :قَوَمَ ، وفي باع: بَيعَ، فلما اجتمعت ثلاثة أشياء

---

[1]- الإبدال وعلاقته بعلم الأصوات، المدرس مثني جاسم محمد، مجلة كلية الآداب، معهد إعداد المعلمات الصباحي ع101، ص318.

[2]-شرح الشافية ،ابن حاجب رضي الدين الاستربادي ،ص 68.

[3]- شرح المفصل ، ابن يعيش ،49/10.

[4]- علم الصرف الصوتي، د/عبد القادر عبد الجليل ،دار المعرفة ،بيروت، لبنان، دط ؛1998 م،ص 408.

[5]- الكتاب ، سيبويه ، 351/4-360.

[6]- الخصائص، ابن جني ، 146/1.

متجانسة،وهي الفتحة، والواو أو الياء وحركة الواو والياء، فهربوا من الواو والياء إلى لفظ تؤمن فيه الحركة ،وهو الألف، وسوغها أيضا انفتاح ما قبلها فهذا هو العلة في قلب الواو والياء في نحو قامَ وباعَ »[1] ،فيلاحظ من هذين النّصين لابن جنّي أن سبب الإعلال لا يعدو كونه بحثا عن التخفيف ،وهو تعليل صوتي سطحي لا يغوص إلى البنية العميقة للكلمة، أي لأصواتها ، وتأثير هذه الأصوات في بعضها البعض.

وأما **الإمالة** ظاهرة صوتية سببها تجانس الصوت بين الكسرة ،والياء ينحو بها اللسان العربي من الفتحة نحو الكسرة والألف التي بعدها كسرة نحو الياء[2].والإمالة **لغة** من الميل وهي العدول إلى الشيء والإقبال عليه[3]، وأما **اصطلاحا** :« تقريب الأصوات بعضها من بعض لضرب من التشاكل»[4]، فالألف تمال إذا كانت بعدها حرف مكسور كما في الكلمات (خاشع، حالم)، وإنّما أمالوها الكسرة للخفة و الاقتصاد في الجهد[5]، أو هي نطق الألف بين الألف والياء، والفتحة والكسرة.

فهذه التعريفات اعتبرب الإمالة صوتا بين صوتين أو حركة بين حركتين،وهذا يتطابق مع قول ابن جني حين اعتبر الحركات ثلاث الضمة والكسرة والفتحة ومحصولها على الحقيقة ست ،وذلك أن بين كل حركتين حركة[6]، فالتّي بين الفتحة والكسرة هي الفتحة قبل الألف الممالة نحو:عابد ،وعارف وذلك أن الإمالة إنها هي أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة فتميل الألف التي بعدها نحو الياء، والتي بين الفتحة والضمة هي التي قبل ألف التفخيم وهي الفتحة الممالة نحو الضمة نحو:الصَّلاة، والزَّكاة، ودَعُا، وغَزاُ [7].

فالإمالة اقتصاد وتلوين وانسجام،فالقرآء وابن جني يحصون الإمالة في إمالة الفتحة نحو الكسرة ،وإمالة الألف نحو الياء ،ويقصون الإمالة نحو الضم في مثل (صلاة)ويسمونها تفخيما مع أن الفتحة واقعة بالضمة والكسرة ولو بعيدة عن الضمّة في موقع الحدوث داخل القناة الصوتية ،وإليها نجلوها من قوله:« وأما ألف

---

[1] - سر صناعة الإعراب ،ابن جني ، 29/1.
[2] -المصدر نفسه ، 52/1.
[3] -لسان العرب ،ابن منظور،14 /160.
[4] - شرح المفصل ،لابن يعيش ، 10/54
[5] - الكتاب ،سيبويه ،4/ 278.
[6] - معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، 901/2.
[7] - سر صناعة الإعراب ، ابن جني، 52/1.

التفخيم فهي التي تجدها بين الألف وبين الواو نحو قولهم: سُلامُ عليك،وقام زيد،وعلى هذا كتبوا: الصلوة و الزكوة و الحيوة بالواو،لأن الألف مالت نحو الواو ،كما كتبوا :إحداهما وسوّاهن بالياء لمكان إمالة الفتحة قبل الألف إلى الكسرة»[1]،وبهذا يمكننا استنتاج **أنواع (الإمالة)**:

-إمالة الألف نحو الكسرة أو الياء، ومثالها قوله تعالى:﴿ تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ﴾[2] ،حيث يجوز في القراءات القرآنية نطق الألف في (**آيات –الكتاب**)، ممالة نحو الكسرة.

-إمالة الألف نحو الضمة أو الواو ، ومثالها:(**الصَّلاة، والزكاة**) حيث تمال الألف نحو الضمة أو الواو.

-إمالة الفتحة نحو الكسرة، ومثالها الحركة التي تسبق تنوين الكسرة في (**عليمٍ ،وحكيمٍ**) ،ومن ذلك الحركة التي قبل الباء في(**لم يُكاتبْ**)، وحركة فاء الفعل في سرْ، وبَعْ

-إمالة الفتحة نحو الضمة ،ومثالها الحركة التي تسبق تنوين الضم في(**عليمٌ،وحكيمٌ**)، ومن ذلك الحركة التي قبل الراء في (**لم ينصرْ**)، وحركة فاء الفعل في عُدْ، وتُمْ.

إن الحديث عن الإمالة طويل منثور في التراث العربي، وفي جميعه ،لم يبتعد عن مفهوم ما وصفناه به من قبل ،بأنه اقتصاد وتلوين وانسجام ففي صيغ **(عالم)** مثلا: تمال فتحة العين نحو الكسرة، وفي هذه الإمالة تقليل من اتساع العين، والتوجه بها نحو التضييق ،وفي نفس الوقت تقليل للمدة الزمنية التي كانت لها، وتلوين صوتي جديد يلحق بهده الصيغة، وتقريب صوتي بين الفتحة والكسرة [3]، فهذا التلوين الذي أكدّ عليه **ابن جني** وأقرّ أن الإمالة تقع في الكلام لتقريب الصوت من الصوت[4].

ثمَّ **الجوار**: المجاورة أو الجوار إحدى ظاهرات اللّغة العربية عرفت بالجر على الجوار أو المجاورة للتوافق الصوتي، درسها النحاة واللغويون على رأسهم ابن جني من منطلق إعرابي، لما وجدوا عدول اللسان العربي من الرفع إلى الجر

[1]- سر صناعة الإعراب ،ابن جني ، 50/1.
[2]- سورة يوسف ، الآية :02 .
[3]- المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية ، د/درار مكي، ص122.
[4]- ابن، الخصائص، 141/1 جني

في إحدى أوجه المجاورة دون مسوغ لذلك، لذا جرهم هذا إلى تخريجات إعرابية شتى منها : تجاوز اللفظين ، ومنها حذف المضاف وغيرها من الأوجه الإعرابية.
وعلى هذا الأساس عقد ابن جني أيضا بابا لدراسة هذه الظاهرة سماه (**باب في الجوار**)، فأطلق عليه مصطلح الجوار ، وقسمه إلى قسمين:

1- تجاور الألفاظ.
2- تجاور الأحوال.

ما يهمنا **تجاور الألفاظ** في المتصل فنحو مجاورة العين للام بجملها على حكمها ،كقولهم في **صوّم: صيَّم**[1]،وفي **جوَّع : جِيّع**[2]، بقلب الواو ياء تشبيها بقولهم: **عتي** في **عتو** ، و**عصي** في **عصو** لما قلبت اللام في عتو وعتي فحملت العين على اللام لمجاورتها إياها ،فآثر تسويغ هذا الإعلال الذّي أطلق عليه القلب – بالمجاورة-[3].

وأما في المنفصل فنحو قولهم (**هذا جُحرُ ضبّ خربِ**)، إلا أن ابن جني رفض جر (خَربِ) على الجوار ،وخرجه على أنّه من حذف المضاف إذ التقدير (**هذا جُحْر ضَبّ خَرِب جُحْرهُ**) ،فحذف الجحر المضاف إلى الهاء وارتفعت الهاء ثم استترت في (خربِ)،الذي هو وصف للضب ،وإن كان في الحقيقة للجحر،كقولهم :مررتُ برجل قائمِ أبُوهُ ، فيكون قائم وصفا للرجل ،وإن كان القيام للأب[4].

إذن فقد اختار ابن جني **الجوار** في الأصوات لما فيها من انسجام ، وتلوين بين الأصوات ولم يقل به في النحو،إذ اهتدى إلى تخريج نحوي أبطل من خلاله أسطورة الجر بالمجاورة التي أشار إليها سيبويه ومن جاء بعده ،وكان يسميه بالجوار الصناعي اللفظي[5].

- **ـ التخفيف الصَّوتي:**

ظاهرة صوتية يميل إليها المتكلم ،كتخفيفه الحرف المشدد للضرورة، فالعملية صوتية بحتة يميل إليها الناطق للسهولة واليسر ،ومن صوّره **الحذف والقلب،والإعلال:**

ـ سر صناعة الإعراب ،ابن جني،1/1[1]221
ـالمصدر نفسه ،1/2[2]188
ـالخصائص، ابن جني ، 3/219.[3]
ـظاهرة المجاورة الدراسات النحوية ومواقعها في القرآن الكريم، د/فهمي حسن النمر ، ص13.[4]
ـ الخصائص، ابن جني ، 2/175-176.[5]

فالحذف في الكلمة العربية يختص أحد حروفها لقضيّة صوتية عند النّطق بها ،ولا سيما بالمدغم، أو لامتناع المدغم لسكون الحرف المدغم فيه، ومن الحذف الذّي أشد به أبو علي الفارسي شعرا لتلميذه ابن جني هو حذف فاء الفعل من قولهم: (**تَقًّى، يَتَّقَى)** وأصله: **(اتَّقي، يَتقَي**)،كما حذفت التاء الأولى التّي هي فاء الفعل كما في البيت الشعري:

تَقُوه أيُّهَا الفِتْيَانُ إنّي *** رأيتُ اللهَ قَدء غَلَبَ الجُدُودا

حيث يعلّل ابن جنّي أن تقوه أراد بها اتَّقُوهُ[1]، فالتاء الأولى في من يتَّقي ،ويتسعُ أحق بالحذف من السين أحْسَبْتُ، ومَسَسْتُ الأولى المتحركة ؛ لأن تاء يتَّقى أصلها واو وهي فاء الكلمة ؛ لأنّها من وَقَى وَوَسَعَ ويَقَع فيها حذف وبدل، فالحذف في المستقبل نحو قولك: يَتَقِي ويَتَسِعُ ،والبدل إنها تبدل تاء في افتعل نحو قولك: اتَّقَى واتَّسَعَ كقولك : اتَّزَنَ، واتَّعَد[2]، فمن هذه الأمثلة يتضح لنّا أن **التخفيف** من تلوناته الحذف والإبدال.

أما **القلب** جاء في لسان العرب القلب تحويل شيء عن وجهه، قلبه يقلبه ، وقد انقلب الشيء ، وقلبه حوله ظهرا لبطن[3]،ومفهومه الاصطلاحي هو :«ظاهرة صوتية تعني تبادل صوتين لمكانيهما بأن يحل أحدهما محل الآخر ،مثل : يَئِس، وأَيْسَ ومَسرح،ومرسح »[4]، وهو فرع من فروع الإبدال ففيه تقديم أو تأخير حرف على آخر في الكلمة، فأفرد **السيوطي** في المزهر فصلا للقلب ذكر فيه الكثير من الكلمات التي تحوي قلبا ،نحو :مكفهرّ ومكرهف ، واضمحلّ، وامضحل ، والأوباش ، والأوشاب[5].

وكان **ابن جني** سباقا للحديث عن هذا التّلون حيث قال:« اعلم أن كل لفظين وجد فيهما تقديم وتأخير ، فأمكن أن يكونا جميعا أصلين ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، فهو القياس الذي لا يجوز غيره، وإن لم يمكن ذلك حكمت بأن أحدهما مقلوب عن صاحبه ، ثم رأيت أيهما الأصل ،وإنهما الفرع»[6]، وطريقه إلى معرفة

---

[1]- سر صناعة الإعراب ، ابن جني ،198/1.
[3]- النكت في تفسير كتاب سيبويه ، لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري (ت476 ه)، 1276/2.
[3]- لسان العرب، ابن منظور، 265/1.
[4]- علم اللغة بين القديم والحديث،د/عبد الغافر حامد هلال، ص 249.
3- المزهر في علوم اللغة وأنواعها ،عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي،ص 33
[6]- الخصائص ،ابن جني ، 69/2.

اللفظين، وأصلين أم أحدهما مقلوب عن الآخر هو البحث عن تصريفاتهما ،فإن كان يتصرفان تصرفا واحدا كان أصلين ،وإن قصر أحدهما عن تصرف الآخر ،كان أوسعهما تصرفا أصلا وآخر مقلوبا عنه ، **ومن تلويناته** :

- مما تركيباه أصلان لا قلب فيهما قولهم: جَّذَبَ، وجَبَذَ، ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه

وذلك أنهما جميعا يتصرفان تصرفا واحدا نحو :جَذَبَ يجذُبُ جَذْبا فهو جاذبٌ والمفعول مجذوب ، وجبَذَ يجْذُبُ جَبذا.

- مما كان أحدهما مقلوبا عن الآخر قوله:« وذلك كقولهم: أَنَى الشيءَ يأنىَ ،وآن ويئينُ ،فآن مقلوب عن أنَى ،والدليل على ذلك وجودك مصدرا أنى ،يأنى وهو الإنْي ولا توجد لآنَ مصدرا[1].

- قلب ياء (عَوْيا) واوا لعلّة مشروحة عند أصحاب التّصريف، وذلك أن (فَعْلى) إذا كانت اسما لا وصفا ،وكانت لامها ياء، قلبت ياؤها واوا وذلك نحوى (التَّقْوَى) أصلها (وَقْيا) لأنها فعلى من وقيتُ[2]،

- أما في (جاه وُجوه،أُجُوه)[3]،فجاء مقلوب من فَعْلِ إلى فَعَلٍ ،يريد أن صار من وَجْهٍ إلى جَوَه ،ثم حركت عينه فصار إلى جَوَهٍ، ثم أبدلت عينه لتركها وانفتاح ما قبلها فصار جاه[4].

بقي أن نثبت إن القلب مظهر من مظاهر التخفيف الصوتي ،واستعمله **ابن جني** للدلالة على القلب المكاني عند المحدثين ومما يكن ، فإن القلب خلال القرون الأربعة الأولى عند العرب كان يفيد أكثر من ظاهرة صوتية واحدة(كالإبدال والإعلال والقلب المكاني)،لذا احترز المحدثون من الوقوع في هذا الاشتراك، والتداخل فأضافوا لفظ المكاني للقلب ليفرقوا بين القلب في حروف العلة ،والقلب المكاني لتبادل الحروف أماكنها، الهمزة والألف والواو والياء، هذه الأصوات الأربعة هي أكثر العناصر تأثيرا في المباني ،وأوسعها استعمالا عند ابن جني في **سرّ صنّاعة الإعراب**، وبما أن التخفيف يراد به التخلص من ثقل الهمزة بأحدى وسائل التخفيف التي اتخذها العرب من الإبدال أو الحذف أو جعلها بين بين ،

---

[1] - **المصدر نفسه، 47/2.**
[2] -**سر صناعة الإعراب ، ابن جني، 88/1.**
[3] - **المصدر نفسه ، 92/1**
[4] - **الخصائص، ابن جني ، 51/2.**

سنتطرق لتخفيف الهمزة مركزين على **التغيرات و التّلوينات للهمزة عند ابن جنَّي**:

- **ـ تخفيف الهمزة:**

الهمزة المخففة من الحروف التي يؤخذ بها في القرآن وفصّيح الكلام[1]، وهي صوت أقصى خلفي شديد في نطقها ثقل ما، لذا اتخذها العرب من الإبدال أو جعلها بين بين؛ لأن العرب لما استثقلوا للنّطق بالهمزة، ووجدوا صعوبة وتكلفا، فهي كالتهوَّع، فذهبوا لتسهيل نطقها ليتناسب مع سليقتهم، وبيئتهم التي في كتاب يعيشون فيها ،فهذا الذي جاء في كتاب سيبويه ،وأما التخفيف فتصيّر فيه بين بين وتبدل وتحذف[2].

ومعنى قول سيبويه (**بين بين**) أيّ بين الهمزة ،وبين الحرف الذّي منه حركتها،إن كانت مفتوحة فهي بين الهمزة والألف، وإن كانت مكسورة فهي بين الهمزة والياء، وإن كانت مضمومة ،فهي بين الهمزة والواو، إلا أنه ليس لها تمكن الهمزة المحققة، ولا تقع الهمزة المخففة أولا أبدا لقربها بالضعف من الساكن، فالمفتوحة نحو قولك: في سأَلَ: سَالَ، والمكسورة نحو قولك في سَئِمَ: سيمَ، والمضمومة نحو قولك في لَؤُمَ: لُومَ[3].

وأحكام الهمزة من التخفيف والتخفيف بابا يطول الحديث عنها[4]، فيجب على القارئ أن يعرف جميع ذلك من أحوالها وطباعها ، فيتوسط اللفظ بها، ولا يتعسف في شدة إخراجها إذا نطق بها لكن بخرجها بلطافة ، ورفق لأنّها حرف بَعُدَ مخرجه فصعب اللفظ به لصعوبته ، فإذا أخرجها القارئ من لفظه برفق ولطف، ولم يتعسف باللفظ بها فقد وصل إلى اللفظ المستحسن المختار فيه[5].

فمن خلال أقوال العلماء التي ذكرت في تخفيف الهمزة يتبين للمتأمل أن التغيرات ،والتلوينات الصوتيّة في كتب اللغة ما كان متصلا بالهمزة المفردة، بينما ما ورد في كتب القراءات ،وفن الأداء متصلا بالهمزة المجتمعة مع غيرها

فمن موافق التخفيف للهمزة المفردة عند القراءة:

---

[1] **ـ سرّ صنّاعة الإعراب، ابن جني ، 46/1.**

[2] **ـ الكتاب ، سيبويه ،3 /541.**

[3] **ـ سر صنّاعة الإعراب ، ابن جني ،1 /48.**

[4] **ـ المصدر نفسه ، 48/1.**

[5] **ـ المصدر نفسه ،118/1.**

- **الهمز الساكن المفرد**: مثل قوله تعالى:(يُؤْمنون ، يُؤْفَكون، يُؤْلُونَ، بئْسَمَا)، فينطق مكان الهمزة في مواضع حرف علّة من جنس وحركة ما قبلها[1].

- **الهمزة المتحركة بعد ساكن**: وفي قوله تعالى:﴿عادًا الْأُولَى﴾ [2]،فقد نقل حركة الهمزة إلى اللام ليتمكن من الإدغام، فنطق بها مشددة مضمومة،وأسقط الهمزة ،هكذا: عاد للُّولَى.

- إذا كانت **متحركة وقبلها متحرك** تخفف بنطقها بين بين،أيّ بين الحركتين إلا المفتوحة وقبلها ضمُ فتقلب (لُؤْمُ)، والمفتوحة ما قبلها كسر فتقلب ياء نحو: (سَئِمَ) تنطق (لَوُمَ،سَئِمَ)[3].

-وإن كانت **متحركة وقبلها ساكن** :في قوله تعالى:﴿ الذّي يَخْرَج الخَبْءَ في السَّمَوَات﴾[4]، فإذا كان الساكن الذي قبلها صحيحا ، أو واوا أو ياء أصليتين نقلت حركتها إليه وحذفت.

وأما **مواقف التخفيف للهمزتان المجتمعتان في كلمة وفي كلمتين**:

- أن تكون الأولى مفتوحة ،والثانية متحركة بالفتحة أو بالكسرة أو بالضمة في كلمة، فإذا تحركت الثانية بالفتحة سهلت بين الهمزة، والألف نحو :﴿أأنْذَرْتهُم ﴾[5]،وأأقَرَرْتُم ،وزِيد بين الهمزتين ألف لتصيّر الأولى ممدودة، ما عدا قوله تعالى: ﴿ آمَنْتُم ﴾[6] ، وطه والشعراء في﴿ آلِهتنَا ﴾ في الزخرف[7]، فإن الأئمة متفقون على عدم زيادة هذه الألف، فإذا تحركت الثانية بالكسرة سهلت بين بين كالياء المختلسة الكسرة، وأدخل بينهما ألف نحو: (أايذَا ،أايفْكا)،ما خلا قوله (أيمَّة) وإذا تحركت الضمة سهلت بين بين ، فتصيّر كالواو المختلسة الضمة، ولم تدخل بينهما ألف ووردت بإدخالها[8] .

- أن تتفق الهمزتان بالفتح ،أو بالكسر ،أو بالضم في كلمتين: فالمفتوحتان مثل قوله تعالى : ﴿وجَاءَ أَمْرُنَا﴾[9]، والمكسورتان مثل﴿هَؤُلَاء إن كُنْتُم

---

[1] - أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمرو بن العلاء، د/عبد الصبور شاهين ،ص109.
[2] - سورة النجم ، الآية: 50
[3] -سر صنّاعة الإعراب ،ابن جني، ص 48/1.
[4] - سورة النّمل ، الآية :25.
[5] - سورة البقرة ، الآية: 06.
[6] - سورة الأعراف، الآية :123.
[7] - سورة الزخرف، الآية :38.
[8] - أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمرو بن العلاء، د/عبد الصبور شاهين ،ص 111.
[9] - سورة هود ، الآية : 66.

صَادِقِينَ﴾[1]،والمضمومتان مثل:﴿ولَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِه أَوْلِيَاء أُولَئِكَ﴾[2]،وقد قرأ أبو عمر هذا النّوع بإسقاط إحدى الهمزتين وتخفيف الأخرى

- أن تكون الأولى مضمومة ، والثانية مفتوحة في كلمتين مثل: ﴿أن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ
بذُنُوبهم [3]﴾،حقق الأولى وأبدل الثانية واو مفتوحة أو عكس سابقتها مثل ﴿ جَاءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا ﴾[4]، سهل نطق همزة بين بين الثانية

- أن تكون الأولى مضمومة والثانية ياء مكسورة في كلمتين ﴿ أَمْ كُنْتُم شُهَداءَ إِذْ حَضرَ يَعْقُوبَ المَوْتَ﴾[5]،أو العكس مثل : ﴿ مِن وِعاء أَخِيهِ﴾[6] ،حققت الهمزة الأولى وأبدل الثانية ياء مفتوحة .

- أن تكون الأولى مضمومة والثانية مكسورة ،ولا عكس مثل:﴿ما نشَاء إنَّك لأَنْتَ الحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[7]،حقق الأولى وسهل الثانية[8].

فهذا عرض واف لأحكام الهمزة وما يطرأ عليّها من تلويّنات ، وتغييرات لإقامة التّوازن والانسجام بين عنّاصر المفردات.

- سورة البقرة ، الآية :31.[1]
- سورة الاحقاق ،الآية :32 .[2]
- سورة الأعراف ، الآية: 100 4
- سورة المؤمنون ، الآية : 44 .[4]
- سورة البقرة ،الآية : 133.[5]
- سورة يوسف ، الآية :76 .[6]
- سورة هود ،الآية :87 .[7]
- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي أبو عمرو بن العلاء، د/عبد الصبور شاهين ، ص 112.[8]

المبحث الثّالث:

أصالة التّلوينات الإيقاعية ودلالتها الوظيفية في القرآن الكريم

إنّ التّراكيب الّصوتية باختلاف توجهاتها، مادامت عبارة عن أصوات مؤداة لغرض ما ،مبنية على عامل الإيقاع، الذي يجذب الانتباه ، ويؤثر في جمالية اللغة، فلقد اتخذ اللغويون من الأصوات وصفاتها دليلا يستدلّون به على فصاحة الألفاظ وأصالتها أو شناعتها وغرابتها عن لغتهم، فوجدناهم يعللون ويفسرون ما يطرأ على أبنية الصيغ والتراكيب من تغير وتبدل ،لتبقى الدّلالة وما يعانقها من تنغيم وإيقاع جمالي جانبا قارا يلازم كلّ تلوين يغرضه التأثير والتأثر الصّوتي ، أو يعتمده فحين يتكلم الإنسان فإنه ينطق سلسلة من الأصوات المتابعة، هذه الأصوات تترابط وتتألف في مجموعات نسميها الكلمات، ثم تنتظم الكلمات في جمل وعبارات فتؤدي بذلك إلى معنى مقصود ،وواضح من المتكلم إلى المتلقي، فالكلمات حزم صوتية متشابكة ومترابطة العناصر، لا يمكن تجزئتها صوتيا إلا عندما، يلجأ دارسوا الأصّوات اللّغوية إلى تناوّل كل صوت منفردا، وتقديم وصف لخصائصه ومكوناته الصّوتية فإن ذلك يهدف إلى تحقيق هدف تعليّمي ييسر دراسة أصوات اللّغة[1] ،وبما أن لكلّ لغة لها مستوياتها كنظام **(System)** بحيث لا يتعارض فيه كل مستوى مع الآخر، فكل مستوى يؤثر ويكمل الآخر فالمستوى الكتابي لا يتعارض مع المستوى النّحوي أو الصرفي مثلا، وعلى أية حال فالمستوى الصوتي أو الأصوات، يخضع لتّوزيع منسجم حيث لا يتعارض صوت مع آخر أو موقع مع آخر، فالمستوى المقطعي والنبري والتنغيمي، كلّها مجتمعة

[1]- ينظر: علم الأصوات، برتيل مالمبرج ، ص133.

تشكل ذلّك النظام الصوتي في أيّ لغة، ويؤدي هذا المستوى الصوتي بالتعاون مع باقي المستويات وظيفة جليّة وهامّة في حياة اللغة.

ويعدّ المقطع الكلامي من أهم المكونات الأساسية للبنيّة الصوتية اللغوية، ويقوم بتنظيم الجزئيات الصوتية المكونة من الصوامت ،والصوائت ضمن تتابعات محددّة تبعا لقيمها الرنينية، لأن دراسة الأصوات المفردة من حيث مخارجها وصفاتها تبدو غير كافية لفهم بنية الكلام باعتبارها تخضع لقواعد معينة في تجاوراتها، وارتباطاتها، ومواقعها وعليّه فدراسة التشكيل الصوتي للغة تقتضي دراسة الظواهر التّي لا ترتبط بالأصوات فحسب بل بالمجموعة الكلامية بصفة عامة ،كالمقطع الكلامي الذي يلعب دورا أساسيا في إيقاعيّة الكلام، والنبر و التنغيم[1] ،وعلى هذا الأساس كان لابدّ من وقفة مع المقاطع في الدرس اللّغوي العربي، فيها نعرف ما هو المقطع وما هي حدوده وأنواعه وخصائص ، وتلوينات النظام المقطعي العربي ،وسماته وهل كان المقطع مكان في الدراسات الصوتية القديمة عموما، وفي دراسات ابن جني خصوصا ؟.

1- المـــقـــــطع الصوتـــي

أ/ تحديد مفهوم المقطع (لغة واصطلاحا)

كلمة المقطع **لغة** هو إبانة بعض الشيء من بعض، يقال تَقْطَعُه بقطعة قطعا وقَطَعَه واقتطعه فانقطع، وتقطَّع بتشديد الطاء للكثرة قال تعالى: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ﴾[2]، أيّ تقسموه[3] ،والمقطع(مفعل) من قطع والمقطع كل ما يقطع به[4] ،وفي **قاموس المحيط** (المقطع... منه ما يقطع فيه النص، وتقطيع الرجل قده وقامته وفي الشعر وزنه بأجزاء العروض)[5] ،ونجده عند صاحب **المختار الصحاح**:« ما يقطع به الشيء والقطع الطائفة من البقر أو الغنم ،و الجمع أقاطيع و أقطاع وقطعان، والقطيعة الهجران والقُطاعة بالضم ما سقط عن القطع ومنقطَع كل شيء بفتح الطاء حيث ينتهي إليه طرفه نحو منقطع الوادي ،والرمل، والطريق ،وانقطع

---

[1]- المقطع الكلامي وإيقاعيه السبب الخفيف، د/ خلف خازرم ملحم الخريشة ، مجلة الثقافة والتنمية ، ص271.

[2]- سورة المؤمنون ، الآية :53.

[3]- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور ، 10/145-151.

[4]- إكمال الأعلام بتثليث الكلام، محمد الجياني، تحقيق سعد بن حمدان الغامدي، مكتبة المدني للطباعة والنشر، جدة، ط1؛ 1404ه/ 1984م، 2/663.

[5]- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار النشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1/ 973.

الحبل ،وغيره وقطع الشيء فتقطع شدد الكثرة، وتقطع أمرهم بينهم أي تقسموه وتقطيع الشعر وزنه بأجزاء العروض»[1].

من خلال هذا العرض للمدلولات التّي تمّت بصلة إلى المقطع حقيقية ،ومجازية يرى الباحث أن هؤلاء العلماء قد قاربوا في معنى المقطع، من كونه يدلّ على الانتهاء أو آخر شيء أو التقسيم والتجزئة ، أو التحليل والتفريق، فهذه المعاني إذا ما قارنّاها بالمعنى الحديث لوجدنا أن هناك تقاربا بشكل، أو بآخر وخاصة عندما يربطونها بمقطعات الشعر ،وربما يقطعون بذلك تجزئة الكلمة إلى مقاطع وهذا هو أصل المعنى.

والمقطع في **اصطلاح** الأصواتين أقرب إلى قول العرب: مقطعات الكلام، أي أجزاؤه التّي يتحلل إليها ويتركب عنها، حيث يقول **ابن الدهان*** (محمد بن علي ت 592 ه):« وبين الألفاظ والحرف المقاطع، والمقاطع تنقسم إلى خفيفة وثقيلة، فالخفيف مركب من صامت ومصوت، لأن الصوت إما أن ينطبق به في أقصر زمان يكون فيه اتصال الصامت إلى الصامت وإلى السمع، وهو المقطع المقصور والسبب الخفيف العروضي، مثل لن، وإما أن ينطبق به في ضعف الزمان أو أضعافه، يسمى مقطعا ممدودا ، والوتد المفروق العروضي مثل قَاعْ »[2] .

كما نجد إشارات ومحاولات في تعريف المقطع العربي فهذا **الإمام السيوطي** يقول: فيما اختصت به العرب (تركهم الجمع بين الساكنين وقد يجتمع في لغة المعجم ثلاثة سواكن)[3] ،و**الفراء** في كتابه معاني القرآن حين قال:« ا، ب، ت، ث بعينها مقطعة ،وإذا لم يأتن متواليات دلّن على الكلام المتصل لا المقطع»[4] ،**وابن قتيبة** في قوله:« يجوز أن يكون الله عز وجل أقسم بالحروف المقطعية كلّها ، واقتصر على ذكر بعضها من ذكر جميعها ،فقال: ألم وهو يريد جميع الحروف

[1]- مختار الصحاح، محمد بن أبي بن عبد القادري الرازي ، تحقيق: محمود خاطر، دار النشر، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة جديدة ، 1415ه/1995م ، 226/1.
***- محمد بن علي شعيب، أبو شجاع، فخر الدين، ابن الدهان، عالم بالحساب واللغة والتاريخ**
[2]- المدخل إلى علم الأصوات، د/ غانم قدوري الحمد، ص197.
[3]- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، الإمام جلال الدين السيوطي، ص324.
[4]- معاني القرآن، الفراء يحي بن زياد، تحقيق: د/محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، لبنان،ط2؛ 1955م، 1/ 319.

المقطعية »[1] ،أما **الجاحظ** يقوله:« ولا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع والتأليف»[2] ، فقد استعمل لفظة (**التقطيع**) قريبة من دلالتها الفنيّة المعهودة اليوم، فهي تعني عنده (**تجزئة الكلام**)[3].

وهذا يعني أنّ اللغويين والأصواتيين عرّفوا المقطع ،أو ذكروه في مؤلفاتهم على الرغم من عدم توسعهم فيه، **وابن الدهان** تطرق له وإلى أنواعه، وقسمها إلى خفيفة وثقيلة، وذكر كل نّوع منّها ثم انتقل في تعريفه إلى زمن النطق من حيث قصره أو طول النطق به وأطلق اسما على كل واحد منها، وعلى أية حال يجمع أغلب علماء الأصوات العرب المحدثين في دراساتهم على أنّهم قد أفادوا من دراسات سابقيهم الأوائل في هذا المجال ،ولكنهم توسعوا في دراستهم، وأبحروا في مجال الدراسات الشكلية الصوتية ،ومن بين التعاريف لبعض الدارسين العرب المحدثين **كمال بشر**: « يمكن القول شيء من التجاوز، إذ المقطع من حيث بنائه المثالي أو النموذجي أكبر من الصوت وأصغر من الكلمة، وإن كانت هناك كلمات تتكون من مقطع واحد مثل: (**من**) بفتح الميم أو كسرها، والكلمات التي تتكون من مقطع واحد تسمى (**أحادية المقطع**) في حين التي تتشكل من أكثر مقطع يطلق عليها (**متعددة المقاطع**) »[4].

أما **عاطف مذكور**:« يشير المقطع إلى مجموعة من التتابعات المختلفة من الصوامت والصوائت، ملامح أخرى مثل النبر والتنغيم، تهتم بها اللغات كمجموعة موحدة للتحليل»[5].

وجدير بالذكر أن نقدم رأيا **لتمام حسان** في نظرته إلى المقطع، وهي أنّه من الضروري الاعتراف بنوعين من المقاطع وهما: **المقطع التشكيلي**: وهو المقطع التجريدي المكون من حروف، **والمقطع الأصواتي**: وهو المقطع المحسوس والمسموع والمكون من أصوات، ودليله على ذلك أننا نجد أحيانا مقطعا تشكيليا في صورة معينة يقابله مقطعا أصواتيا له صورة مغايرة، ومثاله في ذلك كلمة عقل

[1]- تأويل مشكل القرآن، مسلم ابن قتيبة ، شرحه ونشره: أحمد صقر، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ،ط3 ؛ 1981م، ص300.
[2]- ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين حتى نهاية القرن الثالث الهجري ، إعداد المهدي بوروبة، رسالة دكتوراه دولة في اللغة ، جامعة تلمسان ؛ 2001م/2002م، ص273.
[3]- المصدر نفسه ، ص273.
[4]- علم الأصوات، د/كمال محمد بشر، ص 504.
[5]- علم اللغة بين التراث والمعاصر،د/ عاطف مذكور، ص127.

بقاف مقلقله ولا ساكنة، فعلم التشكيل يقول أن القاف ساكنة ولكن بسماع الأصوات يدرك السامع أن بين القاف واللام صوت علة مركزيا هو صوت قلقلة، فالكلمة إذن مقطع واحد تشكيليا ومقطعان أصواتيا[1] .

وكل ما يمكن تسجيله بين التناولين يكمن في اختلاف تسمية الأنساق الناتجة عن التقطيع، فهي في القديم أسباب وأوتاد وفواصل، وفي الحديث مقاطع تتباين طولا وقصرا وفتحا وإقفالا.

ب/ المقطع في التراث العربي القديم:

قلما نجدّ دراسة أو علما في عصرنا الحاضر ليس له أصل أو جذر في دراسات الأقدمين، وها هو علم الأصوات الحديث قد بينت قواعده الأساسية على دراسات الأقدمين، فكان لدراساتهم فضل جليّ وواضح على دراسات المحدثين الذين توسعوا فيّها وأضافوا إليها، وتحديدا في الدراسات غير التشكيلية الأدائية لعلم الأصوات الحديث، كالمقطع ،والنبر ،والتنغيم ،وقد حظي المقطع الكلمي بعناية غير واحد من الباحثين عربا ومستشرقين، ومن أقدمهم المستشرق الألماني رايت في كتابه (**النحو العربي**) ،والمستشرق الانجليزي فايل في مقالته عن (**العروض في الموسوعة الإسلامية**)، والمستشرق الفرنسي قويارد في كتابه (**حول نظرية جديدة في موسيقى الشعر الغربي**) والمستشرق ستوتزر الهولندي في كتابه الذي حمل عنوان (**النظرية العروضية**) ،وإبراهيم أنيس في(**موسيقى الشعر** (1952م)، ومحمد النويهي في (**قضية الشعر الجديد**)(1971م)[2]، وكذلك ما خلّفه الفلاسفة ،وعلماء الكلام ،والنحاة في دراساتهم للمقاطع العربية يدنو كثيرا من ذلك الذّي نلمسه اليوم في البحث الصوتي الحديث، فقد عرضوا المقطع بمعناه العلمي المعهود في الدرس الحديث كما أدركوا المقاطع الرئيسية في لغتنا العربية ومن هؤلاء:

- **الفارابي (ت339هـ)*:**

هو من بين الفلاسفة الذين كان لهم باع مهم في مجال الدراسات الصوتية، يطل علينا بأعماله الجليلة النّي من ضمنها كتابه الضخم الذي ألفه ،وهو

---

[1]- مناهج البحث في اللغة ،د/ تمام حسان، ص141.

[2]- المقطع الكلمي وإيقاعية السبب الخفيف، خلف خازر ملحم الخريشة ،ص271.

***- هو أبو نصر محمد بن طرحان الفارابي، يعرف بالمعلم الثاني صاحب كتاب إحصاء العلوم، والموسيقى الكبير، وفي النغم، ينظر: الأعلام، خير الدين الزركشي، دار العلم الملايين، ط12، 1997م، 20/4.**

(**الموسيقي الكبير**) تناوّل فيه الصوت اللغوي الإنساني الدال، والمقطع الصوتي بما يظهر قدرته على الإفادة من فكرة المقطع في دراسة أوزان الشعر، وحسن تصرفه بالمصطلح وإطلاقه تسمية المقطع القصير على ما يقابل الصامت المتبوع بمصوت قصير، والمقطع الطويل على ما يقابل الصامت المتبوع بمصوت طويل، واستعمال كلمة حرف بما يقابل مصطلح الصوتية (الفونيم) وغير ذلك من مسائل الدرس الصوتي[1] ،فكل مصطلح مهما كانت جدته، لا بد أن تجد له في تراثنا العربي الزاخر أصلا ولو من بعيد، وحقيقة فإن أصالة المقطع ترجع إلى **الفارابي** فهو أول من ذكره، والمقطع عنده: المقطع مجموع حرف مصوت وحرف غير مصوت[2].

أما من حيث أنواعه فقد قسمه إلى قصير وطويل فقال: « وكل حرف غير مصوّت أتبّع بمصوت قصير قرن به ،فإنه يسمى المقطع القصير، والعرب يسمونه الحرف المتحرك من قبل أنهم يسمون المصوتات قصيرة الحركات، وكل حرف لم يتبع بمصوت أصلا، وهو يمكن أن يقترن به فإنهم يسمونه الحرف الساكن ،وكل حرف غير مصوت قرن به مصوّت طويل فإنا نسميه المقطع الطويل[3]، ومعنى هذا أن تعريف الفارابي إنباء صريح على أن المقطع مهما كان نمطه ، فلابدّ من اشتماله على حركة قصيرة أو طويلة على السواء[4]، ثم يربط المقطع الطويل بالسبب الخفيف فيقول: « وكل مقطع طويل فإن قوته قوة السبب الخفيف ،فلذلك يعدّ في الأسباب الخفيفة، وكل ما لحق بالأسباب الخفيفة لحق بالمقاطع الطويلة وسائل ما يركب تركيبا أزيد مما عددناها ،فإن جميعها مركبة إما عن أسباب ،وإما عن أوتاد ،وإما عنهما جميعا ،وكل سبب خفيف فإنه يقوم مقام نقرة تامة تعقبها وقفة، كذلك كل مقطع طويل[5].

وإذا حللنا ما أتى به الفارابي يتضح لنا أنه فات زمانه حين أدرك فكرة المقطع بصورة تشبه أو تماثل تصور المحدثين، فهو يرى أن المقطع عبارة عن

---

[1]- المقطع في بنية الكلمة العربية – دراسة لغوية تطبيقية في القرآن الكريم- ،إعداد الطالب مناع عبد الله مصطلح شداد،رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات اللغوية والنحوية، 2009م، ص18.

[2]- الموسيقي الكبير، أبو نصر محمد الفارابي (339ه) ، ص1072.

[3]- الموسيقى الكبير،أبو نصر محمد الفرابي، ص1078/ 1079.

[4]- علم الأصوات، د/كمال محمد بشر، ص507.

[5]- المصدر نفسه ، ص1079.

تتابعات من الصوامت والصوائت وأدرك خواص المقطع من حيث الطول والقصر وهو ما توصل إليه العلماء المحدثون، وقد أشار **كمال بشر** إلى أن اكتفاء الفارابي بمثالين (**المقطع القصير ،والمقطع الطويل**) لا يعني عدم إدراكه بقية الأنماط المقطعية للغة العربية، إنّما أوردها على ضرب من التمثيل لكيفيات تركيب المقاطع ،وبنائها والنعت بـ(**القصير والطويل**) دليلّ على استيعابه فكرة اختلاف المقاطع باختلاف مكوناتها[1].

فإن الفارابي قدم الدرس الصّوتي العربي خدمة لا نظير لها، تتعلق بالمقطع الصوتي، فكانت دراسته ردًا على من أنكر جهود الأوائل فيّما يتعلق بالدراسات فوق المقطعية، ومع أن العمل كان في البداية عبارة عن ترجمة إلا أنه أضاف إليه الكثير من الأمور التّي تؤكد أنه كان في كل مرة يقترن ما توصل إليه في اللغة اليونانية، بما لمسه في اللغة العربية، فالمقاطع مثلا لا معنى لها وهي مفردة في اللغة اليونانية، إلا أن الفارابي لاحظ في العربية بعض المقاطع التي تبقى دالة على معنى ،وإن كان يختلف عن المعنى الذي تعطيه وهي متوالية كقوله: (أما المقطع الواحد من المقاطع الاسم، فليس بدال لكنه حينئذ صوت فقط)[2].

ومن الفلاسفة الذين تناولوا أيضا المقطع بالمفهوم الصوتي **ابن سينا** (ت429هـ) ،هو الآخر أدرك أركان المقطع أو حدوده وهي:« الحروف المصوتة والصامتة كما تسمى اليوم، والمصوتات بفرعيها الطويلة ،والقصيرة أو كما سماها النحاة بالحركات»[3]، ويتحدث في موضع آخر في كتابه (المنطق) في باب ابتداء القول في الكميّة عن القول المسموع فيقول: (وإنما أشكل هذا واشتبه على قوم في أمر القول المسموع، فإنهم قالوا: إنّه من الكم المنفصل بذات جزء ما: ثم إن بعضهم جعل السبب فيه أنه يقدر بمقاطعة، فتكون مقاطعة أجزاءه، ولها أزمنة تقدرها، فتكون المقاطع تقدر الجملة بسبب زمانها... وقوم يقولون: إن الصوت

---

[1]- علم الأصوات، د/كمال محمد بشر، ص508.

[2]- شرح الفارابي لكتاب أرسطو طاليس في العبارة، عني بنشره وقدم له: كوتش اليسوعي وستانلي ما رو اليسوعي، دار الشرق، بيروت، (د ت)، ط2، ص49.

[3]- المقطع الصوتي في سورة مريم_دراسة إحصائية دلالية_،د/عزة عدنان أحمد عزت ،مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، المشرف : نرمين غالب أحمد، قسم اللغة العربية، كردستان،ع 5؛ العام الثاني فبراير 2015 م، ص144/ 145.

يعظم، و يصغر بسبب حال القارع ،والمقروع)[1]، فمن أقوال هذين المتكلمين، تجعل القارئ يشعر بفهم وإدراك الحقيقة المقطع، ومعرفة أصالته وجذوره.

- **ابن جنّي :**

أما عالم اللغة **ابن جني** فيورد مصطلح المقطع بمعنى المخرج ،إذ يقول: « الصّوت عرض يخرج مع النفس مستطيلا متصلا حتى يعرض له في الحلق والفم ، والشفتين مقاطع تثنه عن امتداده ،واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض لتحرفا، وتختلف أجراس الحروف بحسب مقاطعها»[2]،ويعلّق **تمام حسان** على مقولة ابن جني عندما سمي المقطع حرفا: بقوله:« ويعود الضمير على الصوت عرض راجع إلى المقطع، ومن هنا نفهم أن ابن جني سمي المقطع هنا حرفا، والمعروف أن المقطع هو مخرج الحرف لا الحرف»[3] ،ولعل الظاهر من القول يجعل القارئ يعتقد أن ابن جني، جعل المقطع مرادفا للحرف، وهذا ليس كذلك إن حقيقة النفس تبدي أن الصوت يصبح حرفا حيث كان ،وما يؤكد ذلك ما ورد أيضا عن ابن جني في توضيحه لصورة الصوت الذي يتغير جرس حرفه بسبب اختلاف مخارجه بقول:« وتختلف أجراس الحروف بحس اختلاف مقاطعها... ألا ترى أنك تبتدئ الصوت من أقصى حلقك ثم تبلغ به أي المقاطع شئت، فتجد له جرسا له، فإذا انتقلت فيه راجعا عند أو متجاوزا له... سمعت هناك صدى ما، فإن رجعت إلى القاف سمعت غيره وإن جزت إلى الجيم سمعت غير ذينك الأولين»[4].

إلا أننا نرى أن ابن جني كان ككثير من النّحاة القدماء ،بتعليلاته لكثير من الصيغ الصرفية المرفوضة في اللغة العربية يؤكد على أنه كان يفقه فكرة المقاطع ،فالحرف عنده مقطع وعارض للصوت عند مروره إلى الشفتين ،كما أن هذا العرض في إحداث الصوت من خلال (**سرّ صناعة الإعراب**) هو الذي كشف عن مصطلح حديث عند الأوروبيين هو المقطع ،وسنقف عنده لما استقطب هذا الاصطلاح الذي يسره **ابن جني**، من مناقشات وممارسات أصواتية متميزة، كما

---

[1]-المنطق، ابن سينا، 92/1.
[2]- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 19/1.
[3]- مناهج البحث في اللغة، د/ تمام حسين، ص140.
[4]- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 19/1.

كان هو الأساس فيها في الدلالة الدقيقة على المعنى المراد دون غيره عنّد الأصواتين العالمين[1].

الأصوات عادة تتجمع في وحدات، تكون تلك الوحدات أكبر من الأصوات بالضرورة، لأنّها أطول مسافة صوتية، فتشكل في أكثر من صوت وحدة صوتية معينة، وأهم هذه الوحدات هو المقطع الذي تذوَّقَهُ ابن جني، فرأى فيما يثنى الكلام على استطالته وامتداده تارة، وما تحسن به صدى عند تغير الحرف غير الصدى الأول تارة أخرى[2]، ومن المبادئ الأساسية أن اللغة العربية تبدأ كلماتها بمتحرك واحد، وتختمها إما بحركة فهو المقطع المفتوح، وإما بصامت فهو المقطع المقفل، ومن غير الممكن في العربية أن تبدأ الكلمة بمجموعة من الصوامت، أو أن يتخلل الكلمة أكثر من صامتين متجاورين، أو أن تختم الكلمة بمجموعة من الأصوات الصامتة[3].

إذن: حرف صامت + حركة= مقطع، وهذا هو المقطع القصير، وقد يضاف إلى هذا حرف صامت أو حركة أخرى، فيكون المقطع طويلا.

ولقد أدرك الأصواتيون العرب هذا التخطيط المقطعي من ذي قبل فأكدوا عليّه حتى في تقطيع الوزن العروضي للشعر عند الخليل في حدود وهو ما أثبته ابن جني في برمجته للمقاطع في تفصيله ولقد أفاد الأوروبيون من هذا الملحض إفادة تامة، فقد كان المقطع تبعا للتفكير التقليدي عند الغربيين يتكون من حركة تعتبر دعامة أو نواة يحولها بعض الصوامت ،وعليه بني اسم (**Consonne**) أي الذي يصوت مع شيء آخر، وهو الذي لا يصوت وحده، أطلق على الحركات اسم مصوتات (**Sonnets**) لأنها قادرة على التصويت دون الاعتماد على شيء آخر، ومن هنا كان المفهوم الوظيفي للمقطع، كما جاءت أفكار الحركات والصوامت[4] ،وهو نفسه ما تحدث عنه ابن جني، وهو الواقع في الفكر الصوتي عند العرب، فالحرف لا ينطق وحده فيشكل صوتا، إلا بانضمام الحركة إليه، فيتكون بذلك المقطع الصالح للتصويت[5].

- **ابن رشد (520هـ-595هـ):**

[1]- الصوت اللغوي في القرآن، د/ محمد علي حسين الصّغير، ص63
[2]- المصدر نفسه ، ص63.
[3]- أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي،د/ عبد الصبور شاهين، ص409.
[4]- علم الأصوات، برتيل مالمبرج، ص155.
[5]- الصوت اللغوي في القرآن، د/محمد علي حسين الصغير،ص65.

تعتبر دراسة ابن رشد في هذا المجال، من أقدم الدراسات وأقربها إلى روح الدرس الصوتي الحديث، فكان أول من أشار إلى حقيقة التقسيم المقطعي من حيث كون المتكلم لا يستطيع الأداء المستمر، فيتحيَّل على ذلك بأن يتوقّف عن هذا الأداء بين برهة ،وأخرى توقفا لا يكاد يحس به[1]، ويضيف أن لتلك الوقفات الزمنية بين أجزاء اللفظ أهمية بالغة في إدراك المعاني ، وذلك لأن هذه الألفاظ إذا وردت مشافعة في الذهن، لم يتمكن الذهن في فهم واحد منها حتى يرد عليه آخر[2].

وتكتمل فكرة المقطع عند **ابن رشد** (ت595هـ) ،وهو يزاوج في التعبير عن مفهومه بمصطلحين مترافقين هما لفظ (**المقطع**) نفسه من جهة، ولفظ (**السلابي**) من جهة أخرى، وهو بهنا يحدد (أن المقطع يحدث من اجتماع الحرف المصوت وغير المصوت)[3] ،ويستخدم ابن رشد المقطع بدلالته العلمية كما يعرفه الدرس الصوتي الحديث ،حيث قام بتعريف مصطلح السّلابي الذي نقله الأصل اللاتيني (**Syllabe**) الذّي يعود إلى اللفظ اليوناني (**Sullabe**) ،وقابله بمصطلح المقطع الصوتي فهو بذلك يعدّ سباقا في هذا المجال[4]، بعدما تبيّن لدارسي علم الأصوات صدقه حين قوبل المقطع الصوتي بالمصطلح (**Syllabe**).

ومن ناحية أخرى نجدّه قد نصّ على أن المقطع هو كل لا يتجزأ من حيث هو كمية متكاملة، تحكمه علاقات من كل أجزائه، ويستدل على ذلك بالمقابلة الحسية بين التشبيه ونظيره، فيأخذ من اللحم الذي يتكون من الأرض والماء والنار مثالا لذلك فيقارن بينه ،وبين السّلابي من حيث أن هذه إذا انحلت وفسدت ليس ينحل منها المقطع إلى مقاطع، واللحم إلى لحوم، كما تنحل الأشياء المجموعة إلى تلك التي اجتمعت منها، أعني لا يحدث فيها الاجتماع شيء زائد... فالحروف هي التي نسبها إلى السّلابي نسبة النار والأرض إلى اللحم، ... فالسّلابي شيء آخر، وليس هو الحروف أي الحرف المصوت والذي لا صوت له، بل شيء آخر أيضا[5]، وكأن

---

[1]- تلخيص الخطابة ،أبي الوليد ابن رشد، تحقيق: محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة التراث الإسلامي، يشرف على إصدارها : محمد توفيق عويضة ، القاهرة ؛ 1967 م، ص284-285.

[2]- تلخيص الخطابة ،أبي الوليد ابن رشد ، ص591.

[3]- علم الأصوات، د/ كمال محمد بشر،ص 506

[4]- التفكير اللساني في الحضارة العربية، د/ عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط2؛ 1986م، ص 263.

[5]- تفسير ما بعد الطبيعة، ابن رشد، منتدى سور الأزبكية، 2016م، ص98.

ابن رشد يريد القول بأن المقطع هو المخرج الذي ينطق دفعة واحدة، الصامت والصائت معا، كما هو الحال في تعريف المقطع في الدرس اللساني الحديث، وبالتالي فإنه أفاد علماء الأصوات المحدثين من هذه الزاوية.

المهم أن من يدير بصره متأملا في التراث الفلسفي واللغوي العربي يجدّ أن العلماء قد عرفوا المقطع بمعناه الاصطلاحي الذي يعرف به الدرس الصوتي الحديث، والمتتبع العرب دراساتهم يلمس أن هؤلاء الرّواد كانت الدراسة العروضية في روحها هي أقرب دراسة تماثل المقاطع في اللغة العربية، مع الفارق البسيط بينهما كون الدراسة المقطعية تتكون من (**صامت وحركة قصيرة أو طويلة**) معتبرة حروف المد حركات طويلة، على عكس الدراسة العروضية التي تعدها سواكن ،كما أنهم قد اهتدوا إلى أنواع المقاطع، ومكوناتها الأساسية التي يقوم عليها النسيج المقطعي للغة العربية.

ج/ أشكال وتلونّات المقاطع الصوتية:

يجمع كل من اطلعنا على دراساتهم ممن تنّاولوا موضوع المقطع في العربية الفصحى، وفي دوارجها على اعتبار المصوت (الحركة) عنصرا أساسيا ،ومركزيا في تكوين المقطع في هذه اللغة لا يستقيم بدونه ، ولا يشاركه في هذا الاختصاص أي صامت، أو حرف ليس كما هو الحال في بعض اللغات الطبيعية، ومذهب لا جدال فيه، وعليّه فعدّد المقاطع في الجملة العربية يساوي عدّد المصوتات فيها، وتحدد أنواع المقاطع حسب تجاور عدد الحروف ،والحركات في المقطع[1].

أما أشكال المقطع فتختلف من لغة إلى أخرى تبعا لقواعد كل لغة في التشكيل الصوتي، فقد ذكر المختصون أشكالا متعددة مستمدّة من لغات مختلفة، كالمقطع المكون من صامت واحد ،والمقطع المكون من صامتين والمقطع المكون من صائت واحد، وقد أورد بايك (**Pitre**) عشرة أشكال للمقطع تتفاوت اللغات في استعمالها[2].

وقد أشار النّحاة من القدّماء إلى ميّل اللغة العربية إلى المقاطع الساكنة، حين قرروا استحالة اجتماع أربعة متحركات في الكلمة الواحدة، وكراهة فيها كالكلمة،

[1]- الأصوات اللغوية ،د/ إبراهيم أنيس، ص161/160.
[2]- مبادئ اللسانيات ، د/أحمد محمد قدور، ص110-111.

ومعنى قولهم هذا كما يعّبر عنّه المحدثون أن اللسان العربي يفرض توالّي الأربعة مقاطع متحركة فيها هو كالكلمة[1]، إذ نقول (استفهمتم)[2]، وإذا نظرنا إلى الإمكانيات التعبيريّة فيّما يتعلّق بالتكوين المقطعي للغة العربية، فإننا سنحد الأشكال التالية من المقاطع:

1- ص+ ح ،مثل: المقاطع التي تتكون منّها كلمة (كَتَبَ).
2- ص+ ح ح ، مثل: المقطع الأول من كلمة (كَاتِبٌ).
3- ص+ ح + ص ، مثل: المقطعين اللذين تتكون منهما كلمة كلمة (فَهْمٌ).
4- ص+ ح ح+ ص ، مثل: المقطع الذي تتكون منه كلمة (قال) في حالة الوقف.
5- ص+ ح+ ص ص ، مثل: المقطع الذي تتكون منه كلمة (قَرَّ)في حالة الوقف.
6- ص+ ح ح+ ص ص ، مثل : المقطع الذي تتكون منه كلمة (ضَالَ)في حالة الوقف[3].

أما الرموز التي استخدموها للدلالة على الأصوات التّي يتألف منها المقطع فمستمدة عن المصطلحات المستخدمة للدلالة على نوعي الأصوات:

فمنهم من استخدم الرمزين (ص ع)، الأول في كلمة (صحيح) ،والثاني من كلمة (عله)[4]، وبعضهم استخدم (ص ح) الأول من كلمة (صحيح) ،والثاني (حركة)[5] ،وبعضهم استخدم الرمزين (س ع) الأول للساكن ، والثاني في كلمة علة[6]، وبعضهم من لم يستخدم شيئا من هذه الرموز واكتفى باستخدام الكلمات المعبرة عن نوعي الأصوات[7].

وبعد الاستقراء لهذه الرموز وهذه المصطلحات، نعمد إلى أن نأخذ بأكثرها شيوعا من حيث الرمز ومن حيث التسمية (ص،ح)** واستعمالها في المجال التطبيقي.

---

[1]- الظواهر الصوتية ودلالتها الوظيفية في القرآن الكريم_ نماذج تطبيقية_ ، د/راضية بن عربية ، مجلة الصوتيات ، ص46.
[2]- الأصوات اللغوية ، د/ إبراهيم أنيس، ص163.
[3]- مقدمة في علم أصوات العربية ، د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي ، ط3 ؛ 1424هـ/ 2004م، ص181- 182.
[4]- مناهج البحث في اللغة ، د/تمام حسان ، ص139.
[5]- علم الأصوات، برتيل مالمبرج ، ص164.
[6]- دراسة الصوت اللغوي ،د/ أحمد مختار عمر ، ص301.
[7]- الأصوات اللغوية ، د/ إبراهيم أنيس، ص167.
****- ص= صوت صامت، ح= حركة قصيرة، ح ح= حركة طويلة، ص ص= صوتين صامتين.**

ج/ أنواع المقاطع الصّوتية :

كل لغة لها نظامها الخاص في تشكيل المقاطع، وتختلف عن غيّرها في أنواع المقاطع التيّ تستخدمها وذلك تبعا لنظامها اللّغوي الذي تسير علّيه تلك اللغة ، واللغة العربية كغيرها من اللغات لها مقاطع خاصة بها.

وفيما يلي أنواع المقاطع في اللغة العربية:

1- المقطع القصير: (ص ح)

هناك من أطلق عليهم المقطع الصغير ورمز له بالرمز (ص ح) ،وسمي أيضا بالمقطع المفتوح **(Open Syllable)** والمقاطع الحر **(Free Syllable)** أو المتحرك[1] ،ويتألف من صامت صائت قصير[2]، لكنّنا نرى أن تسمية التقطع القصير = (ص ح) بالمقطع المفتوح يختلف عما نادى به بعض العلماء ،فعرفوا المقطع المفتوح هو ما كان يقبل الزيادة عليه ليصبح طويلا[3].

2- المقطع المتوسط المفتوح: (ص ح ح)

ويتألف هذا المقطع من صامت وصائت طويل[4] ،ومن أمثلته (لاَ، مَا)

3- المقطع المتوسط المغلق: (ص ح ص)[5]

يتألف هذا المقطع من صامتين توسطهما حركة قصيرة، أي من (صامت+ حركة قصيرة+ صامت) ومن أمثلته هذا المقطع أداة الاستفهام: من، و هل أو أداة النفي والجزم (لم) والمقطعان المكونان للبنية كنتم (كن + تم).

4- المقطع الطويل المغلق: (ص ح ح ص)

وهذا المقطع يتألف من صامتين يحصران بينهما حركة طويلة أو صائت طويل، أي من (صامت + صائت طويل+ صامت) ،ومن أمثلته (مال) في حالة النطق بها ساكنة وكذلك (باب)[6].

5- المقطع الطويل المزدوج الإغلاق: (ص ح ص ص)

---

[1]- الأصوات اللغوية،د/ عبد القادر عبد الجليل، ص20.
[2]- مبادئ اللسانيات،د/أحمد محمد قدور، ص11.
[3]- التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية، قراءة نافع أنموذجا، فضيلة مسعودي، ص32.
[4]- مبادئ اللسانيات، د/أحمد محمد قدور،ص111.
[5]- المصدر نفسه ، ص112.
[6]- التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية، قراءة نافع أنموذجا، فضيلة مسعودي، ص32.

هذا المقطع والذي سبقه فقليلا الشيوع ولا يكونان إلا في أواخر الكلمات وحين الوقف[1].

ويتألف هذا المقطع من صامت متلو بحركة قصيرة متلوة بصامتين، أي من (صامت + حركة قصيرة+ صامت+ صامت) ومن أمثلته (أرضٌ) شعبْ عند الوقف ،أو في حالة النطق بها ساكنة[2].

6- المقطع البالغ الطول المزدوج الإغلاق: (ص ح ح ص ص)[3]

يهمل الكثير من علماء الأصوات المحدثين هذا المقطع، وذلك لأن استعمال هذا المقطع قليل جدا، بل نادر في الكلام العربي، ومع ذلك رأينا أن نذكره لأنّه ورد في بعض الكلمات القرآنية خاصة في المد الكلمي المثقل، ويتألف هذا المقطع من: (صامت+ حركة طويلة ،أو صائت طويل+
صامتين) ،ومن أمثلة هذا المقطع: قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ ﴾[4] ولا ينطق به إلاَّ
حين الوقف على الصامت المشدد كما في كلمة (جَانٌّ)[5].

ويلاحظ كما يقررُّ إبراهيم أنيس، أن الأنواع الثلاثة الأولى هي الشائعة في الكلام العربي، إذا تتكون منها الكثرة الغالبة منه، أما الأنواع الأخرى فقليلا الشيوع، ولا يكونان إلا في أواخر الكلمات وحين الوقف[6].

2- التـــنـــغيـــــم :

أ/ تعريفه :

التنغيم **لـــغـــة** من نغم ،ومنه النغمة جرس الكلمة، وحسن الصوت في القراءة وغيرها، قيل إن النغم الكلام الخفي، والنغمة الكلام الحسن[7] ،ويجمع ابن منظور بين النغم والنغمة، فالأولى للكلام والثانية للكلم، أما النغم عند **ابن سينا**

---

[1]- الأصوات اللغوية ، د/إبراهيم أنيس، ص166 ،وينظر : مبادئ اللسانيات، د/أحمد محمد قدور، ص112.

[2]- مبادئ اللسانيات ، د/أحمد محمد قدور،ص112.

[3]- أبحاث في علم الأصوات العربية ، د/أحمد عبد التواب الفيومي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1؛ 1412هـ/ 1991م، ص172.

[4]- سورة النمل، الآية:10.

[5]- المقطع في بنية الكلمة العربية (دراسة لغوية تطبيقية في القرآن الكريم)، مناع عبد الله مصلح شداد،رسالة ماجستير، ، ص215.

[6]- مبادئ اللسانيات،د/ أحمد محمد قدور، ص112.

[7]- لسان العرب، ابن منظور، 16/ 70

(ت427هـ) فيربطه بالموسيقى حيث يقول :« وأحوال الأزمنة المتخللة بينها فيعلم بذلك كيفية تأليف اللحون»[1]، أو النغمة هو زمان الصوت (اعلم أن الصوت من حيث يبقى زمانا محسوسا سمي نغمة)[2].

اصطلاحا:

التنغيم هو في العادات الأدائية المناسبة للمواقف المختلفة من تعجب ،واستفهام، وسخرية ،و تأكيد وتحذير[3]، إلا أنه يختلف في دلالته من لغة إلى أخرى[4]، فالتنغيم مصطلح لساني يقابل لفظ **(intonation)** حيث يقول **روبنز** معرفا التنغيم :«تتابعات مطردة من الدرجات الصوتية المختلفة»[5]، ويقول **دانيال جونز**: «التنغيم ربما يعرف بأنه التغيرات التي تحدث في درجة نغمة الصوت في الكلام والحديث المتواصل، هذا الاختلاف في النغمة يحدث نتيجة لتذبذب الأوتار الصوتية»)[6].ويعرفه تمام حسان بأنه:« ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام»[7]، تجمع هذه التعريفات المختلفة للتنغيم على أنّه ظاهرة صوتية يسببها الاختلاف في درجات الصوت أو تواتره، مما يعطي للكلام طابعا صوتيا مميزا.

ب/ وظائف التنغيم:

يؤكد **كمال بشر** أن التنغيم يلعب دورا فاعلا في عمليّة الاتّصال الاجتماعي بيّن المتكلمين ،كما له وظائف متنّوعة في التحليل اللغوي، نذكر منها:

1- **الوظيفة النحوية:** وهي الوظيفة الأساسية للتنغيم، فهي العامل الفاعل في التمييّز بين أنماط التركيب ،والتفريق بين أجناسها النحوية[8].

2- **الوظيفة الدلالية السياقية:** وهذه النغمات تؤدي دورها بمصاحبة ظواهر صوتية أخرى ،من ظواهر التطريز الصوتي ظواهر خارجية غير لغوية مثل: الرضا ،الرجز، التهكم ،والتعجب[1].

---

[1]- جوامع علم الموسيقى، ابن سينا ،تحقيق: زكرياء يوسف، تصدير ومراجعة: أحمد فؤاد الإهواني، ومحمود أحمد الحفي،المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ؛1956م، ص11.

[2]- جوامع علم الموسيقى، ابن سينا (427هـ)، ص11

[3]- علم الأصوات، برتيل مالمبرج، ص209.

[4]- علم اللغة العام (الأصوات)، د/ كمال محمد بشر، 163.

[5]- General l'injustices Longman, Robins RH, 1967, P111.

[6]- An Out ligne of English phonétiques, Jones Daniel, comblidge, 1967, p275.

[7]- مناهج البحث في اللغة، د/ تمام حسان، ص164.

[8]- أنظر علم الأصوات، د/ كمال محمد بشر، ص539-541.

3- **الوظيفة التعبيرية:** والتنغيم في إطار هذه الوظيفة يعطي إمكانية استيضاح شخصية المتكلم، وانتمائه إلى هذه الفئة الاجتماعية أو تلك[2].

4- **الوظيفة الترقيمية في الكتابة**[3]: غير أن التنغيم أوضح معنى الترقيم في الدلالة على معنى الوظيفي للجملة، فإذا كان للنقطة ،والفاصلة، والشرطة ،وعلامة الاستفهام ،وعلامة التعجب دور في إظهار المعنى الوظيفي للجملة المكتوبة ،فالتنغيم الدّور نفسه في الكلام المنطوق، بل له الدور الأكبر في بيان المعنى الوظيفي للكلام.

ج/ التنغيم في التّراث العربي:

تشّكل مسألة وجود التنغيم في التراث العربي خلافا بين الدارسين المعاصرين، حيث تلَّقَف أغلب دارسي التنغيم من العرب رأي المستشرق **برجشتراسر** الذي نفى وجود هذه الظاهرة في تراثنا[4]، إلا أنّه لا يمكن تجاوز إدراك الدّارسين المعصارين لهذه الظاهرة في التراث العربي، إذ توجد في كتبهم إشارات توحي بذلك، كما أن الأصل في اللغة أن تكون منطوقة، ولما كان التنغيم واحد من الظواهر الأدائية التي تحكم اللغة المنطوقة، فمن غير الممكن ألا يتناول الدارسون القدامى الظاهرة ،ولو تناولا طفيفا.

ويعدّ **أحمد كشك** من أهم الباحثين المتحمسين لقضية التنغيم في التراث، حيث خصص فصلا في كتابه (**من وظائف الصوت اللغوي**) لدراسة التنغيم على أنّه ظاهرة نحوية يقول فيها :«وقدامى العرب، وإن لم يربطوا ظاهرة التنغيم بتفسير قضاياهم اللغوية، وهم وإن تاه عنهم تسجيل قواعد لها، فإن ذلك لم يمنع من وجود خطوات ذكية لماحة تعطي إحساسا عميقا بأن رفض هذه الظاهرة تماما أمر غير وارد، وإن لم يكن لها حاكم في القواعد »[5]، وينهب **عبد الكريم مجاهد** في ثنايا حديثه عن الدلالة الصوتية ،والصرفية عند ابن جني، إلا أن ابن جني أدرك هذا الجانب ،وله الفضل فيه بجلاء ووضوح ،ويثبت أنّه قد طرق باب هذه

---

[1]- المصدر نفسه ، ص541.

[2]- اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين، د/نادية رمضان النجار،مراجعة وتقديم:د/عبده الراجحي،كلية الآداب ،جامعة الإسكندري؛ 2004م، ص89.

[3]- اللغة العربية معناها ومبناها، د/تمام حسان، ص222.

4- التطور النحوي للغة العربية،محاضرات المستشرق الألماني: برجشستراسر، ص72.

[5]- من وظائف الصوت اللغوي، أحمد كشك، ص52-53.

الموضوعات التي تعتبر من منجزات اللسانيات الحديثة، وبذلك تحفظ له أصالته و مساهمته[1].

فالثابت في الروايات الموجودة في **الكتب التراثية** أن العرب احتكمت في كلامها إلى التنغيم وظيفيا لإبراز مقاصدها دون التصريح بالمصطلح ،كما هو الحال العديد من العلوم ،وهذا ما نلمس عند **الجاحظ** من خلال نصّه في البيان والتبيين إذ يقول:« لا تكون الحروف كلاما إلا بالتقطيع ،و التأليف وحسن الإشارة باليد والرأس، من تمام حسن البيان باللسان، مع الذي يكون مع الإشارة من الدّل والشكل، والتفتل والتثني»[2] ، **فالجاحظ** يرى من تمام الكلام ضم الحروف، وتأليفها وتقطيعها ،وحسن التعبير عنها بتقاسيم الوجه ،وحركة الرأس واليدين مما يضع القول في سياق عام يساعد على توضيح دلالته ،وإبلاغ المقصود منه ،وهذه التفاتة واضحة إلى الجرس الصوتي الذي يرافق الحركة أثناء تأدية الفعل الكلامي.

كما نجد إشارة تدل على هذا الوعي بهذه الظاهرة الصوتية في باب الندبة لكتاب **سيبويه**: «اعلم أن المندوب مدعو ،ولكنه متفجع عليه فإن شئت ألحقت في آخر الاسم الألف، لأن الندبة كأنهم يترنمون فيها»[3] **فيترنمون** فيها: يعني أنهم يلونونها بموسيقى معينة ،ونمط من التنغيم الخاص[4]، واستخدم النحاة في أحاديثهم عن بعض القضايا النحوية التّي تندرج في سياق التنغيم مصطلحات مثل: (الترنم، ومد الصوت والتطريب تدل عليه وهذا الدلالة على أصالتهم ،ومساهمتهم لهذه الظاهرة الصوتية

أما عنّد **ابن جني** فقبل الحديث عن مدى وعيه ، ومعرفته للتنغيم ،ودوره ينبغي أن نشير هنا إلى أن التنغيم وثيق للصلة بالنبر، فلا يكون التنغيم إلا على مقطع منبور هذا ما أشار إليه **تمام حسان** بأن هبوط النغمة أو صعودها أو تحوّلها على مستوى السابق في وسط الكلام أو في آخره، لا يكون إلا متفقا مع النبر، فلا تتحول النغمة هذا التحول إلا على مقطع منبور، وهذه الصلة بين النبر والتنغيم، لا يمكن انفكاكها[5]، كون ابن جني بحسه أدرك أهمية التنغيم في تفسير بعض المسائل

[1]- الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني، عبد الرحمن عبد الكريم مجاهد، مجلة عالم الفكر، السنة الرابعة، ع26، آذار 1982م، ص79.
[2]- البيان والتبيين، الجاحظ، 79/1.
[3]- الكتاب، سيبويه ، 2/ 225.
[4]- علم الأصوات، د/ كمال محمد بشر،ص 550.
[5]- اللغة العربية معناها ومنباها، د/ تمام حسان، ص230.

الإعرابية عندما تعرض لقضية حذف الصفة في قولهم (سير عليه ليل) يقول:« وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها ،وذلك فيما حكاه صاحب الكتاب من قولهم: سير عليه ليل ،وهم يريدون ليل طويل ،وكأن هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دل من الحال على موضعها، وذلك إنك تحس في كلام القائل لذلك من التطويح ،والتطريح ،والتفخيم، والتعظيم ما يقوم مقام قوله طويل نحو ذلك»[1] .

كما أنّك عندما تمدح إنسانا ،وتثنى عليه نقول: (كان والله رجلا فتزيد في قوة اللفظ ب(الله) هذه الكلمة ،وتتمكن من تمطيط اللام ،وإطالة الصوت بها وعليها أي رجلا فاضلا أو شجاعا أو كريما أو نحو ذلك[2]، فإن قول ابن جني (فتزيد في قوة اللفظ بـ(الله) ،وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها وعليها) هو نطق الكلمة منغمة، كما أن النّحاة قد استخدموا مصطلح الترنم للدلالة على التنغيم، فالترنم إنّما هو مد الصوت وإطالته وهو ظاهرة تنغيمية.

وهذا ما ورد في كتابات **ابن جني** ملمحان بارزان هما: التأني والإسراع، حيث يقول في سياق احتجاجه لقراءة الأعرج ،ومسلم بن جندب وأبي الزناد: (يا حسره) ساكنة الهاء (على العباد) أما (يا حسره) بالهاء الساكنة ففيه النظر، وذلك أن قوله: على العباد متعلق بها أو صفة لها، وكلاهما لا يحن الوقوف عليها دونه، ووجب ذلك عندي ما أذكره، وذلك أن العرب إذا أجيزت عن الشيء غير معتمدته، وغير معتزمة عليه، أسرعت فيه، ولم تتأن على اللفظ المعبر به عنه وذلك كقوله: (قلنا لها قفي لنا قلت قاف) معناه وقفت، فاقتصرت من جملة الكلمة على حرف منها، تهاونا بالحال وتثاقلا عن الإجابة واعتماد المقال ويكفي في ذلك قوله تعالى: ﴿ لاَ يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ ﴾[3] قالوا في تفسيره: هو كقولك، لا والله، بلى والله[4].

يبرز هذا الحديث جوانب من التغيرات الحادثة في طبقة الصوت، حيث توظف العرب ملمح الإسراع (إذا أجبرت عن الشيء غير معتمدته ولا معتزمته عليه، بل تهاونا بالحال...مما يؤدي إلى الاقتصار من جملة الكلمة على حرف

---

[1]- ينظر مستقبل الثقافة العربية، محمود الظاحي، دار الهلال، (د ط، د ت)، ص117-118، وينظر الخصائص، ابن جني، 252/2.

[2]- الخصائص، ابن جني، 370/2-371.

[3]- سورة المائدة ، الآية :89.

[4]- التنغيم عند ابن جني، د/ أحمد البايبي، مجلة أفاق والثقافة والتراث، قسم الدراسات والمجلة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، السنة الحادية عشر، ع41 ؛ صفر1424 ه/2003م، ص07-08.

منها)، بينما تستعمل العرب ملمح التأني تعبيرا عما اعتمدته ،واعتزمت عليه في مثل القسم[1]،فنستنتج مثلا أن لفظتي الله وبلى وبالتأني (مع ما يصاحبه من تطعم ،وممطالة ،وتمطيط غير لفظتي الله وبلى بالإسراع.

وعلى الرغم من أنا أبا الفتح لم يوظف مصطلح التنغيم، إلا أنه راكم في (الخصائص) ،و (المحتسب) إشارات عديدة عن هذه الظاهرة التّطريزية، مما يعكس إحساسه بها، واستحضاره لها في تحليلاته، وبخاصة عند احتجاجه للقراءات الشاذة، ملتمسا كل السبل لإيجاد وجه لها، ومستعملا عتاده الصّوتي والصّرفي والترّكيب ،وفيما يأتي بعض تصنيف لتلك الإشارات.

-وفي التعبير عن الاستهزاء يقول ابن جني: ومن ذلك قرأ (وإذا مُتْنَا وَكُنَّا تُرَابا إنَّا...) على الخبر كلاهما بلا استفهام[2].

-وفي الوعيد و الإغلاض ويقول ابن جني:(سَأُورِيكُم) فمكّن الصوت ،وزاد إشباعه واعتماده، فألحقت الواو فيه[3].

- لفظ الواجب إذا لحقه همزة التقرير عاد نفيا، وإذا لحقت لفظ النفي إيجابا، وذلك لقوله تعالى: ﴿ ... ءأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ...﴾ [4] ،أيّ ما قلت لهم، وقوله تعالى: ﴿...آالله أَذِنَ لَكُمْ...﴾[5] أي لم يأذن لكم[6].

كما لا يفوتنا كتابه **سرّ صنّاعة الإعراب** الذي أشار فيه ابن جني إلى كلمة النغم ودورها في الكلام بقوله: «أعني علم الأصوات ،والحروف له تعلق ،ومشاركة للموسيقى لما فيه من صنعة الأصوات، والنغم»[7] وهذا دلالة على أن التنغيم جزء لا يجزأ من خواص الكلام[8]، وقد أدرك الفلاسفة الدّور الذي يؤديه التنغيم في الكلام، وجاء حديثهم عن ذلك في سياقات متعددة، فالفارابي مثلا قسم الألحان الإنسانية إلى ثلاثة أصناف: صنف يكسب النفس لذاذة، وصنف يفيد النفس

---

[1]- التنغيم عند ابن جني، د/ أحمد البايبي، ص07.
[2]- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان ابن جني ، 309/1
[3]- المحتسب، ابن جني ،2 /209.
[4]- سورة المائدة ،الآية :116.
[5]- سورة يونس ،الآية :59.
[6]- الخصائص، ابن جني، 3/ 192.
[7]- سر صناعة الإعراب، ابن جني، 1/ 22.
[8]- علم الأصوات، د/ كمال محمد بشر،ص 550.

في التخيل والتصور للأشياء صنف يكون عن انفعالات ،وعن أحوال ملذة أو مؤذيه[1]،ومن وظائف التنغيم أيضا ما ذهب إليّه إخوان الصفا حين قال: «كما كان يفعل داود النبي عليه السلام- عند قراءة من أميره، وكما يفعل النصارى في كنائسهم، والمسلمون في مساجدهم، من طيب النغم، ولحن القراءة، فإن كل ذلك لرقة القلوب، ولخضوع النفوس، ولخشوعها، والانقياد لأوامر الله...»[2].

فالعرب القدماء تحدثوا في ثنايا كتبهم ،ودراساتهم النحو العربي عن مفهوم التنغيم و دوره الدلالي وتلوناته، من غير ذكر له بالمصطلح الحديث المعروف اليوم.

د/ أهمية التنغيم في القرآن الكريم:

قيل في الموسيقى: إنها غذاء النفس تبتهج لسماعها، وتحنُّ إلى تأليف أوضاعها ،وقد نطقت الحكمة بعلو منزلة الموسيقى بين الفنون، وقيل أيضا من فهم الألحان استغنى عن سائر الذات[3]، أما الموسيقى في تعبير القرآن صورة للتناسق الفني فيه، ومظهر من مظاهر تصوير معانيه ،وبالتالي هي آية من آيات هذا الإعجاز الذي يتجلى – فيما يتجلى- في أسلوبه المتميز الرفيع، ولم يكن القرآن شعرا لتكون موسيقاه على غرار موسيقى الشعر الخارجية من تفعيلات متزنة متكافئة، وقواف مطردة متناظرة، وإنما هو نثر له خصائص النثر جملة، إلا أنه نثر من نوع فريد، نثر لم تعرف له العربية نظرا في تراثها الأدبي[4].

وليس أدلّ على إعجاز القرآن في أسلوبه وانبهار العرب ودهشتهم لذلك التنغيم في التنظيم ، أي تنظيم الأصوات والكلمات والعبارات، والأثر الذي أوقعه في النفوس القاسية قلوبهم من أهل الزيغ والإلحاد، فليس بجديد قولنا: إن في القرآن إيقاعا موسيقيا متعدد الأنواع، يتناسق مع الجو الدلالي، ويؤدي وظيفة أساسية في البيان، ونتحسس التنغيم في القرآن في كل مشهد وقصة، وفي كل مطلع وختام، فأسلوبه إيقاعي غني بالموسيقى مليء بالنغم والمنحدر من الحركة، ومن الحروف

---

[1]- الموسيقى الكبير، الفارابي، ص62-63.
[2]- الجمع الصوتي الأول للقرآن أو المصحف المرتل – عرض دراسة لبواعث المشروع ومخططاته_، د/ لبيب السعيد، دار المعارف، القاهرة ، ط02؛ 1119م، ص253.
[3]- ينظر: محيط الفنون، د/ محمود أحمد حنفي، دار المعارف، مصر، القاهرة؛ م1971، 151/2.
[4]- الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، عاصد ياسر حسين، مركز تحقيقات كمبيوتر، علوم الإسلامية، ص329.

ومن اللفظ المفرد، ومن التركيب، فتلتقي كل آية ظلالها بجرسها ،وبنغمها حتى لنكاد عند قراءته أو تلاوته نسمع أصوات الأحداث غير المسموعة ،ونرى المشاهد غير المنظورة[1].

فتلك الحاسة المرهفة التي امتلكها العربي في تذوق اللغة تجعلنا القول دون تردّد أن التنغيم في القرآن دورا كبيرا في تكييف عقل السامع، وتهيئته لتلقي الدعوة واستقبال ما جاء به في معان سامية، لذا فالتنغيم في القرآن يقع في مقدمة ما جذب العرب للإسلام ،وسنحاول الوقوف على بعض أنواع التنغيم في القرآن الكريم:

- قال الله تعالى: ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [2]﴾ ، في هذه الآية تنغيم صاعد هابط على (يعلمون، ولا يعلمون) ،فالنغمة ترتفع على مستوى بالقدر الذي يوضح دلالة الأسلوب ، وهي جملة استفهامية[3].

- قال الله تعالى: ﴿ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ [4]﴾، في هذه الآية تقع قمة النمط التنغيم الهابط على الحكيم، وهي جملة إخبارية لأنها ليست استفهامية ،ولا انفعالية ولا تأكيدية، وكانت في الوقفة النهائية.

- قال الله تعالى: ﴿ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا[5] ﴾، في هذه الآية تقع قمة النمط التنغيم على الفعل الأمر **(كونوا)** ،وهي جملة طلبية مسنده فعل أمر.

- قال الله تعالى: ﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا[6] ﴾ ، إن لفظة **(يَصْطَرِخُون)** بجرسها الغليظ ترسم في الخيال صورة غلظ الصراخ المختلط المنبعث من كل مكان ،ومن حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة كما نستنشق من النّسق الذي انتظمت فيه هذه اللفظة ،ظل الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا يحب من يهتم به ،وبذلك يكون جرس هذه اللفظة قد ساعد على إيصال صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون[7].

---

[1]- ينظر: دلالة التنغيم في القرآن الكريم- سورة الزمر أنموذجا-، زهر الدين رحماني، ص16. (بتصرف).

[2]- سورة الزمر ، الآية : 09.

[3]- الأنماط التناغمية في اللسان العربي في علوم اللغة، رضوان القضماني، ص262.

[4]- سورة الزمر ، الآية :06.

[5]- سورة الإسراء، الآية: 50.

[6]- سورة فاطر ، الآية :37.

[7]- التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، القاهرة، دار المعارف؛ 1386 ه/ 1966 م، ص73.

- قال الله تعالى: ﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ[1] ﴾ ، يحس السامع بالرهبة في صدره حين سماعه (الدال) المنذرة المتوعدة، مسبوقة بالياء المشبعة المديدة في لفظة (**تحيد**) ،ولا يتملكنا الشعور بالرهبة مع لفظة مثل (تخرف)،أو (تبتعد) إذا ما جاءت بدلا من لفظة (تحيد)[2].

- قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ، قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ[3] ﴾ ، إن تكرار صوت (الراء) يساعد على تجسيد صورة الحدث المكرر، فجرس الراء مكرر ،وفي نطقه تتابع طرقات اللسان على اللثة تتابعا سريعا حتى تكاد بحرسه الحركة المتتابعة السريعة عند الرجف أحسن تصوير، ويساعد تكرار الصوت (الجيم) و صوت (التاء) ،وصوت (الفاء) على تصوير الأحداث ،وتأمل السامع لها، وكان تكرارها بطريقة متناوبة مما يجعلها ترسل نغما، وكأنها الموسيقى التصويرية التي تصحب المشاهد ،وبذلك تساعد هذه الأنغام على تثبيت الصورة في المخيلة، واستقرارها في الذهن.

- قال الله تعالى: ﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحاً، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقاً [4]﴾ ، إن الإيقاع المتوازن للجمل في الآيات السابقة يستهوي القلب، وتجد له الأذن لذّة، ويحدث نغما يسهل حفظه وترديده، وتلك دقة معجزة مبهرة في توازن الجمل في النسق القرآني، وتبدو دقة في توازن الجمل، كذلك عندما ينتظم النسق بأكمله مكونا إيقاعيا متوازيا يشتمل على مجموعة إيقاعات قصيرة، ومتوسطة، تزداد روعة البناء الموسيقي في ذلك النظم.

فيزداد إدراكنا لدور التنغيم في دلالة القرآن من خلال قوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا [5] ﴾ ، ذلك أن الترتيل يضيف إلى تنغيم القرآن إيقاعا ،ونغما خاصا.

3- الفواصل الصّوتية :

الفواصل الصوتية هو مصطلح يطلق على مجموعة من الظواهر الصوتية التي تشكل مع ظواهر أخرى، كالتنغيم والمقطع تلوينا موسيقيا خاصا بالمنطوق،

---

[1]- سورة ق ، الآية : 19.

[2]- مباحث في علوم القرآن، د/ صبحي الصالح، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان؛ 1983م، ص335.

[3]- سورة النازعات ، الآيات :06 -08 .

[4]- سورة النازعات ، الآيات: 01 -03.

[5]-سورة المزمل ،الآية :04 .

يحدد طبيعة التركيب وماهيته ودلالته[1]، وما يزيد الصوت جمالا وقوة للتعبير وانسيابا تلقائيا للغنم الموسيقى للفواصل للصوتية[2].

أ/ تعريف الفاصلة لغة واصطلاحا:

للفاصلة تعريفات لغوية وتعريفات اصطلاحية نذكر منّها: **لغة** مأخوذة من الفعل (فَصَل) ،وجمعها (فواصل) ،وهي الخرزة تفصل بين الخرزتين في العقد، و (الفاصل) الحاجز بين الشيئين أي قطعته[3] ،الفاصلة (الخرزة التي تفصل بين الخرزتين في النظام أو للفصل) القضاء بين الحق والباطل[4]،

أما **إصطلاحا:** يعرفها **السيوطي و الزركشي**: «كلمة آخر الآية»[5]،أما **الرماني والباقلاني**:«حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني»[6].

وقال **أبو عمر الداني**:« الفاصلة كلمة آخر الجملة»[7]، ونجدها عند **ابن منظور**:« أواخر الآيات من كتاب الله فواصل»[8].

ونلحظ مواطن اتفاق تقريبا بين الجميع في هذه التعريفات ،ونستنتج أن الفاصلة الصوتية أو القرآنية موقعها آخر الجملة ولها دور في إفهام المعنى.

ب/ أهمية الفاصلة و تلوينّاتها في القرآن الكريم:

بما أن القرآن مازال نبعا فياضا وموردا، لا تبلى عجائبه ،ولا تخلق على الأيام بدائعه، ولا ينصب نحو أسراره معها كشف عنه الباحثون وضح منّه الناهلون، والفاصلة في القرآن الكريم من عظيم آياته وبديع إعجازه، ومن ثم رأينا أن تتناول جانب من جوانبها بالدرس والتحليل، وهو الجانب الصّوتي بما فيه من تناسق وتناغم إيقاعي شهد به عتاة كفار قريش ،والهدف من هذه الدراسة هو الكشف عن سر جمال الإيقاع في الفاصلة القرآنية حيث يتضح بجلاء دور الفاصلة في الإعجاز القرآني، وذلك بتنوع استعمالاتها إذ لو حذفت لَّختل المعنى في الآية،

---

[1]- علم الأصوات، د/ كمال محمد بشر،ص 553.
[2]- التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية – قراءة نافع أنموذجا- فضلية مسعودي، ص46-47.
[3]- المنجد في اللغة والأعلام (مادة فصل)، دار المشرق، ط3، 1988م، ص585.
[4]- لسان العرب، ابن منظور، 11/188-189.
[5]- التجيير في علم التفسير، جلال الدين السيوطي، ص499.
[6]- ينظر إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: سيد أحمد صقر، دار المعارف، ط3، مصر؛ 1971م ، ص270.
[7]- البرهان في القرآن الكريم ، بدر الدين الزركشي، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث ،1/ 53.
[8]- لسان العرب، ابن منظور، 1/201.

ولو سكت عنها لاستطاع القارئ ،والسامع أن يختمه بها استياق مع الطبع الرفيع ،والذوق السليم.

قال الزركشي- رحمه الله-: «وتقع الفاصلة عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وفي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام، وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلام»[1]، فتبرز أهمية الفاصلة من خلال نص الزركشي في دور تحسين الكلام وإيصال الخطاب لذهن السامع دون كلفة وعناء، وهذا ما يميز القرآن الكريم عمن غيره من كلام البشر و يمكننا إجمال **أهمية الفاصلة** فيما يلي:

- الفاصلة القرآنية عنصر أساسي من عناصر اللغة الإيقاعية ومن أهم مقاصد الفواصل القرآنية تؤدي دورها في قوة التركيب وتمام المعنى ووضوحه ثم أن تكون شجية النغم، حلوة الجرس، عذبة للرنين، تطرب بلفظها كما تطرب بمعناها، ليتم بها الحسن من جميع جهاته[2].

- الفاصلة بقيمتها الإيقاعية والموسيقية تلعب دور المفتاح في اللحن الموسيقي، ولا وجه للمشابهة هنا بين القرآن والألحان الموسيقية، إلا لتقريب المثال فالقرآن نرى فيه براعة في تنويع مفاتيح البدء والانتقال في السور الواحدة بيسر و سهولة[3].

- يعتبر العلم بها سببا لنيل الأجر الموعود به على تعلم عدد مخصوص من الآيات ،أو قراءته قبل النّوم مثلا[4] و كثيرا ما تقترن ،وتربط العبد بأسماء ربّه تبارك وتعالى وصفاته (حكيم عليم)، (سميع بصير) وهكذا.

- تساعد على تسير حفظ القرآن الكريم، وسرعة ثباته في الذاكرة، إذ من الثبات أن الكلام المتناسق في نظمه، والمتقارب في رسمه، أكثر قابلية للحفظ، وأكثر نسوخا في النفس وأبعد عن التقلب والنسيان في الكلام المنثور[5].

---

[1]- البرهان ،الزركشي، 54/1. وينظر: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، فاضل صالح السامرائي شركة العاتط لصناعة الكتاب، ط2 ؛2006 م، ص 217/ 251.

[2]- دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم –دراسة تحليلية-، د/ رمضان البع، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) المجلد13، ع2؛ 2009م، ص05.

[3]- النسق القرآني - دراسة أسلوبية-، محمد الجاجي، رسالة دكتوراه ، جامعة صنعاء، كلية الأدب ؛ 1423 ه/ 2002م ، ص86.

[4]- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها (دراسة تطبيقية للجزء الأول من سورة البقرة)، محمد عطية يوسف الميزاوي، رسالة ماجيستر، جامعة غزة ، قسم التفسير وعلوم القرآن ؛2010م ، 15.

[5]- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها_دراسة تطبيقية للجزء الأول من سورة البقرة_،محمد عطية يوسف الميزاوي، ص16.

- الفاصلة وجه من وجوه الإعجاز التي يقع بها أحكام بناء الآية شكلا، ومضمونا مبنى ومعنى وهذا ما نلاحظه في عدد **من الأمثلة** ومنها:

1 - لما سمع الأعرابي قارئا يقرأ (وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[1] ،ختمها القارئ بـ (غفور رحيم) فقال الأعرابي مع أنه لم يسمع الآية من قبل: ليست التلاوة كذلك فتنبه القارئ ،وقال (وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) فقال الأعرابي: بخ بخ عز فحكم فقطع[2].

2- من سورة الشمس﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾[3]، الآية الأخيرة تمثل نهايتها دمدمة عظيمة ناسبت مع ما وقع لهم من عذاب على سوء أفعالهم هذه الشدة نجدها في حروف الكلمات الدال، ثم توالي الميمان في عليهم، ربهم، بدنبهم، ثم الإقلاب، مما يشعر بثقل وجرم ما وقعوا فيه لثقل اللفظ على النفس، والسمع الموحى بشدة ما وقع إليه مآلهم[4].

3- قالى الله تعالى :﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾[5]، تقول عائشة بنت الشاطئ: (فليس مقبول عندنا أن يقوم البيان على اعتبار لفظي ،وإنّما لحرف جاء لمقتضى معنوي بلاغي يقويه الأداء اللفظي دون الملحظ الشكلي هو الأصل ،ثّم تفسير هذا الحذف بما يقضيه لخطاب القرآني من حساسية معنوية بالغة الدقة في اللطف و الإيناس، وهي تحاشي خطابه صلى الله عليه وسلم في مقام الإيناس: ما قلاك لما في القلى من الطرد والإبعاد وشدة البغض، أما التّوديع فلا شيء فيه مثل ذلك)[6].

تمثّل هذه الأمثلة دور الفاصلة وأهميّتها في رعايّة المناسبة التي اقتضتها لفظا ،وصوتا مع الاعتبار للمعنى وأهميته في الدلالة الصريحة المأخوذة من اللفظ، فللقرآن موسيقاه الخاصة التّي لا يفوت إدراكها أحدا من قرّائه، ومن أنواع بدائعه

---

[1]- سورة المائدة ، الآية : 38

[2]- المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها، محمد العف، رسالة الماجيستر ، الجامعة الإسلامية، غزة، قسم التفسير وعلوم القرآن ؛ 2009 م، ص70.

[3]- سورة الشمس، الآية :14 .

[4]- فواصل الآيات القرآنية ، كمال الدين عبد الغني المرسي، كلية التربية، جامعة الاسكندرية، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية، ط1، 1420 ه/ 1999م ، ص44.

[5]- سورة الضحى، الآية : 03.

[6]- التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، 35/1.

ما يمكن أن نرى فيه- ضمنيا- دلائل موسيقية نابعة منه، وليست مستجلبة إليه[1]، والفاصلة دور بالغ في تمييز نظم القرآن عما سواه حيث أنّها تؤثر على المضمون بدلالتها وعلى الإيقاع بمقاطعها، فيتّسم بها المعنى وتستريح لها النّفس.

ج/ أنّواع الفواصل في القرآن الكريم :

- **أولها حسب الروي:** تنقسم الفواصل حسب الروي إلى المتماثلة والمتقاربة والمنفردة[2].

أ- المتقاربة[3]: هي الفواصل التي تقاربت حروف رويها كتقارب حرف الميم مع الحرف النون ،ومن ذلك قوله تعالي: ﴿ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾[4] .

ب- المتماثلة[5]: هي الفواصل التي تماثلت حروف رويها كقوله تعالى: ﴿ وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ﴾ [6]، وقوله تعالى: ﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴾ [7] ، هذا وقد استقلت الفواصل المتماثلة بأحد عشر سورة من سور المفصّل هي: (القمر ،والمنافقون، والشمس ،والأعلى ،والليل، و القدر، والعصر ،و الفيل ،و الكوثر ،والإخلاص ،والناس)[8].

ج- المنفردة[9]: هي التّي لم تتماثل حروف رويّها ولم تتقارب، كفواصل سورة الضحى في ختامها لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [10] .

- **ثانيها:** باعتبار الوزن

أ- المتوازي[1]: وهو ما اتفق فيه الحروف والوزن، كقوله تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ ﴾ [2] اتفقت الفاصلتان (مرفوعة) ،و (موضوعة) في وزنها وحرف رويها.

---

[1]- الجمع الصوتي الأول للقرآن أو المصحف المرتل- عرض ودراسة لبواعث المشروع ومخططاته-، لبيب السعيد، ص255.
[2]- سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ص203.
[3]- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 2/ 104.
[4]- سورة الفاتحة ،الآيات :03-04.
[5]- الفاصلة في القرآن، الحسناوي محمد، دار عمار، عمان، ط2؛ 1421ه/ 2000 م، ص147.
5- سورة الطور ،الآيات : 01- 04.
6- سورة الانشقاق ،الآيات:16-18
[8]- الفاصلة في القرآن، الحسناوي محمد، ص147.
[9]- ينظر: من بلاغة القرآن، أحمد أحمد بدوي ، نهضة مصر للطباعة ؛ 2005 م ، ص74.
2- سورة الضحى ، الآيات :09 - 10

ب- المطرف[3]: وهو ما اتفق فيه الحرف دون الوزن، كقوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارً وَقَدْ خَل أَطْوَارا﴾[4] ، اختلفت الفاصلتان (وقارا) ،و (أطوارا) في الوزن واتفقت في حروف روي.

ج- المتوازن[5]: وهو ما اتفق فيه الوزن دون الحروف كقوله تعالى: ﴿ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴾[6] ، حيث اتفقت الفاصلتان في الوزن (مصفوفة) و (مبثوثة).

د- المرصع[7]: وهو الذي رعي فيه الوزن في صيغ الألفاظ أو أكثرها، وقوبلت الكلمة بما يعادلها في الوزن كقوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ وَ هَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾[8]، فالكتاب والصراط يتوازيان، وكذا المتين والمستقيم واختلفا في الحرف الأخير.

➢ **- ثالثا: حسب طول القرينة**[9]:

أ- **أن تكون القرائن متساوية في عدد الكلمات**، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَر﴾[10]

ب- قرائن مختلفة الطول والقصر: مثل قوله تعالى: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾[11] ،(فخذوه) قرينة و(غلوه) قرينة ثانية، وهما متساويتان (ثم الجحيم صلوه) قرينة ثالثة ،وهي أطول مما قبلها.

---

[1]- البرهان في علوم القران ، الزركشي ، 1/ 7.
- سورة الغاشية، الآية :13 -14.[2]
5- أنظر: دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم –دراسة تحليلية-، د/ رمضان البع، ص07
6- سورة نوح ،الآية:13-14
[5]- الفاصلة القرآنية – دراسة صوتية في ضوء علم اللغة الحديث، د/ محمد سعيد محمد السيد، مجلة كلية الأداب ،جامعة بور سعيد، العدد الأول؛ يناير 2013 م، ص 15
8- سورة الغاشية، الآية :15-16
[7]- الإتقان في علوم القرآن ،جلال الدين السيوطي، 2/ 104.
- سورة الصافات، الآية :117 -118. [8]
[9]- الفاصلة في السياق القرآني –سورة مريم أنموذجا-، د محمد حسين النقيب اليمن، ص10
- سورة الضحى ،الآية : 09- 10.[10]
[11] - سورة الحاقة ،الآية :30-32.

- رابعا : حسب مقدارها في الآية[1]:

أ- من الفواصل **آية كاملة**، مثل (آلم).

ب- ومنها ما كان **جزء من آية** لا تقوم إلا به كقوله تعالى: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [2].

ج- ومنها ما كان **تعقيبا على الآية** أو تلخيصا لمضمونها مثل قوله تعالى: ﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا ۚ وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾[3] .

فلهذا التغاير في وزن الفواصل ورويها من التماثل إلى التقارب أثره النفسي إن هو ضرب، من التنويع الموسيقي للمشوق لسماع الكلام، لأن الكلام إذا استمر على جرس واحد وإيقاع واحد، لم يسلم من التكلف وإثارة الملل في النفوس، وذلك شيء معروف في الموسيقى، إذ يتغير الإيقاع في الدرجة والنوع... بل إن من البلاغيين من ربط ذلك بفصاحة القرآن حتى إن **حازما القرطاجي** (ت684هـ) ذكر في كتابه (منهاج البلغاء): «إن الافتنان في ضروب أعلى من الاستمرار على ضرب واحد، فلهذا وردت بعض آيات القرآن متماثلة وبعضها غير متماثل»[4].

إنّ هذا التنّوع الموسيقي في الفواصل وزنا يلحظ في أغلب سور القرآن ،وبخاصة للطول والمتوسطة منها، فتحن إذا تأملنا في آخر سورة الأحزاب مثلا من الآية 57 إلى الآية 69، يجلى لنا هذا البناء الفريد في نظام الفاصلة بوضوح، إذ نجد أن الفواصل تتشكل بهذه الصورة بحسب الترتيب (مهنيا، مبينا، رحيما، تقتيلا تبديلا، قريبا، سعيرا، بصيرا، الرسولا، السبيلا، كبيرا) ،فتتفق تارة في حرف الروي والوزن، وتختلف أخرى في حرية واضحة، لا يربط بما تقدمها من الآي التي تقع فواصل لها إلا المعنى، وهذا النظام ليس من الشعر في شيء، ولا في النثر المعهود عند ظهور القرآن، بل هو نظام خاص بالقرآن وحده[5].

وهذه النماذج الخيرة التي تبركنا بإيرادها، والتي تنبه من الغفوة والغفلة وتدفع إلى الاعتبار والعظة، وتزيد من البصيرة والتدبر، قد أضفى عليها الملحظ الصوتي موسيقاه الخاصة، فعاد القول بصوتيها من جملة أسرارها الجمالية

---

[1]- الفاصلة في سياق القرآني –سورة مريم أنموذجا-، د محمد حسين النقيب اليمن ، ص10.

[2]-سورة النجم، الآية :01.

[3]- سورة الأحزاب ،الآية :25

[4]- منهاج البلغاء، حازم القرطاجي، ص 388، وينظر :البرهان في علوم القرآن، الزركشي،ص 389، والبرهان في تجويد القرآن،د/ محمد الصادق القمحاوي، 60/1.

[5]- ينظر: الجرس والإيقاع في تعبير القرآن، عاصد ياسر حسين، ص305.

والتّأكيد على تناغمها الإيقاعي من أبرز ملامحها الفنية فهي أدلة على ثّراء التعبير القرآني بنواح صوتية متنوّعة في سائر آياته ،وسوره الواردة مع ارتباط الفواصل بالمعنى، فالعرب في قضايا الصوت ما يعدّ أساسا لدّراسات كثّير من المحدثين في شتى جوانب الدراسات اللغوية، وما قدمنّاه في بحثنا هذا يشير إلى ناحية من نواحي علم الصوت وأصّالته عند العرب.

خـــاتـمـــة

تمخضت عن هذه الدّراسة العلميّة مجموعة من النّتائج بثثنا الكثير منّها في ثنايا البحث، وحصرنا بعضها في نقاط توجهنا بهذا البحث، وجعلناها خاتمة له لعلها تكون بداية لبحوث أخرى لمن يرغب البحث في مجال هذا الاختصاص.

ولقد سعينا جاهدين إلى جعلها تحظى بالثّراء والفائدة، ومع ذلك فلا نحسب أننا أتينا فيها بجديد، ولا بشيء خفي أو دقيق، فإذا كنّا لما من فضل فهو لا يتعدى جمع شتاتها من مختلف المصادر والمراجع باختيار اللفظ المناسب للموقف المناسب، ومهما تكن جهودنا فهي جهود بشرية لا تخلو من العيوب والنقائص.

وهذه أهم النقاط والنتائج التي توصلنا إليها:

1- مصطلح علم الأصوات مصطلح عربي أصيل نشأ في بيئة عربية خالصة، وسبق إليه علماء العربية.

2- نظرية الصّوت اللّغوي عند العرب فيها شهد بأصالته المحدثون من الأوروبيين والمستشرقين، فكان ما توصل إليه العرب عبارة عن المادة التخطيطية لمئات الجزيئات ،وعشرات الموضوعات الصوتية المتخصصة ممّا أشاروا إليه في كتبهم مفردات منظمّة متناسقة مثّلت نظرية الصّوت في جميع المستويات الصوتية المعقدة.

3- كان تقسيم العرب للأصوات باعتبارّ مخرجها مخططا تفصيليا لعمليّة إحداث الأصوات مع تسمياتها في المصطلح الصوتي ذلك ما قاربه ،وحقق القول فيه علماء الأصوات المحدثين، وهم يسخرون لذلك أجهزة العلم الفيزيولوجية، بينما ما اكتشفه العرب بذائقهم الفطرية الخالصة.

4- يعد الخليل بن أحمد الفراهيدي أول من تنبَّه إلى أن بناء اللّغة قائم على الأصوات ،فتنّاولها في مقدمة كتابه (العين) وحدد مخارجها وصفاتها، معتمدا على السمع والنّطق.

5- تأثر سيبويه بشيخه الخليل ابن أحمد الفراهدي فسار على نهجه في كثير من الأبعاد، واجتهد في القسم الآخر، وكان له قدم وسبق في قضايا الإدغام ،وتمييّزه الدقيق بين صفتي الجهر والهمس.

6- علم التّجويد يعتبّر مصدرا أصيلا من مصادر الدّراسة الصوتية العربية ،وذلك من خلال الانجازات القيّمة التي حققها علماء التّجويد في مجال دراسة الأصوات أيضا.

7- يعدّ ابن سنان الخفاجي من أوائل العلماء الذّين أشاروا إلى (فيزياوية الصوت) وتحدثوا عنها، ولم يسبق في ذلك إلا ابن سينا والبيروني.
8- لابن سينا نظرة ثاقبة إلى أصوات اللّغة العربية، وقد أوضح هذه النّظرة في وصفه لجهاز النطق عند الإنسان وأعضائه، ورأينا أنه وصف اعتمد فيه على التشريح، وكاد يقرب في كثير من تفاصيله من وجهات النظر المعاصرة.
9- اعتمدت الدّراسة الصّوتية على مصادر مختلفة من التراث العربي، وكثرة العلماء والباحثين في هذا الميدان، إلاّ أنه لم يظهر مصدر مستقل يجمع شتات القضايا الصوتية ،وضم متفرقاتها إلا على يد ابن جنّي في كتابه سرّ صنّاعة الإعراب.
10- أول من استعمل مصطلح علم الأصوات كان ابن جنيَّ، وكان منهجه الصوتي مَنَال إعجاب البحث بما صح أن يطلق عليه اسم الفكر الصّوتي لأنه يتمخض لهذا العلم، ويعرض فيه عصّارة تجاربه الصوتية دقيقة منظمة.
11- المحدثون خالفوا علماء اللغة القدماء في بعض المواقف ،ولكن خلافهم يبقى خلافا جزئيا مجاله الواسع هو المصطلحات لا المادة، ومردّه البعد الزمني بينهم، وتقدم العلم والاستعانة بآلات إنتاج الصوتي وغير ذلك، إلا أن ما قدّمه علماء التراث الأصواتيون يعتّبر أصيلا لكثير من الملامح والخصائص المكتشفة في ضوء الدراسات الحديثة الصرفية.
12- اتخذت المباحث الصوتية العربية القرآن أساسا لتطلعاتها، وآياته مضمارا لاستلهام نتائجها، فكان القرآن هو المنطق الأساس لعلم الأصوات.
13-مصطلح الفاصلة في القرآن، مرسية أصولها على قاعدة صلبة من الاصطلاح بحيث لا تشبه بقرينة السجع، أو قافية الشعر، وكانت التسمية بسبب من إرادتهم تميز القرآن وتشريفه عن مشاركة غيره له في المسميات.
14- تكمن أهمّية وجمالية المقطع في كونه يمثل درجة في السلم الهرمي للوحدات الصوتية (الفونيم، المقطع، ثم بقية الفونيمات فوق التركيبية)، حيث كان معروفا منّذ القرن الرابع هجري عند علمائنا الأجلاء من فلاسفة وأطباء وعلماء الكلام.
15- لم يغفل علماء اللّغة القدامى في دراستهم الظواهر فوق التشكيلية للغة العربية.
16- يعدّ الانسجام الصوتي في المقاطع الصوتية في نظم الآيات القرآنية سبب في حلاوة الإيقاع وعذوبة النغم.

16- للفواصل دورها في إعطاء الآيات جرسا موسيقيا مناسبا، لذا عُنّي القرآن بتوافقها في كثير من السور، والآيات إذ كان للجرس أثره في إحداث التأثير النّفسي والوجداني المطلوبين.

17- من التوصيات التي خرجنا بها ونلح عليها: ضرورة العودة والاهتمام بالتراث اللّغوي العربي، ومحاولة استنطاقه، لمعرفة القضايا التي توصّل إليها ومازالت لم تجد النور في الدراسات الحديثة، أو لمعرفة القضايا الحديثة التي لها جذور في الدراسات المحدثة العربية، فهي لا ترقى إلى الواقع المعرفي الفنّي الذي عرفه العرب القدماء.

إننّا لا ندّعي بإثارتنا لأجوبة في هذا المقام الختامي من الدّراسة ،أن باب البحث في قضية تأصّيل الدّرس الصوتي أوصِدَ ، ولا نروم أنّها دراسة ملمّة بجميع ما يخص كتاب سرّ صنّاعة الإعراب ،إلا أنّنا حاولنا مقاربة الموضوع في أبعد معانيه ،لتكون بداية لأسئلة أخرى لا يزال موضوع البحث فيها مفتوحا.

فإن وُفقْنا في توضيح بعض الآراء والمفاهيم المتعلّقة بالدرس الصوتي ، فبتوفيق من الله بصَّرنا بخبايا البحث ،وإن كان دون ذلك فالأمر لنا وحدنا ،وعزاؤنا أنّنا قد بذلنا الجهد في الوصول إلى الهدف المبتغى، ويبقى الكمال لله وحده...

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية برواية ورش

أولا : المصادر والمراجع العربيّة

1- **أبحاث في علم الأصوات العربية**، أحمد عبد التواب الفيومي، مطبعة السعادة، القاهرة، ط1؛ 1412هـ/ 1991م.

2- **الإبدال** ، عبد الواحد بن أبي علي اللّغوي الحلبي أبو الطيب ، تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق؛1379هـ / 1960م،**ج1**

3- **الإبدال**، أبي يوسف يعقوب ابن السكيت (ت244هـ)، تحقيق : حسين محمد شرف، مراجعة: علي النجدي ناصف، القاهرة ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ؛ 1398هـ/ 1978م.

4- **ابن جني عالم الصوتيات _مقدمة للدراسات الصوتية واللسانية لدى العرب المسلمين الأوائل_** ، د/ محمد حسن باكلا، الرياض ، ط1 ؛ 1982 م.

5- **إتحاف فضلا للبشر في القراءات الأربع عشر**، الشيخ أحمد بن محمد الدمياطي الشهير بالبنَّا، حققه وقدم له: د/ شعبان محمد إسماعيل، عالم الكتب، بيروت، مكتبة الكليات الأزهرية، ط1؛1987م.

6- **الإتقان في علوم القرآن** ، عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت 911ه) ،تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،الهيئة المصرية العامة للكتاب؛ 1394ه/ 1974م.

7- **أثر القراءات في الأصوات والنّحو العربي أبو عمرو بن العلاء**، د/ عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط01؛ 1408هـ/ 1987م.

8- **أحكام قراءة القرآن الكريم**، الشيخ المقرئ المصري محمود خليل الحصري (ت1401هـ)، ضبط نصه وعلق عليه: محمد طلحة بلال منيار، المكتبة المكية، دار الناشر الإسلامية.

9- **أسرار العربية**، عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري (المتوفي 577هـ)، دراسة وتحقيق: محمد حسين شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1؛ 1418هـ/1997.

10- **الأسلوب الكنائي –نشأته وتطوره وبلاغته-**، د/ محمد السيد شيخون، دار النهضة، ط1 ؛ 1398ه/1978م.

11- **أشات مجتمعات في اللغة والأدب** ، د/عباس محمود العقاد ، دار المعارف، القاهرة ؛ط6، (دت).

12- **الأشباه والنظائر**، جلال الدين السيوطي، تحقيق: د/عبد العال مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1؛ 1985م، ج1.
13- **أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العين**، د/ أحمد محمد قدور، دار الفكر، دمشق، ط1؛ 1419هـ/1998م.
14- **أصوات العربية بين التحول والثبات**،د/ حسام النعيمي، دار الكتب ،جامعة بغداد، سلسلة بيت الحكمة 04؛ 1989م.
15- **أصوات اللغة** ،د/عبد الرحمان أيوب ،مطبعة الكلاني ،ط2، القاهرة ؛ 1968 م.
16- **أصوات اللغة العربية** ، د/ عبد الغفار هلال حامد ، مطبعة الجبلاوي، القاهرة ، مصر ،ط2 ؛ 1988م.
17- **الأصوات اللغوية** ، د/ إبراهيم أنيس ،المكتبة الأنجلو مصرية :ط5 ؛ 1979 م.
18- **الأصوات اللغوية** ، د/ زين كامل الخويسكي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية، 1429ه /2008م.
19- **الأصوات اللغوية** ، د/ عبد القادر عبد الجليل ، دار صفاء ، عمان ؛ 1998م.
20- **الأصوات اللغوية ووظائفها** ، د/ مصطفى منصف القماطي ، دار الوليد طرابلس للجماهير العظمى ؛2003م.
21- **الأصول في النحو**، أبو بكر بن السراج ، تحقيق: د/ عبد الحسن حسين، دار الشروق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط3، 1988م.ج2/ج3.
22- **أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة**، د/ نايف خرما، سلسلة عالم المعرفة الكويت؛ 1978م.
23- **إعجاز القرآن**، أبو بكر الباقلاني، تحقيق: سيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر ،ط3 ؛ 1971م.
24- **الأعلام** ، خير الدين الزركلي، دار العلم الملايين ، بيروت ، ط12، 1997م، ج4، ص20.
25- **الإكسير في علم التفسير**، د/ نجم الدين الطوفي، تحقيق: د/ عبد القادر حسين، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1.
26- **إكمال الأعلام بتثليث الكلام**، محمد الجياني، تحقيق : سعد بن حمدان الغامدي ، مكتبة المدني للطباعة والنشر، جدة،ط1؛ 1404ه/ 1984م،**ج 2.**
27- **إنباه الرواة**، للقفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار الفكر العربي، القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط1 ؛ 1406هـ/ 1982م، **ج1**،ج4.

28- **أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث**، د/ حسام البهنساوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة؛ 1994م.
29- **أئمة النّحاة في التاريخ**، د/ محمد محمود الغالي، دار الشروق، جدة، ط1، 1396ه/ 1976م
30- **البارع في اللغة**، أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، تحقيق: د/ هاشم الطعان، مكتبة النهضة، بغداد، دار الحضارة العربية، بيروت؛ 1975م.
31- **البحث اللغوي عند العرب**، د/ أحمد عمر مختار ،عالم الكتب ، القاهرة ، ط6 ؛ 1988م.
32- **البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر**، د/ أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ،ط8 ؛ 2003م .
33- **البرهان في القرآن الكريم** ، بدر الدين الزركشي، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث ،ج1.
34- **البرهان في تجويد القرآن**، د/محمد الصادق قمحاوي، المكتبة الثقافية، بيروت.
35- **بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة** ،د/ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي ، دار الطباعة، بيروت ، المكتبة العصرية ، ج2.
36- **البيان والتبين**، الجاحظ ، تحقيق:عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ،ط1؛ 1418ه/1998 م ، ج1.
37- **تاريخ ابن خلدون**، عبد الرحمان ابن خلدون ، دار الكتب العلمية ، ط1 ،1992م ،ج1.
38- **تاريخ الأدب العربي**، د/ مصطفى صادق الرافعي، راجعه وضبطه: عبد الله المنشاوي، ومهدي البحقيري، مكتبة الإيمان، جامعة الأزهر،ج1.
39- **تاريخ الأدب العربي**،د/ مصطفى صادق الرافعي، راجعه واعتنى به درويش الجندي، المكتبة العصرية، بيروت؛ 2005 م، ج2
40- **التأليف في خلق الإنسان من خلال معجم المعاني-دراسة تاريخية لغوية موضوعية-** ، د/وجيهة احمد السطل ،دار الحكمة ، دمشق ،(دت)
41- **تأويل مشكل القرآن** ، مسلم ابن قتيبة، شرحه ونشره: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط3 ؛ 1981م.
42- **التجويد والأصوات**، د/ إبراهيم نجا، طبعة السعادة والمعاجم اللغوية، ط1؛ 1962م.

43- **التحبير في علم التفسير**، جلال الدين السيوطي، تحقيق : فتحي عبد القادر فريد ،دار العلوم ،الرياض ؛ 1402ه /1982 م.
44- **التحديد في الإتقان والتجويد**، أبي عمرو عثمان بن سعيد الداني الأندلسي، دراسة وتحقيق: غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان،ط1؛ 2000م.
45- **التحولات الصّوتية والدّلالية في المباني الإفرازية** ،د/سعاد بسناسي ،عالم الكتب ،الأردن ،ط1 ؛ 2012م .
46- **ترتيب العلوم**، محمد بن أبي بكر المرعشي، تحقيق: نجلاء قاسم عباس، منشورات مركز إحياء التراث العلمي العربي، بغداد، 1404هـ/1984م.
47- **تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد** ، محمد بن مالك ، تحقيق: محمد كامل بركات، مط: دار الفكر ، ط 1؛1967م .
48- **تشريح النّص مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة**، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط2؛ 2006م.
49- **التصوير الفني في القرآن الكريم**، سيد قطب، دار المعارف، القاهرة ؛ 1386ه/ 1966م.
50- **التطور اللغوي التاريخي**، د/ إبراهيم السمرائي، دار الرائد؛ القاهرة؛ 1966م.
51- **التفسير البياني للقرآن الكريم** ،د/ عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف؛ ط7.
52- **التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)**،الإمام فخر الدين الرازي ، المطبعة المصرية، القاهرة،ط1؛ 1938م.
53- **تفسير ما بعد الطبيعة**، ابن رشد، منتدى سور الأزبكية؛ 2016م.
54- **التفكير الصّوتي عند العرب بين الأصالة والتحديث**، د/صلاح الدين قناوي، دار الفكر، دمشق؛ 2008 م.
55- **التفكير اللساني في الحضارة العربية** ، د/ عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، ط2؛ 1986م.
56- **التكملة** ،أبي علي الفارسي (ت 377ه)، تحقيق ودراسة : كاظم بحر مرجان، دار الكتب للطباعة والنشر،جامعة الموصل؛ 1401ه /1981م.
57- **تلخيص الخطابة** ،أبي الوليد ابن رشد، تحقيق: محمد سليم سالم، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة التراث الإسلامي، يشرف على إصدارها : محمد توفيق عويضة، القاهرة ؛ 1967م.

58- **تهذيب الأسماء واللغات**، للنّووي، تعليق: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة الميزية ، دار الكتب العلمية، بيروت.
59- **تهذيب اللّغة**، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق وتقديم: د/عبد السلام هارون، ،مكتبة الخانجي،ط1 ؛1396 ه/ 1976م،ج1
60- **تهذيب اللغة**، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق وتقديم: عبد السلام هارون، مصر: 1964م.
61- **جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب**، د/ ماهر مهدي هلال، دار الرشيد، بغداد؛ 1980م.
62- **الجمع الصوتي الأول للقرآن أو المصحف** المرتل – عرض دراسة لبواعث المشروع ومخططاته_ ، د/ لبيب السعيد، دار المعارف، القاهرة ، ط02؛ 1119م.
63- **الجُمل**، الزجاجي عبد الرحمن بن إسحاق، تحقيق: بن أبي شنب، ط2؛ 1957،ج2،
64- **جمهرة اللغة** ، لابن دريد الأزدي، مطبعة المعارف بحيدر آباد، ط1؛ 1344ه.
65- **جمهرة اللغة** ، لابن دريد، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت،ط1؛ 1987م،ج1.
66- **جهد المقل**، محمد ين أبي بكر المرعشي (ت1150هـ)، تح: سالم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، الأردن، 2001م.
67- **جوامع علم الموسيقى**، ابن سينا ، تحقيق : زكرياء يوسف، تصدير ومراجعة : أحمد فؤاد الإهواني، و محمود أحمد الحفي، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة ؛ 1956م.
68- **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي** ،شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي ، دار صادر، بيروت،ج2.
69- **الحجة في علل القراءات السبع**، أبو علي الفارسي، تحقيق: علي النجدي، عبد الحليم النجار، إسماعيل شبلي، الدار القومية، القاهرة ؛ 1966م.
70- **حرز الأماني ووجه التماني في القراءات السبع** ،ضبط وتصحيح: محمد تميم الزعبي،دار الغوثاني للدراسات القرآنية ؛ط 4؛ 1425ه/ 2004م.
71- **الحروف العربية و تبدلاتها الصوتية في كتاب سيبويه** (خلفيات وامتداد ،دراسة)، د/ درار مكي، اتحاد الكتاب العرب، ط1؛2007م.

72- **حروف المعاني بين الأصالة والحداثة**، د/حسن عباس، اتحاد كتاب العرب، دمشق؛ 2000م .
73- **الخصائص**، أبو الفتح ابن جني، تحقيق : محمد علي النجار، المكتبة العلمية، ط2، القاهرة، 1952م،ج1/ج2
74- **الخطاب الآخر مقاربة لأبجدية الشاعر ناقدا**،د/ علي حداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق؛ 2008م.
75- **الدراسات الصوتية عند علماء التجويد**، د/غانم قدوري الحمد ،دار عمار ،الأردن ، ط3 ؛ 1428ه/2007م.
76- **الدراسات الصوتية عند علماء العربية**، عبد الحميد الهادي إبراهيم، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ، لجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس (د.ت).
77- **الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني** ،د/حسام سعيد النعيمي ، دار الرشيد للنشر والتوزيع ،العراق ؛ 1980م.
78- **دراسات في التجويد والأصوات اللغوية** ، عبد الحميد أبو سكين، مطبعة الأمانة ، مصر، ط1973.
79- **دراسات في علم أصوات العربية**،د/ داود عبده، مؤسسة الصباح، الكويت (د.ت) ،ج1.
80- **دراسات في فقه اللغة**، د/صبحي صالح ،مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، ،مطابع الروضة النموذجية ،حمص ؛1988م.
81- **دراسة السمع والكلام – صوتيات اللغة من الإنتاج إلى الإدراك** –د/ سعد عبد العزيز مصلوح، عالم الكتب ، القاهرة ، ط1؛ 2000م.
82- **دراسة الصوت اللغوي** ،د/ أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة ؛ 1997.
83- **دمية القصر** ، علي بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي (ت 467ه) ،دار الجيل ،بيروت ،ط1؛1993م.
84- **ديوان ابن سنان الخفاجي**، تحقيق: عبد الرزاق حسين، المكتب الإسلامي للطباعة، ط1؛ 1988م،ج1
85- **رسالة أسباب حدوث الحروف** ، للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا (ت 428ه)، تحقيق: محمد حسان الطيان، ويحي يسر علم ، مراجعة تقديم : د/شاكر الفحام، أ/ أحمد راتب النفاخ ،مطبوعات مجمع اللغة العربية ،دمشق،(دت).
86- **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفا**، دار صادر بيروت ، (دت)، ج3.

87- **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصفاتها وألقابها وتفسير معانيها وتعليلها وبيان الحركات التي تلزمها**، أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ)، تحقيق: د/ أحمد حسن فرحات، دار عمار، ط3؛ 1417هـ/ 1996م

88- **الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة**، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د /أحمد حسن فرحات، دمشق؛ 1973م.

89- **زاد المعاد في هدي خير العباد**، محمد بن أبي بكر ابن القيم، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط7؛ 1407ه.

90- **سر الفصاحة**، الأمير أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعد بن سنان الخفاجي، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الكتب العالمية، بيروت، ط1؛ 1982م.

91- **سرّ صنّاعة الإعراب** ، أبي الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق : محمد حسن إسماعيل ،و أحمد رشدي شحاتة عامر ، دار الكتب العلمية بيروت ، لبنان ، ط 1 ؛ 1421هـ /2000م ، ج1/ج2.

92- **سرّ صنّاعة الإعراب** ، أبي الفتح عثمان ابن جني ، تحقيق :حسن هنداوي،دار القلم ،دمشق، ط02 ؛1413 ه/1993م ،ج1/ج2

93- **شرح ابن عقيل**، بهاء الدين عبد الله بن عقيل، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط12، 1961م ،ج2.

94- **شرح الفارابي لكتاب أرسطو طاليس في العبارة**، عني بنشره وقدم له: كوتش اليسوعي وستانلي ما رو اليسوعي، دار الشرق، بيروت، (د ت)، ط2

95- **شرح المفصل** ، موفق الدين يعيش بن علي، عالم الكتب، بيروت، (د ط)، ج10.

96- **شرح المفصل**، موقف الدين ابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة،ج9.

97- **شرح الهداية**، المهدوي أبو العباس، تحقيق: جازم حيدر،مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط1؛ 1995م.

98- **شرح شافية بن الحاجب مع شرح شواهده** ، رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي ، حققها وضبط غريبهما: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحمد محي الدين عبد المجيد ، شرح شواهده: عبد القادر البغدادي (ت1093هـ)، بيروت، لبنان ؛ 1975 م،ج3.

99- **شرح كتاب سيبويه** ،الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي أبو سعيد، مخطوط دار الكتب المصرية، رقم 528.
100- **شرح كتاب سيبويه** ،الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي أبو سعيد، تحقيق : أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، ط1 ؛ 2008م.
101- **الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها،** أحمد بن فارس زكريا الرازي أبو الحسن، حققه وضبط نصوصه وقدم له: عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط1 ؛1414 ه/1993م.
102- **الصوت اللغوي في القرآن،** د/محمد حسين علي الصغير، دار المؤرخ العربي، موسوعات الدراسات القرآنية، بيروت، لبنان؛ 1420ه/2000م.
103- **الصوتيات العربية،** د/منصور بن محمد الغامدي ،مكتبة التوبة ،ط1؛ 1421ه/ 2001م.
104- **الصوتيات اللغوية – دراسة تطبيقية على أصوات اللغة العربية** ، د/ عبد الغفار حامد هلال،دار الكتاب الحديث،الجزائر؛1430ه/2009م
105- **الصوتيات والفونولوجيا،** د/مصطفى حركات ، المكتبة العصرية ، سيدا، ط1 ؛ 1998م.
106- **الضروري في صنّاعة النحو،** د/محمد أبو الوليد بن رشد (ت 595هـ)، تحقيق ودراسة: منصور علي عبد السميع، محمد إبراهيم عبادة، مطبعة دار الفكر العربي، ط1؛ 2002م.
107- **طبقات النحويين واللغويين** ، محمد بن الحسن الزبيدي أبو بكر، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعارف،ط2 ؛1984 م.
108- **ظاهرة المجاورة في الدراسات النحوية ومواقعها في القرآن الكريم،** د/فهمي حسن النمر،دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ؛1985م.
109- **الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية في قراءة الجحدري البصري** (ت28هـ)، عادل هادي العبيدي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1؛ 1425ه/2005م.
110- **العبر في خبر من عبر** ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ، دار الطباعة بيروت ، دار الكتب العلمية ،ج2.
111- **عبقري اللغويين،** أبو الفتح عثمان ابن جني (321هـ-392هـ)، د/ عبد الغفار حامد محمد هلال،دار الفكر العربي ،القاهرة ط1؛ 1436ه/2006م،ج1/ج2
112- **علم الأصوات** ، د/ كمال محمد بشر ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة ؛ 2002 م.

113- **علم الأصوات** ، د/حسام البهنساوي ،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، ط1 ؛ 1425ه /2004 م.
114- **علم الأصوات العام ـ أصوات اللغة العربية** – د/ بسام بركة ، مركز الأنماء القومي، لبنان، 1988م.
115- **علم الأصوات اللغوية** ـ الفونتيكا ـ د/ عصام نور الدين ،دار الفكر اللبناني ،بيروت، ط1؛ 1992م.
116- **علم الأصوات اللغوية** ، د/ أحمد عزوز ، ديوان المطبوعات الجامعية ،وهران.
117- **علم الأصوات اللغوية –الفنولوجيا** – ،د/عصام نور الدين ، دار الفكر اللبناني ، ط1 ؛ 1992 م.
118- **علم الأصوات عند العرب**، د /حسان الطيان، مجمع اللغة العربية، دمشق، 1429 ه /2008 م.
119- **علم التجويد** – دراسة صوتية ميسرة-، د/ غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان ، ط1؛ 1426هـ/2005م.
120- **علم الصرف الصوتي**، د/عبد القادر عبد الجليل ،دار المعرفة ،بيروت، لبنان، دط ؛1998 م.
121- **علم اللغة العام_ الأصوات** _، د/ كمال محمد بشر، دار المعارف ، مصر ؛ 1971م .
122- **علم اللغة بين التراث والمعاصر**، د/ عاطف مدكور، دار الثقافة، القاهرة ؛ 1987 م.
123- **علم اللغة بين القديم والحديث**، د/عبد الغفار حامد هلال، مطبعة الجبلاوي ،مصر ،ط2؛ 1406ه/1986م.
124- **علم اللغة ـمقدمة للقارئ العربي-**، محمود السعران ،دار الفكر العربي، القاهرة، ط1997،2م.
125- **علم اللغة**، د/ علي عبد الواحد وافي، نهضة مصر، ط9 ؛ أبريل 2004م.
126- **علوم الصوتيات عند ابن سينا** ،د/محمد صالح الضالع ،دار غريب للطباعة ،القاهرة ؛2002م.
127- **العين**، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (100/175ه)، تحقيق: مهدي المخزومي، ود/إبراهيم السامرائي ؛ سلسلة المعاجم والفهارس (دتا) ،ج1/ج2
128- **غاية المراد في علم التجويد**،د/ عطية قابل نصر،القاهرة، ط4؛ 1414ه /1994م.

129- **الفاصلة في القرآن**، د/ الحسناوي محمد، دار عمار، عمان، ط2؛ 1421ه/ 2000م.
130- **فضائل القرآن** ،حديث هشام صحيح البخاري للإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن برد زية البخاري الجعفي ، باب أنزل القرآن على سبعة أحرف،دار الكتب العلمية ،بيروت، لبنان، رقم الحديث 4992ه، ج5.
131- **فقه اللغة العربية**، د/ كاصد ياسر الزيدي، مطبوعات جامعة الموصل؛ 1985م.
132- **فقه اللغة في الكتب العربية** ،د/ عبده الراجحي ،دار النهضة العربية ، بيروت؛ 1392ه/1972م.
133- **فقه اللغة وأسرار العربية**، الإمام أبي منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل الثعالبي (ت429هـ) ، ص204. منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت.
134- **الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية**،د/ جرجي زيدان، مراجعة وتعليق: د/ مراد كامل، دار هلال ؛1969م.
135- **الفهرست**، لابن النديم، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفية، بيروت، لبنان، ط2؛ 1417ه/ 1997 م.
136- **فواصل الآيات القرآنية** ، كمال الدين عبد الغني المرسي ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ط1؛ 1420ه/ 1999م.
137- **الفوائد(المشوق إلى علوم القران وعلم البيان)**، ابن القيم الجوزية، مطبعة السعادة، مصر،ط 1؛ 1327ه,
138- **في البحث الصوتي عند العرب**، د/إبراهيم خليل عطية، سلسلة الموضوعية الصغيرة (124)، منشورات دار الجاحظ للنشر، بغداد، ط1؛1983م.
139- **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ،تحقيق: مكتبة التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة، ط8 ؛1426 ه/2005م.
140- **القانون في الطب**، ابن سينا، القانون في الطب، ابن سينا، مكتبة المثنى في بغداد ،(د تا) ، ج2.
141- **قدماء ومعاصرون**،د/ سامي الدهان، دار المعارف، مصر، 1961م.
142- **القراءات القرآنية تاريخ وتعريف**، عبد الهادي الفضلي، دار العلم للملايين، بيروت.

143- **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**، د/ عبد الصبور شاهين، دار القلم،(دت).
144- **القراءات القرآنية نشأتها، أقسامها، حجتها**، د/ خير الدين سيب، دار الخلدونية للنشر والتوزيع.
145- **القراءات وأثرها في علوم العربية**، محمد سالم محيسن، دار الإتحاد العربي للطباعة، ط1؛ 1404ه/1984م، ج1.
146- **القلب عند البلاغيين والنحاة العرب**، د/ عيد محمد شبابيك، دار حر، القاهرة، ط1 ؛ 1998م.
147- **قواعد التلاوة وعلم التجويد**، د/ فرح توفيق الوليد، مطبعة الرشاد، بغداد، ط2؛ 1989م.
148- **الكامل في التاريخ**، لابن الأثير، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتب العربي، بيروت، لبنان، ط1 1417هـ/ 1997م، ج5.
149- **كتاب النفس**، ابن سينا، تصدير ومراجعة: إبراهيم مذكور، تحقيق: جورج قنواتي وسعيد زايد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
150- **الكتاب**، سيبويه أبي بشير بن عثمان بن قنبر(180)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط3 ؛ 1408ه/1988م،ج1/ج2/ج3/ج4.
151- **الكشف في وجوه القراءات السبع وعللها وحججها**، القيسي مكي بن أبي طالب، تحقيق : محي الدين رمضان ،لبنان ؛مؤسسة الرسالة ،ط4؛2003م.
152- **كلام العرب من قضايا اللغة العربية** ،د/ حسن ظاظا، دار المعارف، مصر، 1971م.
153- **الكلام إنتاجه وتحليله** ،د/عبد الرحمن أيوب ، مطبوعات جامعة الكويت ،ط1؛ 1984م.
154- **اللباب في علل البناء والإعراب**، أبو الفتح العبكري ، تحقيق: عبد الإله النهبان،دار الفكر ،سوريا، ط1؛ 1416ه/1995م،ج2
155- **لسان العرب** ،للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، بيروت ، 2003م،ج1/ج2/ج13/ج4
156- **لسان العرب**، لابن منظور، تحقيق: عبد الله الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، ط3، ج6.
157- **اللسان العربي وقضايا العصر**، رؤية علمية في الفهم والمنهج والخصائص – التعليم والتعليل- د/ عمار سامي، دار عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1؛ 2009م.

158- **اللسانيات وأفاق الدرس اللغوي**، د/أحمد محمد قدور،دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1.
159- **لطائف الإشارات لفنون القراءات**، شهاب الدين القسطلاني، تحقيق وتعليق: الشيخ عامر السيّد عثمان ، وشرف علي إصدارها: محمد توفيق عوّيضة، د/ عبد الصبور شاهين، رفع المساهم، الكتاب السادس والعشرون، القاهرة ؛ 1972م، ج1.
160- **اللغة الشاعرة**، محمود عباس العقاد، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، 1995م.
161- **اللغة العربية معناها ومبناها**، د/تمام حسان، دار الثقافة ،المغرب ،طبعة 1994م.
162- **اللغة بين المعيارية والوصفية**، د/تمام حسان، دار الثقافة، المغرب،(د-ت).
163- **اللغة وأنظمتها بين القدماء والمحدثين**، د/نادية رمضان النجار،مراجعة وتقديم: عبده الراجحي، دار الوفاء ، الإسكندرية ؛ 2004م.
164- **اللهجات العربية والقراءات القرآنية** ،محمد خان، دار الفجر للنشر و التوزيع، القاهرة
165- **مباحث في اللسانيات** ، د/أحمد حساني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ؛1994م.
166- **مباحث في علم اللغة ومناهج البحث اللغوي** ، د/نور الهدى لوشن، المكتبة الجامعية الإسكندرية ؛ 2000 م.
167- **مباحث في علوم القرآن** ، د/ صبحي الصالح، دار العلم الملايين، بيروت، لبنان؛ 1983م.
168- **مبادئ اللسانيات** ، د/ أحمد محمد قدور ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ، ط1 ؛ 1416ه/1996 م.
169- **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، لابن الأثير (637هـ)، المحقق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة للطباعة، الفجالة، القاهرة.
170- **المجمل في المباحث الصوتية من الآثار العربية** ،د/مكي درار ، دار الأديب للنشر ؛ وهران، ط2 ؛2006 م.
171- **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء**، الراغب الأصفهاني، تحقيق:د/عمر الطباع ، دار القلم؛ 1420م،ج1.

172- **محاضرات في علم الأصوات** ، د/ صلاح الدين صالح حسنين ، دار الثقافة العربية ،2003 م.
173- **محاضرات في علم النفس اللغوي** ،- د/حنفي بن عيسى ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، الجزائر ،ط5؛2003م.
174- **المحاضرات والمحاورات**، جلال الدين السيوطي، تحقيق:د/يحي الجبوري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1424ه/2003م.
175- **المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها**، أبو الفتح عثمان ابن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف و عبد الفتاح إسماعيل شلبي، أعده للطبعة الثانية وقدم لها محمد بشير الأدلبي، دار سزكين للطباعة والنشر ؛ 1460 ه/1986م.
176- **محيط الفنون**، د/ محمود أحمد حنفي، دار المعارف، مصر، القاهرة؛ 1971م.
177- **المحيط في اللغة** ،إسماعيل بن عباد الصاحب أبو القاسم ، تحقيق: محمد حسن آل ياسين ؛ 1414ه/1994م ، ط1 ،ج1.
178- **مختار الصحاح**، محمد بن أبي بن عبد القادري الرازي، تحقيق: محمود خاطر، دار النشر، مكتبة لبنان ناشرون، طبعة جديدة، 1415ه/1995م.
179- **المختصر في أصوات اللغة العربية – دراسة نظرية تطبيقية** – د/ محمد حسن جبل ، البربرى للطباعة الحديثة ،ط3 ؛ 1426ه/2005م.
180- **المخصص**،علي بن إسماعيل أبو الحسن ابن سيده تحقيق : مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي،دار إحياء التراث العربي ، بيروت،ط1؛1996م.
181- **المدارس الصوتية عند العرب** - النشأة والتطور - د/علاء جبر محمد،دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان، ط1 ؛2006م.
182- **المدارس النحوية**، د/شوقي ضيف، مط دار المعارف ،مصر، ط1؛ 1968 م.
183- **المدخل إلى دراسة البلاغة العربية** ،د/أحمد خليل ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان ؛ 1968م،
184- **المدخل إلى علم أصوات العربية**، د/ غانم قدوري الحمد،دار عمار ،عمان ،الأردن، ط1؛2004 م.
185- **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3 ؛ 1997م.

186- **المدخل إلى علم فقه اللغة**، د/أحمد محمد قدور، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1؛ 1413هـ/1993م.
187- **المدخل في علم الأصوات المقارن** ، د/ صلاح حسنين ، توزيع مكتبة الآداب، منتدى سور الأزبكية ، القاهرة ؛ 2006/2005م.
188- **مرشد القارئ إلى تحقيق معالم المقارئ**، أبو الأصمع عبد العزيز بن علي بن محمد السماتي الإشبلي ابن الطحان (تبعد560هـ)، تحقيق: حاتم صالح الضامن، دار البشير، عمان، ط1؛ 1429ه/ 1999م.
189- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها** ،عبد الرحمان بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ، تحقيق :أحمد جاد المولى وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة ؛1858م .ج1
190- **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أحمد جاد المولى، ومحمد أبو الفضل إبراهيم بن أبي بكر، وعلي محمد البجاوي، دار إحياء الكتب العربية (د.ت).
191- **مستقبل الثقافة العربية**، محمود الطناحي، دار الهلال، (د ط، د ت).
192- **مشكلة الهمزة العربية**، د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ؛ ط1؛ 1996م.
193- **المصطلح الصوتي في الدراسات العربية**، د/ عبد العزيز سعيد الصيغ، دار الفكر، دمشق؛ ط1 ؛ 1420هـ/ 2000م.
194- **معاني القرآن**، الفراء يحي بن زياد، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط2؛ 1955م،
195- **معجم علوم القرآن** : التفسير ،التجويد ،القراءات ،إبراهيم محمد الجرمي ،دار القلم ،دمشق، سوريا،ط01 ؛1422 ه/2001 م.
196- **معجم الأدباء إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب**، ياقوت الحموي ، تحقيق :إحسان عباس ، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان؛ ط1 ،1993م،ج4.
197- **معجم الوسيط** ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، ط4 ؛ 2004م.
198- **معجم علم الأصوات** ،محمد علي الخولي ، مطابع الفرزدق التجارية ؛ 1402ه/1982م.
199- **مفتاح العلوم**، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (ت626هـ) ، مطبعة مصطفى البابي، ط1؛ 1937م.

200- **المفصل في علم العربية** ،أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت 538) ، مطبعة التقدم، القاهرة، ط1؛ 1323م.
201- **المفصل في صنعة الإعراب** ، الزمخشري، تحقيق: علي بوملحم، ط1، دار مكتبة الهلال، بيروت؛ 1993م.
202- **المفيد في شرح عمدة المجيد في النظم والتجويد**، لابن أم قاسم المرادي المالكي، تحقيق: جمال السيف رفاعي، صححه وقدم له: الشيخ محمود حافظ رانق، د/ حامد بن خير الله، مكتبة أولاد الشيخ تراث.
203- **المفيد في شرح عمدة المجيد في علم التجويد**، قاسم المرادي، تحقيق: علي حسن البواب، مكتبة المنار، الزرقاء؛ 1407ه/ 1987م.
204- **مقاييس اللغة** ،ابن فارس ،تحقيق :عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر ،دط ؛1399ه/ 1979 م،ج1/ج2/ج4.
205- **المقتضب**، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب ، بيروت،ج1.
206- **مقدمة في علم أصوات العربية**، د/ عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، ط3؛ 1424هـ/ 2004م.
207- **مقدمة لدراسة علم اللغة**، د/ حلمي خليل، دار المعرفة الجامعية، مصر؛ 1996م.
208- **المُقَرب**، علي بن مؤمن المعروف بابن عصفور(669ه)، تحقيق: أحمد عبد الستار الجواري، عبد الله الجبوري، ط1؛ 1392ه/1972م.
209- **المقررات الصوتية في البرامج الوزارية للجامعة الجزائرية – دراسة تحليلية تطبيقية-** ، د/ مكي درار ، د/ سعاد بسناسي ، منشورات دار الأديب؛ وهران.
210- **المقطع الصوتي في ضوء تراثنا اللغوي** ، د/ عبد المنعم عبد الله محمد ، مطبعة الجبلاوي ، القاهرة ، مصر ،ط1 ؛ 1988م.
211- **الملخص المفيد في علم التجويد**، محمد أحمد مفيد، مطبعة دار السلام، القاهرة، مصر، ط04؛ 1418هـ/1998م.
212- **من أسرار اللغة**، د/إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط06، 1978م.
213- **من بلاغة القرآن**، د/ أحمد أحمد بدوي ، نهضة مصر للطباعة ؛ 2005م.
214- **من وظائف الصوت اللغوي**،د/ أحمد كشك، مطبع المدينة، بدار السلام، القاهرة، ط1؛ 1983م.

215- **مناهج البحث في اللغة** ، د/ تمام حسان ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ؛ 1979م.
216- **منجد المقرئين ومرشد الطالبين**، محمد بن محمد الدمشقي الشهير بابن الجزري، تحقيق: محمد حبيب الله الشنقيطي، أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
217- **المنجد في اللغة والأعلام** (مادة فصل) ، معلوف لويس ، دار المشرق، ط3، 1988م.
218- **المنح الفكرية شرح المقدمة الجزرية**، ملّا بن سلطان محمد القاري (ت1014هـ) ،تحقيق :أسامة عطايا،مراجعة:د/أحمد شكري،شركة ومطبعة مصطفى أجاجي، مصر، الطبعة الأخيرة ؛ 1948م.
219- **المنصف شرح كتاب التصريف لأبي عثمان**، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى ومحمد أمين، مصر، 1322هـ.ج1
220- **المنطق**، ابن سينا، (دت –دط).
221- **منهج البحث اللغوي** ،د/محمود سليمان ياقوت ، دار المعرفة الجامعية ، كلية الآداب ،جامعة الكويت ؛2000م.
222- **المنهج الوصفي في كتاب سيبويه**، د/ نوزاد حسن أحمد ، منشورات جامعة قار يونس ، دار الكتب الوطنية، بنغازي، ط1؛ 1994م.
223- **الموجز في النحو**، أبو بكر بن السراج، تحقيق : غطاس عبد الملك خشبة، دار الكتب العربي للطباعة، القاهرة، (د، ت).
224- **موسوعة عباقرة الإسلام في اللغة والنحو والفقه**، د/رحاب خضر عكاوي ،دار الفكر العربي، بيروت، ط1؛1993م.
225- **الموسيقى الكبير**،أبو نصر الفارابي (ت339ه)،تحقيق : غطاس عبد الملك خشبة ،دار الكتاب العربي للطباعة ،القاهرة ،(د/ت).
226- **الموضح في التجويد** ، عبد الوهاب بن محمد القرطبي (ت461)، تح: غائم قدوري الحمد، دار عمان، الأردن، ط2 ؛ 2000م.
227- **الموضح في وجوه القراءات وعللها** ،ابن أبي مريم ،تحقيق:عمر جعدان الكبيسي ،السعودية ،جدة ،الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم ،ط1 ؛ 1993م.
228- **نزهة الألباب في طبقات الأدباء** ،لأبي البركات كمال الدين عبد الرحمان بن محمد الأنباري(ت 577ه)،تحقيق : إبراهيم السامرائي ، مكتبة المنار، الأردن ، ط3 ؛1405هـ /1985م.

229- **نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة** ، للشيخ محمد الطنطاوي ،تحقيق:أبي محمد عبد الرحمان بن محمد إسماعيل ،مكتبة إحياء التراث الإسلامي،ط1؛2005.

230- **النشر في القراءات العشر**، ابن الجزري أبو الحيز محمد بن محمد الدمشقي (ت833هـ) ، قدم له الأستاذ علي محمد الضباع شيخ عموم القارئ بالديار المصرية، خرج آياته الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1؛ 1427ه،ج1.

231- **النكت في تفسير كتاب سيبويه** ،لأبي الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلم الشنتمري (ت476 ه) ، **تحقيق : زهير عبد المحسن سلطان ، منشورات معهد المخطوطات العربية ،الكويت ،ط1؛ 1407ه/1987م،**

232- **هداية القارئ إلى تجويد كلام الباري**، المرصفي عبد الفتاح ،دار النصر للطباعة الإسلامية ،مصر ؛ط 1؛ 1402 ه/1982م،ج1.

233- **همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**، جلال الدين السيوطي (ت911هـ)، تحقيق: د/ عبد العلي سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت؛ ؛1980م ج1/ج2

234- **الوجيز في فقه اللغة**، د/ محمد الأنطاكي ،مكتبة دار الشرق، بيروت؛ 1969م.

235- **وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمن** ، أحمد بن محمد ابن خلكان، دار الثقافة ،بيروت ؛1977 م ، ج3 .

236- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**، أبو منصور عبد الملك الثعالبي ، تحقيق: مفيد محمد قميحة ،دار الكتب العلمية، ط1 ؛ 1403ه/1983م ، ط1.

ثانيا: المراجع المترجمة

1- **أسس علم اللغة** ، ماريوباي ، ترجمة : د/ أحمد مختار عمر، جامعة طرابلس؛ 1973م.

2- **تاريخ علم اللغة منذ نشأتها حتى القرن العشرين** - جورج مونان ، ترجمة : بدر الدين القاسم ، مطبعة دمشق ؛ 1972م.

3- **التطور النحوي للغة العربية** ،محاضرات المستشرق الألماني: برجشتراسر، أخرجه د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1؛ 1994م.

4- **دروس في علم أصوات العربية**، لجان كانتينو، نقله إلى العربية: صالح القرمادي، مكتبة الدراسات، الجامعة التونسية ؛ 1966م.
5- **العربية الفصحى – دراسة في البناء اللغوي-**، هنري فليش، تعريب وتحقيق وتقديم: د/عبد الصبور شاهين، الناشر مكتبة الشباب، القاهرة ؛ 1997م.
6- **علم الأصوات (الصوتيات- الأكوستيكا)** ، برتيل مالمبرج ، تعريب ودراسة: د/ عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة ؛ 1984م.
7- **اللغة** ،جوزيف فندريس، تعريب :عبد الحميد الدواخلي ، ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو مصرية، مطبعة البيان العربي؛ 1950م.
8- **اللغة وعلم اللغة**، جون ليونز، ترجمة: د/ مصطفى زكي التوني، دار النهضة العربية؛ 1987م، ج1.
9- **معرفة اللغة**، جورج يول، ترجمة: أ/د محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية.
10- **نظرية الأدب**، رنيه وليك، ارستن وارين، ترجمة : محي الدين صبحي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ط2 ؛ 1980م.
11- **النظرية الشعرية بناء لغة الشعر _اللغة العليا_**، جون كوين، ترجمة : د/ أحمد درويش، دار غريب النشر والتوزيع، القاهرة، ط1؛ 2000م ،ج 1.

ثالثا : المراجع الأجنبية

1. - General l’injustices Longman, Robins RH, 1967,
2. - Histoire de Linguistique dés origines au 20éme siècle, George Mounin ،Quadrige ؛ 1996 .
3. -Révolution en Linguistique، Robert laffont ، éditions grammont ؛1975.

رابعا: الدوريات والمجلات

1- **الإبدال وعلاقته بعلم الأصوات**، مثني جاسم محمد، مجلة كلية الآداب، معهد إعداد المعلمات الصباحي، ع 101.

2- **الإدغام مفهومه وأنواعه وأحكامه** ،أبو أوس إبراهيم السّمسان، مجلة جامعة الإمام ،كلية الآداب ،ع 25؛ محرم 1420ه .
3- **إلى علم الأصوات العربية الفصحى**، د/عبد القادر الجديدي ، الحياة الثقافية ، تونس، ع36/37 ؛ 1985م
4- **الأنماط التناغمية في اللسان العربي في علوم اللغة**، رضوان القضماني، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة محمد خيضر ،بسكرة، ع1،ج13؛ 2001م.
5- **التغيرات الصوتية وقوانينها _ المفهوم والمصطلح**_ ،سامي عوض،وصلاح الدين سعيد حسين،مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية ،سوريا ،اللاذقية ،مجلد 31، العدد01؛2009م.
6- **التنغيم عند ابن جني**، د/ أحمد البايلي، مجلة أفاق الثقافة والتراث، قسم الدراسات والمجلة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، دبي، السنة الحادية عشر، ع41 ؛ صفر1424ه/ 2003م.
7- **توصيف الأصوات بين القدامى والمحدثين**، د/ موسى حامد، المحاضرة الثامنة، منتديات شبكة القراءات القرآنية ؛ 2013م.
8- **الجرس والإيقاع في تعبير القرآن**، عاصد ياسر حسين، مجلة آداب الرافدين ،العراق ، ع9 ؛1978م.
9- **جهود العرب في الدراسات الصوتية** ، مجلة الثقافة العربية ،ع 4، السنة 2 ؛ 1975م.
10- **جهود العرب في الدراسات الصوتية**، د/كمال بشر،مجلة الثقافة العربية الليبية ، العدد الرابع ،السنة 2002م/1975ه.
11- **الحروف والأصوات العربية بين نظرة القدماء والمحدثين**، أ/ يحياوي زكية، مجلة أكاديمية محكمة، الممارسات اللغوية جامعة مولود معمري، تيزي وزو ، الممارسات اللغوية، ع30 ؛ 2014م.
12- **الخليل بن أحمد رائد علم الأصوات**، د/ أحمد محمد سالم الزاوي، مجلة كلية الأدب، ع09 .
13- **الخليل بن أحمد عبقري العلماء**، د/يوسف بن محمود فجال، مجلة كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة الملك سعود، الرياض، 03 جمادى الآخر.

14- **الدراسات الصوتية الحديثة وعلم التجويد**، د /محمد أحمد الجمل، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد السابع، العدد 1 ؛ 1432هـ/ 2011م.
15- **الدراسات اللغوية بين الأصالة والمعاصرة**، أ.د /لحسن بلبشير، مجلة الأثر، كلية الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع08؛ ماي 2009م.
16- **دراسة النظام المقطعي وهمزة الوصل في العربية**، د/ محمد علي رباع، حوليات كلية الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قطر، ع17؛ 1415ه.
17- **دروس في النظام الصوتي للغة العربية**، د/ عبد الرحمن بن إبراهيم الفوزان، 1428ه.
18- **دلالة الأصوات في فواصل آيات جزء عم –دراسة تحليلية-**، د/ رمضان البع، مجلة جامعة الأقصى (سلسلة العلوم الإنسانية) ، المجلد13، ع2؛ 2009م.
19- **دلالة التنغيم في القرآن الكريم، سورة الزمر أنموذجا**، زهر الدين رحماني،مجلة الممارسات اللغوية ،جامعة مولود معمري، تيزي وزو،الجزائر،ع 20 ؛2013م.
20- **الدلالة الصوتية والدلالة الصرفية عند ابن جني**، عبد الرحمن عبد الكريم مجاهد، مجلة عالم الفكر، السنة الرابعة، ع26، آذار 1982م.
21- **الصوت بين المعيارية والموضوعية عند الخليل الفراهيدي**، د/جعفر يايوش، المجلة الجزائرية في الأنثروبـولوجيا والعلوم الاجتماعية "إنسانيات"، ع 21 ؛ 2003 م.
22- **الصوت في القرآن الكريم- أنماطه ودلالته_**، د/يونس حمش خلف، معهد إعداد المعلمات/ الموصل، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، المجلد13، العدد10؛ كانون الأول، 2006م.
23- **صوتيات ابن سينا**،د/ ابراهيم خليل، دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية،كلية الآداب ،الجامعة الأردنية، المجلد 32، ع 03، 2005م.
24- **الصوتيات عند ابن جني في ضوء الدراسات العربية والمعاصرة**، مجلة التراث العربي، د/ عبد الفتاح المصري، دمشق، العددان 15 و16؛ 1404ه/1984م.

25- **الصوتيات**، د/عمار ساسي ،حولية أكاديمية محكمة متخصصة تصدر عن مخبر الصوتيات العربية الحديثة، البليدة، ع13، أفريل2013.
26- **الظواهر الصوتية عند سيبويه**، د/ إبراهيم محمّد البب، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها (فصلية محكمة)، العدد02 ،جامعة تشرين، سوريا؛ 1389ه/2010م.
27- **الظواهر الصوتية ودلالتها الوظيفية في القرآن الكريم_ نماذج تطبيقية**_،د/ راضية بن عربية ،مجلة الصوتيات ، حولية أكاديمية محكمة متخصصة،كلية اللغات والآداب ،البليدة،ع 13، أفريل 2013 م.
28- **علم الأصوات عند سيبويه وعندنا للمشرق أرتورشاده**، أ.د صبيح حمود التميمي، آداب الرافدين، كلية الآداب بجامعة الموصل،العراق ،ع58 ؛ 2010م.
29- **علم الصوتيات الموجي والسمعي عند علماء المسلمين القدماء**، يوسف الهليس، المجلة العربية للدراسات اللغوية، الخرطوم، مج 3، ع 2؛1985 م.
30- **الفاصلة القرآنية – دراسة صوتية في ضوء علم اللغة الحديث**_، د/ محمد سعيد محمد السيد، مجلة كلية الأداب ،جامعة بور سعيد، العدد الأول؛ يناير 2013م.
31- **الفاصلة في سياق القرآني –سورة مريم أنموذجا-**، د /محمد حسين النقيب اليمن، المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية ،الندوة التاسعة :القرآن واللغة العربية ، دبي ؛ 28 جمادي الآخرة 1434 ه/ 8 مايو 2013م.
32- **مخارج الأصوات وصفاتها بين القدماء المحدثين**، د /تحسين فاضل عباس، مجلة كلية التربية للبنات للعلوم الإنسانية، السنة 2012، الإصدار10، جامعة الكوفة،
33- **مصادر التراث الصوتي العربي** ، د/ أحمد عزور، مجلة التراث العرب ، ع 71_72؛ 1998م.
34- **مصطلحات الخليل الصوتية ومنهجه في دراسات معاصرين**، د/ المهدي بوربة، مجلة الأثر، قسم الأدب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، العدد05، مارس 2006م.

35- **المقطع الصوتي في سورة مريم_دراسة إحصائية دلالية_** ، د/عزة عدنان أحمد عزت،مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، المشرف : نرمين غالب أحمد، قسم اللغة العربية، كردستان،ع 5؛ العام الثاني فبراير 2015م.

36- **المقطع الكلامي وإيقاعيه السبب الخفيف**، د/ خلف خازر ملحم الخريشة، مجلة الثقافة والتنمية ،جامعة الجوف، سكاكا، كلية العلوم الإدارية والإنسانية، قسم اللغة العربية، السنة الحادية عشر، ع 43، أبريل؛ 2011م.

37- **وصف الهمزة والطاء والقاف بالجهر**، مهند أحمد حسن، مجلة سر من رأى ، جامعة تكريت، كلية الآداب، المجلد4، العدد11، السنة الرابعة، آب 2008م.

38- **الوظيفة التواصلية للغة في التراث العربي**، بن فريحة الجيلالي، مجلة كتابات معاصرة، ناشرون للطبع، بيروت، ع48؛ 2010م.

خامسا : الرسائل الجامعية

1- **الإبدال في اللغة العربية** ، الطالب: محمد الوادي ، رسالة ماجستير ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة محمد الخامس، قسم اللغة العربية وآدابها ؛ 1990م

2- **الإيضاح في القراءات العشر**، أحمد بن أبي عمر الأندرابي (ت470هـ)،أطروحة دكتوراه، دراسة وتحقيق: منى عدنان غنى ،كلية التربية للبنات في جامعة تكريت، إشراف: غانم قدوري الحمد، 2002م.

3- **الترتيل القرآني مفهومه وأثره في اللغة- دراسة صوتية تحليلية -**، براءة نور الدين الصباغ، رسالة ماجستير ،كلية الآداب، جامعة الشرق الأوسط؛ كانون الأول؛ 2011م/ 2012م.

4- **التطور الصوتي العربية في ضوء المنهج الوصفي- دراسة تطبيقية-** رسالة ماجيستر، أنفال جاسم محمد، إشراف: د/ صيوان خضير خلف، جامعة البصرة، كلية التربية ، 2011م.

5- **التكرارية الصوتية في القراءات القرآنية قراءة نافع أنموذجا**، فضيلة مسعودي ، رسالة ماجستير ،جامعة أبي بكر بلقايد ، تلمسان ،كلية

الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسم اللغة العربية وآدابها ،أكتوبر 2002م.

6- **الحروف العربية وتبدلاتها في كتاب سيبويه**، د/مكي درار، رسالة ماجستير، كلية الآداب والفنون، جامعة وهران ؛1986/1985 م.

7- **ظواهر التشكيل الصوتي عند النحاة واللغويين حتى نهاية القرن الثالث الهجري**، إعداد المهدي بوروبة ، أطروحة دكتوراه دولة في اللغة ، كلية اللغة والأدب العربي ، جامعة تلمسان؛ 2002/2001م.

8- **المقطع في بنية الكلمة العربية – دراسة لغوية تطبيقية في القرآن الكريم-** مناع عبد الله مصطلح شداد ، رسالة ماجستير ، جامعة أم درمان الإسلامية، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات اللغوية والنحوية، 2009م.

9- **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها (دراسة تطبيقية للجزء الأول من سورة البقرة)** ، محمد عطية يوسف الميزاوي، رسالة ماجيستر، جامعة غزة ، قسم التفسير وعلوم القرآن ؛ 2010م.

10- **المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها**، محمد العف، رسالة ماجستير ، الجامعة الإسلامية، غزة ، قسم التفسير وعلوم القرآن؛ 1430ه /2001م.

11- **منهج الدرس الصوتي عند العرب**، علي خليف حسين، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب، جامعة بغداد، 2002م.

12- **النسق القرآني - دراسة أسلوبية-**، محمد ديب الجاجي، أطروحة دكتوراه، جامعة صنعاء، كلية الأدب ؛ 1423ه/ 2002م.

13- **نظرية الأصالة والتفريع الصوتية في الآثار العربية** ،د/رفاس سميرة ،أطروحة دكتوراه ، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس؛ 2007-2008م.

14- **تلوين الخطاب في القرآن الكريم**،طه رضوان ،رسالة دكتوراه،إشراف :عبده علي الراجحي ،ومحمد بدري عبد الجليل،دار الصحابة للتراث،ط1،طنطا؛2007م

فهرسة المحتويات

تأصيل الدّرس الصّوتي في التّراث العربي – سرّ صنّاعة الإعراب أنموذجا -

فهرسة المحتويات

الموضوع	الصفحة
شكر وتقدير	
مقدّمة	**أ- و.**
مـدخـــل	
منّطلقات الدّراسة الصّوتية في الحضارات الإنسانية	**02**
أوّلا: البداية التّمهيديّة الصّوتية عنّد الهنود.	**03**
ثّانيا: البداية التّمهيدية الصّوتية عنّد اليونان.	**05**
ثّالثا : البداية التمهيديّة الصّوتية عنّد الرومان.	**07**
رابعا: البداية التّمهيديّة الصّوتية عنّد العرب.	**08**
خامسا: مدونّة الدراسة سرّ صنّاعة الإعراب.	**12**
1 - بيوغرافيا اللّغوي ابن جنّي	**12**
أ/ المولد والنشأة	**12**
ب/ حياته	
2 - سرّ صنّاعة الإعراب.	**13 14**
أ/قراءة في العنوان	**14**
ب/الهدف من تأليفه	**15**
الفصل الأوّل	
مفاهيم أساسية للدّرس الصّوتي عنّد العرب	**21**

فهرسة المحتويات

المبحث الأوّل: تعريف الصّوت اللّغوي **22**

المبحث الثّاني : أقسام علم الأصّوات. **25**

1 - علم الأصّوات النّطقي.
25

أ/ جهاز النّطق عنّد الإنسان . **28**

ب/ أعضاء النّطق. **29**

ج/ آلية النّطق. **37**

2 - علم الأصوات الفيزيائي **40**
أ/ مصدر الصوت وتحركه في الهواء **42**

ب/ الذبذبة الصوتية **43**

ج/ الموجة الصوتية.
44

د/ الـتّـــــردد. **45**

ه/ علوُّ الصوت ودرجته ونّوعه **45**

3- علم الأصوات السمعي
49
أ/ جهاز السمع.
50

ب/ العملية السمعية.
52

4- **علم الأصوات المعلمي..**
54 أ/ الآلات الفيزيائية.
55
ب/الآلات الفيزيولوجية.. **56**
ج/الآلات المنتجة للأصوات الصناعية.. . **57**
المبحث الثّالث : أهميّة الدراسة الصّوتية وقيمتها..
59
1- في مجال اللّغة والبحث فيها .
59
أ/ وضع الأبجديات **60**
ب/ تعليّم الأداء وضبّط النّطق **61**
ج/ تعلُّم اللغة الأجنبية **63**
د/علاقتها بمستويات التحليل اللغوي **64**
2- في مجال التّطبيق الاجتماعي.
68
أ/مهمّة وسائل الإعلام **68**
ب/ تعليّم الصّم و علاج عيّوب السَّمع و النُّطق **69**

الفصل الثاني

النّظرة التأصيليّة للدراسات الصّوتية العربية 73

المبحث الأوّل: البحث الصّوتي عنّد الخليل ابن أحمد الفراهيدي (100هـ/175هـ) 75
1- الخليل ومنّهجه في دراسة معجم العين 75
أ/ نبذة مختصرة عن الخليل بن أحمد الفراهيدي
75

ب/ منزلة العين و نبذة عنّه. **76**

2 - أثر أو تــعدد المصطلحات الصّوتية في التّراث العربي عند الخليل
79

أ/ العلاقة بين مصطلح الصوت والحرف **80**

ب/ الفرق بين المخرج والمدرج والحيز والموضع **82**

3 - ترتيب مخارج الأصوات العربية 85

4 - صفات الحروف العربية **91**

المبحث الثّاني: فضل سيبويه في الرّقي بالدرس الصوتي(140هـ/180هـ) 98

1 - سيبويه حياته وكتبه وأبحاثه
98

أ / التعريف بشخصيته 99

ب/الكتاب ومنهج سيبويه في تأليفه **101**

2- **أصوات العربية في كتاب سيبويه.**
102

أ/ مخارج الحروف **105**

ب /صفات الأصوات **107**

3- الظواهر الصوتية عند سيبويه:
111

أ/الوقف 112

ب/الإمالة **114**

ج/ ظاهرتا الإعلال والإبدال 115

د/ ظاهرة الإدغام 117

المبحث الثّالث : تراث ابن سينا وأصوات اللّغة في رسالته (370ه/428ه) 120

1- ابن سينا وسيرته الذاتية.
121

فهرسة المحتويات

أ/التعريف بابن سينا 121

ب/ تأليف رسالته أسباب حدوث الحروف **123**

2- الدراسة المادية للأصوات.

125

أ/طبيعة الصّوت 125

ب/وصف الصوامت العربية 127

3- أعــضاء النّطــق عند ابن سينا.

130

أ/تشريح الحنجرة 131

ب/ تشريح اللسان **132**

المبحث الرابع: المباحث الصّوتية عند ابن سنان الخفاجي (423ه-466ه) 135

1- ابن سنان الخفاجي(حياته ومؤلفاته).

135

أ/ المكونات الشخصية والثقافية لابن سنان الخفاجي **135**

ب/كتاب سرّ الفصاحة **137**

2- فيزياوية الصّوت عند ابن سنان الخفاجي

139

3- مخارج الحروف وصفاتها في سر الفصاحة

142

أ/ مخارج الحروف **142**

ب/صفات الأصوات **147**

فهرسة المحتويات

4- الحروف الأصّلية والفرعية عند ابن سنان الخفاجي.

149

أ/الحروف العربية (الأصول) **149**

ب/الحروف الفرعية العربية **150**

الفصل الثّالث:

ا لفكر الصّوتي وأصالته عند ابن جنّي من خلال سرّ صنّاعة الإعراب 155

المبحث الأوّل: مرحلة النّظرية والتّأصيل في جهود ابن جنّي(321ه/392ه) 155

1- الأصَّالة والسَّبْق.

156

أ/علم الأصوات 159

ب/تعريفه للصّوت والتصوّيت 162

2- الفرق بين الصّوت والحرف

164.

3- العلاقة بين الصّوت والسماع والموسيقى.

169

المبحث الثّاني : الحروف العربيّة وتذوّقها في سرّ صنّاعة الإعراب 173

1- الجهاز الصّوتي عند ابن جنَّي

173

2- عدد الحروف وترتيبها

176

أ/أسماء الحروف وترتيبها 177

ب/ترتيب الحروف 183

3- مخارج الحروف بين الأصالة والإتّباع

185

المبحث الثّالث: أصّالة الأصوات العربية في سرّ صنّاعة الإعراب 190

تأصيل الدّرس الصّوتي في التّراث العربي – سرّ صنّاعة الإعراب أنموذجا -

فهرسة المحتويات

1- تقسيم الأصّوات العربيّة

190

أ/الصوائت **191**

ب/الصوامت **195**

2- صفات الأصوات الصامتة

197

المبحث الرّابع : تراث ابن جنَّي والدّرس الصَّوتي الحديث **205**

1- الاختلاف في مصطلح آلة النّطق

209

2- الاختلاف في مصطلح الصّوت

210

3- الاختلاف في معنى المخرج و تحديده

212

4- الاختلاف في مخارج وصفات الحروف

214

الفصل الرابع:

أصالة التّلوينات الصّوتية ودلالتها الوظيفية في القرآن الكريم من خلال سرّ صنّاعة الإعراب **230**

المبحث الأوّل : الدّرس الصّوتي ودوره في خدمة القرّاء والمجودين العرب **231**

1- مفهوم القراءة والتّجويد والتّرتيل

233

2- أهمية الدّراسة الصّوتية في علم التّجويد

242

3- الأحكام التّعاملية في الأصوات للقراءات القرآنية

246

أ/ أحكام النون الساكنة والتنوين **247**

فهرسة المحتويات

المبحث الثّاني: أصّالة التّلوينات الصّوتية عند ابن جنّي من خلال سرّ صنّاعة الإعراب 260

1- مفهوم التّلوين الصّوتي 260

2- أنواع التّلوينات الصّوتية 261

أ/ تلوينات الصّوامت من خلال سرّ صنّاعة الإعراب **261**

ب/تلوينات الصّوامت من خلال سرّ صنّاعة الإعراب **270**

المبحث الثّالث: أصّالة التّلوينات الإيقاعية في الموروث العربي ودلالتها في القرآن الكريم 299

1- المقطع الصوتي 300

أ/تحديد مفهوم المقطع (لغة واصطلاحا) **300**

ب/ المقطع في التراث العربي القديم **303**

ج/ أشكال وتلونآت المقاطع الصوتية **311**

د/ أنواع المقاطع الصوتية **313**

2- التـــــنـــــغيـــــــــــم 315

أ/ تعريفه لغة واصطلاحا **315**

ب/وظائف التنغيم **316**

ج/ التنغيم في التراث العربي **316**

د/ أهمية التنغيم في القرآن الكريم. **322**

فهرسة المحتويات

3- الفواصل الصّوتية 325

أ/ تعريف الفاصلة لغة واصطلاحا **325**

ب/ أهمية الفاصلة و تلوينّاتها في القرآن الكريم **326**

ج/ أنواع الفواصل في القرآن الكريم **329**

خاتمـــــــــة 337

قائمة المصادر والمراجع 341

فهرسة المحتويات 369

الملخص

يتناول هذا البحث النّظر فيما قدّمه علماء العربية ، وإبراز جهودهم البحثية وإحلالها موضعها المُناسب ، اعترافا بفضلهم و تأكيد سبقهم وأصَّالتهم في بناء صرح الدّراسة الصّوتية، ومن هنّا نحاول الوقوف على أهم القضايا الصّوتية عند ابن جنّي من خلال كتابه _سرّ صنّاعة الإعراب-؛ الذي جمع فيه علماً قائمًا بذاتِه ،واصطلح عليّه بعلم الأصّوات ،أثبتت أصالته وفَضْل السَّبْق في هذا المجال ،إذ إنَّ الاهتمام بهذا الفكر الصّوتي مَصْدَّر مَصَّب كثير من الباحثين ومنَالُ إعجاب مُحَاولة منّهم لاستنطاقــه، والتّعرف على القضايا التّي توصل إليها ،وما زالت لم تجد النور في الدراسات الحديثة، فكتابه يعدّ من أكمل الكتب التي وصلتنا ، وأشملها في العربية من حيث مادتّه العلمية ودقتها وغزارتها .

الكلمات المفتاحية :الدرس الصّوتي، التّأصيل، التّراث العربي، سرّ صناعة الإعراب، ابن جنّي

Résumer

Cette recherche traite de la considération des scientifiques arabes, met en évidence leurs efforts de recherche et les remplace par le poste approprié, en reconnaissance de leurs remerciements et de leur confirmation de leurs prédécesseurs et de leur originalité dans la construction l'études du la phonétique، Nous essayons ici d'identifier les problèmes les plus importants de la phonétique, Quand - Ibn Jenny il a recueilli une science auto-explicative et l'a appelé la phonétique, a prouvé son originalité et sa supériorité dans ce domaine, l'attention portée à cette voix de pensée est la source de nombreux chercheurs et l'admiration d'essayer de les capturer et d'identifier les problèmes atteints et, Dans des études récentes, son livre est l'un des livres les plus complets qui nous sont parvenus, et le plus complet en arabe en termes de matériel scientifique, d'exactitude et de glorification.

Mots-clés: l étude phonétique – Authenticité- patrimoine arabe- Ibn Jenny